اليمن عبر التاريخ

(من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين)

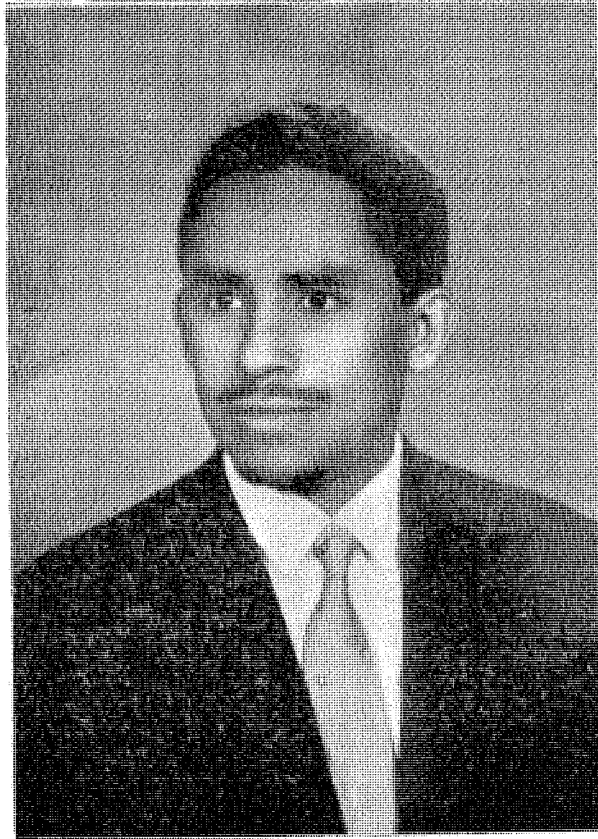
دراسة جغرافية ، تاريخية ، سياسية شاملة

(مزينة بالصور والخرائط)

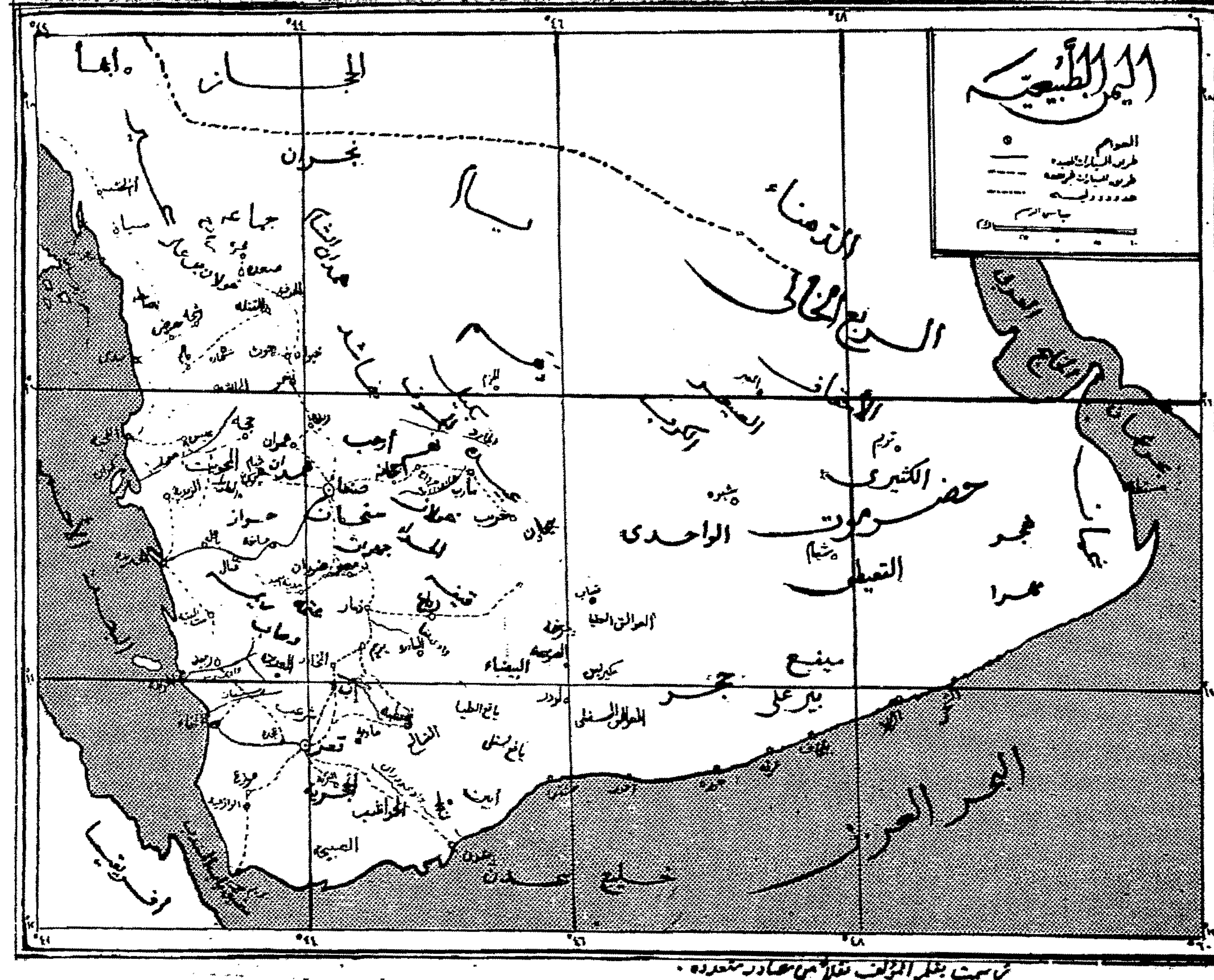
الطبعة الثانية

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير — عابدين
ت ٩٠٦٠١٧



(صورة المؤلف)



رسمت بقلم المؤلف نقلاً عن مصادر متعددة .

محتويات الـكتاب

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثانى

الفصل الرابـع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادى عشر

الفصل الثانى عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقـــدمة)

لم يَهُن تاريخ أمّةٍ من الأمم على أبنائها ، كما هان تاريخ اليمن على المثقفين من أبنائه ، وهذه الظاهرة المُشينة تَبْرُزُ بالنسبة لتاريخ اليمن القَديم قبل الإسلام وبالنسبة لتاريخها بعد الإسلام .

وإذا كان تاريخ اليمن بعد الإسلام قد حظى من أبناء اليمن بشىء من التسجيل على الطريقة القديمة ، فإن الأمر يختلف تماماً حينما نتحدث عن تاريخ اليمن القديم ، إذْ أننا حينما نغضُّ النظر عن النزر اليسير الذى اُضطلع به المؤرخون اليمانيون قديماً بالكتابة العشوائية ، تحت ظروف غير مناسبة ، حينما نغض النظر عن هذا القليل ، نجد أن تاريخ اليمن القديم قد أهمل بعد ذلك إهمالاً كاملًا .

إن المكتبة العربية خالية تماماً من مؤلف منهجى حديث ، فى تاريخ اليمن القديم ، اضطلع به بحثاً وتنقيباً ثم تنسيقاً وتأليفاً واحدٌ من أبناء اليمن المثقفين ، وكم تكون خيبة الأمل عظيمة عند الباحث الحديث ، حينما يجُهد جهده بحثاً عن مثل هذا الكتاب ، ثم ينكشف له فى النهاية أن رفوف المكتبة العربية وخزائنها خالية عما يبحث عنه .

إن هذه الظاهرة يجب أن تُفزعَنا بشدّة لأنها قد تكون طبيعيّة بالنسبة لشعب حديث التكوُّن والنشأة ، ولكنها ليست كذلك أبداً بالنسبة لشعب قديم الحضارة ، عريق الأمجاد ، حتى ليُعتَبر عند الكثير من المؤرخين والمفكرين مهداً للحضارة الإنسانية ، وسَدًّا فاضت منه الموجات الحضارية إلى العالم القِديم فى شماله وشماله الغربى .

إن إيلام هذه الظاهرة ومرارتها ، لن يخفف منهما إلّا ظهور هذا المؤلف القيم « اليمن عَبْر التاريخ » الذى اضطلع بعِبْئِه عصامىّ من أبناء هذا البلد العريق ، ذلك هو السيِّد العلامة أحمد بن حسين شرف الدين ، ومن الواجب الحتمى أن تثير هذه البادرة الخلّاقة ، نشاط مثقفينا ، وأن توقظهم من غيبوبة الخمول والإهمال ، فتدفعهم من جانب إلى إثارة الجدال والنقاش حول هذا المؤلَّف القيم ، وكتابة البحوث والتحليلات العميقة حول موضوعه ، وحول ما فيه من مظاهر الإبداع والتجديد ، وتدفعهم من جانب آخر إلى جعل هذا المؤلَّف رائداً يُقتدى ومثالا يحتذى ، ونموذجًا ينسجون على منواله ويتصرفون على هديه ومنهاجه القويم .

لست مدفوعًا بالعاطفة ، حينما أقول إن هذه البادرة تستحق منّا كل عناية واهتمام ، وأن صاحبها خليق بكل ثناء ، وتقدير وتشجيع ، لست مدفوعًا بالعاطفة وحدها ، لأننى أنظر إلى تراث اليمن الحضارى ، وتاريخها القديم ، على أن الاعتزاز به ، ومحاولة كشف أسراره ، واستخراج حقائقه ، ليس مجرد نزعة وطنية ، وحماس قومى ، يهزّ كل عربى ، بل هو فى تقديرى عمل إنسانىّ ، يخدُم الفكر البشرى والحضارة الإنسانيّة ، لأنه سوف يزيح الغموض عن فترة أساسية فى تاريخ الإنسان الطبيعى ، ويُلقى النور على بداية السير فى طريق الحضارة ، وتَكوُّنِ المجتمعات البشرية .

من هذا المُنْطَلق ، يجب أن نذهب إلى أبعد مدى فى تشجيع كل عامل فى هذا الحقل ، ودعْم كل مجهودٍ يُبذَل فى هذا المضمار ، ومن خلال هذه النظرة ، يجب أن نعطى هذا المؤلَّف قيمته الفكرية ، والتقدير الذى يستحقه ، ومن خلالها ، يجب أن يكون شكرنا وتقديرنا لصاحبه العصامىّ على هذا العمل القومى الإنسانى البناء .

لنحاول إذاً أن نقيم هذا الكتاب ، وأن نعطيه ونعطى صاحبه التقدير الجدير بمثل هذه البادرة الطيبة والعمل الخلاق .

إن أهمية هذا الكتاب ، وقيمته الحقيقية تتجلى فى جوانب رئيسية ثلاثة ، نحاول أن نوجز عنها الحديث فيما يلى :

إن الأهمّية الأولى لهذا الكتاب أنه يتناول تاريخ اليمن القديم ، ولتاريخ اليمن وحضارتها العريقة مكانة خاصة بين العلوم الإنسانية ، وفى أذهان المفكرين الذين يهمهم هذا الإنسان ، وتاريخ نشأته ، وتطوره ، وظهور مجتمعاته ، وحضاراته ، أو بصفة عامة يَحِنُّونَ لهفةً إلى استكمال « التاريخ الطبيعى » للإنسان . وفى كل يوم يزداد عدد العلماء والمفكرين ، الذين يمدون أعناقهم إلى اليمن ، كحقل غنىٍّ حافل بالحقائق القيّمة والمفاجآت المذهلة فى أحداث التاريخ ، ويزداد عدد أولئك الذين يعتبرون اليمن القديمة مهداً للحضارة الإنسانية ، وأول ميدان للّقاء البشرى الأول ، الذى فرضته ظروف يطول شرحها ، والذى أدى إلى تكوّن العلائق الاجتماعية ، وأوليات خصائص الكيان الاجتماعى ، ثم ظهور الحضارة ، وسيرها فى الطريق الصّاعد ، ولكى تتضح هذه الحقيقة ، ننبّه إلى أنَّ المؤرخين والمفكرين يعتبرون منطقة الشرق العربى – وبالأخص مصر والعراق – أقدم المناطق تحضُّراً فى العالم ، ومن هنا سميت هذه المنطقة : « العالم القديم » ، أو « أم الحضارات » ، ثم أخذت الحقائق تشير إلى أن الحضارات ، فى هذه المنطقة ، إنما تكوّنت نتيجة لهجرات حضارية متوالية كانت تأتى من الجنوب ، وبالتحديد من « اليمن القديمة » ، وهذا هو ما قرره أخيراً الدكتور سليم حسن شيخ المؤرخين المصريين ، والحجة فى التاريخ القديم ، وقد كانت أمانة البحث العلمى هى التى دفعته إلى تقرير هذه الحقيقة على ما كان لديه – رحمه الله – من اعتزاز بالحضارة المصرية ، بلغ به إلى حد التعصب .

وبعد أن أكّدت الحقائق صِدق هذا الأمر ، أخذت الأنظار تتجه إلى

اليمن ، كأصلٍ للحضارات ومهدٍ لإنسان العالم القديم ، ولا ريب أن إزاحة الستار عن تراث اليمن الحضارى ، سيحدث على هذا الأساس ، دوياً عالمياً ، وسوف يكون من نتائجه الحتمية الطريفة ، أن المؤرخين سوف يعيدون كتابة التاريخ من جديد ، لتصحيح أحداثه على ضوء هذه الحقائق الجديدة .

أما الجانب الثانى الذى يعطى لهذا الكتاب قيمته ، فهو أن هذا المؤلَّف هو الأول من نوعه ، فهو أول كتاب منهجىّ يضطلع به أحد أبناء هذا القطر العريق ، إذ أننا وإن كنا نقدّر للمستشرقين مجهوداتهم العظيمة ، والدّقة الرائعة التى استطاعوا بها أن يتناولوا بها موضوعًا غريباً عنهم ، على قلة ما بأيديهم من النقوش والآثار ، وقدرتهم على استنباط الحقائق واستنتاج الحوادث ، ما استطاعوا العثور عليه ، نحن وإن كنا نقدر لهم هذا العمل العظيم ، نستطيع أن نؤكد ـ دون مبالغين ـ أن أبناء اليمن سيكونون فى وضع يُمَكّنهم من الدّقة والقدرة على الفهم والاستنتاج بشكل أوسع مما كان للمستشرقين وهم يعملون فى حقل غريب عنهم وتحت ظروف غيرملائمة ، ولكن هذا لن يتحقق لأبناء اليمن ، إلا حينما يفهمون رسالتهم فهماً عميقاً ، وحينما يعتمدون على الأساليب الجديدة فى البحث والفهم والتأليف ، وحينما يتوفر هذا الأمر ، فإننا نستطيع أن ننتظر ظهور مكتشِف يمنى أو أكثر يقدم للعالم ما يتلهف إليه من حقائق ومعلومات تحدث دويًّا فى عالم الكشف والفكر .

أما الجانب الثالث الذى يُبرز قيمة هذا الكتاب وأهميته فهو أنه مؤلف بأسلوب منهجى علمى موضوعى حديث ، إذ أنه يعتمد على المجهود الشخصى والبحث من جديد عن الحقائق والأحداث ، وانتزاعها من مصادرها الحقيقية بالاطلاع الشخصى ، والاستنتاج الذاتى ، من النقوش والآثار التى عمل المؤلف على البحث عنها والاطلاع عليها فى متاحف أورُبا ومكاتبها العامة ، والاعتماد على ما ألفه المستشرقون ولم يترجم إلى العربية .

إن هذين المصدرين وهما النقوش والآثار من جانب ، وما استنبطه المستشرقون منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى مؤلفاتهم القيمة من جانب آخر ، هذان فى الواقع هما المصدران الرئيسيان لكتابة التاريخ اليمنى ، وفهم الحضارة اليمنية القديمة .

والآثار – دون شك – هى المصدر الأول ، ويأتى بعدها ما كتبه حولها علماء الغرب المستشرقون ، وعلى هذين يجب أن يكون اعتماد من يريد البحث فى تاريخنا القديم ، إن شاء أن يصل إلى فهم صحيح وحقائق صحيحة .

أما ما نجده فى الموسوعات العربية القديمة ، التى يتناول بعضها فى البداية تاريخ اليمن القديم فإنه يجب أن نشك فيها شكاً كبيراً ، وألا نعطى اعتباراً إلا لما كان منها موافقاً لنقش أثرى ، أو ما كان منطقياً يقبله العقل إن استطعنا أن نجد له ما يؤيده ويدْعمه ولو بطريقة غير مباشرة .

وقد يسرنا كثيراً أن نصدق ما سجله بعض مؤرخينا القدماء ، لأنه يساير رغباتنا ويرضى غرورنا وكبرياءنا ، ولكننا نستطيع أن نقول إن هذه الكبرياء إنما هى كبرياء زائفة ، لأن للحضارة اليمنية القديمة ، مظاهر عميقة وجوانب إبداعيَّة رائعة ، ومميزات تضعها فى مصاف أعظم الحضارات ، وهى كلها مظاهر واقعية إيجابية إنسانية ، وهذه هى التى يجب أن تملأنا بالزهْو والاعتزاز ، لا تلك الشطحات الخيالية ، والمبالغات المناقضة للعقل والواقع ، وهى إلى جانب ذلك ، مظاهر سلبية غير إنسانية ، فهى لا ترضى إلا العواطف السطحيَّة ولا تخاق إلا الحماس الفارغ ، إنّ من حقنا أن نعتز بحضارتنا أعظم الاعتزاز ، وأن نزهو بما قدمه أجدادنا للبشرية من مساعدات إيجابيَّة بنَّاءة ، وبما شاركوا به فى صرح الحضارة العظيم ، ونحن نستطيع ذلك دون حاجة إلى شىء من المبالغات ، لأن فى طبيعة

الحضارة اليمنية ، وعناصر تكوينها ، ما يشبع فينا كل العواطف والرغبات ، دون أن تخرج عن الواقع وتناقض المعقول .

هذه هى أهم المظاهر التى تجعل لهذا الكتاب قيمته العظيمة ، وأهميته البالغة ، ولعل خير ثناء نسديه إلى صاحبه العصامى ، هو أن ندعو شباب اليمن المثقف أن يكون له فى هذا العمل قدوة ومثالا يحتذى حذوه ويسير على منواله ، وأن يكون كهذا الشاب العصامى ، الذى استطاع أن يضع نفسه فى مصاف المفكرين ، ذوى النزعة الموضوعية والأسلوب العلمى ، والمنهج السليم ، دون أن تتاح له كل الفرص المناسبة ، ولكنها العصاميّة التى تُلِحُّ فى وصفه بها ، وكفى بذلك مبعثاً للزهو ومدعاةً للاعتزاز .

هذا ولعل ما توخيته من الاختصار والإيجاز يدعو إلى أن أختم هذه الكلمة بشكرى وتقديرى للسيد المؤلف أبقاه الله ، الذى شاءت له عصاميته أن يكون أول يمنى يضطلع بالعبء ، وينتهج البحث العلمى فى كتابه التاريخ اليمنى ، ويتجشّم الصعاب بزيارة أشهر المكتبات العالمية فى سبيل التنقيب عن آثار وطنه ، والاطلاع على ما كتبه المستشرقون عنه ليقدم لمواطنيه هذا المؤلّف القيم ، فله شكرى وإعجابى وتقديرى . حرر فى تعز ١٠/٩/١٣٨٢ هـ (٣/٢/١٩٦٣ م)

عبد الرحمن بن يحيى الأرياني
وزير العدل بالجمهورية العربية اليمنية

كلمـــة المؤلف

وبعدُ ، فلما كان تاريخ جنوب الجزيرة العربية (اليمنُ السّعيدة) من أهم المواضيع العلمية ثقافةً ، وأعظمها نفعاً ، لما ينطوى عليه من علم وفنٍّ وحضارة ، فقد عاق بنفسي دراسته منذ وقت طويل ، لاَ لأنه وطني ومسقط رأسي فحسب ، بل لأنه - كما يعتقد بعض الباحثين - مهد السامية أجمع ومسقط رأسها الأول[1] .

ولهذا فقد حرصت منذ سنوات على أن أقوم بجمع كلما تيسر لى من المراجع والأصول ، وأبحاث المحققين المتعلقة بماضى هذا الوطن المجيد قبل الإسلام وبعده وشرعت فى تهذيبها وتنسيقها بطريقة سهلة ومبسَّطة ، متوخياً منهج الحق والإنصاف ، مجانباً مسلك الباطل والاعتساف ، مع ملاحظة إعطاء المواضيع حقها من البيان والإيضاح ، مضيفاً إلى التواريخ الهجرية ما يوافقها من التواريخ الميلادية ، ليتسنى للمطالع مقارنة التاريخ اليمنى بتاريخ غيره من البلدان ، وذلك فيما يتعلق بتاريخ اليمن بعد الإسلام ، وما يتبع ذلك من الحواشى والتعليقات .

وقد تحريت أن أعتمد كثيراً فى بيان تاريخ اليمن قبل الإسلام - وبالأخص فيما يتعلق بأسماء الأماكن والآلهة والملوك وأزمانهم - على ما حققه الباحثون من المستشرقين ، أمثال العلامة ادوارد جلازر (Aduard Glazar) وكارستن نيبور (C.Nibuhr) ، ويوسف هاليفى (J. Halevy) ، وفيلبى (Philby) وغيرهم[2] ، وعلى ضوء ما وجدته من النصوص فى صِرْوَاح ومارب وبراقش ، وما وجدته أيضا من النقوش والنصوص ، ونسخ الكتبيه التى ازدانت بها متاحف أوربا ، كمتحف روما ،

---

(١) راجع ما قاله علماء الجنس السامى فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٢) راجع كلامنا عن المستشرقين وعلماء لغات جنوب الجزيرة فى الفصل السادس من هذا الكتاب .

وبرلين ، ومتحف الآداب ، والفنون الجميلة بفينا ، ومتحف فولكار كوندى (Fölkar Kundi) بهامبرغ ، والمتحف البريطانى بلندن ، ومتحف لوفرى (Lovre) بباريس ، كما اعتمدت أيضاً على ما نقله علماء الآثار المختصون بدراسات لغات جنوب الجزيرة العربية ، أمثال العلامة فريتز هومل (F. Hommel) وفريسنيل (Frisnel) ، ورُودوكاناكس (Rodokanakes) ، وغيرهم من المعلومات القَيمة والأبحاث المفيدة التى تعتبر — كما نعتها بعض المعاصرين[1] — فى المرتبة الثانية من نتائج أعمال الحفر والتنقيب القائمة فى بلاد ما بين النهرين ، والتى أقول عنها بأنها فتحٌ فى دراسات تراثنا اليمنى ، ذلك التراث الذى بذلت بعض حكومات الغرب الغالى والنفيس فى سبيل دراسته والوقوف على كنهه .

ولا غرو فإن الفضل كله فى بقاء هذا التراث العامى ، والكنز الثمين يعود إلى ابن اليمن الأول وفنانه البارع القديم ، الذى عمل على رسم حياته ، ونقشها على صفحات الصخر وألواح الرخام وقِطَع البُرنز لتبقى خالدة للأجيال .

ومما لاشك فيه أنَّ الآثار المطمورة ، والنقوش التى لا تزال مستورة تحت الأنقاض وبُطُون الرمال لتُعدُ السِّرَّ الحقيقى والبرهانَ الجلىّ الذى سيكشف لنا الكثير والكثير عن حياة تلك الأمم الناهضة ، ويعطينا المزيد من المعلومات عن أساليب نهضتها وحياتها لتكون مرجعاً قوياً لوضع تاريخ صحيح حافل .

وإن التنقيبات الأخيرة التى قامت بها بعثة التنقيب عن حياة الإنسان الأميريكية برئاسة ويندل فيليبس[2] فى معبد بلقيس سنة ١٩٥٢ م ، قد كشفت

(١) التاريخ العربى القديم صحيفة ٢٢ .

(٢) أصدرت دار النشر الأمريكية الشهيرة چون هابكنز The John Hapkins أخيراً أبحاثاً قيمة لخبير البعثة الأثرى الشهير مستر جام (Jam) فى مجلدين ضخمين الجزء الأول بعنوان : مكتشفات أثرية فى مأرب « Archological Discovers » ، والثانى بعنوان نقوش سبئية من محرم بلقيس بمأرب « Sabean Inscriptions Erom Mahram Belqis Marib. »

لنا بعضاً من تاريخ مملكة سَبَأ ورَيْدانْ الحميرية التى قامت فى اليمن من عام ١١٥ قبل الميلاد إلى عام ٢٧٥ بعد الميلاد ، فقد عثر فى المعبد على كثير من النصوص وقطع الرخام والبرنز نُقِشَ عليها أسماء بعض ملوك سَبَأ ورَيْدانْ ، وتُعتبر فى غايةٍ من الأهمية ، بالنسبة لما اشتملت عليه من ذكر بعض الوقائع التاريخية ، وأسماء المدن ، وأقيال القبائل اليمنية ، ومفردات اللغة السبئية ، التى تؤكد لنا أن اللغة العربية المستعملة الآن تحدرت منها ، مع بعض الفوارق التى كانت نتيجة لنزوح بعض القبائل الجنوبية إلى الشمال ، وغير ذلك مما سيأتى تفصيله فى بابه إن شاء الله .

أما فيما يتعلق بأخبار تلك الأمم ، ومغازيهم ، وعظمة سلطانهم فقد اعتمدت — قدر الإمكان وفى حدود ما يتمشى مع الحقيقة — على ما نقله علماء التاريخ اليمنى كوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ ﻫ (٧٢٨ م) وأبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى سنة ٣٣٤ ﻫ (٩٤٥ م) ونشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ ﻫ (١١٧٧ م) وغيرهم .

ويشتمل هذا الكتاب على أربعة عشر فصلًا تتضمن تاريخ اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهو تاريخ قيام الدولة المعينية حتى تاريخ اليوم .

وختامًا ، أسأل الله أن يوفق أبناء اليمن خاصة والعروبة عامة ، لأن يعملوا جاهدين فى سبيل معرفة ماضيهم التليد ، واكتشاف المزيد من تاريخهم المجيد ، وأن يجعلوا منه دروسًا وعبرًا تساعدهم على استعادة مجدهم الأصيل ، وتحقيق وحدتهم الأولى ، وما ذلك على الله بعزيز .

القاهرة — « **المؤلف** »

الفصل الأول

(جغرافية اليمن)

عُرفت اليمنُ مُنذ القدم بالعربية السَّعيدة « ARABIA FELIX » ، وقد اشتُق إسمها من (اليُمن) وهو الرخاء والبركة ، وذهب الكثير من الباحثين والمهتمين بدراسات ماضى شبه الجزيرة العربية والجنس السامى ، إلى أن القسم الجنوبى منها هو الموطن الأصلى للساميين ، ومنه تفرقوا فى الأقطار فى هجرة متقطعة كانت أسبابها ولا تزال مثاراً للخلافات والمناقشات بين الباحثين[1] ، وتشتمل اليمن من الناحية الطبيعية على اليمن الحرّة ، والمحتلة ـ عدن والمقاطعات الشرقية والغربية ـ ، وعُمان والعروض ـ اليمامة والبحرين ـ ، وعسير ونجران والمخلاف السليمانى . وينتسب سكان اليمن إلى يعرب بن قحطان ، وهو أصل العرب العاربة . وقد لعبت اليمن قديماً دوراً هامًّا فى المجال التجارى والزراعى والعمرانى .

الموقع والحدود التاريخية :

تقع اليمن فى جنوب الجزيرة العربية ، ويحدها شمالًا الحجاز ونجد ، وجنوباً البحر العربى ، وشرقاً الخليج العربى أو مايسمى بخليج فارس ، داخلًا فيها الربع الخالى الذى تبلغ مساحته ٢٥٠ر٠٠٠ ميل مربع ، وغرباً البحر الأحمر .

---

(١) راجع كلامنا عن السبئيين (الفصل الرابع) .

المساحة والسكان :

تقدر مساحة اليمن بـ ١٩٩٫٠٠٠ ميل مربع (٨٧٫٠٠٠ ميل مربع اليمن الحرة و ١١٢٫٠٠٠ ميل مربع اليمن المحتلة) ، كما يقدر سكانها بـ ٥٫٨٣٤٫٠٠٠ مليون نسمة (٤٫٤٠٠٫٠٠٠ مليون اليمن الحـرة و ١٫٤٣٤٫٠٠٠ مليون اليمن المحتلة) .

العاصمة :

لليمن عاصمتان الأولى (صنعاء)[1] ويبلغ سكانها ٦٠٫٠٠٠ ألف نسمة ، وترتفع عن سطح البحر بـ ٩٫٦٠٠ قدم ، والثانية (تعز) ويبلغ سكانها ٣٠٫٠٠٠ نسمة ، وترتفع عن سطح البحر بـ ٣٩٣٤ قدم .

---

(١) قال عنها الدكتور أحمد فخرى ما يلى : « ليس فى مدن الشرق مدينة تشبه صنعاء لنقارنها بها ، فهى فريدة فى موقعها ، وفريدة فى طراز بنائها ، وفريدة فى أسوارها ، وفريدة فى مظهرها الشرقى الخاص ، الذى يجعل السائر فى طرقاتها يحس بأنه انتقل بضع مئات من السنين ، فيتصور نفسه فى بغداد أو فى غيرها من مدن الحضارة الإسلامية . وتمتـاز هذه المدينة بموقعها الجغرافى ، فهى وسط واد فسيح تحيط بها الحقول والحدائق التى تمدها بحاجتها من الغذاء والمرعى ، وتحيط بها الجبال العالية ، فيزيد ذلك فى منعتها ويجعل الاستيلاء عليها أمراً غير يسير ، وجوها معتدل طول العام ، فشتاؤها غير قارس ، وصيفها غير حار ، لأنها ترتفع عن سطح البحر بـ ٢٫٤٧٠ متراً اﻫ (اليمن ماضيها وحاضرها ص ٩٠) . والأصح أنها ترتفع عن سطح البحر ٢١٠٠ متر فقط ، ويساوى ٩٫٦٠٠ قدم كما أسلفنا ، وتعرف صنعاء باسم (مدينة سام) نسبة إلى سام بن نوح ويقال أنها أقدم مدينة عمرت بعد الطوفان ، ولنا بحث فى هذا الموضوع سنورده فى الفصل الرابع من هذا الكتاب . وقد كتب عن صنعاء الكثير من الكتاب العرب والمستشرقين ، وأطنب فى الثناء على جودة هوائها ، واعتدال مناخها ، ولطف أهلها ، الكثير من الشعراء والأدباء بما لا يتسع المجال لذكره .

أهم المدن :

١ ـ صعدة ويقدر سكانها بـ ٠٠٠ر٥ ألف نسمة وترتفع عن سطح البحر ٩٠٠ر٥ قدمًا

٢ ـ إبْ « « « ٠٠٠ر١٨ « « « « « « « ٢٠٠ر٦ «

٣ ـ يَرِيمْ « « « ٠٠٠ر١٠ « « « « « « « ٠٣٣ر٨ «

٤ ـ ذَمار « « « ٠٠٠ر١٣ « « « « « « « ٧٠٠ر٧ «

٥ ـ زبيد « « « ٠٠٠ر١٥ « « « في تهامة

٦ ـ بيت الفقيه « « « ٠٠٠ر١٠ « « «

٧ ـ المُكَلّا (حضرموت) ويقدر سكانها بـ ٠٠٠ر١٨ ألف نسمة

٨ ـ تَرِيمْ « « « ٠٠٠ر١٣ « « « } تحت الاحتلال البريطاني

٩ ـ سَيُونْ « « « ٠٠٠ر١١ « « «

١٠ ـ شِبَام « « « ٠٠٠ر١٢ « « «

الموانى :

١ ـ الُحديدة ويقدر سكانها بـ ٠٠٠ر٣٠ ألف نسمة

٢ ـ المَخَا « « « ٠٠٠ر٢ « «

٣ ـ الصَّلَيْف « « « ٠٠٠ر٣ « «

٤ ـ عدن « « « ٠٠٠ر١٤٠ « « } تحت الاحتلال البريطاني

٥ ـ المُكَلّا « « « ٠٠٠ر١٨ « «

الجزر :

الجزيرة	الموقع	
١ ـ كمران	فى البحر الأحمر	تحت الاحتلال البريطانى
٢ ـ حَنِشْ		
٣ ـ بِرِيْمْ (ميون)		
٤ ـ سُقُطْره	فى المحيط الهندى	
٥ ـ عبدُ الكورى		

المضايق :

مضيق باب المندب فقط .

أهم الأودية :

أودية اليمن كثيرة كما ذكرها الهمدانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) ، وهى ثلاثة أقسام :

١ ـ ما ينصب فى البحر الأحمر ٢ ـ ما ينصب فى المحيط الهندى .

٣ ـ ما ينحدر إلى الربع الخالى .

القسم الأول :

(ا) وادى مَوْر : وهو ميزاب اليمن الغربى ومساقيه تأخذ غربى همدان وبعض غربى خولان وبعض غربى حمير ، وأول شعابه ذُخَار ومسور فالشوارق وتُخْلَى وشمالى تيْس ونُضَار والباقر والعضد وشاحذ وجوانب مِلْحان والمَضرِب فبلد صحار فبلد بنى حارثة وبنى رِفاعة وحماد وحجُور فعيّان فأدران فحجة فنمل فشرس وقيلاب حتى يلتقى بمور الآتى من بلد خولان وشمالى همدان ، ويمد ذلك مساقط الشرف شرقاً وجنوباً فهذا أحد فرعيه . والفرع الثانى رأسه شعبة فالموفر والدحض وغربى أبذار وموطك ومحلاً فبلد عذر وهِنوم

وبلد حجور ومساقط وادعة والجُواشة وبلد بنى عبد البقر وأخرف ، ويلاقى سيل الحَفْر وصرايم والكلابح وشظب وذرحان وبلد المراتيين فبلد وَثَن شمالى مَوْتَك وحجّة وقُدم ، ومن أيمنه سدّ ساقين وحيدان وشرقى مَطْرق وكريف خولان حتى يصل إلى العَهْراء ثم يمر بتهامة ويصب فى البحر .

(ب) وادى زبيد : وهو فى الدرجة الثانية بعد مور من وديان تهامة ، وتبتدىء مسايله من ذى جُزُبْ وقاع شرعة الغربى ويريم وسحمَّر والاحطوط والشِّملال حتى يلتقى بسيل سبّية ويمدها لحج ومُاح وسيل حَمر ، وتجتمع كلها بحمض وتنحدر إلى بلد الوحش حيث تلتقى بسيول السّحول وبلد الكلاع وصدور بعدان ، وريمان ، وتلتقى بهـا أودية عنّه ويجمعها الفتح والجفنة وحجر قمران والملاحيط إلى زبيد ، فيسقى ما حف به إلى البحر .

(حـ) وادى سهام : وتبتدىء سوائله من نقيل السّود على مسافة ٤٠ كيلو متراً جنوب غربى صنعاء ، وتلتقى بسيول حضور الجنوبية وجنوبى الأخروج وجنوبى حراز ، ويهريق فى جانبه الأيسر شمالى ألهـان وعشار وبُقلان وشمالى آنس وبراع ، ثم تمر بتهامة فتسقى أرض المراوعة والقُطيع وتصبّ فى البحر .

(د) وادى سُردد : وتبتدىء سوائله من شبام أقيان فمساقط حضور من الشمال وتمر بقيهمة وجنوبى حفاش وبعض أودية حراز ثم بالمهجم والضّحِى والزيدية ثم تصب فى البحر .

(هـ) وادى حرض : وله فرعان (الشمالى) ويبتدىء من بلاد عِذَر وبنى شهاب ومعين الحنْش ويلتقى بالفرع الجنوبى بالسِرَّين)

و (الجنوبى) ويبتدىء من الشّقيقة وما اكتنف المحجّة ، وبعض حجور فالمُريرفالسّرين حيث يلتقى بالفرع الشمالى ثم يمر بتهامة ويصب فى البحر .

(و) وادى رِمَع : ويبتدىء من مشارف جهران وغربى حِشران إلى الشَّبجة وجنوبى ألهان حتى يرد شَجْبان ثم يسلك بين جبلان العركيّه وجبلان ريمة ويظهر بذُؤَال ويسقى مزارعها إلى البحر .

٢ — القسم الثانى :

الأودية التى تصب فى المحيط الهندى :

ا — بنا : وفروعه من يريم وقاع الحقل وتمر بالسّدّه حيث تلتقى بمياه حورة والمِسقاه ثم تسيل إلى دَمْتْ حيث تجتمع بأودية خبان الآتية من الشّلالة والدارى وجُبن ، ثم تمر بمرُيسْ والشعيب ، وتنضم إليهـا أودية السوادية والطفّه ثم تمر بمياه يافع العلياء وأبين ومنه إلى البحر .

ب — وادى ميتم : وتبتدىء سوائله من إب وجبلة والعُدين ، ثم تلتقى بسـوائل ماوية والحشاء وصهبان والسّـبره . ثم تذهب إلى تُبن الذى ينتهى بالبحر .

حـ — وادى ورَزَانْ : يبتدى من شَرْعَبْ ومسائل العِدَيْنْ الجنوبية ، والتعزيّه ، وخَدِيْرْ ، وتلتقى بوادى الجَنَّاتْ فى تعز ، تمر بكَرِش وشِعَاب الصَّلْو وخدير وتلتقى كلها فى التُّوْر ، وتمر بوادى عَلْصَانْ ، ومنه تصب فى المحيط الهندى .

٣ — القسم الثالث :

الأودية التى تَغَوُر فى الربع الخالى : وأهمها :

ا — وادى أذْنَهْ ، ويسمى (ميزاب اليمن الشرقى) كما أن مَوْرْ (ميزاب اليمن الغربى) وشعابه كثيرة ، فأما من ناحية رَدَاعْ ، فالعَرْشْ ، وَرَدْمَانْ ، وقَرَنْ وأذُنَه ، وبِشْرَان والجبال المشرفة على سَوتَقْ ، ومن جانب

ذَمَارْ وبلد عَنْس — وهو مخلاف واسع — وبَيْنُونْ وهَكِرْ والمَحَافِدْ العَنْسِيَّة ، وكُومَانْ ، والحدأ ، وجبل اسْبِيْلْ ورَخَمَهْ وجبال بنى وَابِشْ من مُرَادْ ، وجبال كُدَادْ وَقَائِفَهْ من مُرَادْ والدِّقْرَارْ — جبل بنى مالك من مُرَادْ أيضاً — ومخلاف ذِى جُرَهْ ويَكْلَى وجَيْرَهْ وَجَهرَان بِسَوَاد ذَمَار ، ومساقط بلد خولان الجنوبيّة وما تيامَن مِن القُحَفْ ورمَكْ ومَوْضَح ، فهذه السيول المتعددة تكوّن وادى أذْنَهْ وتُفْضِى إلى موضع السَّد بين مأْزَمَىْ مَأرِبْ ، وتتفرع منه سَبِيْبَه إلى رِحَابه موضع النخل قديماً ، وتَرِدُ سيول السُّوَيْق وحَبَانَيْن بتلك البلاد إلى الفَلجَيْن ثم إلى أسفل الجنة اليمنى ، لمن هبط مأرب فتسقى أرض الجنتين — أرض السَّبَئِيَّيْنْ — ثم ، الجرْجَه ثم حُزْمه البَشْرِيّين ، ثم الروضة إلى نُهَيَّة دُغَل ، ومنه تنتهى بالربع الخالى .

ب — وادى الخَارِدْ : وفروعه من خولان فى شرق صنعاء وحِزْيَزْ ووعْلاَن وخِدَارْ واعشار وجبل عيبان ونُقُمْ وما بينهما من حقل صنعاء وشُعُوبْ وسَعْوَان والتناعم والسِّرْ وزجّانْ وشِبَام القُصَّهُ وحَقْل سَهْمَان وبيت حَنْبَصْ ومسيّب وحَازْ ووادى ضَهْرْ وعُلْمَان ورُحابه والرَّحَبَهْ ، وتجتمع كلها فى (خُطْم الغُراب) ثم من قَاع البَوْن وغُوْلَة عَجِيْبْ وَحِمِدَه والصَّيَدْ فتجمع هذه المياه فى (وَرْوَرْ) ، حيث تلتقى بسيول العَقل وصَوْلاَن والخَشَبْ وذَيْبَانْ ، وتمر بالقُحَفْ من الجهة الشمالية ثم هِرّان وتلتقى بالمياه المنصَبَّة من صنعاء ومخاليفها فى المَنَاحِيْ وتكوّن الخَارِدْ الذى يسقى أرض الجَوْف . ثم منه إلى الربع الخالى ، وترد إلى الجوف أودية أخرى كوادى خَبَشَ الآتى من خيوان ، والغليل الآتى من مذاب والعمشية وتمده مساقط برط ونعمان من مرهبه وتلتقى بالخارد مع سيل يحكش ، ووادى المنبج الوارد من يام وشمالى نِهْم ووائله ، ووادى نجران وأول شعابه من دمّاج ونسرين وصعدة .

أقسام اليمن الطبيعية :

تنقسم اليمن طبيعياً إلى ثلاثة أقسام وهى كما يلى :

١ — منطقة تهامة ذات المناخ الحار ، الواقعة على ضفاف البحر الأحمر غرباً ، والبحر العربى جنوباً ، بعرضٍ لا يزيد غالباً عن ٥٠ كيلو متراً ، وتمتد من عدن جنوباً إلى حرض شمالاً ، وتمتاز بأرضيها الفائقة الخصب الواسعة المساحة الغزيرة المياه .

٢ — المنطقة الجبلية الآهلة بالسكان ، ذات المناخ الصحىّ المعتدل ، ويتراوح عرضها بين ١٥٠و١٦٠ كيلو متراً وتسمى هذه الجبال بـ(سلسلة الجبال السَّرَاتْ) التى تبتدىء من أرض المعافر (الحجرية) جنوباً إلى الطائف شمالاً ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر من ١٠٠٠ إلى ٣٦٠٠ متر وهى من أهم المناطق لزارعة البن والحبوب والفواكه بأنواعها وتهطل عليها الأمطار بغزارةٍ فى الصيف والشتاء .

٣ — المنطقة الصحراوية الشرقية ، وتمتد من حضرموت جنوباً إلى حدود الحجاز ونجد شمالاً وبالخليج العربى شرقاً بعرض يبلغ ٥٠٠ ك م تقريباً ، وفيها مناطق اليمن الأثرية ومدن معين وسبأ وقتبان كمأرب وصرواح وحريب والجوبة ومعين ، وتنحدر إلى هذه المنطقة أودية اليمن الشرقيـة كوادى أذنة وبيحان والخارد ورغوان ومذاب وشوابة وهران ومران وخب وغيرها ، وقد حظيت بازدهار عظيم فى الماضى فى المجال الزراعى والعمرانى ، وتعتبر أقدم منطقةٍ فى العالم عرفت أساليب الرى التى كانت تعتمد على السدود كسد مأرب ويسرين وحبابض والخارد وغيرها وفيها الـكثير من بقايا القصور والمحافد والهيا كل مما يرجع بناؤه إلى قبل ٥٠٠ر٣ عام تقريباً .

(قائمة تبين ارتفاع المناطق الجبلية)

اسم المنطقة		الارتفاع عن سطح البحر بالمتر
جبل المَقاطِرَة	بمنطقة تعز	٢١٨٠
« الصَّلْوَة	»	٢٦٦٠
« الحِشا	»	٣٢٠٠
« صَبِر (العروس)	»	٣٠٠٠
منطقة تعز		١٢٠٠
« إب		١٩٠٠
جبل بعدان	بمنطقة إب	٣٠٠٠
« حُبَيْش	»	٢٥٥٠
« رَيْمه		٢٤٥٠
نقيل سُماره	بمنطقة إب	٢٥٠٠
منطقة ذَمَار		٢٣٥٠
منطقة يريم		٢٤٥٠
جبل بَرَاش	فى خولان	٢٥٧٠
« كَنَنْ		٣٤٠٠
« نُقُمْ	بصنعاء	٢٨٠٠
منطقة صَنْعاء		٢١٠٠
« مناخسه		٢٣٠٠
جبل حَضُور (النبى شُعَيْب)	غربى صنعاء	٣٦٠٠
« بَوْعان	»	٢٧٥٠
« الأشمور		٢٦٥٠

اسم المنطقة		الارتفاع عن سطح البحـر بالمتر
منطقة شَهارة	بمنطقة الأهنوم	٣٢٠٠
منطقة بنى صرَيم	... ...	٢٤٥٠
« صَعْدة ...	... ...	١٨٠٠

المناخ وسقوط الأمطار :

تنخفض درجة البرودة فى منطقة الجبال فى شهرى فبراير ومارس من فصل الشتاء من ١٥° إلى ١٠° درجة مئوية ، كما يسقط القليل من الجليد على منطقة جبل النبى شُعَيْب غربى صنعاء . أما درجة الحرارة فى تهامة فتبلغ فى تموز وحزيران من ٣٥° إلى ٤٠° درجة مئوية ، وفى شهر يوليو وأغسطس تسقط الأمطار بغزارة ، وتستمر أحياناً إلى سبتمبر ، ويكثر سقوطها على الجبال نظراً لنشاط الرياح الموسمية من المحيط الهندى . ويبلغ معدل سقوط الأمطار ٢٠ إنتش سنوياً .

الفصل الثانى

(معلومات عامة عن اليمن الحرة)

الحكومة :

هى الجمهورية العربية اليمنية ، وقد قامت على أنقاض الدولة الهاشمية فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، بعد ثورة الجيش الموفقة التى أطاحت بالملكية والحكم الفردى فى اليمن وإعلان النظام الجمهورى ، حسبما يأتى تفصيله فى بابه إن شاء الله .

واليمن معروفة بحريتها الكاملة واستقلالها المطلق منذ القدم[1] ، وهى عضو فى الجامعة العربية منذ سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ، كما أنها عضو فى الأمم المتحدة منذ سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) ، وتتمسك دائماً بمبادئها الإسلامية ومبادىء مؤتمر باندونق وبلغراد ، من سياسة التعايش السلمى وعدم الانحياز .

الدين واللغة :

كل سكان اليمن عرب مسلمون يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، لأنها مهد العرب الأول ، وليس فى اليمن أية طائفة أخرى غير الطائفة اليهودية التى كانت لا تزيد عن ٥٠ ألفاً من اليهود ، وقد هاجروا فى دفعات متسلسلة إلى فلسطين المحتلة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) .

---

(١) لا يمكن نعت الاحتلال التركى لبعض أجزاء اليمن قديماً إستعماراً ، لعدم إعتراف الشعب اليمنى به ، على أن هذا الإحتلال كان مزعزعاً بحرب العصابات اليمنية ، ونادراً ماثبت فى مكان واحد . اقرأ الفصل التاسع (الغزو العثمانى) .

ويوجد فى اليمن مذهبان رئيسيان[1] ؛ فبعض اليمنيين وهم الذين يسكنون منطقة الشمال ينتمون إلى المذهب الزيدى مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وبقية أهل اليمن فى تهـامة والمنطقة الجنوبية ينتمون إلى مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه مع أقلية من الحنفية ، ولا يوجد فى اليمن أى احتكاك طائفى يذكر كما يوجد فى غيره من البلدان ، والوعى فى اليمن بأجمعه أصبح منتشراً فى الوقت الحاضر أكثر منه فى الأيام السابقة بفضل جهود جمهوريتنا الرشيدة ، فقد استطاعت بحكمة بالغة أن تكوّن من اليمن كتلة واحدة وشعباً متماسكاً تسوده روح المودة ، وتربط بين قلوب أبنائه روابط التضامن والإخاء .

---

(١) كان المذهب السائد فى اليمن قبل ظهور المذهب الشافعى هو المذهب الحنفى (وهو الغالب) ثم المذهب المالكى ، ويرجع تاريخ انتشار المذهب الشافعى فى اليمن إلى أوائل القرن الثالث للهجرة بعد خروج الإمام الشافعى رضى الله عنه إلى اليمن . ثم على يد الشيخ الحافظ موسى بن عمران المعافرى وعبد العزيز بن يحيى بن حرازة من تلامذة الإمام الشافعى . ثم تلاه المذهب الزيدى فى أواخر القرن الثالث على يد الإمام الهادى يحيى الحسين ، وكان (مجموع) الإمام زيد هو المصدر الوحيد لمذهب الزيدية الذى دونه أبو خالد الواسطى ، روى أحاديثه عن أبيه زين العابدين وأخيه محمد الباقر وزيد بن أسلم وسعد بن جبير . وقد تتلمذ فى الأصول لواصل بن عطاء رأس المعتزلة .

ومن أشهر فقهاء اليمن الذين يعود إليهم نشر علوم القرآن والسنة : طاووس بن كيسان وابنه عبد الله ووهب بن منبه الأبناوى وحنش بن عبد الصنعانى وشهاب بن عبد الله الخولانى وعمرو بن الجندى وعبد الرزاق الصنعانى . راجع كتاب فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدى الذى نشره وعلق عليه العلامة الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية .

أقسام اليمن إدارياً :

يتكون اليمن من سبعة ألوية وهى :

١ ـ لواء صنعاء ٢ ـ لواء إب ٣ ـ لواء تعز ٤ ـ لواء الحديدة

٥ ـ لواء حجة ٦ ـ لواء صعدة ٧ ـ لواء البيضاء ، ويتكون اللواء من ٤ ـ ٦ قضوات ، كما يتألف القضاء من ٤ ـ ٦ نواحى ، وتتألف الناحية من ٤ ـ ٦ عزل ، كل عزلة تتأليف من ٤ ـ ٦ قرى .

مصادر الثروة الطبيعية فى اليمن :

تعتبر الزراعة فى اليمن من أهم مصادر ثروتها ، وجميع أراضيها صالحة للزراعة بل هى غاية فى الخصب ، ولهذا سميت (اليمن الخضراء السعيدة) ، ومن أهم منتجاتها الزراعية الحبوب بأنواعها (القمح ، الشعير ، الذرة ، الدخن ، العدس ، الحمص ، الهند ، الباقلا) ، والفواكه بأنواعها (العنب ـ وتزيد أنواعه على ٢٢ نوعاً ـ ، البرتقال ، الليمون ، اليوسفى ، الخوخ ، المشمش ، الموز ، التفاح ، الكمثرى ، التين ، الأتجاص ، القثّاء ، البطيخ ، الشمام ، الرمان ، الأترجّ) ، ثم الخضروات بأنواعها والبن والقطن ، وفى اليمن ثروة حيوانية من أهمها الخيول العربية الأصيلة .

الصادرات :

من أهم صادرات اليمن البن المشهور فى الأسواق العالمية بـ(Cofee of Mokha) وقد اكتشف فى اليمن عام ٩٥٠ هـ (١٥٤٠ م) ، ونشط الأهلون فى زراعته ، وبسرعة انتشر فى منحدرات اليمن ، وأخذ يصدّر عن طريق ميناء

المخاء[1] إلى فرنسا ، وإيطاليا ، وبريطانيا ، وهولندا ، والصين ، والهند ، حتى أصبح له شهرة عالمية ، وقد سمي باسم الميناء الذى يصدر منه فيقال فنجان مخاء (Cup of Mokha) . ومن صادرات اليمن أيضاً : الحبوب ، والزبيب ، والجلود ، والقات .

---

(١) مدينة المخاء هى ميناء اليمن القديم على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن تعز ١١٨ كم ، وقد قامت بدور فعال فى تصدير منتجات اليمن الزراعية وكانت تسمى قديماً (موزا) ، وقد وصفها المستشرق القديم سكوت (H, Schott) (٢٠ — ٧٠ م) عند مازارها فى أوائل النصف الثانى للقرن الأول للميلاد بما يؤكد ازدهارها تجارياً منذ القدم . راجع الفصل الرابع (لمحة من تاريخ اليمن القديم) .

وقد تصدرت المخاء لعدة حملات عسكرية من قبل الطامعين فى اليمن وأهمها حملات البرتغاليين التى انتشرت فى أوائل القرن العاشر للهجرة على سواحل اليمن كالمخاء وغليفقة وباب المندب وعدن والشحر والمكلا طمعاً منها فى السيطرة على منطقة البحر الأحمر لأهميتها عسكرياً وتجارياً ، فكانت هذه الحملات سبباً لتنافس تركيا وبريطانيا فى المنطقة فقد جردت الأولى عدة حملات كان نتيجتها طرد البرتغاليين وإحتلال السواحل اليمنية كما سيأتى تفصيله فى الفصل الثامن إن شاء الله .

وبقيت المخاء بعد إحتلال الأتراك لها عام ٩٤٥ ﻫ (١٥٤٠ م) مركز عسكرياً يشنون منه غاراتهم الوحشية على اليمن . وفى سنة ١٠٤٩ ﻫ (١٦٤٠ م) بعد جلاء الأتراك أخذت تستعيد حياتها كمركز تجارى حتى بلغت فى أيام المتوكل على الله إسماعيل (١٠٥٤—١٠٨٧ﻫ / ١٦٤٤ — ١٦٧٦م) أوج ازدهارها . ومنذ سنة ١٣٥٧ ﻫ (١٩٣٨ م) بدأت المخاء تستعيد حياتها التجارية والعمرانية . وأصبحت الميناء التجارى لليمن بعد ميناء الحديدة ، ويجرى العمل الآن فى تعبيد الطريق بينها وبين مدينة تعز على الطريقة الحديثة بمساعدة شركة التعاون الدولية الأمريكية .

الثروة المعدنية :

اليمن غنية بثروتها المعدنية ، وقد كشفت عمليات التنقيب الأخيرة عن وجود كميات نافعة من المعادن ، وفى الماضى القديم استخرجت من اليمن معادن كثيرة كالذهب الحميرى والحديد الصعدى المعروف بجودته وصلابته ، وكذا النحاس والرصاص وكان يصنع منهما التماثيل البرونزية ، وفى اليمن معدن الملح الذى يحوى نسبة كبيرة من كلوريد الصوديوم يجعله فى مصاف أعظم المناجم فى العالم ، وكذا الفحم الحجرى والبترول ، وقد قامت بالتنقيب عنه شركة ميكوم الأمريكية (American Micom Com) فى المنطقة الساحلية من اليمن، وتبشر عمليات التنقيب والحفر القائمة فى الصليف والزيدية بنتائج حسنة .

الفصل الثالث

(معلومات عامة عن اليمن المحتلة)

عدن :

كانت عدن وما حولها من المقاطعات (وهى ما يطلق عليها البريطانيون بمستعمرة عدن والمحميات الشرقية والغربية) ، كانت إلى ما قبل ٢١٨ عاماً[1] ضمن الوطن الأم ، ومن جملة الأجزاء التى تشملها السيادة اليمنية منذ آلاف السنين ، وبمعنى أصح منذ أن عرف التاريخ ، وقد احتلت جنود البحرية البريطانية عدن بقيادة الكابتن هينس (S. B. Hains) فى ٣ شوال سنة ١٢٥٤ الموافق ١٩ يناير سنة ١٨٣٩م ، إثر حادث طفيف جرى بين بعض الرعايا البريطانيين التابعين لشركة الهند الشرقية البريطانية ـ التى كانت قد اتفقت قبل ذلك مع السلطان أحمد عبد الكريم بن فضل بن على العبدلى فى عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) على إقامة محطة للوقود فى خليج عدن على طريق الهند ـ[2] وبين رعايا السلطان محسن بن فضل بن محسن العبدلى ، وقد انتهز البريطانيون فرصة هذا الخلاف واحتلوا ميناء عدن ، وبعد محاولات فاشلة قام بها السلطان محسن ابن فضل لاستعادة عدن ، وساعدته قوات من صنعاء[3] ، لم يجد بداً من قبول قوات الاحتلال بعد عدة معارك كانت الغلبة فيها لقوات الإنكليز .

---

(١) كان انفصال عدن من حكم آل القاسم فى شهر رمضان سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ م) عندما قام أهل يافع بمساعدة الشيخ فضل بن على العبدلى بثورة ضد عامل الإمام المنصور الحسين بن القاسم فيها الشيخ أحمد الوداعى كان نتيجتها إجلاء الوداعى مع جنوده من عدن واستيلاء العبدلى عليها.

(٢) هى أول إتفاقية تعقدها بريطانيا مع سلاطين اليمن وتتضمن سبعة عشر بنداً كلها حول العلاقات التجارية والبضائع والرعايا البريطانيين .

(٣) راجع حوادث سنة ١٢٦٢ هـ فى تاريخ اليمن للواسعى .

وتعتبر عدن منطقة استراتيجية هامة ، لا بالنسبة لليمن فحسب ، بل وللشرق الأوسط بأكمله ، ولهذا سميت بـ (جبل طارق الشرق الأوسط) ، ويبلغ سكان عدن مع جزيرة كمران فى البحر الأحمر ، وجزيرة بريم فى مضيق باب المندب ، وسوقطرة وعبد الخورى فى المحيط الهندى ، الواقعات تحت الاحتلال البريطانى حوالى ١٩٠٫٠٠٠ نسمة معظمهم من اليمنيين مع أقلية من البهرة والصوماليين والهنود .

وتشتمل عدن على ثلاث مناطق : ١ ـ عدن البلدة الأصلية وتحفها الجبال . ومن جملتها جبل شمسان المطل عليها من ناحية الغرب ، وجبل صيرة من الجنوب الغربى . ٢ ـ المعلا وتشرف على شبه البحيرة الموصلة إلى باب البحر الأحمر ، وفى طريقها الممر الضيق المعروف بباب السلب ، وتصنع فى مياه المعلّا السفن الشراعية والزوارق ، كما ترسو بها البواخر الصغيرة .

٣ ـ التواهى ، ويفصل بينها وبين عدن جبل شمسان الذى يعد حارس المستعمرة ، وفى التواهى يقع الميناء الوحيد ، وترسو فيه البواخر على اختلاف أنواعها .

المقاطعات الشرقية والغربية :

وانتهز البريطانيون فرصة اشتغال أئمة اليمن بصد هجمات الأتراك المتدفقة باستمرار على سواحل اليمن الغربية ، فأخذوا يوسعون دائرة نفوذهم ويبسطون احتلالهم على المقاطعات الشرقية والغربية من جنوب اليمن شيئاً فشيئاً ، تارةً بقوة الحديد والنار ، وتارةً ببذل المال والسلاح للمغرورين من أمراء الجنوب ، مرتبطين مع كل منهم بمعاهدة (حماية) .

وفى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) أصبحت كل المقاطعات الشرقية والغربية تابعةً لسلطان نائب الملك البريطانى بالهند ، والذى كانت عدن تابعة لنفوذه ، وتتكون هذه المقاطعات من السلطنات والمشيخات التالية :

(المقاطعات الشرقية)

اسم المقاطعة	مركز المقاطعة	السكان
١ — سلطنة القعيطى	المُكلاّ	٢٦٥ر٠٠٠
٢ — « الكثيرى	سيُون	٣٠٠ر٠٠٠
٣ — « الواحدى	بَلْحاف	١٦ر٠٠٠
٤ — مشيخة بيرعلى	بير على	٤ر٠٠٠
٥ — مشيخة حوره السفلى	حوْرَه	٣ر٠٠٠
٦ — « عرقه	عَرَقه	٣ر٠٠٠
٧ — سلطنة المهد	المَهد	٢ر٥٠٠
٨ — قشن وسوقطره	سوقطره	٥١ر٠٠٠
		٦٦٤ر٥٠٠

(المقاطعات الغربية)

١ — سلطنة لحج	الحوُطة	٩٠ر٠٠٠
٢ — « الصبيحة	الطّور	٢٥ر٠٠٠
٣ — « العقارب	بير أحمد	١٥ر٠٠٠
٤ — « الحواشب	مُسَيْمير	٢٠ر٠٠٠
٥ — امارة الفضلى	شُقَره	٣٨ر٠٠٠
٦ — سلطنة العوالق العلياء	انصاب	٢٠ر٠٠٠
٧ — مشيخة العوالق العلياء	رَيشم	٢٥ر٠٠٠

٨ — سلطنه العوالق السفلى . . . . أحوَر } ٢٢ر٠٠٠
٩ — مشيخة « « . . . . . المنقْعه }

١٠ — سلطنة يافع العلياء . . . . . المحجبه ٤٩ر٠٠٠

١١ — مشيخة الموسطه . . . . . . القُدْمه ١٨ر٠٠٠

١٢ — « المـكالمة . . . . . . الحرَبه ٨٠ر٠٠٠

١٣ — « الضُبى . . . . دَبْره ١٠ر٠٠٠

١٤ — « الحضرمى . . . . . . أَبْشَرَ ١٢ر٠٠٠

١٥ — « الأبْعُوس . . . . . الدَّرّ ١٥ر٠٠٠

١٦ — سلطنة يافع السفلى . . . . . القارَه ٤٥ر٠٠٠

١٧ — مشيخة القالده . . . . . . العوائل ١٢ر٠٠٠

١٨ — إمارة الضالع . . . . الضالع ٤٨ر٠٠٠

١٩ — مشيخة العلوى . . . . . . القشْعه ٢ر٠٠٠

٢٠ — « القعيطى . . . . . . الثَّعبر ٨ر٠٠٠

٢١ — « بنسه . . . . علِبه ٦ر٠٠٠

٢٢ — إمارة بيحان . . . . القبْض ١٨ر٠٠٠

٢٣ — مشيخة العواذل . . . . . . زارَه ٢٢ر٠٠٠

٦٠٠ر٠٠٠

(موجز تاريخي لأهم مقاطعات الجنوب اليمني وتسرب الاستعمار إليها)

(المقاطعات الشرقية)

هي المعروفة ببلاد حضرموت ومهرا ، وكانت في جميع العصور تابعةً لليمن الأم ، ومرت بها جميع الأحداث التي مرت بالقطر اليمني قبل الإسلام وبعده ، فقد شملها حكم الدولة السبئية والحميرية [1] كما شملها نفوذ عمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين على اليمن ، وكذا عمال الدولة الأموية والعباسية ، والدول اليمنية الأخرى كما تشهد بذلك كتب التاريخ وأكد ذلك المؤرخون لسلاطين حضرموت أنفسهم [2] .

وفي سنة ١٠٦٩ هـ جهز الإمام المتوكل على الله إسمعيل جيشاً بقياة أحمد بن الحسن للاستيلاء على حضرموت ، وتمّ للقائد اخضاع السلطان بدر بن عمر والإستيلاء على البلاد ، ثم رأى المتوكل أن يجعل السلطان بدر بن عمر والياً على حضرموت وبعث من جهته القاضي الحسن بن أحمد الحيمي [3] لتولي القضاء وإحياء الشريعة الإسلامية ، وظلت حضرموت تحت حكم المتوكل حتى قام عيسى ابن بدر الكثيري بثورته في ظُفار سنة ١٠٧٩هـ ، وبعدها قطعت كل علاقة للأئمة بحضرموت ، وبعد أن تم للبريطانيين احتلال عدن في سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩م) أخذوا يستخدمون سياسة (فرق تسد) ، ونهجوا طريقة تمزيق الجنوب إلى عدة إمارة ومشيخات ، بغية جذب أعيان البلاد واستمالتهم واحداً تلو الآخر لتوقيع

---

(١) راجع (مملكة حضرموت) الفصل الرابع .

(٢) إقراء (تاريخ الدولة الكثيرية) لصاحبه محمد بن هاشم ، وتاريخ حضرموت السياسي لليافعي .

(٣) المصدر نفسه . وهو والد اديب اليمن العلامة محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي صاحب كتاب (طيب السمر في أوقات السحر) ، (والأصداف المشحونة باللالى المكنونة) و (عطر نسيم الصبا) ، وغيرها وقد توفي سنة ١١٥١ هـ (١٧٥٨م).

إتفاقيات (الحماية) مقابل دراهم معدودة تصرف للمشايخ شهريا من خزانة عدن على مرأى ومسمع من أفراد الشعب المغلوب على أمرهم ، وفيما يلي سوف نتكلم عن كل مقاطعة مع موجز لجغرافيتها وتاريخها ومراحل النفوذ الاستعماري فيها .

السلطنة القعيطية والكثيرية :

تقعان على ساحل البحر العربي ، ويحدهما شرقاً بلاد المهرا وغرباً سلطنة الواحدى وشمالاً الربع الخالى وجنوباً البحر العربى ، ومن موانيهما الشحر والمكلا ، وهما من أهم الموانى اليمنية التى قامت بدور هام فى تاريخ اليمن التجارى القديم .

ومن مدنهما الرئيسية : المكلا ، ميفع ، شبام ، القطن ، دعان ، غيل باوزير وهذه تابعة للدولة القعيطية ، وسيون وتريم وسيحوت ، وهى تابعة للدولة الكثيرية وقد سميت الأولى باسم سلاطينها آل القعيطى ، والثانية باسم سلاطينها آل الكثيرى . وكان القعيطيون حتى عام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) يسيطرون على مدينة القطن فقط وجزء صغير بجانبها ، بينما كانت مدينة شبام وبقية البلاد خاضعة للسلطان منصور الكثيرى . وكان سبب سيطرة القعيطيين على مدينة شبام يعود إلى قصة مشهورة عند الأهالى ، وقد رواها مستر هارولد انقرامس H. Ingrams فى كتابه (العربية والجزائر[١]) ، وقد رأيت ايرادها هنا مترجمة باختصار اتماماً للفائدة وهى كما يلى :

« كان عمر بن عوض القعيطى ــ وهو كبير رجال آل القعيطى ــ مستخدماً برتبة كبيرة فى جيش حيدر أباد بالهند ، وكانت مدينة شبام وسائر حضرموت ماعدا قرية القطن تحت نفوذ السلطان منصور الكثيرى ، فاتفق الكثيرى ذات يوم ــ وكان فى حاجة إلى مال ــ مع عمر بن عوض على أن يبيع من الآخر

---

(١) Arabia and the Isles 144—155.

نصف مدينة شبام على أساس أن تبقى المدينة تحت حكم مشترك بين أسرة عمر ابن عوض وبين منصور الكثيرى ، ووقعا اتفاقاً على ذلك ، ولكنه لم يمض وقت طويل حتى دب الخلاف فى الأسرتين ، واستطار الشر بينهما ، وكان السبب الأول هو دخول بعض رجال يافع المصاهرين لآل القعيطى مدينة شبام — وكانت علاقتهم مع السلطان منصور غير حسنة — ، فبدأ يتحين الفرص لإخراجهم من المدينة ، ولما كان يوم عيد الفطر ذهب بعض رجال يافع لزيارة أهاهم بيافع واستغل السلطان منصور الفرصة ، ووثب مع رجاله على من بقى فى المدينة من أهل يافع وقتلهم واستأثر بالحكم على مدينة (شبام) بحجة أنها حقه الأصلى فكانت هذه الحادثة مبدأ خلاف بين الجانبين استمر مدة من الزمن ، ثم انتهى بتقسيم المدينة بينهما على يد السيد عيدروس زعيم البلاد الدينى سنة ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٨ م) » .

« أما السلطان منصور فكان غير مقتنع فى قرارة نفسه بالتقسيم ، وكان تدفق أهل يافع إلى المدينة يزيده غيظاً وحقداً ، فأخذ يدبر الحيلة للقضاء على أسرة عمر بن عوض ومن معهم من أهل يافع جميعاً ، ورأى أن السم هو أنجح الحيل للتخلص منهم ، فدعاهم فى إحدى المناسبات إلى مأدبة ، وبينما كان القعيطيون على أهبة الوصول إذ جاءهم النذير بأن سماً قد وضع لهم فى الطعام ، فأرسلوا اعتذارهم عن تلبية الدعوة فى الحال ، بحجة احتفالهم بأخبار سارة جاءت لهم من والدهم بحيدر أباد ، وأنابوا عنهم ثلاثة من اليافعيين الذين لا يعرفون المكيدة ، فكانت النتيجة أن ماتوا إثر تناولهم الطعام ، ومع هذا فلم يُبد أولاد القعيطى أى تأثر لما جرى ، واستمروا فى مجاملتهم للسلطان منصور حتى حانت لهم فرصة مجيئه ذات يوم إلى منزلهم فى بعض المناسبات وتركوه حتى كان بمفرده فأجهزوا عليه وقتلوه واستولوا على المدينة (شبام) » .

وفى سنة ١٣٠٥ ﻫ (١٨٨٨ م) كان السلطان عوض بن عمر بن عوض القعيطى أول من وقع معاهدة الحماية مع بريطانيا مقابل ٨٠ ريالا تجرى له شهرياً ،

وقد عقدها مع بريطانيا على جهة الكثيان ، ولكن بريطانيا سرعان ما أظهرت هذه المعاهدة وتمكنت من إخضاع الأهالى وقمع حركتهم ، عند ماحاولوا الثورة ضد السلطان إثر سماعهم خبر المعاهدة .

أما السلطان الكثيرى فإنه رفض الدخول تحت النفوذ الاستعمارى بادىء الأمر ولكنه مالبث أن جنح ــ مضطراً ــ إلى توقيع معاهدة الحماية مع بريطانيا عند ماهددته ذات مرة بالتدخل فى نزاع جرى بينه وبين السلطان القعيطى ، ثم تلاه بعد ذلك بقية المشايخ فى المقاطعة .

سلطنة الواحدى ومشيخة بير على :

يرجع اسم (الواحدى) إلى مؤسس تلك القبيلة (عبد الواحد القرشى) ، وتقع الأراضى الواحدية على جانبى وادى (مَيفع) ، وتحيط بها الجبال والتلال من ثلاث جهات والبحر العربى من الجنوب ، وتنقسم إلى أربع مناطق وهى :

(١) حبان (٢) بلحاف ــ مركز السلطان ــ (٣) غزان (٤) بير على .

وقد دخلت تحت الحماية البريطانية فى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) حينما وقعت الحماية فى ٣٠ إبريل فى (بير على) بين سلاطين الواحدى وبير على من جهة ، وبين والى عدن ى . ف هوغ من جهة أخرى ، وتنص المعاهدة على أن يتقاضى السلاطين مرتبات شهرية مختلفة ، وتعهدوا بذلك لوالى عدن أنهم لا يدخلون فى أية مراسلة أو اتفاقية أو معاهدة مع أية دولة أو حكومة أجنبية إلا بعد اطلاع الحكومة البريطانية وأخذ موافقتها على ذلك ، ووضعوا على ذلك بصمات أصابعهم .

ومرفأ بير على عبارة عن خليج مستدير يبلغ طوله ميل واحد وعرضه ميل ونصف ، وتوجد جنوبى الخليج قطعة صفيقة من الأرض يرتفع منها (حصن الغراب) ويتكون من صخرة مربعة سوداء فى شكل حصن طبيعى يحرس القناة ، وهو

حصن تاريخي عثر فيه على عدة آثار ونصوص سبئية [1] .

مشيخة حورة السفلى :

تقع جنوبي سلطنة الواحدي ، وهي مرفأ قبيلة (الذيبي) على شواطيء البحر العربي وتسمى (حورة الذيبي) باسم القبيلة ، وقد دخلت تحت الحماية البريطانية عند مازار المقيم السياسي البريطاني في عدن مرفأ حوره في (٨ إبريل ١٨٨٨) — ١٣٠٥ هـ وهناك وقعت معاهدة الحماية مع شيخ حورة عبد الله محمد باشهيد ، مقابل مرتب شهري قدره ٥٠ ريالاً كثمن لتوقيع معاهدة الحماية ، أصبحت حورة السفلى بعدها تابعة للمحمية الشرقية .

مشيخة عرقة :

يقع مرفأ عرقة على مسافة اثنى عشر ميلاً من (حورة) ، وقد دخلت في الحماية في سنة ١٨٨٨م ووقع المعاهدة الشيخ عوض محمد باداس مع المقيم البريطاني عند زيارته لمرفأ عرقة ، مقابل مرتب شهري قدره ٨٠ ريالاً .

سلطنة قشن وسوقطرة :

لا تقتصر الأراضي التابعة لسلطان قشن وسوقطرة على جزيرة سوقطرة وتوابعها فحسب ، بل يدخل فيها أيضاً جزء لا يستهان به ، واقع على الجانب المقابل للجزيرة ، يحده شرقاً دمقوت ، وغرباً المصنعة ، ومن المحلات المشهورة فيه قشن (مركز السلطان) ، جبيل ، دمقوت ، شن ، شحيط ، قش ، وتسمى كلها بلاد المهرا ، وتختلف لغة أهلها عن اللغة العربية كل الاختلاف ، ويسيطر قبائل المهـرا على قشن ، وسوقطرة (الجزيرة) ومنهم عائلة أهل مقرير وهم سلاطين البلاد .

---

(١) من أهمها نقش المستشرق الإنجليزي كارستن نيبور (C. Nebuhr) ، وتوجد له نسخة بالمتحف البريطاني بلندن ، ويعرف بنص حسن الغراب ، ويرجع تاريخه إلى عصر دولة قتبان .

وقد بدأ اهتمام الانكليز بجزيرة سوقطرة كطريق تجارى فى سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٤م) عند ما وصل الكابتن روس (Ruse) ــ وهو من السلاح البحرى الهندى ــ فى بعثة إلى سوقطرة لعقد اتفاقية مع السلطان أحمد بن سلطان فَرْتَش، وابن عمه سلطان بن عمر سلطان قشن لاستئجار مخازن الفحم فى الجزيرة .

وفى سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) وصلت قوات بريطانية من الهند لاحتلال الجزيرة ، فثار أهلها فى وجوههم بقيادة عمر بن طَوارى ، وأرغموا القوات البريطانية على الرجوع من حيث أتت .

ومنذ سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) إمتدت الأعين إلى سوقطرة ، فقد أرسلت فرنسا بارجتين حربيتين لزيارة الجزيرة وفحص القسم الشرقى منها بغية شرائها ، كما زار الجزيرة مركب تركى فى سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) باسم المناورة البحرية وكان المصريون حينذاك قد توغلوا فى الشاطىء الصومالى (كُردأُفوى) ، مما أثار اهتمام المقيم السياسى فى عدن ، فزار الجزيرة على ظهر الباخرة (بريتون) فى يناير سنة (١٨٧٦ م) ١٢٩٣ هـ ، كما زار ساحل قشن ، وعقد اتفاقية مع سلطانها تعهدت بريطانيا بموجبه بدفع ٣٫٠٠٠ ريال للسلطان ، مع إعانة سنوية قدرها ٣٦٠ ريالاً مقابل أن يتعهد لبريطانيا بعدم رهن أو بيع أو منح أى قطعة من من الجزيرة أو ملحقاتها أو السماح باحتلالها لأحد إلا للأنكليز .

وفى مارس ١٨٨٤ زار مساعد المقيم الجزيرة وتحصل على أذن من السلطان فى إرتياد موقع مناسب لإقامة منارة (فنار) لهداية السفن ، وقد أختير (رأس دردشة) كموقع مناسب لإقامتها فيــه ، بشرط أن تبقى الأرض التى ستقام عليها المنارة ملــكاً للسلطان .

وفى سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) فوضت حكومة الهند المقيم السياسى فى عدن الـكابتن سيلى Syle لعقد معاهدة إضافية مع سلطان قشن وسوقطرة ، تصبح الجزيرة وملحقاتها تابعة للحماية البريطانية ، وتم عقد المعاهدة فى ٢٣ إبريل سنة ١٨٨٦ م .

(نصوص معاهدات الحماية)

كانت أول معاهدةٍ تعقدها بريطانيا مع سلاطين الجنوب بعد احتلالها لعدن تلك المعاهدة التى عقدتها سنة ١٢٥٥ هـ — (١٨٤١ م) مع سلطان لحج محسن ابن فضل العبدلى حسبما يأتى تفصيله وقد اكتفينا بالإشارة بإيجاز إلى محتويات كل معاهدة فى أبحاثنا السابقة واللاحقة عن مقاطعات الجنوب ومراحلها مع الاستعمار .

لذلك فلم يبق لنا حاجة لسردها هنا بنصوصها الحرفية لأنها متقاربة معظمها رتب فى عدن فى صيغة واحدة ، إلا أنها تختلف فى قدر موادها ، فبعضها يتكون من ثلاث مواد ، وبعضها من ست ، وبعضها من أكثر ، ومن أغرب هذه المعاهدات وأسخفها المعاهدة المنعقدة بين والى عدن والشيخ مطهر بن على من (سهم المعروب) بالشعب فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٣ ، ونصّها كما يلى وقد أوردناها هنا كأنموذج لبقية المعاهدات الأخرى .

« يدفع والى عدن دائماً إلى الشيخ مطهر بن على من لطف الحكومة وكرمها سبعة ريالات فى الشهر ، اعترافاً بصداقته وبالخدمات الجليلة التى أداها للحكومة وبالأخص للجنة الحدود ، ويوافق الشيخ المذكور على التمسك دائماً بصداقة وطاعة الحكومة البريطانية ومساعدة ضباطها وملاحظة أعمدة الخطوط الموضوعة فى حدود بلاده والاعتناء بها واصلاحها فيما يطرأ عليها من أى عطل » .

أمضيت فى الضالع فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٣ الموافق ٣ شعبان سنة ١٣٢١

جى . وبفورد

(الضابط السياسى بالنيابة عن الوالى)

(المقـــــاطعات الغربية)

سلطنة لحج :

تعد سلطنة لحج فى مقدمة المقاطعات الغربية وتقع على بعد ٣٥ ميلاً من عدن شمالاً ، وتمتد هذه السلطنة التى اشتهرت باسم قبيلة العبـادل فى سهل رملى واسع صالح للزراعة ، وترتوى من الميـاه التى تتدفق فى الوادى الـكبير والوادى الصغير التى تبتدىء مسائلهما من جبال اليمن وتشكل وادى (ورَزان) الـكبير ، وفى لحج نفسها يصب نهر (ورَزان) ، ويوجد المـاء فى منطقة لحج على قرب من سطح البحر ، وبفضل المواد الطينية التى تحملها السيول من الجبال اليمنية ، أصبحت الأراضى اللحجية من أخصب المناطق فى جنوب اليمن ، ولذا فإنها تزرع شتى أنواع الخضر والفواكه ، وعليهـا المعول فى تزويد عدن بتلك المواد .

ويعتبر فضل بن على بن فضل بن صالح بن سلام مؤسس القبيلة العبدلية ، وقد اشتهر اسمه عند ماولاه إمام اليمن الحسين بن القاسم (١١٣٩ — ١١٦١ ﻫ / ١٧٢٧ — ١٧٤٢ م) عمالة لحج ولـكنه كان مع الأسف سبباً فى فصل منطقة لحج وعدن عن أمها اليمن ، فقد سولت له نفسه بالاتفاق مع جاره سلطان يافع على الخروج عن طاعة الإمام فى سنة ١١٤٥ ﻫ ـ (١٧٤٤ م) والاستيلاء على بندر عدن ، على أن يقتسما خراجه ، وبعد أن قاما بتنفيذ المؤامرة لم يلبثا أن اختلفا ، وحدثت بينهما مشاكل انتهت بقتل فضل بن على ، ثم بدأ الخلاف من جديد بين العبادل واليافعيين واستمر إلى تاريخ احتلال الانكليزى لعدن سنة ١٢٥٤ ﻫ ـ (١٨٣٩م) ، حسبما سبق تفصيله .

وفى سنة ١٢٥٥ ﻫ ـ (١٨٤١ م) وقع السلطان محسن بن فضل بن محسن فضل العبدلى اتفاقية مع القيم السياسى بعدن الـكمندر هينس ، تنص على تخويل البريطانيين نفوذاً أوسع فى المنطقة مقابل مرتب سنوى قدره (٦٥٠٠)

ريال تدفع للسلطان وأتباعه مع عفوه وأولاده عن العوائد والرسوم عند دخولهم عدن أو خروجهم منها .

وفى سنة ١٢٩٥ هـ ـ (١٨٧٨ م) وقّع سلطان العبادل على صك آخر ، باع فيه من الإنكليز أراضى الشيخ عثمان الكائنة بين الحسْوة والعماد ومناطق أخرى غربى مدينة عدن لاستعمالها والبناء فيها من قبل الإنكليز .

وفى اثناء هذه المدة وقع خلاف شديد بين العبادل والصبّيحة من جهة وبين العقارب والصبّيحة من جهة أخرى أدّى إلى الإخلال بالأمن فى المنطقة ، وانتهز البريطانيون هذه الفرصة فأخذوا بواسطة أذنابهم ومحسوبيهم فى دس الدسائس وبث بذور الفرقة بين القبائل حتى أصبحت العلاقات القبلية فى غاية الاضطراب ، وبهذا تمكنوا من بسط نفوذهم المطلق ـ تحت اسم (الحماية) وشعارها المزيف ـ على كامل المنطقة ولم يبقوا للسلاطين غير الألقاب فقط .

ومن الفخائذ العبدلية الرئيسية : العزيبة ، آل عبيدة ، آل عامر ، آل جابر آل دبّان ، أم شحيرة ، المخاربة ، آل صويلح ، المناصرة ، الزبيّرة ، آل حبشة ، آل عرابد ، المحكّة ، العائدة ، الدحَينة ، السويدة ، الأقدور ، الحضارم ، آل ثباتان .

مشيخة الصبيحة :

كانت قبيلة الصبيحة ضمن مقاطعة لحج ومن جملة قبائلها . ولكنها انفصلت منها إثر الخلاف الذى نشب بين المشايخ حسبما أسلفنا ، وساعد على هذا الانفصال المقيم البريطانى فى عدن الذى سارع فأبرم معاهدة الحماية مع المشايخ فى سنة ١٣٠٧ هـ ـ (١٨٩٠ م) مقابل مرتبات سنوية تجرى لهم من خزانة عدن .

مشيخة العقارب :

كانت مشيخة العقارب إلى سنة ١١٨٥هـ (١٧٧٠ م) تابعة لنفوذ العبادل ، ومنها شق العقارب عصى الطاعة على العبادل بقيادة الشيخ مهدى ، وتغلبوا على حصن (بير أحمد) بمساعدة أهل فضل وأعادوا بناءه ، وحاول العبادل استعادة الحصن ولـكن محاولتهم باءت بالفشل لوقوف الانـكليز فى جانب العقارب — كما هى خطتهم فى تفـكيك مقاطعات الجنوب وتمزيق أوصالها تمهيداً لإدخال المنطقة بكاملها تحت دائرة نفوذهم — ولهذا فقد اعترف المندوب السامى باستقلال مشيحة العقارب فوراً ، وتمـكن عند ذلك من احتلال منطقة جبل إحسان وخور بير أحمد والعُذير وبندر فقْم باسم الشراء من شيخ العقارب الشيخ عبد الله باحيدرة بن مهدى ، وقد وقعت الاتفاقية فى شهر القعدة سنة ١٣٠٥ (١٥ يوليو) سنة (١٨٨٨ م) بصورة مكتومه من الأهالى مقابل ٢٫٠٠٠ روبية دفعت إلى جيب الشيخ عبد الله باحيدرة .

سلطنة الحواشب:

يحدها شمالا التلال التى يقطنها أهل داعر والضنابر التابعين لإمارة الضالع، وجنوباً نخيذة المخاديم من قبيلة الصبيحة ، وقسم من الأراضى التابعة للسلطنتين العبدلية والفضيلية ، وشرقاً بلاد يافع ومعظم بلاد الحواشب جبلية تـكثر فيها التلال والوهاد ، أما فى الجنوب فأغلب الأراضى رملية وصحراوية ، ويقتنى الحواشب من الحيوانات الجمال والأبقار والماعز ، كما أنهم يزرعون الحبوب بأنواعها وبالأخص الذرة ، ويجرى وادى (تُبَن) من شمال الحواشب إلى جنوبها طوال أيام السنة ، والطقس فى بلاد الحواشب على العموم صحىّ إلاّ الأماكن المجاورة للوادى فتـكثر فيها الحميات .

وأهم قرى الحواشب المسيمير ـ مركز السلطان ـ والرِّها ،والحرور ، وحول مدرَم . وكان سلاطين الحواشب يخضعون لأئمة اليمن إلى سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) حيث عقد السلطان محسن بن على بن مانع اتفاقية الحماية مع الجنرال شارلس الـكسندر كننجهام ، مقابل معاش شهرى قدره خمسون ريالا ، وضمن للانـكليز بذلك أن لايتنازل أو يسلم أو يبيع أو يرهن أو يؤجر أو يتصرف أو يعطى بأى طريقة كانت فى بلاد الحواشب وملحقاتها أو أى جزء منها لأى دولة أو حكومة أخرى إلى آخر الصيغة المعتادة .

مشيخة العلوى :

يحدها شمالا بلاد القطيب من ردفان ، وغرباً وجنوباً بلاد الحواشب ، وشرقاً بلاد الضنابر وأهل قطيب ، وهى زراعية وخصبة ، وأهم قراها القشعة ـ مركز الشيخ ـ والحرْبة ، والسود ، والحوطة ، والدنب ، والجمل ، والهجر ، وكانت مشيخة العلوى كغيرها تابعة لأمها اليمن ومشايخها يخضعون لحـكم الأئمة حتى سنة ١٢٤٥ هـ ـــ (١٨٣٩ م) حينما وقع الشيخ العلوى معاهدة الحماية مع الحـكومة البريطانية بواسطة والى عدن الجنرال ك . كننجهام ، مقابل مرتب شهرى قدره ثلاثون ريالا .

سلطنة الفضلى :

سميت باسم مؤسس القبيلة الأول فضل بن عثمان ويتحدر من سلالة تركية ، وقد تولّى كسلطان على القبيلة قبل ٣٢٥ عاماً وإليه ينتمى سلاطين الفضلى . ومنذ احتلال بريطانيا لعدن سنة ١٢٥٤ هـ ـ (١٨٣٩ م) كان السلطان أحمد بن حسين الفضلى أول من أسس علاقات مع الانكليز فى بلاد الفضلى ، ووقع معاهدة الحماية فى ٤ أغسطس سنة ١٨٨٨ ، وكان سلفه السلطان أحمد عبد الله وطنياً غيوراً

شديد العداء للاستعمار والمستعمرين ، وقد ظل منذ سقوط عدن فى أيدى البريطانيين متمسكاً بأن تظل بلاده مربوطة بأمها اليمن ، بعيدة عن النفوذ الأجنبى ، بل كان المحرض لكل هجوم يحدث على جنود وممتلكات الانكليز بعدن ، وإلى بلاده كان يأوى جميع من أجرم ضدهم .

وتتكون بلاد الفضلى من مساحة واسعة الأرجاء يمتد ساحلها من قرب العماد شرقاً إلى حدود العوالق غرباً ، ومن القرى الرئيسية فيها : شُقرة — مركز السلطان — وابين ، والشِّريجة ، وعمودية ، وزنجبار ، والعسلة ، وجُعولة ، والكَوْد ، والدِّرجاح ، وثيران .

العوالق :

تمتد الأراضى العولقية على جانبى الشاطىء الذى يوصل بين قبيلتى الفضلى والدثنى . وهى غاية فى الخصب ، ويقتنى أهل العوالق الخيل والمواشى بأنواعها ، وتزرع القمح والذرة والقطن . وتنقسم العوالق إلى قسمين : ١ — العوالق العليا . ٢ — العوالق السفلى ، وكل منهما تقع تحت سلطان مستقل وتتكون بلاد العوالق العليا من سلطنة ومشيخة وكل منهما منفرد لحاله .

العوالق العليا :

يحدها غرباً العواذل ، وشرقاً قبيلة خليفة ، وجنوباً مشيخة العوالق العليا ، قرب المصينعة ، ويوجد فى المنطقة معادن الملح بكثرة وذلك فى نصاب ، والمشقفة وأم سلب ، والنُّقوب وغيرها ، ويكثر فيها شجر السَّرْوْ الذى يتراوح ارتفاعه من ٣٠ — ٥٠ قدماً ولأهل العوالق العليا اتصال دائم بالكثيريين فى حضرموت لقربهم منهم ، وقد ظلوا وقتاً طويلا يمدون سلاطينهم بالقوى التى يحتاجون إليها فى حروبهم مع آل القعيطى .

ومن أهم قبائل العوالق العلياء : الهجر ، والهامى ، والديّانى ، ، والمرزوقى أصحاب سعيد الدغاوى .

ومن قراها الرئيسية نصاب — مركز السلطان — وتقع على سهل واسع ، المشقفة ، أُم سلب ، النقوب ، الجولة ، الركية ، همان ، خمارى ، مصينعة ، يَعان مقبلة ، الشرح ، ويقارب عددها المائة .

وقد دخلت تحت الحماية البريطانية فى ١٨ مارس (١٩٠٢ م) — ١٣٢٠ هـ عند ما وقع سلطان العوالق العليا صالح عبد الله عوض اتفاقية مع لويس داين سكرتير نائب الملك البريطانى فى الهند مقابل مرتب شهرى قدره مائة ريال وست بنادق يتبعها ستة آلاف طلقة .

سلطنة العوالق السفلى :

يحدها شمالاً مشيخة العوالق العلياء وجنوباً البحر العربى وشرقاً بلاد الذيبى وغرباً بلاد الفضلى ، ومن قبائلها اللُّقموش ، با كزم ، الشمعى . وكان يحكمها السلاطين آل فريد تحت ولاية أئمة اليمن حتى سنة ١٢٨٨ هـ — (١٨٧١ م) ، عند ما وقع السلطان منصّر بن عبد الله العولقى معاهدة الحماية مع سكرتير نائب الملك البريطانى فى الهند س . دبليو . اتيشون .

مشيخة العوالق العليا :

أهلها بدو رحّل ولذلك لا يوجد فيها قرى كثيرة ومن قراها رِيشم — مقر شيخ البلاد — السعيد العطف الكولة السفال ، وقد وقّع الشيخ محسن ابن فريد بن ناصر المسلمى معاهدة فى سنة ١٣١٩ هـ — (١٩٠٣ م) مع الجنرال بى . . جى . . ميتلند والى عدن مقابل مرتب شهرى قدره ستون ريالاً وخمس بنادق يتبعها خمسة آلاف طلقة .

مشيخة العوالق العليا :

من قراها : المنقعة (مقر شيخ البلاد) ، حماره ، الحوطة ، المحفد ، الحيك ، الشكيب ، الكبس ، الحصن ، وقد دخلت تحت الحماية البريطانية سنة (١٨٨٢ م) .

سلطنة يافع العليا :

تمتد أراضيها من نقطة على الشاطىء الشرقى لعدن حتى حدود حضرموت شرقاً ، وكان قبائلها كثيرى الاشتباك مع الكثيرين بحضرموت ، أما المناطق الساحلية كجهوله والعسلة فقد اغتصبها أهل فضل قبل الاحتلال البريطانى لعدن وظلت فى حوزتهم رغم المحاولات العديدة التى قام بها اليافعيون لاسترجاع هذه النقطة الحيوية التى توصل بلادهم بالبحر . وبلاد يافع على الإطلاق منيعة للغاية ، وأهم محصولاتها الزراعية البن والورس والقطن والقمح والشعير ، كما تنتج كميات لاباس بها من العسل . ويحدها جنوباً يافع السفلى وشمالاً وشرقاً أهل فضل وغرباً بلاد الأميرى والحوشبى .

وقد دخلت تحت الحماية البريطانية حينما وقع سلطانها قحطان بن عمر ابن هرهرة معاهدة الحماية مع لويس داين سكرتير نائب الملك البريطانى بالهند فى سنة ١٨٨٢ م مقابل مرتب شهرى قدره ٥٠ ريالا يدفع للسلطان وخلفائه من بعده ، وضمن بذلك لبريطانيا أن لا يتنازل أو يبيع أو يسلم أو يرهن أو يؤجر أو يتصرف أو يعطى بأى طريقة كانت بلاد يافع العليا أو ملحقاتها أو أى جزء منها لأية دولة أو حكومة أو أى شخص عدى الحكومة البريطانية ، وضمن لهم هذا الشرط إلى الأبد .

هكذا كان الجهال من السلاطين يتصرفون ويبيعون ما لا يملكون ، وإنى لا أشك فى أن بعض هؤلاء المغفلين كان يضع بصمة أصبعه على وثيقة صيغت فى مقر المقيم السياسى بعدن وهو لا يفهم معناها ولا يعرف مؤداها، لما كانوا

عليه من البداوة والغباوة ، لأن هذا التصرف لا يمكن أن يصدر من إنسان يميز بين الحرية والعبودية وبين الاستقلال والاستعمار الذى استعير له اسم (الحماية البريطانية) .

سلطنة يافع السفلى :

يحدها شمالاً يافع العلياء ، وجنوباً وشرقاً بلاد الفضلى ، وغرباً الأميرى والحوشبى وهى بلاد جبلية تكثر فيها الوهاد والوديان الخصبة ومياه الرى ؛ وتنبت الذرة البيضاء والحمراء والبن والعنب ، ويربى قبائلها الخيل والجمال والحمير والأغنام والأبقار والماعز بأعداد وافرة ، وهى شديدة البرد . ومن قراها الرئيسية (خنفر) الواقعة على الجانب الأيسر لوادى بناء ، والقارة (مقر السلطان) الواقعة على رأس جبل وتشرف على البلاد المحيطة بها بعدة أميال وفيها يسكن السلطان أكثر أيام السنة ، وتسقى الأراضى المجاورة لها مياهَ وادى بناء والروة ، وتقع فى سهل كثير الاخضرار والمزروعات لتوفر المياه المنحدرة إليها من وادى بناء[1] ، ومن قراها أيضاً حسان والحصن والمصانع .

وقد وقّع سلطان يافع السفلى أبو بكر بن سيف اليافعى معاهدة الحماية مع والى عدن الـكسندر كننجهام فى ١١ أغسطس سنة ١٨٩٥ ، مقابل مائة ريال كمرتب شهرى للسطان ، وبذلك ضمن للانـكليز بأن لا يتنازل (إلى الأبد) أو يسلم أو يؤجر أو يتصرف . . . إلى آخر الصيغة التى يمجها السمع ولا يقبلها العقل السليم .

ويعتبر السلطان الأصلى للبلاد حالياً السلطان محمد بن عيدروس العفيفى وهو أحد زعماء الجنوب اليمنى الأحرار الذين ثاروا فى وجه الاستعمار البريطانى ، وله مع القوات البريطانية وقائع مشهورة ومواقف مشرفة .

---

(١) راجع وديان اليمن فى الفصل الأول .

إمارة الضالع :

يحدها جنوباً الحواشب وغرباً جبل حجاف وشمالاً مريس (فى اليمن الحرة) . وشرقاً ردْفان ، وطقس الضالع جميل ، وتزرع أراضيه الحبوب بأنواعها والبن ، كما يقتنى أهله الجمال والحمير والمواشى على اختلافها .

ومن أهم قبائل الضالع : بنى قاسم ، بنى شعفل ، أهل عبادى ، بنى الفقهاء بنى شعيب ، بنى سعد ، المشارقة : الأمطور .

ومن قراها الرئيسية : الضالع (مقر الأمير) ، زبيد ، الضبيبات ، الحصين جبل حرير ، الرقه ، خرافه ، القفلة ، الوعرة ، بيت الأشراف ، دى حراب ، الرباط ، المرقلة ، السكير ، آل حميد .

إمارة بيحان :

يحدها شمالاً منطقة حريب وغرباً رداع (فى اليمن الحرة) وشرقاً وجنوباً العوالق العلياء . ويعتبر أشراف بيحان آل الهبيلى من مؤيدى الانكليز فى الجنوب وكان شريف بيحان أحمد بن محسن من أول من اتصل بالانكليز ووصل بنفسه إلى عدن فى سنة ١٨٨٢ م ثم مرة أخرى فى ٢٩ ديسمبر ١٩٠٢ لتوقيع اتفاقية الحماية مقابل مرتب شهرى قدره ثلاثون ريالا وست بنادق انكليزية و ٦٠٠٠ طلقة . ويوجد فى بيحان آثار مملكة قتبان الشهيرة التى قامت من عام ٨٦٥ ق . م وانتهت فى سنة ٥٤٠ ق ، م ، وقد عثر على الكثير من النصوص والنقوشات فى خرائب (تمنع) عاصمة قتبان قديماً وفى حجر بن حميد وغيرها ، ومن أهم قبائلها بلحارث والمصعبين ، ومن قراها : عين القصاب وكحلان والحجب وعسيلان والحرجه وموقس .

سلطنة العوازل :

البلاد العوذلية فسيحة ، وتقع بين المنطقة الفضلية جنوباً والعولقية شرقاً واليافعية غرباً ، وكان أهل البلاد من أعظم مؤيدى أئمة اليمن ومناصريهم دائماً إلى أن

برزت السياسة البريطانية فى سنة ١٩٢٥ م واستمالت أعيان العواذل بواسطة المقيم السياسى فى عدن الذى وقّع اتفاقية الحماية مع السلطان ولم يقرها بادىء الأمر إلا القليل من المشايخ بينما أنكرها الأهالى ثم قبلوها بعد ذلك قهراً .

دثينة :

يحدها من الشمال يافع العلياء والسفلى وجنوباً وغرباً بلاد الفضلى وشرقاً العوالق السفلى وأرضها زراعية وخصبة وأهل دثينة لهم شجاعة ومنعه ، ولا تزال قبيلة دثينة أكثر احتفاظاً من غيرها بحريتها واستقلالها وأحرص على الابتعاد عن الانجليز ، وتُحكم دثينة بواسطة مجلس شورى يتألف من مجموعة من الأعيان وأهل الرأى ومن قبائلها السعيدى ثم الميسرى والحسنى ، ومن قراها الحذيرة والجبلة والقليبنة وفودية .

جزيرة ميون :

جزيرة صغيرة مكونة من صخور بركانية قائمة فى مضيق باب المندب وفى موازاة قلعة الشيخ سعيد فى اليمن الحرة ، وتبعد عن عدن ٩٦ ميلاً غرباً ، ومساحتها ٦ كيلو مترات مربعة وطول الجزيرة ثلاثة أميال ، وأعلى نقطة فيها تعلو عن سطح البحر ٢١٤ قدماً حيث المنارة المرشدة للسفن (الفنار) .

ويبلغ غور البحر فى المضيق ١٦٠ قدماً ، وإلى جوار الجزيرة المذكورة من الناحية الإفريقية توجد عدة جزر تدعى (الأخوات السبع) ، وهذه الجزر هى التى جعلت الملاحة فى تلك الجهة محفوفة بالمخاطر رغم أن العرض هناك يبلغ عشرين ميلاً فقط ، وتعرف عند العرب باسم (ميون) وعند الأوربيين (بريم) وكان الرومان يدعونها جزيرة (ديودورى) ، وكان يسكن الجزيرة حوالى ٣٠٠ نسمة من أجناس مختلفة يعيشون على الاتجار بما تحتاج إليه السفن التى ترسو عند الجزيرة أثناء عبورها مضيق باب المندب .

موقعها :

تقع جزيرة (ميون) فى المياه الإقليمية اليمنية ولا تبعد عن الشاطىء اليمنى إلا مسافة ميلين فقط ، وفيما بين الشاطئين تمر المراكب الغادية والرائحة بين البحرين الأحمر والعربى ، وهو المضيق المعروف بـ (باب المندب) الذى يعد العتبة الثانية لمدخل البحر الأحمر على اعتبار (السويس) العتبة الأولى ،والجزيرة ميناء جيد جداً ويقع فى الناحية الجنوبية منها ويتكون من نصف دائرة ،ولا يوجد بالجزيرة منابع مياه وإنما يستقى السكان من الماء المرشح بالتقطير لماء البحر .

تاريخها :

كانت (ميون) فى جميع العصور جزيرة تابعة لليمن وقد مر بها ما مر باليمن من أحداث ، وفى أيام الغزو التركى كان أئمة اليمن منشغلين بصد هجمات الأتراك عند ما أدركت بريطانيا أهميتها لحماية المواصلات بين أوروبا والهند ، فما إن استفحل أمر نابليون بونابرت فى حملته على مصر حتى أسرعت بريطانيا فوضعت الجزيرة حامية لها فى سنة ١٢١٤ هـ ـ (١٧٦٩ م) وأنشأت فيها حصناً منيعاً وصهاريج لخزن المياه العذبة ومكثت الحامية البريطانية زهاء عامين فقط ثم انسحبت منها فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد بعد زوال خطر الغزو الفرنسى .

وفى عام ١٢٧٢ هـ ـ (١٨٥٥ م) هاجمت قبائل بربرة فى الساحل الإفريقى المحاذى للجزيرة سفينة بريطانية فأوعزت حكومة لندن إلى شركة الهند الشرقية بأن تعود إلى احتلال الجزيرة لتحمى القوافل البحرية .وهكذا أعلن احتلالها رسمياً ورفع العلم البريطانى عليها فى شهر فبراير سنة (١٨٥٩ م) ١٢٧٦ هـ ، وقد أدخل الإنجليز تحسينات كبيرة على الميناء وزادوا فى تحصين القلاع ، وتزويدها بالمدفعية الضخمة ، بحيث أصبح فى مقدور حامية الجزيرة ، قطع كل صلة بين البحر الأحمر والبحر العربى ، وفى سنة ١٢٧٧ هـ — (١٨٦٠ م) ، أقاموا هنالك المنارة الهادية للسفن (الفنار) .

شبوة :

تقع على ملتقى الطرق التى تربط بين صنعاء وحضرموت ، وهى منطقة صغيرة وكانت قديماً عاصمة مملكة حضرموت ، وبعد أن تغلبت دولة سبأ على حضرموت عام ٦٥ م كانت شبوة من أهم المدن السبئية التجارية وهى منطقة غنية بالآثار والنقوش التاريخية الثمينة ، وفيها آثار معبد المقة (الإله القمر) ، ويقع بينها وبين مأرب ٨٠ كيلوا متراً إلى الجنوب الشرقى ، وبالإضافة إلى ثروة المنطقة بالآثار فإن بها معادن متعددة ، ويعتقد أن مستودعاً للبترول يكمن تحت تلك الأراضى . ويوجد فى نفس المدينة الكثير من القلاع والمراكز العسكرية التى شيدها أئمة اليمن باعتبارها موقعاً عسكرياً مهماً بالنسبة لليمن . وفى سنة ١٣٥٧ هـ - (١٩٣٨ م) وعندما كانت حامية شبوة تابعة لقوات الإمام يحيى برئاسة قبيلة مراد ، وبينما كانت قبيلتها الكرب والصيعر تدينان بالطاعة والولاء للإمام ، إذ تقدمت حكومة عدن الإنكليزية بالاحتجاجات الشديدة اللهجة ، وأرسلت إلى صنعاء (ضابطها السياسى المسيو سيجر) فأرعد وأبرق وأنذر بالويل والثبور إذ لم تأمر حكومة اليمن بسحب حاميتها من شبوة ومنطقتها ، وحاولت السلطات اليمنية إقناع الضابط الإنكليزى بوجوب التعقل والرجوع إلى تحكيم العدالة والمنطق للوصول إلى الحل الذى يكون أقرب إلى الحق من سواه ، فلم تضبط بريطانيا أعصابها بل أرسلت طائراتها إلى شبوة حاملة بعض الجنود وهبطت بهم فى حقول المدينة وقام الجنود إثر هبوطهم بمهاجمة حامية المدينة وأسر قائدها الشيخ مراد وأرسل فى طائرة إلى عدن حيث بقى هنالك معتقلاً .

لقد أغرم البريطانيون بشبوة وماتملكه من الثروة الأثرية والبترولية واشتد اهتمامهم فى البحث عن البترول واتصلوا بأعيان الكرب والصيعر محاولين اقتناصهم

بالأموال والهدايا ، وصمموا على أخذ (شبوة) ما دام بها البترول غير مبالين بالمواثيق والعقود والبراهين الواضحة التى أثبتتها الحكومة اليمنية فى مذكرتها المبعوثة من الإمام يحيى إلى الملك جورج السادس إثر احتلال الجنود البريطانيين لشبوة والتى منها المذكرة التالية :

« من ملك اليمن الإمام يحيى إلى صاحب الجلالة الأمبراطور جورج السادس المعظم — لندن . بعد تقديم التحية لجلالتكم أعرض لجلالتكم تأثراتى العظيمة من إذاعات راديو لندن باللسان الرسمى الحكومى وادعائها بأن (شبوة) ومناطقها داخلة فى الأراضى المحتلة مستندةً فى ذلك إلى معاهدة سنة ١٩٣٤ ، وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقاً بشأن (شبوة) ومناطقها كلها ، وأنه لم يكن لأحد شأن فيها فى أى وقت كان ، لا من قريب ولا من بعيد ، وكنت التمست من جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من عدن للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهـــذا الخصوص بين عدن واليمن ، فإن ادعاء حكومة عدن أن (شبوة) من المناطق المحتلة مخالف لكل الوقائع وعارٍ عن كل إثبات ، فحكومتى مضطرة للاحتجاج ، ولا يمكن لليمنيين السكوت عن عمل مخالف للحق مجانب للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن (شبوة) ومنطقتها يمانية — كغيرها من المناطق المحتلة — منذ خلق الله العالم إلى اليوم ، وسيادة اليمن عليها لم تنفصل يوماً واحداً عن أمها اليمن ، وكل قرار غير شرعى نرده بلاشك ، ولم تتعهد اليمن لأى شخص أو دولة بأن تسلمه حقوقها وملكها ، وهل يمكن بيع أو إهداء أرض زراعية ممن لا يصح تصرفه فيها ، ومن المعلوم أن العثمانيين وغيرهم لم يدخلوا شبوة ومنطقتها فلم يتصرفوا بشىء منها وفيها .

وهل من المعقول والمقبول المطالبة بهدية لم تقدم من مالكها ، ومن المعلوم أيضاً أن جدنا الإمام الهادى هو الذى عمر الحصون قبل ألف سنة ، وأن سلفنا

الإمام أقام فى (شبوة) ، فنحن متسلسلون فى (شبوة) ، وسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة إخوانهم آل جابر .

« وفى سنة ١٩١٤ م ابتدأت الحرب العامة وتحاربت بريطانيا مع العثمانيين ولم يبق للدولة العثمانية وجود فى العالم ، وأما تركيا الحاضرة فلم تصل إلى اليمن ولم تعمل لليمن شيئاً ، فهل يمكن أن تجيز القوانين الشرعية والمدنية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة ثم اغتصابها ..... ؟

وهل يمكن لأى يمنى كان أن يرضى بتسليم أرض أجداده التى حافظوا عليها إلى هذا اليوم بدمائهم وأرواحهم . . . . ؟

فألتمس من عدالتكم النظر إلى الأمر بعين العدالة والإنصاف .

ومعلوم لدى جلالتكم أن حكومتكم عقدت مع اليمن سنة ١٩٣٤م برضائها وطلبها معاهدة الود والصداقة مع اليمن ، وتصرح المادة الثالثة من المعاهدة بأنه لا يجوز أن يتبدل أى حال بين عدن واليمن إلا باتفاق الطرفين ورضائهما . . ؟

فهل يا صاحب الجلالة ترضى العدالة وترضى القوانين الدولية والحقوق الإنسانية بعد تلك المعاهدة أن يُعتدى على أرضنا وحقوقنا الطبيعية . . . . . . ؟

وهل يمكن أن توافقوا على هذه الاعتداءات والتجاوزات . . . . ؟

وبكل احترام أطلب من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه المعاملة وإصدار أوامركم إلى من يلزم باحترام حقوقنا وعدم إحراج أمتنا . حرر فى ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٣٩ » .

وفى تلك الأثناء زار سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى (لندن) لحضور مؤتمر فلسطين ، فقام باتصالات كبيرة مع المسئولين بغية الوصول إلى حل يكفل لليمن كرامتها ويجنبها كوارث الاصدام مع قوم جبارين وكانت سماء العلاقات الدولية حينذاك معبأة بالغيوم مما جعل بريطانيا تتراجع بعض

الشيء ، وانتهت تلك الجهود كلها بالاتفاق على إخلاء منطقة (شبوة) من الجانبين اليمني والإنكليزي وأن تكون منطقة غير ذات إدارة حكومية .

وما كادت الحرب الثانية تنتهي حتى نشط البريطانيون في سنة (١٩٤٥م) — ١٣٦٣ هـ نحو (شبوة) نشاطاً كبيراً ، فشقوا إليها طريق السيارات ، وأرسلوا الخبراء للتنقيب عن البترول ، غير مكترثين بالاتفاقيات ولا بالقوانين الدولية ، كما منحت إحدى الشركات البريطانية امتيازاً للتنقيب عن البترول على أن يكون للامارة التي يستخرج منها البترول ٣٥ في المائة ومثلها لمجلس اتحاد السلاطين والعشرة في المائة الباقية لحكومة عدن .

وقد كان هذا التصرف من قبل بريطانيا مثار استنكار بعض أهل الجنوب ومنهم السلطان الكثيري الذي وجد البترول في مقاطعته ،فاحتج على الحكومة احتجاجاً شديداً ، وأيده المؤتمر الوطني في عدن بعدم اعترافه بالاتفاقيات والامتيازات التي تعقد بين بريطانيا وأمراء الجنوب ، وأعلن أن البترول حيثما وجد في مناطق الجنوب فإنه ملك للشعب وليس لأحد حق في التصرف دون رضاء الشعب وموافقته ، هذا إلى جانب احتجاجات الحكومة اليمنية المستمرة في سبيل استرجاع المنطقة وتحريرها من قوات الاحتلال .

الفصل الرابع

(لمحة من تاريخ اليمن القديم)

لقد كتب المؤرخون العرب أمثال الهمدانى وابن هشام والكلبى وابن الأثير ووهب بن منبه وعبيد بن شريه ، والجغرافيين اليونانيين كبطليموس وبلينوس وسترابون عن تاريخ اليمن القديم وماضيه المجيد ونعتوا حضارته الأصيلة وتقدمه الرائع فى فن الزراعة والعمران والتعدين وتشييد الحصون والقصور وبناء السدود وصهاريج المياه وقنوات الرى ومهارة فنانيه فى نحت الأحجار وصنع التماثيل والرسم على المرمر والرخام والبرُنز ، وغير ذلك بأجزل النعويات وأفخم العبارات ، وأكد ذلك الباحثون من المستشرقين وعلماء اللغات العربية الجنوبية ، أمثال لورنس (Laurence) ، والمستشرق النمساوى ادوار جلازر (Aduard Glazer) وفريتز هومل (F- Hommel) ، وفيلبى (Philby) ، والعلامة رودوكاناكس(Rodokanakis) والمستشرق الافرنسى يوسف هاليفى (J. Halevy) وغيرهم من الكتاب الألمان والفرنسيين والايطاليين ، ولكن ذلك يبدو وكأنه غير مجدٍ فى نظر الباحث العربى المتطلع إلى سر هذه الحضارة ، والذى يحاول أن يفهم تاريخه فهماً صحيحاً .

ولعمري أن الآثار التى لا تزال مطمورة تحت الرمال هى التى ستكشف لنا الحقيقة وتعطينا صورةً صادقةً عن تاريخ تلك الأمم وحضارتها وسائر فنون حياتها .

وإن أقدم أمة عرفها التاريخ اليمني هي أمة (عاد) [1] ، التي نطق بذكرها القرآن الحكيم ووصفها بأنها كانت تدين بالوثنية وعبادة الأصنام فأرسل إليها هوداً فكفرت به ولم يؤمن به إلا القليل من أهلها ، وذهب بعض الباحثين إلى أن (عاداً) هي أصل الجنس السامي ، وقد عاشت بـ (الأحقاف) من أرض حضرموت ، وفي قوم عاد يقول الله تعالى مخاطباً لهم (وجعلكم خُلَفَاء من بعد قَوم نوح) ، وقد نزح فريق منهم إلى العراق وكان من نسلهم الآشُوريون والبابليون والآراميون والكنعانيون وغيرهم من الأمم السامية التي هاجرت إلى ما يسمى بميسوبوتاميا (Mesopotamia) في شمال العراق ، وإلى أرض الكنانة كما أكد ذلك البحاثة الدكتور أحمد عبيد في مقالاته التي نشرتها صحيفة روزاليوسف المصرية في ١٦ و ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٥ بعنوان : ماهو أصل الشعب المصري ؟ وقد جزم فيها بأن المصريين هم بعض تلك الأمة السامية التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية وأن الفرعونية ما كانت إلا فترةً عابرة في تاريخ مصر العربية ، وقال أن زعامة مصر للعرب مستمدة من أصلها العربي ، وأورد على ذلك عدداً من الأقوال والأدلة ، وهذا يؤكد ما نقله الهمداني في الجزء الأول من الأكليل من نزوح بعض قبائل خولان بن عامر من اليمن إلى مصر بعد خراب سد مأرب للمرة الأولى .

أما الممالك اليمنية التي جاء ذكرها في كتب التاريخ فهي خمس ممالك ، باستثناء بعض الإمارات ، كإمارة (جَبَا [2]) التي عاصرت مملكة قتبان وقامت في جنوبها

---

(١) عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أولاده (شداد) و (شديد) و (إرم) باني مدينة (إرم ذات العماد) التي جاء ذكرها في القرآن الكريم . وباسمه سميت .

(٢) هي جبل قرب الجند أو قرية بالمعافر بين جبل صبر وجبل ذخر وطريقها من وادي الضباب ، ينسب إليها شعيب الجبأى من أقران طاووس . أنظر معجم البلدان لياقوت صحيفة ٦٦ ج ٢ : وقد جاء ذكرها في النقوش القديمة باسم (جباو) بزيادة الواو . أنظر حاشية صحيفة (٧٣) .

الغربى وإمارة (سَمعى) التى عاصرت مملكة سبأ وقامت غربى صنعا ، وإمارة (بنى مراثد) التى عاصرت الدولة الحميرية فى عمران والبون ، وإمارة (أربع) أو (أربعن) فى همدان فلا تزال المعلومات عن هذه الإمارات غامضة ، وربما يكشف التنقيب العلمى فى المستقبل عن أخبارها .

وبيان هذه الممالك الخمس كما يلى :

١ — مملكة (معين) ، وقد بدأت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وانتهت عام ٨٥٠ قبل الميلاد ، بقيام مملكة (سبأ) . وكان لها عاصمتان الأولى (قرناو) والثانية (معين) .

٢ — مملكة حضرموت . وقد بدأت عام ١٠٢٠ ق . م وانتهت عام ٦٥ ب . م عند ما تغلبت عليها (سبأ) وكانت عاصمتها (شبوة) التى هى الآن تحت الاحتلال البريطانى .

٣ — مملكة سبأ ، وقد بدأت عام ٨٥٠ ق . م وانتهت عام ١١٥ ق . م بقيام مملكة سبأ وريدان الحميرية ، وكان لها عاصمتان الأولى (صرواح) والثانية (مأرب) .

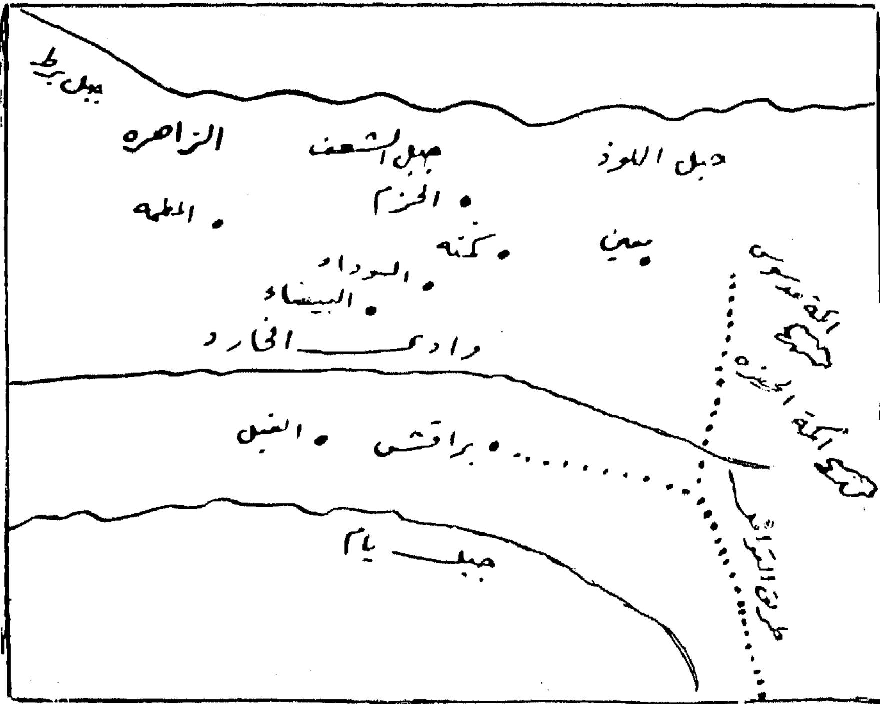
٤ — مملكة (قَتَبان) : وقد بدأت عام ٨٦٥ ق . م وانتهت عام ٥٤٠ ق . م عندما تغلبت عليها مملكة سبأ وكان عاصمتها (تمنع) .

٥ — مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنات ، وتسمى دولة (التبابعة) ، وقد بدأت عام ١١٥ ق . م وانتهت عام ٥٢٣ ب . م ، وكانت عاصمتها (ظفار) .

وسنتكلم فيما يلى عن تاريخ كل دولة وما أورده الباحثون والمستشرقون عن كل واحدة منها ، مع ذكر أهم مدنها وتعداد ملوكها ومدد حكمهم بحسب ماجاء عن العلماء المدققين الذين حازوا قصب السبق فى هذا الميدان وكان لهم القدح المعلى فى هذا الشأن .

وليس الغرض من هذا إلا ضبط تلك الأبحاث العلمية وحصرها ــ وإن كانت متناقضة بعض الشيء ، ولا سيما فى تحديد أزمان هذه الممالك وأسماء ملوكها ومدد حكمهم ــ حتى تتسع دائرة البحث والتنقيب ، ويأتى الوقت المناسب الذى يمكّن الباحث من الجزم ويساعده على الحكم فى هذا الموضوع ، بصورة حقيقية وسليمة من التناقض والمجازفة ، سيما وأن بلادنا قد ظلت ــ ويا للأسف ــ خلال العصور السالفة معزولة وأبوابها موصدة فى وجه كل من يحاول الدراسة والبحث عن هذا التراث الحضارى الرائع والكنز الثمين .

ولا شك فى أن البوادر التى تلوح الآن وبعد قيام ثورتنا المجيدة التى حطمت سدود العزلة وهدمت حواجز التخلف والجهل التى أقامها الحكام الجاهلون ، لتبشر بالكثير من الخطوات التى سوف تقوم به حكومتنا الرشيدة فى سبيل البناء والإصلاح ومنها إحياء التاريخ اليمنى وبعثه من جديد .



صورة رقم (١)
خرائب معين بالجوف

(مملكة معين)

(١٤٠٠ — ٨٥٠ ق . م)

تعتبر دولة (معين) من أقدم الممالك اليمنية وأكثرها جهالةً عند المؤرخين الإسلاميين ، لعدم ورود ذكرها فى القرآن الكريم ، أما المؤرخون اليونانيون فلم يعرف مما كتبوه عنها إلا القليل ، وقد بقى تاريخ هذه الدولة مجهولًا حتى عام ١١٧٤ هـ - (١٧٦١ م) ، حينما بدأ المستشرقون يتعاقبون على اليمن سعياً وراء البحث ودراسة الآثار اليمنية القديمة ، وفى مقدمتهم بعثة كارستن نيبور الدنماركية (C. Nebuhr) ، والدكتور سيتزن الإنكليزى (U. E, Seetzen) ، ثم الضابط الإنكليزى جيمز ويلستد (J. Welested) ، وغيرهم ، كما سيأتى الكلام عن المستشرقين فى الفصل السادس .

وقد عثر هؤلاء المستشرقون على نقوش معينية مكنتهم من معرفة بدء قيام هذه الدولة واستمرار بقائها ، وتاريخ انقراضها على جهة التخمين ، لعدم العثور على ما يكفى لأن يكون مستنداً زمنياً ، وأبانت دراستهم من النصوص التى عثروا عليها فى خرائب الجوف ، كخربة (معين) و (براقش) و (كمنا) و (نشق) و (ناعط) و (هرّان) أن مدينة (قرناو) كانت العاصمة الأولى لدولة معين وأن مدينة (معين) كانت العاصمة الثانية ، وتقعان فى المنطقة الشرقية مما يلى الجوف .

وقد أشار هاليفى (Halevy) الذى عثر على أكثر من ثمانين نقشاً معينياً إلى أن هذه المنطقة هى أغنى بقعة فى الجزيرة العربية بالآثار .

مدنها :

من أشهر مدنها (قرناو) و (معين) ، وقد قال هاليفى عن الأخيرة مالفظه : (وهى فى بقاياها رمز لمجد الدولة المعينية الغابرة) ، وتقع على مرتفع حصين طوله ٢٨٠ متراً وعرضه ٢٤٠ متراً ، ويحيط به سور عظيم به كثير من الأبراج ، وقد وجد هاليفى على هذا السور وعلى غيره من الأبنية العامة ٨٠ نقشاً [١] ، و (براقش) وقد جاءت باسم (يثل) ، وكانت مركزاً للثقافة المعينية[٢] و (كمنا) و (نشق) وتسمى الخربة السوداء ، وكذلك (السوداء) و (البيضاء) و (يغل) .

ملوكها :

ذهب المستشرق فيلبى (Philby) إلى أن عددهم ٢٢ ملكاً ، ويتكونون من خمس سلالات ، وأن الحكم فيهم كان وراثياً ، وفيما يلى ترتيب أسمائهم باعتبار ما وجده فيلبى من النصوص لا باعتبار ترتيبهم الزمنى ، وقد جاء ذكر بعضهم فى كثير من النقوش التى عثرنا عليها مؤخراً داخل اليمن وخارجها ، والتى تتضمن أسماء الكثير من القبائل والمدن والأماكن والآلهة[٣] .

---

(١) و (٢) التاريخ العربى القديم صحيفة ١٢ .

(٣) راجع الباب الأول من الفصل الثالث من كتابنا (من تراثنا : آثار معين وسبأ) .

١ ـ اليَفَعْ يَفْيِس
٢ ـ اليفع ياسِر
٣ ـ اليفع يثَع
٤ ـ اليفع ريام

سلالة اليفع

١٢ ـ يثع ال صديق
١٣ ـ يثع ال ريام

سلالة يثع ال صديق

١٤ ـ خال كرب صديق
١٥ ـ هوفعت بن اليثع ريام
١٦ ـ خال كرب

٥ ـ وقه إل يَثَعْ
٦ ـ وقه ال نبْطْ
٧ ـ ال صديق
٨ ـ ال رِيَام

سلالة وقه

١٧ ـ معدى كرب بن اليفع يثع
١٨ ـ يثع كرب بن ال ريام

سلالة كرب

٩ ـ اب يَدَعْ يثع
١٠ ـ اب يدع ريام
١١ ـ حَفن اب يدع ريام

سلالة اب يدع

١٩ ـ أبو كرب
٢٠ ـ أم يثع أبو كرب
٢١ ـ يثع كرب
٢٢ ـ ثوب ال

موجز تاريخي لدولة معين :

جاء فى النقوش الحجرية فى خرائب معين ما يعتبر ذا قيمة كبيرة فى دراسة حضارة المعينين وتفننهم فى بناء القصور والهياكل والمعابد ومصطلحات فن البناء ونظام الضرائب التى تجبى من التجارة والزراعة ، وهى أنواع منها ما يعود إلى خزانة الدولة العامة ، ومنها ما يعود إلى المعابد ، ومنها ما يعود إلى خزانة الملك الخاصة ، ومنها ما يعود إلى المشائخ والأعيان ، وكانت الضرائب تصرف فى الأموال الخيرية كأسوار المدن والملاجىء وبناء الأبراج والحصون ومنشآت الدولة وحفر الخنادق وما أشبه ذلك .

وكان لمعين صلة كبيرة باليونان ومصر بعلاقة التجارة التى بلغ فيها المعينيون شأناً عظيماً ، فقد كانت اليمن فى أيامهم قنطرة تجارية بين الشرق والغرب ، تصدر منها البخور والتوابل — وكانت بضاعة لها قيمتها — بواسطة موانيها فى البحر العربى جنوباً وفى خليج فارس غرباً وبواسطة موانى البحر الأبيض المتوسط فى الشمال وأهمها ميناء (غزة)[١] ، كما كانت همزة وصل لنقل بضائع الهند والصين القادمة من المحيط الهندى بواسطة القوافل البرية[٢] .

ويقول الدكتور جواد على فى كتابه (العرب قبل الإسلام[٣]) فى معرض كلامه عن مملكة معين مالفظه : « وتشير النصوص التى عثر عليها فى « مصر » ، و « الجيزة » وموضع « قصر النبات » فى مصر إلى الصلات التجارية التى كانت

---

(١) و (٢) History of Nations 1—83

(٣) ص ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ج ١

تربط مصر باليمن والمعينيين ، ويظهر من كتابة «الجيزة» وهى مؤرخة فى السنة الثانية والعشرين من حكم « بطليموس بن بطليموس » أن جالية معينية كانت فى مصر فى هذا الوقت ولعلها من أيام حكم « بطليموس الثانى » ، وعندما كان المعينيون يقومون بتزويد معابد مصر بالبخور » .

وللنصوص التى عثر عليها فى جزيرة « ديلوس » أهمية كبيرة بالطبع لأنها تشير أيضاً إلى الصلات التى كانت بين المعينيين واليونان . ويظهر من كتابة العلا « الديدان » «Dadan » أن هذا الموضع كان مأهولاً بالمعينيين أو من جملة الأرضين التابعة لهم » .

« وقد بلغت حدود هذه الدولة أعالى الحجاز وجنوب فلسطين ، ولعل المستقبل يكشف لنا الحجاب عن كتابات معينية فى أماكن أخرى من المنطقة التى بين فلسطين واليمن » .

وقد وجدتُ خلال زيارتى للمتحف البريطانى بلندن قطعة ضخمة من الغرانيت كانت شاهداً لقبر شخص اسمه هنتسار بن عيسى عثر عليها فى جزيرة « كريت» باليونان وقد كتب عليها بالخط المسند وطبق القاعدة المتبعة فى الكتابة المعينية ما لفظه : (نفس وقبر هنتسار بن عيسى بن هنتسار افكل عراف [1])، وأخبرنى مدير القسم الشرقى فى المتحف أن نصوصاً معينية أخرى عثر عليها فى جزيرة « كريت » ، كما أطلعنى على ختم من الأحجار الكريمة يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد وقال إنه أقدم ختم عرفه المتحف البريطانى وعليه صورة رجل على رأسه تاج ويرتدى الملابس العربية ويتمنطق حزاماً عريضاً ونقش حول الصورة اسم (نبط كرب بن دردا) ، وقد كتب الشطر الأول من الاسم على

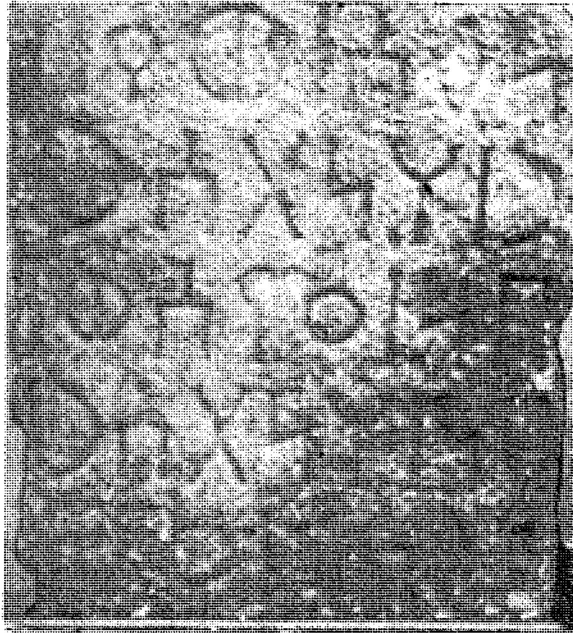
---

(١) انظر الصورة رقم (٢)

الطريقة العكسية ، وهى طريقة سبئية تعود إلى ما قبل القرن السابع قبل الميلاد ، وهذا الختم هو نفس الختم الذى نشره البرفسور البرايت (W. Albraight) سنة ١٩٥١ م فى كتابه المسمى « مختارات أبحاث المستشرقين الأمريكان » .

«Bulletin of the American Schools of oriental Research».

وقال البرفسور إن هذا الختم اكتشف بواسطة شخص يدعى « نيلسون جلوك » «Nelson Glueck» رئيس اتحاد معاهد العلوم الإسرائيلية فى القدس والذى صرح بأنه عثر على الختم فى مكان يسمى « تل الخليفة » بالعراق من آثار الكلدانيين التى كان يسيطر عليها المعينون فى ذلك الوقت .



صورة رقم (٢)

شاهد قبر كتب عليها بالمسند اسم شخص يدعى « هنتسار بن عيسى من أسرة افكل عزّاف » ، عثر عليه فى جزيرة « كريت » باليونان .

« المتحف البريطانى — لندن »

(مملكة حضرموت)

١٠٢٠ ق . م — ٦٥ ب . م

ذكر أبو محمد الهمدانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) تحت عنوان (حضرموت من اليمن وجزؤها الأصغر)[1] بأن ساكنها الأول حضرموت ابن حمير الأصغر، وبذلك نسب إليه كما قيل فى نجران وخيوان وخولان وعمران، وتعرف ببلاد كنده لنزوح قبيلة كنده إليها بعد أن أجليت من البحرين .

وحضرموت هى إحدى المقاطعات اليمنية التى لا تزال تفتخر باحتفاظها باسمها من قبل ثلاثة آلاف سنة ، وتعرف بأرض الأحقاف التى أرسل الله إليها هوداً كما قال جل شأنه (وَاذْكُرْ أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ـ الآية) .

موقعها :

تقع فى الجهة الغربية من جنوب الجزيرة وتمتد شرقاً إلى الربع الخالى .

تاريخها :

يرجع تاريخ قيام المملكة إلى عام ١٠٢٠ قبل الميلاد على رأى (فيلبى) ويوافقه على ذلك (هومل) وكان عاصمتها (شبوة) . وقد قامت بين دولة حضرموت ودولة معين عدة حروب تخللتها عدة أحلاف ، وقد أوردنا فى كتابنا (لغة يعرب فى سطور الخط المسند) بعضاً من النقوش التى تؤكد ذلك ، ثم تبع ذلك أن اندمجت فى مملكة معين بعد وفاة ملكها معدى كرب بن اليفع الذى

---

(١) كانت اليمن فى عصر الهمدانى المتوفى سنة (٣٣٤ هـ – ٩٤٥ م) . تنقسم إلى ثلاث مقاطعات أو مخاليف وهى : الجند — وهو أكبر المخاليف اليمنية ، وصنعاء أوسطها ، وحضرموت أدناها كما جاء فى كتابه (صفة جزيرة العرب) .

حكمها سنة ٩٨٠ قبل الميلاد واستمرت على ذلك لمدة ثلاثة قرون أى إلى سنة ٦٥٠ ق . م ثم استقلت فى أيام الملك ذبيان بن ملك كرب ويدع إل بيين[1] ابن سمه يفع (الذين حكما حضرموت من سنة ٥٥٠ ق . م إلى سنة ٥٩٠ ق . م) ثم عادت فاندمجت فى حكم ملوك سبأ حتى سنة ١٨٠ ق . م عند ما حاولت الانفصال من الدولة السبئية خلال حروب ملوك سبأ وريدان مع الهمدانيين ، ولكنه لم يتم لها ذلك ، بسبب قيام دولة حمير فى سنة ١١٥ ق.م ، وتغلب علهان نهفان على الريدانيين والذى تمكن من إخضاع اليمن بأسره لحكمه من ضمنه حضرموت ، وأعلن من وقته فى سنة ٢٧٥ ب . م لقب (ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) وتؤكد ذلك النصوص التى عثر عليها أخيراً فى معبد بلقيس كما سيأتى تفصيله فى بابه .

ملوكها :

ليس هناك أى مصدر صحيح يعتمد عليه فى حصر ملوك حضرموت ومدد حكمهم غير قائمة فلبى ، وقد نشرها الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) والدكتور فؤاد حسنين على فى كتابه (التاريخ العربى القديم) فى تراجمه لهومل ، وهناك قائمة أخرى للبرفسور البرايت ولكنها تختلف تماماً عن ما ذهب إليه فيلبى وهومل كما سترى ، ومع ما ذكر فإنه يصعب علينا وضع قائمة بأسماء ملوك حضرموت ومدد حكمهم على وجه التحقيق ، وقد رأينا وضع كل قائمة على حدة إلى أن يأتى المزيد من المعلومات عن تاريخ هذه الأمة بصورة تطمئن إليها النفس .

---

(١) كان ملوك حضرموت وكذا معين وسبأ يلقبون بلقب (مكرب) وهو مشتق من (مقـرّب) ، كما كانت لهم ألقاب أخرى خاصة كصفة لمرتبة المكرب أو الملك ، كما يقال فى الوقت الحاضر صاحب العظمة أو الفخامة أو السعادة الخ وهذه الألقاب هى إل : لقب خاص بالملك : وتار : العظيم ، بيين : الممتاز . ذرح : الشريف يوهنعم المحسن : ينوف : السامى .

(ملوك حضرموت)

قائمـــة فلبى

١ ـ صـــديق إل	بدأ حكمه حوالى سنة	١٠٢٠	ق . م
٢ ـ ابنـــه شهر آلن	» » »	١٠٠٠	»
٣ ـ معدى كرب من اليفع يثع	» » »	٩٨٠	»
(أُلحقت حضرموت بعد موته بمملكة معين إلى حوالى سنة		٦٥٠	»
٤ ـ السمع ذبيان بن ملكى كرب ٥ ـ يدع ال بيين بن سمة يفع	. . . . .	٦٥٠ ـ ٥٩٠	»
(دخلت بعدهما حضرموت ضمن مملكة سبأ إلى سنة		١٨٠	»)
٦ ـ يدع ال بيين بن رب شمس (وهو مؤسس أسرة ملكية جديدة فى العاصمة شبوه)		١٨٠	»
٧ ـ اليفع ريام بن يدع ال بيين	. . . .	١٦٠	»
٨ ـ يدع اب غيلان بن يدع ال بيين	. . . .	١٤٠	»
٩ ـ العز بن يدع اب غيلان وشقيق امينم « امين »	. . . .	١٢٠	»
١٠ ـ يدع اب غيلان بن امينم « امين »	. . . .	١٠٠	»
١١ ـ يدع ال بيين بن يدع اب غيلان	. . . .	٨٠	»
. . . . (فراغ)			
١٢ ـ عم ذخر بن خربان	. . . .	٣٥	ق . م

١٣ ـ العزيلط ابن عم ذخر بن العز[1]	١٥	ق . م
١٤ ـ علهان أو سلفان بن العزيلط	٥	بعد الميلاد
١٥ ـ العزيلط بن علهان أو سلفان	٢٥ ـ ٦٥	»
١٦ ـ اب يزع	٦٥	»
١٧ ـ يرعش ابن اب يزع	٨٥	»
١٨ ـ علهان بن يرعش	١٠٥ ـ ١٢٥	»

---

(١) جاء ذكره فى نص كتب باسم ذراح ال قيل قبيلة سمعى (الاهجر) قال فيه انه غزاه إلى شبوه وجاء به أسيراً إلى الملك شعراوتر ملك سبأ وريدان (٨٠ ـ ٥٠ ق . م) ، راجع محتويات النص فى كتابنا (من تراثنا : آثار معين وسبأ) وهذا التحديد ينافى ما وضعه فيلبى على جهة التخمين فى هذه القائمة ، ولا شك أن هناك أخطاء كثيرة سوف يكشفها التنقيب العلمى والدراسات المستوفاة إنشاء الله .

مــــلوك حضرموت

(قائمة البرايت)

يدع ال ، وكان معاصراً للملك كرب ال وتار ملك سبأ وقد حكم على قوله حوالى سنة ٤٥٠ ق . م

. . . . (فراغ) . . . .

صديق ال ملك حضرموت ومعين ، وقد حكم فى النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد .

شهر آلن بن صديق ال .

معدى كرب بن اليفع بتع ملك معين وحضرموت

. . . . (فراغ) . . . .

غيلن « غيلان »

يدع أب غيلان ، ويحتمل أنه هو الذى حالف علهان نهفان ملك سبأ وويدان وقد حكم حوالى سنة ٥٠ ق . م .

العزيلط الأول (وكان معاصراً للملك شعرم أوتر ملك سبأ وريدان ، وقد حكم حوالى سنة ٢٥ ق . م وربما كان هو العزيلط بن عم ذخر) .

العزيلط الثانى (وكان معاصراً للملك ثارن يعب يهنعم ملك سبأ وريدان ، وكان والده سلفان أو علهان ويجوز أن يكون هو الملك الازوز (El Eazoz) الذى ذكره مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأرتيرى) .

. . . . (فراغ) . . . .

يدع اب غيلان بن أمينم

يدع ال بيين بن يراع اب غيلان

.. .. (فراغ)

يدع ال بيين بن سمه يفع

السمع ذبيان بن ملكى كرب

.. .. (فراغ)

رب شمس

يدع ال بيين

الريام يدع

يدع اب غيلان

. . .

(مملكة سبأ)

(٨٥٠ — ١١٥ ق . م)

بعد انقراض مملكة معين قامت على أنقاضها مملكة سبأ وقد سميت باسم مؤسسها الأول عبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب[١] بن قحطان بن عابر[٢] ، وهو الذى غزا بابل وخراسان وأرمينية وبنى بعض مدن مصر وقنطرة صنجة ثم عاد إلى اليمن ومعه الكثير من الأموال وبنى السد المشهور بسد مأرب (العرم) ، وسمى سبأ لكثرة سبيه[٣] ، وهذا هو النسب الصحيح لسبأ حسبما ذهب إليه الكثير من المؤرخين الإسلاميين وغيرهم ، وأكد ذلك عثور بعض المستشرقين على هذا النسب حرفياً منقوشاً فى صحيفة من النحاس فى إحدى الخرائب اليمنية حسبما أشار الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) .

---

(١) المعروف فى التوراة بـ (بارح بن يقطان) كما جاء فى سفر الأخبار الأول الاصحاح الأول الآية ٢٢) ، وهو جد العرب وأول من تكلم اللغة العربية وحياه قومه بتحية الملك ، وقال الهمدانى إنه أكبر أولاد قحطان بن النبي هود عليه السلام ، وعددهم ١٤ وهم : لاى ، جابر ، المتلمس ، القاضى ، العاصى ، غاشم ، المتغشمر ، غاصب ، مفرز ، متبع ، القطاى ، ظالم لحارث ، نباته . الإكليل ج ١ ص ٥١ .

(٢) ابن شالخ بن ارنخشد بن سام بن نوح . الكامل لابن الأثير صحيفة ٤٥ ج ١ .

(٣) شرح قصيدة نشوان الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٥ م) ص ١١ . وقد جاء اسم (شعبن سبأ) فى كثير من النصوص ، ويراد به شعب سبأ كما جاء لفظ « سبو » و « سبوة » فى عدة نصوص أيضاً وهو ما يراد بها معنى السبي فى الحرب .

وهذا يرد مازعمه بعض القائلين أن سكان اليمن أو القحطانيين طائفة من الأحباش عبروا مضيق باب المندب إلى اليمن قديماً وأقاموا فيها أجيالاً حتى تعربوا ثم أنشأوا الدولة العربية[١] مستدلين بأسباب واهية وهى .

١ — العلاقات الاثنولوجية الظاهرة على سكان المنطقة .

٢ — أن لفظى «تبع» و «حمير» حبشيان الأول بمعنى القادر ، والثانى بمعنى (غبش) أى معتم من لون البشرة .

٣ — أن سبأ كانت فى الحبشة وأن ملكها (ناوكلين) أو (ماكيدا) هى التى عاصرت النبى سليمان عليه السلام وتزوجت به وأنتجت منه ولداً اسمه مينيليك الأول ، وكان عاصمتها (أكسوم) فى الشمال الشرقى من أثيوبيا وذلك قبل ثلاثة آلاف عام .

إلى غير ذلك من الاستدلالات التى انفرد بها المؤرخ اليهودى يوسفوس Yosfus المتوفى فى أواخر القرن الأول للميلاد ، وتبعه غيره فى القول بأن أفريقيا هى موطن الساميين الأول ، استدلالاً بالظاهرة الأثنولوجية فقط ، تاركين للأدلة الأبيقرافية واللغوية والتاريخية وما ذهب إليه علماء الأجناس واللغات بأن جزيرة العرب وبالأخص جنوبها هى مهد الساميين الأول[٢] .

---

(١) راجع ما كتبه جورجى زيدان عن اليمن فى كتابه (العرب قبل الإسلام).

(٢) الجنس السامى يشمل سكان الجزيرة العربية بما فيها فلسطين والعراق ثم اثيوبيا وتسمى منطقة الساميين الجنوبية ، والسامية نسبة إلى سام بن نوح ، وموطنها الأصلى هو الجزيرة العربية كما جاء فى دائرة المعارف العربية والامريكية ، أما القسم الثانى وهو المنطقة السامية الشمالية ، وقد هاجر أهلها من الجزيرة العربية فى القرن ٤٠٠٠ قبل الميلاد حيث انتشرت إلى حدود آشور فيما يسمى بأرض ميسوبوتاميا Misopotamia كما كان يطلق عليها اليونان وأقسامها كالتالى:

وهنالك أدلة أخرى قوية تدحض تلك المزاعم ، منها مانشره المحقق فلبى فى كتابه (العرب قبل الإسلام) الذى صدر فى الأسكندرية عام ١٩٤٠م ، فقد ذكر هذا المؤلف الإنجليزى فى كلامه عن الساميين فى ص ٩ ما ترجمته :

« وإنى أعتبر بلاد العرب الجنوبية هى الموطن الأصلى لهذا الجزء من البشر المعروف الآن بالجنس السامى ، وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم « اللغة السامية [١] » . ويقول بروكلمن فى الجزء الأول من كتابه (تأريخ الأدب العربى) فى كلامه عن معين وسبأ وحمير بأن هـذه الأمم تـكوّن

= ا ـــ السامية الشمالية الشرقية . وهى البابلية ، ويرجع تاريخ ماقد عثر عليه من نقوشها إلى القرن ٣٠٠٠ ق . م ، وهى أقدم أمة سامية ، وقد تمركزت فى بابل ، وخضع لها السومريون والآشوريون فى فترات متقطعة من الزمن ، واستمرت إلى عام ٥٣٨ ق . م حيث دخلت تحت نفوذ ملوك فارس .

ب ـــ السامية الشمالية الغربية : وهى الآرامية ، ويرجع تاريخها إلى ماقبل القرن ١٤ . ق م ، وقد تمركزت فى دمشق حتى سنة ٧٣٢ ق م عند ما تغلبت عليها دولة آشور ، ولغتها تنقسم إلى قسمين . الآرامية الشمالية وهى لغة دانيال وعزرا عند الإسرائيليين ، والترقمية الآرامية وتعرف بلغة التلمود ولا تزال محكية فى بعض الأماكن بالقرب من دمشق وفى بعض أنحاء فارس وبالأخص فى مدينة أرميا وبعض قرى كردستان .

حـ ـــ السامية الشمالية المتوسطة : وتعرف بالمنطقة الكنعانية ، وهى أقسام ، منها كنعان آمون ، وكنعان مواب . وكنعان فونيسيا ، والأخيرة أقدمهن إذ يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وقد تمركزت فى (فلسطين) وعاشت إلى القرن الأول للميلاد أى إلى أن غزاها (تيتوس) الرومانى وهدم هيكل أورشليم فيها . انتهى مترجماً من صحيفة ٥٥٣ ج ٢٤ دائرة المعارف الأميريكية .

(١) صحيفة ٤١ ج ١ .

الأصل السامى الذى استوطن جنوب الجزيرة وأنشأ عمراناً مادياً رفيعاً[١] » .

ومنها ما نقله الدكتور فؤاد حسنين على فى كتابه (التاريخ العربى القديم) عن المستشرق ديتلف نيلسون مالفظه :

« ليس الساميون الذين خلفوا لنا فى بلاد الحبشة آثاراً وآداباً هم الذين مازالوا حتى اليوم يقيمون فى بلادهم العنصر الأصلى الذى يتكون منه السكان الأصليون فيها ، بل هم فيما يُعتقد أولئك الذين هاجروا إليها من بلاد العرب وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية ، وما تزال إلى اليوم قريبة من العربية ، بالرغم من وجود بعض العناصر الحامية فيها . أما اللغة ، أما الخط ، أما الثقافة فسبئية منذ البداية ، وذلك لأن المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر فى قرون بعيدة قبل الميلاد ، وأسسوا هنالك مستعمرات ووضعوا الأساس لدولة الحبشة التى أخضعت فيما بعد القرن السادس الميلادى بلاد العرب الجنوبية لسلطانها[٢] » .

وإلى هذا ذهب الكثير من المؤرخين والمستشرقين حتى المؤرخين لأثيوبيا نفسها فقد أكدوا انتقال الكثير من القبائل اليمنية قبل الميلاد إلى أرض الحبشة ونقلوا إليها فن الرىّ والنحت والكتابة [٣] .

وكان من أقدم المهاجرين إلى الحبشة قبيلة الأجاعِز التى هاجرت فى القرن الخامس قبل الميلاد ولا تزال لغتهم المعروفة بالجُعْزية معروفة إلى الآن وهى لغة

---

(١) فيليب حتى ج ٣ ص ٨٤ وهو رأى الدكتور فيليب فى الموضوع .

(٢) ص ٣١ .

(٣) Al-Islam in Ithiopia, p 75

سامية ، وقلمها هو المسند المعروف مع تحريف فى بعض الحروف ، ويوجد الكثير من الكلمات الحميرية فى لغة السكان حالياً بالرغم من طغيان اللغة التيقرية والأمهرية والقراجية والهررية عليها ، وفى بلاد الحبشة يوجد أسماء بعض الأماكن التى تطابق أسماءها الأصلية فى اليمن كاسم (المقه) الإله القمر الذى يرجع تاريخه فى اليمن إلى ماقبل ثلاثة آلاف وأربعمائة عام وسد مأرب وغير ذلك ، وهذا يؤكد ما أشار إليه بعض المؤرخين القدامى من أن الحبشة كانت منطقة تابعة لدولة الجنوب العربى التى امتد نفوذها إلى العراق شمالا وإلى الحبشة غرباً وكانت تسمى الأولى (آشور[1]) والثانية (كوش) حسبما ذكر مستر هنرى أركبالد Henry Archibald فى كتابه تاريخ الأمم «History of Nations»

أما ما ذكره يوسفوس بأن سبأ هى عاصمة الأحباش وانتساب بعضهم إلى بلقيس ملكة سبأ فلعله من قبيل ما ذهب إليه (موسل) فى نظرياته التى سماها (أسطورة الأنساب) التى تؤكد انتساب الكثير من القبائل المجاورة لليمن طمعاً فى شرف النسب لما كان للقبائل اليمنية من مقام عظيم وشرفٍ بين القبائل ، إلى آخر ما ذكره الدكتور جواد على فى كتابه الانف الذكر .

---

(١) إحدى الأمم القديمة التى يرجع تاريخها إلى ماقبل القرن العشرين قبل الميلاد ، وتعرف عند المعينيين باسم (اشر) كما جاء فى نص من مجموعة هاليفى تحت رقم ٤٢٥ الموجود بمتحف اللوفر بباريس . وكان يطلق عليها اليونان مع بابل اسم ميسوبوتاميا (Mesopotamia) ويحدها من الشمال تركيا ومن الجنوب والغرب بابل ومن الشرق كردستان .

ومن أشهر مدنها (آشور) وهى عاصمة آشور الأولى وتعرف الآن باسم (قلعة الشارقة) أو (شرقت) بين سوريا والعراق ، و (نينوا) عاصمة آشور الثانية ويرجع تاريخ بنائها إلى قبل (آشور) ، و (كاله) وتعرف بأرض النمرود ، و (اربلا) ، و (حران) عاصمة آشور الأخيرة بعد سقوط (نينوا) فى أيدى البابليين فى أواخر القرن العاشر قبل الميلاد . =

وقد جاء ذكر سبأ فى غير موضع من القرآن الكريم ، ومنها قصة النبى سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ ، وأجمع أكثر المفسرين بأنها فى اليمن كما أجمع الكثير من علماء التاريخ والباحثين والجغرافيين ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

ويشير رئيس بعثة التنقيب الأميركية ويندل فيلبس فى كتابه كنوز مدينة بلقيس) تحت عنوان (ملكة سبأ) إلى عثوره على نصوص يرجع تاريخها إلى ما بين القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد فى مكان يسمى (وادى الفأره) ويبعد عن مدينة مارب ٤٠ ميلاً شرقاً ، وقال إنها من صنع إنسان قد يكون حياً بالقرب من المكان الذى كانت تعيش فيه بلقيس ملكة سبأ المعاصرة للنبى سليمان الذى عاش ما بين سنة ٩٦١ وسنة ٩٢٢ قبل الميلاد . ويضيف ويندل فيلبس إلى ذلك قوله « ومما لا شك فيه أن زيارتها كانت ذات قيمة إذ أنها — كما روى سفر الملوك — أهدت للملك سليمان مائة وعشرين وزْنة من الذهب والأحجار الكريمة واللآلى التى لم تشاهد مثلها من قبل مع مقدار من التوابل التى لم يسبق أن شهدت مثله القدس » . وقال إن هذه النقوش هى أقدم نقوش عثر عليها فى تاريخ جنوب الجزيرة وأن البرفسور البرايت — وهو أحد أعضاء بعثته — يعتقد أنها لابد وأن ترجع بنا إلى ذلك العهد الذى انفصلت فيه

= وتنقسم آشور إلى ثلاثة أقسام كالآتى :

١ — آشور القديمة (١٩٥٠ — ١٦٩٦ ق . م) وكانت عاصمتها (آشور) وقد انتهت بسقوطها فى يد حمورابى ملك بابل عند ما غزاها عام ١٦٩٦ ق . م ، وبقيت تحت نفوذه حتى سقطت مرة أخرى فى أيدى البربر الذى جاؤا من الشمال وبقيت تحت نفوذهم حتى ١٥٠٠ ق . م .

٢ — آشور المتوسطة (١٥٠٠ — ٩١١ ق . م) وكانت عاصمتها (نينوا) .

٣ — آشور الأخيرة (٩١١ — ٦٠٦ ق . م) وكانت عاصمتها (حران) .

انتهى ملخصاً من دائرة المعارف الأمريكية Ency. Americana 2/429

الأبجدية العربية عن أمها الكنعانية ، وأنها ترجع بنا مسافة خمسة أو ستة قرون إلى الوراء بالنسبة لتاريخ ما وجده من النقوش فى (تمنع) عاصمة قتبان ، إلى آخر ما ذكره فى الفصل المذكور .

وهذا يعنى أن دولة سبأ قد أدركت القرن العاشر وربما أدركت ماقبله(1) ، وهو ما ذهب إليه هومل وفيلبى فى تحديدهما لأزمان مكربى سبأ وملوكهم ، ولا غرو فإن القرآن الكريم أقوى دليل لنا ، أما ما نقل عن البرفسور الرايت فى موضع آخر من الكتاب ، من أن حكم مكربى سبأ يعود إلى ما بين ٧٥٠ وعام ٤٥٠ ق . م فلا يلتفت إليه لما فيه من التناقض فى تخميناته كما علمت ، ومن هنا يظهر أن فيلبى وهومل قد تحريا أكثر فى الموضوع .

وفيما يلى بيان أسماء مكربى سبأ وملوكهم ومدد حكمهم على التوالى ، وهم على طبقتين :

١ ــ مكربى سبأ وعددهم (١٣) مكرباً من سنة ٨٥٠ق . م إلى سنة ٦٢٠ق . م

٢ ــ ملوك سبأ وعددهم ٢٦ ملكاً من سنة ٦٢٠ ق . م إلى سنة ١١٥ق . م

---

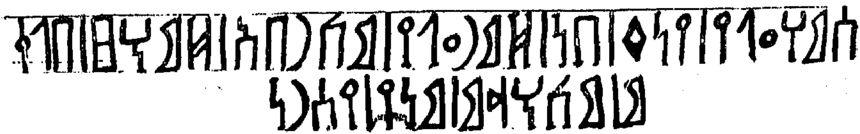
(١) جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أن (سبأ) ترجع إلى مابعد ٢٥٠٠ قبل الميلاد وقد ورد اسمها فى نص سومرى ل (اردنانر) ملك لكش والذى عاصر آخر ملوك آدر فى النصف الثانى من الألف سنة الثالثة قبل الميلاد ، وأيد ذلك هومل (Hommel) فقال إن (سبأ) التى جاء ذكرها فى (العربية السعيدة) (عاصرت ملوك) آدر (وجاءت باسم) سباو (انظر صحيفة ١٦٨ ج ١١) .

قلت وسباو لغة سبئية فى اتباع الألف واواً فى الغالب مثل (صنعاو) فى صنعا ، و (قرناو) فى قرناء ، و (جَـبَاو) فى جباء كما ورد ذلك فى النقوش .

(قائمة مكربى سبأ)

(٨٥٠ — ٦٢٠ ق . م)

	مدة الحكم
١ ــ سمهعلى ينوف بن ذمار على	٨٥٠ ــ ٨٢٠ ق . م
٢ ــ يدع إلى ذرح بن سمهعلى ينوف[١]	٨٢٠ ــ ٨٠٠ «
٣ ــ سمهعلى ينوف بن يدع إلى ذرح[٢]	٨٠٠ ــ ٧٨٠ «
٤ ــ يدع ال بيين بن يثعمر	٧٨٠ ــ ٧٥٠ «
٥ ــ يثعمر وتار بن يدع آل ذرح	٧٥٠ ــ ٧٣٠ «
٦ ــ ذمار على ذرح بن يدع آل بيين	٧٣٠ ــ ٧٢٠ «
٧ ــ كرب آل بيين بن يثعمر[٣]	٧٢٠ ــ ٧٠٠ «
٨ ــ يثعمر وتار بن سمهعلى ينوف	



صورة رقم (٣)

(سمهعلى ينف بن ذمر على مكرب سبأ ذمخض بلقم مكخدم منخى يسرن)

سمهعلى ينوف مكرب سبأ ــ بنى سد يسرين من البلق فى خدمة الرى .

« متحف مأرب »

---

(١) كتب اسمه على نص له من البرنز ، ويتضمن من النص قيام هذا الملك ببناء جدار معبد المقه فى مارب . كما كتب اسمه أيضاً على القائمة العليا التى ختم بها بناء معبد معربم ٤٥ كيلو جنوب مأرب ، ويوجد له نقش بإحدى دعائم معبد صرواح .

(٢) بنى جانباً فى معبد مدينة مأرب حسب النقش الموجود فى المعبد ، وهو الذى بنى سور مدينة مأرب حسب النقش رقم (٧) فى كتابنا (من تراثنا : آثار معين وسبأ) .

(٣) وسع مدينة نشق وأدخل عليها تحسينات كثيرة ، وقد وجد اسمه على الصدف الأيمن لسد مأرب .

	مدة الحكم
٩ — ذمار علي وتار بن كرب آل بيين	٧٠ — ٦٨٠ ق . م
١٠ — سمهعلى ينوف بن ذمارعلي وتار [١]	٦٨٠ — ٦٦٠ «
١١ — كرب ال وتار بن ذمارعلي وتار	٦٦٠ — ٦٢٠ «
١٢ — يثعمر بيين بن سمهعلى ينوف [٢]	٦٤٠ — ٦٢٠ «
١٣ — كرب ال وتاروهو آخرالمكربين	٦٢٠ — ٦١٠ «

(١) وسع معبد الآله (عثتر) وبنى سد (رحب) ليوصل المياه إلى منطقة أذنه ، وقد استولى على حضرموت حسبما جاء فى النصوص وقد اشترك فى بناء سد مارب انظر الصورة رقم (٣) .

(٢) أدخل عدة تحسينات على سد مأرب وبنى سد حبابض ، وشاد قلعة حريب كا بنى بابين لمدينة مأرب وحصنها ببروج بناها بالبلق . وبنى معبد (مرشوم) و (انسور) ومعبداً فى ريدان (ظفار) ، وبنى سد مقران وأوصل مياهه إلى أبين وكذا بنى سد يثعان وأوصل مياهه إلى أبين اه (تاريخ العرب قبل الإسلام) : ج ١ ص ١٣٨ نقلا من كتاب «Back Ground of Islam» مع ترجمة للتعليق الآتى «إن هذه الأعمال الهندسية التى قامت بها المكرب يثعمر ومن قبله للاستفادة من مياه الأمطار هى من أهم المشروعات العالمية التى قام بها العالم فى ذلك الحين . إنها ثورة فى عالم الهندسة والفكر مكنت الإنسان من الاستفادة من الطبيعة ، وقد ظل هذا المشروع قروناً عده مصدر خير ورفاه . ولسنا نجد فى التاريخ القديم سوى ممالك قليلة فكرت فى هذه المشروعات وفى التحكم فى الطبيعة للاستفادة منها فى خدمة الإنسان . لقد حول هذا السد منطقة (أذنه) إلى جنات ترى آثارها حتى اليوم . إنها مثل حى يرينا قدرة الإنسان على الإبداع متى شاء واستعمل عقله وسخريده . وليست هذه القصص والحكايات التى رواها لنا الإخباريون باطلا ، إنها صدى ذلك العمل العربى الكبير . إن جنات (أذنه) وجنات (وادى الخارد) وغيرها تعد مفخرة من مفاخر العالم القديم » .

وأول من استبدل بلقب (مكرب) لقب (ملك) [1] .

---

(١) قال الدكتور جواد علي « وقد رأى استبدال هذا اللقب لما رأى من توسع ملك سبأ وانتشار نفوذها في كل المنطقة وهو الذي بنى معبد الآله (ذات بعدان) ، وقد أضاف هذا الملك تجديداً واسعاً في المملكة السبئية وقام بإصلاحات عديدة في البلاد ، وعثر جلازر على مرسوم له وجهه إلى شعبه لقب فيه نفسه بـ (ملك سبأ) بدلا من (مكرب سبأ) وقد بدأ فيه بشكر الآله (المقه) اله سبأ وشكر القبائل المحالفة لها بأن صيره ملكا ، عليهم وأشار فيه بأنه قدم ثلاثة قرابين للآله عثتر إظهاراً للشكر وتقرباً إلى الآلهة لتساعده وتؤلف بين قلوب أبناء (المقه) فتجعلهم بنعمتها إخوانا ، وحمد آلهته أيضاً لأنها باركت في المناطق الزراعية ووهبتها مطراً سال في الأودية ومكنته من الاستفادة منه بانشاء السدود وحصر السيول والتحكم فيها ، فأحييت بهـا الأرض الموات ومكـنته من حفر القنوات في منطقة (أيمن) حتى أصبح بالإمكان أسقاء الأرضين المرتفعة وإحياء الأماكن التي حرمت من الماء . كذلك إحياء أرضين واسعة بإنشاء سد لحصر مياه الأمطار تتصل بقناة لسقي (مأدون) وأوصل المياه بقناة (موتر) إلى (هوديم) ، وأنشأ المجاري التي أوصلت المياه إلى (ميدعم) و (وتر) و (وقه) وتطرق في مرسومه إلى حروبه وانتصاراته ، فأشار إلى المدن التي افتتحها وإلى عدد من المدن التي أمر باحراقها ونهبها ، وذكر أنه غلب (سعدم) و (نقبتم) وأحرق جميع مدن (معفرن) أي المعافر وأوقع فيهم ثلاثة آلاف قتيل وثمانية آلاف أسير وضاعف الجزية التي كانوا يدفعونها ، وذكر أنه أغار على (ذبحان) و (شرجب) وهما بلدان بالحجرية معروفان إلى الآن ، واستولى على جبل (عسمت) وعلى وادي (صير) (وهما معروفان أيضاً إلى الآن بمخلاف المواسط بالحجريه) وجعلهما وقفاً (للمقه) ولشعب سبأ وهزم مملكة (أوسان) في عدة معارك وقع فيها ستة عشر ألف قتيل وأربعين ألف أسير ، إلى آخر هذا النص الملكي المهم المعروف بنص صرواح وهو وثيقة على جانب عظيم من الأهمية فهو من النصوص السبئية النادرة » .

(قائمـــــة ملوك سبأ)

(٦٢٠ — ١١٥ ق . م)

	مدة الحكم
١ — كرب ال وتار [1]	٦٢٠ — ٦٠٠ ق م
٢ — سمهعلي ذرح	٦٠٠ — ٥٨٠ «
٣ — كرب ال وتار بن سمهعلي ذرح	٥٨٠ — ٥٧٠ «
٤ — الشرح بن سمهعلي ذرح	٥٧٠ — ٥٦٠ «
٥ — يدع ال بيين بن كرب ال وتار [2] . . .	٥٦٠ — ٥٤٠ «
٦ — يكرب ملك وتار بن يدع ال بيين [3] . .	٥٤٠ — ٥٢٠ «

---

(١) هو صاحب النقش المسمى عند المستشرقين بنقش النصر ويوجد فى ساحة معبد صرواح ويعتبر من أهم النقوش الأثرية ومع الأسف قد أتلف منه أجزاء كبيرة من الكتابة حتى أصبح غامضاً صعب القراءة ، وقد كتب فى صخرة من الغرانيق يبلغ وزنها خمسة أطنان تقريباً ويحتوى على ذكر الكثير من الوقائع والغزوات التى قام بها هذا الملك كما يحتوى على كثير من أسماء البلدان والمدن .

(٢) يوجد له نص فى نفس المعبد (صرواح) وهو المعروف عند المستشرقين بنص المستشرق هاليفى وهو عبارة عن تأييده لقانون أصدره والده لشعب سبأ فيما يتعلق باستغلال الأراضى واستثمارها مقابل ضريبة تدفع للدولة وقيام أفراد القبيلتين بالخدمات العسكرية . وقد جاء فى آخر هذا النص أسماء عديدة لشخصيات معينة بعد لفظ (سمعم ذت علم) أى هذا الاعلام ، لبيان أن هؤلاء هم شهود القانون ، وقد سمعوه ووافقوا عليه وشهدوا بصحته . أنظر ص ١٤١ ج ١ نفس المصدر .

(٣) عثر المؤلف على مرسوم أصدره إثر توليه الملك بعد أبيه ويتضمن قانون الضرائب وأسماء بعض القبائل والزعماء . أنظر صورة رقم (٥) ، وقد ترجم حرفياً فى كتاب (من تراثنا : آثار معين وسبأ) . ويوجد الأصل داخل معبد صرواح .

مدة الحكم

٧ — يثعمر بيين بن يكرب ملك وتار . . . . ٥٢٠ — ٥٠٠ «

٨ — كرب ال وتار بن يثعمر بيين (١) . . ٥٠٠ — ٤٨٠ «

٩ — سمهعلى ينوف . . . . ٤٨٠ — ٤٦٠ «

١٠ — الشرح بن سمهعلى ينوف . . . . ٤٦٠ — ٤٤٥ «

١١ — ذمار على بيين بن سمهعلى ينوف . . . . ٤٤٥ — ٤٣٠ «

١٢ — يدع ال وتار بن ذمار على بيين . . . . ٤٣٠ — ٤١٠ «

١٣ — ذمار على بيين بن يدع ال وتار . . . . ٤١٠ — ٣٩٠ «

١٤ — كرب ال وتار بن ذمار على بيين . . . ٣٩٠ — ٣٥٠ «

١٥ — كرب يهنعم . . . . ٣٥٠ — ٣٣٠ «



صورة رقم (٤) « وهب ال يحز » « متحف مارب »

---

(١) عثر جلازر على مرسوم منه أصدره إلى كبار الموظفين والمشايخ والمخولين فى جمع الضرائب التى تجمع من أفراد قبائلهم والتابعين لهم .

	مدة الحكم
١٦ — كرب ال وتار	٣٣٠ — ٣١٠ »
١٧ — وهب إل (تمثاله من المرمر بمتحف صنعا)[1]	٣١٠ — ٢٩٠ »
١٨ — انمار يهنعم بن وهب إل	٢٩٠ — ٢٧٠ »
١٩ — ذمار على ذراح بن انمار يهنعم	٢٧٠ — ٢٥٠ »
٢٠ — نشأ كرب يهنعم بن ذمار على ذرح	٢٥٠ — ٢٠٠ »
٢١ — ياسر يهنعم	٢٠٠ — ١٨٠ »
٢٢ — وهب ال يحز	١٨٠ — ١٦٠ »
٢٣ — كرب ال وتار يهنعم بن وهب ال يحز[2]	١٦٠ — ١٤٥ »
٢٤ — يرم ايمن وابنه علهان نهفان من الأسرة الهمدانية الحميرية ومؤسسا الدولة فيها بعد تغلبهما على كرب ال وتار وأخذ الملك من يده[3]	١٤٥ — ١١٥ ق م
٢٥ — فرعم ينهب	١٣٠ — ١٢٥ »
٢٦ — الشرح يحضب بن فرعم ينهب	١٢٥ — ١١٥ »

---

(١) انظر الصورة رقم (٤) .

(٢) جاء اسمه فى نص من البرنز أنظر صورة رقم (٧) .

(٣) تمكنا من الصمود ضد الثورة الهمدانية والانحياز فى جانب من البلاد حتى سنة ١١٥ ق . م عند ما تم لعلهان نهفان من اخضاع جميع البلاد لحكمه وهذا الشرح يحضب هو غير الشرح يحضب الحميرى الآتى ذكره .



صورة رقم (٥)

فحوى النص : (يكرب ملك (سبأ) أصدر هذا المرسوم بمناسبة تربعه على عرش (سبأ) بعد أبيه يدع ال بيين ، وقد وجهه ال شعب (سبأ) و (يهبلح) ، مبيناً لهم خطته الجديدة فى الحكم وتعيين القوانين المتعلقة بالضرائب والخدمات العسكرية ، وقد اشهد على هذا المرسوم بعض الشخصيات البارزة وأعيان البلاد).

« معبد صرواح »

(ملكة قتبان وأوسان)

٨٦٥ — ٥٤٠ ق . م

عند ما يتصفح القارىء تاريخ جنوب الجزيرة العربية يجد أن المؤرخين ـ سواء منهم العرب أو الكلاسيكيون ـ قد أغفلوا تاريخ دولة عظيمة قامت فى جنوب الجزيرة وعاشت عدة قرون وكان لها من الحضارة والمنعة ماجعلها تضاهى دولتى معين وسبأ ، ولم نجد فى كتب التاريخ القديم من التعريف بها سوى أنها كانت فى الجوف وأن القتبانيين كانوا يسكنون جنوب سبأ وجنوبها الغربى وهذا ـ كما يرى ـ لا يفيد فى تفهم تاريخ هذه الأمة بالمعنى الكامل .

وقد بقى تاريخ دولتى قتبان وأوسان غامضاً أو بمعنى أصح مجهولا حتى جاء المستشرق هاليفى الفرنسى (Halivy) ثم من بعده جلازر (Glazer) وقد عنى هذان المستشرقان بتفحص آثارها عناية تامة ، كما كتب عنها المستشرق فلبى (Phelby) وهومل (Hommel) ومارتن هارتمن (Marten Hartmen) وغيرهم[1] ، وبذلوا جهوداً كبرى فى ترجمة وتدوين ماعثروا عليه فى خرائب قتبان من النصوص والنقوش ، وذهب الأغلب منهم أن هذه المملكة عاشت فيما بين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد واتفقوا على أنها كانت ذات قوة وسلطان ، الأمر الذى جعل دولة سبأ تهابها وتعقد معها عدة أحلاف سياسية ، ولكنهم اختلفوا فى التعريف بأسماء ملوكها ، وعددهم ، وألقابهم ، ومدد حكمهم ، وقد حصرهم هامل (Hommel) فى سبع طبقات ويتكونون من ٢١ سلطاناً

---

(١) راجع كلامنا عن المستشرقين وعلماء اللغات العربية الجنوبية فى آخر هذا الفصل .

وارجع مبدأ حكمهم إلى سنة ١٠٠٠ ق . م[١] . بينما أرجع فلبى (Phelby) ذلك إلى سنة ٨٦٥ قبل انتهائه فى سنة ٥٤٥ ق . م[٢] .

وكان البرفسور البرايت (Albrghit)[٣] وهو أحد أعضاء بعثة التنقيب عن حياة الإنسان الأمريكية التى كانت تنقب عن الآثار فى (تمنع) المعروفة الآن بكحلان فى بيحان عام ١٩٥٠ ـ قد نشر تقارير هامة حول نتائج التنقيب كما نشر رئيس البعثة ويندل فيليبس (W. Philips) قبل ذلك فى كتابه (كنوز مدينـــة بلقيس) ، وكان ما ذهبا إليه يخالف تماماً ما ذهب إليه المستشرقون السابقون ، فقد قررا أن مبدأ حكم ملوك قتبان يرجع إلى القرن السادس للميلاد[٤] بينما حصرا ملوكهم فى ثلاث طبقات وأشارا إلى أن نهاية دولة قتبان كان فى سنة ٥٠ ق . م وهو تاريخ خراب مدينة (تمنع) عاصمة مملكة قتبان وإحراقها على أيدى السبئيين بعد أن عاشت ٤٥٠ عاماً ، أى أنها بنيت فى القرن الرابع . ق . م ، استناداً إلى ما وجداه من المكتشفات ومن جملتها التمثالان اللذان عثرا عليهما فى البوابة الجنوبية بين مدينة (تمنع) وإلى ماعثرا عليه من المعلومات فى موضع (حجر بن حميد) فى بيحان . ومما ذكر يظهر التباين الكامل بين وجهات نظر الباحثين . ويشير ويندل فيليبس فى كتابه الآنف الذكر إلى الأسباب التى دفعت المستشرقين إلى إرجاع تاريخ بناء مدينة (تمنع) إلى ما قبل القرن السادس للميلاد ، وهى أنهم أخذوا من انطماس آثار المدينة

---

(١) ، (٢) راجع تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ١١ .

(٣) يعد فى طليعة علماء الآثار فى الوقت الحاضر ورئيس القسم الشرقى لجامعة جون هوبكنز فى أمريكا : وقد كتب أكثر من ٨٠٠ كتاب عن الإنجيل والشرق الأوسط . فيليبس ص ١٨ .

(٤) ص ١١ و ٢٦٩ المصدر نفسه .

إنطماساً كاملاً دليلاً على تقادم عهدها ، بينما علق على أسباب انطماسها بسرعة ، هو أن المدينة لم تحظ من قوة البناء واتقانه وإقامة الحاميات حوله بمثل ماحظيت به مدينة مأرب لتتمكن من الصمود فى وجه العواصف الرملية الهائلة . ولهذا فإنها سرعان ماتداعت وانهارت ثم كستها أمواج الرمل[1] . ومن أهم المدن القتبانية شوم ، دهس ، مهأرم ، وغيرها .

---

(١) كان التنقيب الذى أجرى فى تمنع سنة ١٩٥٠ من أهم الأحداث الأثرية فى تاريخ جنوب الجزيرة العربية . فقد عثر فيها على آثار تدل على الرقى والحضارة كما قال ويندل فليبس فى كتابه المشار إليه ، من ذلك تمثالان مصنوعان من البرنز يرجع تصميمهما إلى العصر الهيلينى على ظهر كل منهما كيوبيد — معبود اليونان القديم — وقد صنعا على أيدى نحاتين قتبانيين باسم الملك شهريجل يهرجب — راجع قائمة ملوك قتبان بعد هذا — ، واستدل الخبراء من هذا أن الملك عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد بدليل أن التماثيل الهيلينية لم تصنع قبل هذا التاريخ وهذا القول ينافى ما ذهب إليه فيلبى من أن الملك المذكور عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد , واكتشف فى المدينة أيضاً على معبد (تمنع) ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن الرابع قبل الميلاد . ويرى البرفسور البرايت أن النقود التى عثر عليها — تشير إلى أنها سكت فى مدينه (حريب) — (٢١٢ ك م شرقى صنعاء وأنها متأثرة بالنقود الهيلينية ، وهى بذلك لا يمكن أن يتجاوز عمرها منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، وأشار أيضاً إلى أن هذا التأثر يدل على الاتصال الوثيق الذى كان بين اليونان وبين جنوب الجزيرة العربية .

وإننى أعتقد أن التسرع فى الحكم بأن جنوب الجزيرة تأثرت بالهيلينين يعتبر تجنياً على التاريخ ولا أرى جواباً على ذلك إلا ماقاله الدكتور جواد على فى كلامه عن العلاقات القديمة بين اليونان وجنوب الجزيرة العربية جزء ٢ صحيفة ٤٤ ما لفظه : « وإنى أرى ضرورة التريث فى الاحكام , لان مجرد التشابه فى الصناعات مثلا لا يكفى للحكم بأن القتبانيين أو غيرهم من شعوب العرب قد أخذوا مثلهم الذى احتذوه من اليونان ، أو الرومان وإذا جاز هذا القول جاز عكسه أيضاً فمن الخير الانتظار حتى يتسع مجال الحفريات العلمية ، وقديماً أشار (اغاثرشيدس AGhatharchides ١٤٥ ق . م) وسترابون (Strbon) ٢٤ ق م إلى مهارة العرب الجنوبيين وحذقهم فى صناعة المعادن » ا هـ .

أما (أوسان) فالذى قرره الباحثون أنها كانت ضمن مملكة قتبان ، وكان لشعب أوسان أهمية كبرى فى انتاج وتصدير البخور — شأن قتبان وحضرموت — وذهب القليل من الباحثين إلى أن أوسان كانت دولة ذات كيان استدلالاً بما عثر عليه من التماثيل الرخامية لبعض ملوك أوسان وأخذوا من هذا دليلاً على أن الشعب الأوسانى قد انفصل فى يوم ما عن حكم ملوك قتبان ، ويرى جلازر أن أوسان ثارت على قتبان وانفصلت عنها فتكونت مملكة أوسان حتى جاءت دولة ملوك سبأ فأدخلوا كلا الدولتين — قتبان وأوسان تحت حكمهم [1]

أما ملوك اوسان الذين عثر على تماثيلهم فهم أربعة وقد نشرت صور التماثيل فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام [2] وهم كما يلى .

١ — يصدق إل ملك أوسان بن معد إل ملك أوسان .

٢ — زيدم سيلان ملك أوسان بن معد ال ملك أوسان .

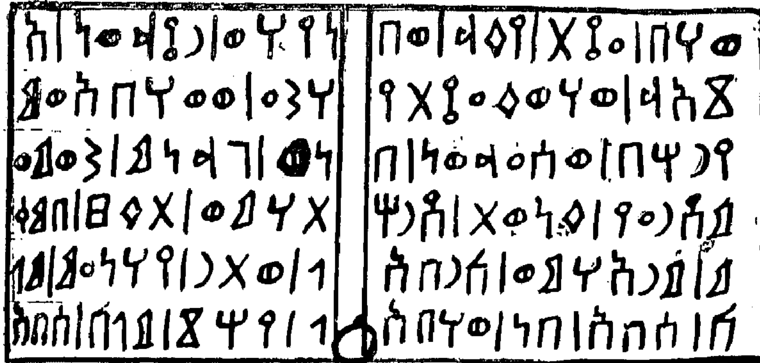
٣ — معد إل سلحان ملك أوسان بن يصدق ال ملك أوسان .

٤ — يصدق بن فرعم شرح عثت ملك أوسان بن معد ال ملك أوسان .

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ (ص ٩٣ — ٩٤) .

(٢) ص ٩٥ — ٩٧ .



صورة رقم (٦)

قطعة من البرنز توجد فى الباب الشمالى للجامع الكبير بصنعاء كتب عليها :
(وهب عثت يفد وبنيهو رثدون ازاد وهو فعثت يهشع ووهب اوم يرحب وسعدون بنو جدنم شومو مصرعى فنوت صرحتهمو تفض بعقم مراهمو كرب ال وتر يهنعم ملك سبأ بن وهب ال يحز ملك سبأ) ، وتفيد ترجمة النص أن الأشخاص المذكورين قد قاموا ببناء فى قصر الملك كرب ال وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب ال يحز ملك سبأ . راجع قائمة ملوك سبأ .

(قائمة ملوك قتبان)

(قائمة هومل[1])

الملك	الطبقة
اب شم	الطبقة الأولى
شهر غيلان	
بن عم	
يدع اب	الطبقة الثانية
شهر يجل	
شهر هلل	
شهر . . .	
يدع اب ذبيان	الطبقة الثالثة
شهر هلل	
نبط عم	
هوف يهنعم	
شهر يجل يهرجب	الطبقة الرابعة
وَرْوَال غيلان يهنعم	
فرع كرب يهوضع	
سمه وتار	الطبقة الخامسة
وروال	
ذمار على	الطبقة السادسة
يدع اب يجل	
يدع اب ينوف يهنعم	الطبقة السابعة
شهر هلل بن ذرا كرب	
وروال بن غيلان يهنعم	

(قائمة ويندل فليبس[2])

الطبقة الأولى ٦٠٠ ق . م

« الثانية ٣٥٠ ــ ٢٥٠ ق . م

الطبقة الثالثة ١٠٠ ــ ٢٥ ق . م

قال ان أول ملوك قتبان هوف يهنعم ، ثم ابنه شهر يجل بهرحب ، ثم ابنه وروال غيلان يهنعم ، ثم فرع كرب يهنعم ، ثم فرع كرب يهوضع وكان أخرهم شهر هلل يهقبض .

---

(١) نشرها الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) جزء ٢ صحيفة ٥٩ ، والدكتور فؤاد حسنين على فى كتابه التاريخ العربى القديم صحيفة ٢٧٩ .

(٢) كنوز مدينة بلقيس لويندل فيلبس صحيفة (٢٦٩ — ٢٧٠) .

(قائمة فلبي[1])

	(بدء الحكم)
١ ـ سمهعلى	٨٦٥ ق . م
٢ ـ ابنه هوف عم يهنعم	« ٨٤٥
٣ ـ ابنه شهر يجل يهرجب	« ٨٢٥
٤ ـ ابنه وروال	« ٨٠٠
٥ ـ أخوه فرع كرب يهوضع	« ٧٨٥
٦ ـ { شهر هلل بن ذرا كرب بن	« ٧٧٠
شهر يجل (شقيق وروال)	
٧ ـ { يدع اب ذبيان يهرجب بن .	« ٧٥٠
شهر هلل بن ذرا كرب .	
٨ ـ (؟) ابن شهر هلل	« ٧٣٥
٩ ـ شهر هلل يهنعم بن يدع اب ذبيان	« ٧٢٠
١٠ ـ ابنه نبط عم	« ٧٠٠
١١ ـ يدع اب ينوف يهنعم بن ذمار على	« ٦٨٠
١٢ ـ (ملك مجهول الاسم)	« ٦٦٠
١٣ ـ (« « «)	« ٦٤٠
١٤ ـ وروال بن سمه وتار	« ٦٢٠
١٥ ـ اب شبم .	« ٥٩٠
٢٦ ـ ابنه اب عم	« ٥٧٠
١٧ ـ شهر غيلان	« ٥٤٠

ومن هنا انتهى حكم قتبان واندبحث البلاد تحت حكم سبأ وأصبح شعب قتبان جزءاً من سبأ . اهـ

---

(١) التاريخ العربي القديم صحيفة ٢٨٠ نقلا عن (سناد الإسلام) لفلبي ، وتاريخ العرب قبل الإسلام جزء ٢ صحيفة ٦٠ .

(قائمة البروفسور البرايت[1])

سمهعلى وتار (مكرب) .

ابنه هوف عم يهنعم حكم سنة ٦٠٠ ق . م وهو أول الطبقة الأولى على رأى ويندل فليبس .

شهر . .

. . . . . (فراغ)

يدع اب ذبيان يهنعم بن شهر (مكرب)

. . . . (فراغ)

سمه وتار (غلبه يثعمر وتار مكرب سبأ)

وروال (مكرب) ، وكان تابعاً لمكرب إل وتار أول ملوك سبأ حكم سنة ٤٥٠ ق . م .

. . . . (فراغ)

شهر (مكرب)

يدع أب ذبيان بن شهر (آخر مكربى قتبان وأول ملوكهم حكم سنة ٤١٠ ق . م) .

شهر هلل بن يدع اب

نبط عم بن شهر هلل

ذمار على

يدع اب يجل

. . . . (فراغ)

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جزء ٢ ص ٦١ — ٦٣ ، والتاريخ العربى القديم صحيفة ٢٨٠ .

اب شبم (وهو أول الطبقة الثانية) على رأى ويندل فليبس حكم سنة ٣٥٠ ق . م .

شهر غيلان بن اب شبم

بعم بن شهر غيلان

شهريجل بن يدع اب حكم سنة ٣٠٠ ق . م .

شهر هلل يهنعم شقيق شهريجل

يدع اب ذبيان

. . . . (فراغ)

فرع كرب

يدع اب غيلان بن فرع كرب حكم سنة ١٧٥ ق . م .

. . . . (فراغ)

هوف عم يهنعم (وهو أول الطبقة الثالثة على رأس فليبس)

شهريجل يهرجب بن هوف عم يهنعم

مور وال يهنعم بن شهريجل

فرع كرب يهوضع بن شهريجل

. . . . (فراغ)

يدع اب ينوف

. . . . (فراغ)

ذر أكرب

شهر هلل يهقبض بن ذر أكرب

(خراب (تمنع) ونهاية استقلال مملكة (قتبان) سنة ٥٠ ق م . ودخول (قتبان) فى حكم ملوك سبأ .

(مملكة سبأ وريْدان الحميرية)
(١١٥ ق . م — ٥٣٥ ب . م)

هى آخر الممالك اليمنية التى حكمت جنوب الجزيرة العربية وأوضحها تاريخاً بالنسبة لما قبلها ، وتعتبر فرعاً من مملكة سبأ ، وقد بدأت من ريدان (ظفار) حيث تمركز الريدانيون وأخذوا يجمعون قواهم لمحاربة ملوك سبأ ، وجرت بين الجانبين حروب عدة ، كانت الغلبة فيها للريدانيين ، الذين أضافوا لقب (ريدان) إلى لقب (ملوك سبأ) وأصبح ملكهم يدعى « ملك سبأ وريدان » ، على أنه ما كاد ملك الريدانيين يستتب حتى قامت همدان بثورتها المشهورة ضد الريدانيين بزعامة (يَرِمْ أيمن) الهمدانى الحميرى وولده أمير همدان (علهان نهفان) ودامت الحرب بينهم برهة من الزمن ، كانت النتيجة انتصار « علهان نهفان » على الريدانيين فى سنة ١١٥ ق . م وصار يدعى (ملك سبأ وريدان) ومؤسس الدولة الحميرية فى اليمن .

ملوكها :

يشتمل ملوك سبأ وريدان على طبقتين : الأولى وهى التى حكمت اليمن من ١١٥ ق . م إلى ٢٧٥ ب . م .

وعدد ملوكها ١٨ ؛ وكان يدعى الملك منهم بـ(ملك سبأ وريدان) وكانت عاصمتهم (ظَفَار) .

الطبقة الثانية : وهى التى حكمت اليمن من سنة ٢٧٥ م إلى ٥٣٣ م ، وعدد ملوكها ١٤ وكانوا يسمون التبابعة كما كان يلقب الملك منهم بـ(ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) وكان لها عاصمتان (ظَفَار) ثم (صنعا) وفيما يلى قائمة أسماء ملوك كل من الطبقتين ومدد حكمهم :

(قائمة ملوك سبأ وريدان)

(١١٥ ق . م — ٢٧٥ ب . م)

الملك	مدة الحكم
١ — علهان نهفان بن يرم أيمن ابن أوسلت رفشان بن همدان	١١٥ — ٨٠ ق . م
٢ — شعرا وتر بن علهان نهفان [1]	٨٠ — ٥٠ »
٣ — يرم أيمن « «	
٤ — فرع ينهب	٥٠ — ٣٥ »
٥ — الشرح يحضب بن فرع ينهب [2]	٣٥ — ١٥ »
٦ — أخوه يازل بيين « «	
٧ — نشأ كرب يهأمن يهرجب بن الشرح يحضب	١٥ — ٥ »
٨ — وتاريهأ من بن الشرح يحضب	٥ — ١٥ ب . م
٩ — ياسر يهصدق بن وتاريهأ من	
١٠ — ذمارعلى يهبر بن ياسر يهصدق [3]	١٥ — ٣٥ »
١١ — ابنه يارن	
١٢ — كرب ال وتار يهنعم بن ذمار على يهبر	٣٥ — ٧٠ »

---

(١) بنى سور صنعاء الأكليل ٨ / ١٩ وتغلب على ملوك حضرموت بعد معارك دامية ، دارها بنفسه ، ووصل إلى شبوه كما يرى جلازر .

(٢) بنى قصر غمدان الاكليل ٨ / ١٩ ، وله عدة نصوص عثر عليها فى معبد بلقيس بمأرب .

(٣) كتب إسمه مع ابنه (يارن) على تمثال من البرنز محفوظ فى متحف صنعا كما فى الصورة رقم (٧) و (٨) ، وقد قام بعدة اصلاحات فى سد مأرب حسبما جاء فى النصوص .

صورة رقم (٧)

تمثال من البرنز للملك ذمار على يهبر ملك سبأ وريدان

« متحف صنعاء »

صورة رقم (٨)

الكتابة التي نقشت بصدر التمثال رقم (٧) وترجمتها كما يلي (ذمر على يهبر وابنه يرن ملكى سبأ وريدان شتا مخرى ما دبتهمى بهل اخر وشرومدم بنى ذرنح لمزود بيتهموا صنوا) ويظهر أن التمثال قد أقيم فى مقر يسمى (صنو) وقد بناه الملك ذمار على وابنه يارن ملكى سبأ وريدان كدار للندوة تابع لقبيلة ذورناح بالحدأ .

« متحف صنعاء »

	مدة الحكم	
١٣ — هلك أثر بن كرب ال	٩٥ — ١٢٠	«
١٤ — ذمار على ذراح بن كرب إل	١٢٠ — ١٤٥	«
١٥ — وهب إل يحز	٢٤٥ — ٢٥٠	«
١٦ — ياسر يهنعم [1]		
١٧ — ابنه ذرا أمر [2]	٢٥٠ — ٢٧٠	«
١٨ — ابنه عمدان يهقبض [3]		



صورة رقم(٩) رأس لتمثال من البرنز وجد مع التمثال رقم (٧) فى نخل يدعى (النخلة الحمراء بالحداء)
« متحف صنعاء »

---

(١) المشهور عند المؤرخين العرب بناشر النعم ، وكان ملكاً فاتحاً عزى بنفسه الشام والعراق والمغرب ا ه شرح نشوان الحميرى ٨٩ ، واسمه الحقيق كما ذكرناه فى القائمة كما وجدناه فى كثير من النصوص التى بمعبد بلقيس وقد أرخ أحدها بما لفظه (ذو محتجن دخرفن خمشت وثمنى وثلث مأتم) ، أى شهر ذو الحجة سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالتاريخ الحميرى ، وتساوى سنة ٢٧٠ ميلادى .

(٢) وجد اسمه فى نص عثرت عليه . بهيكل المقه بمأرب .

(٣) وجد اسمه فى نقدسك فى ريدان (ظفار) ، وفى نص عثر عليه جلازر وآخر عثر عليه نزيه مؤيد العظم .

(قائمة التبـابعة (*))

(ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات)

(٢٧٥ — ٥٣٣ م)

مدة الحكم

١ — شمريهرعش بن ياسر يهنعم (١) ٢٧٥ — ٣٠٠ ب . م

(*) عرف ملوك حمير فى كتب التاريخ العربية بالتبابعة وأحدهم (تُبَّعْ) وورد فى القرآن الكريم خبر تبع فى قوله تعالى (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين) سورة الدخان رقم ٤٤ الآية ٣٧ ، وذهب المفسرون إلى أن تبعاً كان رجلا من حمير سار بالجيش حتى وصل الحيره ثم أتى سمرقند فدمرها ثم أعاد بناءها وأنه شمرير عش ، وأن أفريقش بن ذى المنار أحد التبابعة وهو الذى فتح إفريقيا وسميت باسمه ، وذكروا أن سعد الكامل بن ملك كرب كان نبياً وأنه أول من كسى البيت الحرام وقيل أن التبابعة ملوك اليمن وكان كل منهم بمنزلة الخليفة للمسلمين ، وكسرى للفرس ، وقيصر للروم ، ولا يسمى تبعاً إلا من كانت له حمير وحضرموت وقيل سبأ أيضاً وإذا لم تدن له هاتان فلا يسمى تبعاً اهـ ملخصاً من كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) جزء ٣ صحيفة ١٣٩ مقتبساً من تاريخ الطبرى .

(١) ذكر نشوان الحميرى فى قصيدته أنه غزى بابل وفارس وسجستان وخراسان وبلاد الترك وسمرقند (وسميت باسمه) وافتتح المدن والحصون وسبى الأعاجم اهـ ص ٩٤ شرح قصيدة نشوان الحميرى .

وهو أول من حمل لقب ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات كما يظهر من النصوص ؛ ويقول دعبل الخزاعى فى قصيدة يفتخر بها على الكميت ويذكر التبابعة ثم يصف فيها دخول شمريرعش إلى الصين واقتحامه للبلدان :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا قديماً سمرقنداً وهم غرسوا هناك التبتينا

من صحيفة ٢٤٧ ج ٣ . ياقوت

	مدة الحكم
٢ — ذو القرنين تبع الأقرن[1]	٣٠٠ — ٣٢٠ ب . م
٣ — ابنه عمرو (تبع الأكبر)	٣٢٠ — ٣٣٠ »
٤ — بلقيس بنت الهدهاد[2]	٣٣٠ — ٣٤٥ »

---

(١) يرى بعض المفسرين أنه ذو القرنين المذكور فى سورة الكهف الذى بلغ مطلع الشمس وسمى ذو القرنين لشيب كان فى قرنيه ، وقد حكى عنه شارح قصيدة نشوان الكثير من الأخبار والمغازى التى اكتسح فيها عدداً من البلدان حتى وصل إلى التبت والصين ، وكذلك ابنه تبع الأكبر الذى أقام فى التبت حامية من الجيش العربى لا تزال سلالاتهم معروفة حتى اليوم كما يذكر بعض المعاصرين .

(٢) فى أيامها غز الأحباش اليمن بزعامة (العلى اسكندى) بمساعدة قيصر الروم رغبة فى نشر النصرانية وقد بقى الأحباش حتى سنة ٣٧٢م حينما أجلاهم ملك كرب يهأمن وكان ملك الحبشة (الأعميد) ثم ابنه (العيز) قد أضافا ، إلى لقبهما أكسوم وحبشت (سبأ وريدان وحمير) ، وكان موحداً كما جاء فى النصوص ، وهذه الملكة بلقيس بنت الهدهاد هى غير ملكة سبأ صاحبة القصة المعروفة فى سورة النمل مع النبى سليمان عليه السلام ، والتى جاء ذكرها فى الإصحاح العاشر الآية (٢) من التوراة ، أما ماذكره بعض المؤرخين الإسلاميين من أن هذه بلقيس الحميرية هى صاحبة القصة فإنه يحتاج إلى تأمل سيما وأن هذا العصر متأخر — كما ترى — عن عصر النبى سليمان الذى يرجع تاريخه إلى ما بين سنة ٩٦١ — ٩٢٢ قبل الميلاد فالفرق حوالى ألف ومائتا عام تقريباً ، ومع هذا فإن ملكة أخرى لسبأ قد عاصرت سليمان وتربعت على عرش مأرب الذى لا تزال آثاره جنوب مدينة مأرب الحالية مسافة ثلاثة كيلوا متر فقط ، وهو المعروف عند المؤرخين بقصر (سلحان) ويسميه السكان باسم (عرش بلقيس) ، وسيأتى الكلام فى وصفه فى الفصل القادم إنشاء الله .

	مدة الحكم
٥ — أخوها الهدهاد	٣٤٥ — ٣٧٤ ب . م
٦ — ملك كرب يهأ من	٣٧٤ — ٣٨٥ «
٧ — أبو كرب أسعد الكامل بن ملك كرب (١)	٣٨٥ — ٤١٥ «
٨ — حسان بن أسعد الكامل	٤١٥ — ٤٢٥ «
٩ — شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل	٤٢٥ — ٤٥٥ «
١٠ — شرحبيل يكف	٤٥٥ — ٤٧٠ «
١١ — معدى كرب يهنعم	٤٧٠ — ٤٩٥ «
١٢ — مرثد آلن ينوف	٤٩٥ — ٥١٥ «
١٣ — ذو نواس (٢)	٥١٥ — ٥٢٤ «
١٤ — ذو يزن (٣)	٥٢٥ — ٥٣٣ «

---

(١) هو أحد التبابعة الكبار وأطولهم مدة الحكم . وقد جاء ذكر إسمه في نقوش عثر عليها في غيمان (أحد قصور حمير الشهيرة وهي منطقة غنية بالآثار) وفي المنطقة واد يسمى وادي أسعد وكذا غيل أسعد ، ويوجد بين خرائب أحجار ضخمة من البلق لا توجد مقاطعها إلا في مسافات شاسعة تزيد على العشرين كيلو متراً . ويذكر بعض المؤرخين أن أسعد غزا الشام والعراق وأدخلها تحت حكمه وروى بعضهم أنه اعتنق دين اليهودية .

(٢) اعتنق دين اليهودية وساعد على نشرها في اليمن وهو صاحب قصة الأخدود المشهورة في القرآن راجع مقالنا (اليهودية والنصرانية في اليمن) في الفصل القادم .

(٣) حرر اليمن من الأحباش في قصة طويلة سيأتي تفصيلها في الفصل القادم .

المدن والقصور الحميرية :

من أهم مدنها (ظَفَار) وهى العاصمة و (ذَمَار) و (صَنْعاء) وغيرها ، ومن القصور الحميرية المشهورة قصر غَمْدَان وغَيْمَان وكوكبَانْ ، وسيأتى الكلام عن المهم منها وعن الأحداث التى قامت فى اليمن خلال الحكم الحميرى ، مع وصف شامل للحياة العامة لليمن قبل الإسلام فى الفصل القادم إن شاء الله .



صورة رقم (١٠)

صورة زعيم سبئى يرتدى الملابس العربية اسمه : (ذمران عام) وقد نقشت فى قطعة من المرمر

« متحف صنعاء »

الفصل الخامس

(الحياة العامة لليمن قبل الإسلام)

يُعتبر العلامة أبو محمد الحسن بن الهمدانى[1] فى طليعة المؤرخين والجغرافيين ،

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن سليمان بن عمرو ابن منقذ المعروف بابن الحائك الهمدانى ويعرف أيضاً ب (ابن ذى الدمينة) . ولد فى صنعاء ونشأ بها ، وتاريخ ولادته مجهول ، وما لبث أن خرج يجوب البلاد ويتجول فى أنحائها ، متتبعاً معالمها وشعابها ، ومتفقداً محافدها وآثارها فكان ذلك خير عدة له لوضع مؤلفاته القيمة فى هيئة الجزيرة وماضيها ، ثم نزل (مكة) مجاوراً البيت الحرام فأقام بها مدة ، لقى خلالها العلماء والمحدثين والاخباريين وسمع عنهم ، ثم عاد بعد مدة وسكن (صعدة) ، وحدث أن هاجى شعراءها ، فانقلبوا عليه واتهموه بهجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فزج به فى غياهب السجن بصعدة أولا ثم فى صنعاء حيث توفى فى سجنها عام ٣٣٤ هـ - (٩٤٥ م) . وله عدة مؤلفات ، وتختلف عن تآليف ابن شرية ووهب بن منبه اختلافاً بيناً ، فتآليف هؤلاء معظمها خرافات وقصص ، وتآليفه - وإن كانت لا تخلو من بعض الخرافات - فإن معظمها كتب عن معرفة وتدقيق . ومن كتبه الإكليل والقسم الأوفر منه يصف لنا آثار البلاد وبقايا أبنيتها وقصورها وسدودها التى شاهدها هو بأم عينه فجاء وصفها بعيداً عن التكهن والاختراع ، وما لبث أن مرت القرون وظهر علماء الآثار فجاءت اكتشافاتهم مصدقة لما ذكر ، ولم ينشر من الإكليل حتى الآن غير الجزء الثامن والعاشر وتوجد نسخ منهما فى متحف برلين والمتحف البريطانى بلندن ومتحف باريس واستانبول وبرنستن ، وقد تعرض لدراستها بعض المستشرقين كالمستشرق النمساوى د . ه . مللر الذى اقتطف منه نبذاً نشرها مع ترجمة ألمانية وأرفقها بدرس عام عن عرب اليمن السعيدة ، =

الذين نقلوا إلينا الكثير عن حياة اليمن قبل الإسلام ، وما وصلت إليه قديماً من حضارة ورقى فى ميدان الزراعة ، والصناعة ، والعمران ، وكان الكثير من آثار السبئيين والحميريين ، ما يزال فى أيامه قائماً ، وكان له إلمام كامل بمعرفة الخط المسند وفهم لغته ، وفى كتابه (صفة جزيرة العرب) و (والجزء الأول والثانى والثامن والعاشر من الإكليل) — وهى منتهى ما عثر عليه من أجزاء الكتاب حتى الآن — يحدثنا عن الكثير مما شاهده من آثار سبأ وحمير من الحصون ، والقصور ، والمحافد ، والمعابد ، والسدود ، وصهاريج المياه ، وقنوات الرى ، والأبراج ، وتماثيل الرخام ، والبرنز ، وجلاميد الصخر الهائلة ، المنحوتة نحتاً فنياً مدهشاً ، إلى غير ذلك من زخرفة الحيطان وسقوف الأبنية والمعابد ، بالذهب والفضة والبرنز ، وغيرها من المعادن التى اصطنعوها وأتقنوا فن استخراجها من بطون الأرض ، مما يدعو إلى الإعجاب والدهشة .

وعلى ضوء ما كتبه الهمدانى وغيره من المؤرخين العرب ، الذين ترجمت كتبهم إلى اللغات الأوربية ، اهتم الكثير من علماء اللغات القديمة لجنوب الجزيرة العربية ، موجهين اهتمامهم لدراسة الخط المسند ولغاته ، ولفت ذلك

= والأب انستانس الكرملى وغيرهما . ويوجد الجزء الأول والثانى منه فى متحف الأمير ببرلين كما يوجد نسخة من الجزء الأول فى دار الكتب المصرية أما بقية الأجزاء فلم يعثر عليها — مع الأسف — حتى اليوم ، و (صفة جزيرة العرب) ، وهو حسن الضبط جيد الإتقان ، مبنى على اختبارات واسعة ، وأسفار شخصية لا يتخللها غش ولا هذيان ، وكتاب (الجوهرتين) أما باقى مؤلفاته فلم يصلنا منها سوى أسمائها ، ومنها (ديوان الهمدانى) ،(والقصيدة الدامغة فى اللغة) ، و (الحيوان المفترس) ، (زيج الهمدانى) ، و (سر الحكمة) وغيرها . انتهى مختصراً ومع بعض تصرف من مقدمة الجزء الثامن من الإكليل .

نظر بعض المؤسسات العلمية فى فرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا ، وبريطانيا ، والنمسا ، فأرسلت الوفود تلو الوفود ، والبعثات تلو البعثات لدراسة الآثار ، باذلةً أقصى جهدها فى الحصول على المعلومات الكافية ، عن هذه الحضارة ، كما عملت على اقتناء آثارها من النقود الذهبية والتماثيل والنقوش ، التى ازدانت بها متاحف برلين ، وهمبرغ ، وباريس ، وڤينا ، ولندن .

وكانت تركيا أكثر هذه البلدان اهتماماً بتاريخ اليمن القديم ، ويوجد فى متحف (استانبول) عدد غير قليل من تماثيل الرخام والبرنز والأحجار الكريمة ، وقد تمكن علماء اللغات العربية الجنوبية بهذه النقوش التى خرجت من البلاد مع الأسف — وهى تزيد على خمسة آلاف نقش كما ذكر الدكتور فؤاد حسنين على — من القيام بدراستها ونشرها ، كما تخصص كل عالم بدراسة إحدى نواحى الحياة العامة فى جنوب الجزيرة ؛ وفيما يلى سوف نلخص ماأورده كل منهم فى ناحيته التى تخصص فى دراستها .

التشريع والنظام الاجتماعى :

كان الحكم فى اليمن أيام الدولة المعينية والقتبانية حتى إلى آخر عصر المكربين السبئيين عام (٦٢٠ ق . م) يقوم على النظام الثيوقراطى أى (الكهنوتى) — كما وصفه العلامة نيكولوس رودوكناكس — وكان لقب (مكرب) يطلق على (أمير الكهنوت) الذى يدين للإله المقه (الإله القمر) — وهى إحدى الديانات الرئيسية التى كانت تسيطر على جنوب الجزيرة كما سيأتى تفصيله بعد هذا — وقد عرفت هذه الديانة فى اليمن منذ عام ١٠٠٠ ق . م . أى منذ عرف تاريخ السبئيين ، وعاشت ما يقرب من ألف وستمائة وخمسة وعشرين عاماً ، أى إلى أن ظهرت فى اليمن الديانة اليهودية وذلك فى أوائل

القرن السادس للميلاد ، والتى ما لبثت أن اكتسحتها الديانة النصرانية خلال الثلث الأول من القرن نفسه على أيدى الأحباش ثم على أيدى الفرس ، وانتهت أخيراً بظهور الإسلام سنة (٦٢١ م) ، وكما أسلفنا فى الكلام عن مملكة (معين) أنه كان لها نظام اجتماعى ودولى ، كذلك الحال فى كل من مملكة سبأ وقتبان وحضرموت ، ولكنه بدأ نظام التشريع يتغير فى عصر ملوك سبأ الذى بدأ فى سنة ٦٢٠ ق . م ، فقد أصبح رئيس الدولة يدعى ملكاً ، وأصبحت سيادته تشمل كامل المنطقة على جهة السيادة الدنيوية الخاصة بالأسرة السبئية وعلى جهة الوراثة ، بينما ظلت الديانة القمرية قائمة بل هى إحدى خصائص الملك التى يتمتع بها[١] ـ راجع مقالنا عن الديانات الجنوبية بعد هذا ـ .

ويرى العلامة نيكولوس أن مركز المعينيين وكذا السبئيين والقتبانيين كان له شأنه فى الأوساط الدولية ، مكنها من منافسة الأنباط والرومان ، فقد انتشر نفوذ دولة معين إلى (الدادان) بالقرب من (غزة) و (يثرب) كما جاء فى النصوص التى عثر عليها جلازر ، وقال « أن البلاد عرفت النظام الدستورى والمجالس النيابية التى تمثل الشعب ، ومجلس قبلى إلى جانب العرش ، كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئة التشريعية المتعددة التى كانت إدارة البلاد بيدها » .

« وضماناً لتنفيذ التشريعات كان يقوم إلى جانب العرش مجلس للدولة ، ومجلس للقبائل ، وأعضاؤهما يكونون الحكومة ، ثم تكلم عن الحياة النيابية ونظام الحكومة للاقتصاد القومى وللمعبد وصلة الدين بالدولة إلى آخره . »[٢] .

---

(١) التاريخ العربى القديم ص ٢٥٠ .

(٢) المصدر نفسه .

وقد ضرب المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحميريون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك وأسماء المدن التى ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية ، كصورة البومة أو الصقر أو رأس الثور رمزاً للزراعة والفلاحة أو صورة الهلال ، وهو شعار دينى عندهم يرمز إلى القمر ، وبجانب تلك الرموز كتابة بالقلم المسند كالخراطيش . ومن هذه النقود مجموعة حسنة فى المتحف الأدبى فى فينا[١] .

الحضارة والزراعة والعمران :

هنالك الكثير من المعلومات والمراجع ، التى تثبت لنا تقدم اليمن قديماً فى المجال الحضارى والزراعى والعمرانى ، ذلك التقدم الذى يتجلى لنا فى عظمة سد مأرب وعرش بلقيس ، وفى هذه الآثار التى نجدها فى كل مكان من اليمن وهى لا تقل أهمية عن آثار تدمر[٢] ،

---

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٥٧ نقلا من Mullar Sudar p. 67—77.

(٢) تدمر عاصمة حكام (أذنية) فى أرض الشام ، ويعود تاريخ اشتهارها إلى القرن الأول للميلاد ، حيث كانت تحت النفوذ الامبراطورى الرومانى ، وأقدم كتابة عثر عليها المستشرقون فى تدمر لا يتجاوز تاريخها سنة ٣٠٥ من التاريخ السلوقى أى سنة ٩ ق . م . وكانت مدينة تدمر نقطة اتصال تجارى بين العراق والإيران والهند والخليج الفارسى والعربية والشرقية ، ومن أشهر حكامها (أذنيه) من بنى السميدع ، والزباء بنت عمرو بن الضرب التى غزت مصر سنة ٢٧١ م ، وحاربت الرومان وانتصرت عليهم فى عدة معارك مشهورة ، الأمر الذى دفع الامبراطور الرومانى أوليانوس سنة ٢٧٣ م إلى غزوها بنفسه ، ومحاصرتها فى تدمر وانتهى الأمر بفرارها تحت أستار الظلام متجهة نحو العراق ، ولكن فرسان أوليانوس تمكنت من اتباعها وأسرها ثم حملها إلى الامبراطور =

وبعلبك[١] واثينا .

وقد روى لنا الهمدانى فى كتابه الجزء الثامن من (الاكليل) و (صفة جزيرة العرب) الكثير مما شاهده من بقايا مدن وقصور السبئيين والحميريين وسدودهم التى أقاموها لتسهيل الرى وهى تزيد على مائة سد[٢] ، كما أورد الكثير من أقوال الشعراء والأدباء اليمنيين فى وصف تلك المدن والحصون والقصور بما يضيق المجال لنشره فى هذا الكتاب .

وتحت عنوان (تمدن اليمن القديم) يقول الدكتور جرجى زيدان مالفظه « أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم ، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهيا كل

= الذى كان قد تمكن من فتح تدمر ، ثم حل الزباء معه إلى روما حيث أقامت فى مدينة (تيبور) بايطاليا . وقد بقيت (تدمر) زماناً كعاصمة للغساسنة الذين كانوا يدينون بالولاء للرومان حتى سنة ١٣ ﻫ (٦٣٤ م) عند ما فتحها المسلمون.

(١) كانت تسمى (مدينة الشمس) وفيها الكثير من الهياكل الهيليفية والمعابد الرومانية التى عمرت لتعبد فيها الشمس .

(٢) منها (مأرب) وهو أكبرها وأعظمها و (الخانق) بصعدة و (ريعان) فى ذمار و (حبرة) فى أضرعة من بلد عنس وآثاره باقية حتى اليوم ، واسداد يحصب وهى ثمانون سداً وأشهرها (قصعان) بجنب قرية ذى صارف ، و(قتاب) و (شحران) فى دخلة عويدان و (عراش) و (طمحان) و (عاد) و (سحر) و (ذى سهل) و (ذى رعين) و (مفاضة) عند قرية ذى ربيع و (نظار) فى الشعر و (هران) و (الشعبانى) و (المليكى) و (النواسى) و (المهيد) بالقرب من قرية منكث و (نصاف) و سد (بيت كلاب) فى همدان . انتهى من الجزء الثامن من الاكليل صحيفة ١١٥ — ١١٧ مصححاً بقلم علامة اليمن السيد الحجة محمد بن يحيى الذارى حفظه الله .

وأثاث ورياش ، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة ، واغترسوا الحدائق والبساتين . قال أغاثر سيدس « وللسبئيين فى منازلهم مايفوق التصديق من الآنية والأوعية على اختـلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الأسرة والموائد من الفضة والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها . قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجواهر ، ويبذلون فى تزيين قصورهم أموالاً طائلة لـكثرة ما يدخلونه فى زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة . ويؤيد ذلك ماجاء فى شعر العرب من وصف القصور الفخمة كقول تبع يصف عرش بلقيس :

عرشهـا رافعٌ ثمانون باعاً   كللتـه بجوهرٍ وفريد
وبدُرٍّ قد قيدته وياقو   تٍ وبالتبر أيَّمَا تَقْيِيْدِ

ومن قوله يصف مارب :

ومأرب قد نطقت بالرخا   م وفى سقفها الذهب الأحمر

وذكر الهمدانى فى وصف قصر كوكبان أنه كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة وداخله ممرد بالعرعر والفسيفسا والجزع وصنوف الجوهر[(١)]. ويجدر بنا فى هذا المـكان وضع بيان مفصل عن بقايا هذه الآثار الخالدة كآثار مدينه مأرب وبقايا سدها العظيم وبقايا عرش بلقيس بصرواح وعرشها بمأرب وإيضاح المهم من النصوص والآثار التى يوجد بعضها بين انقاض السد وبعضها فى فناء العرش وما يوجد من الألواح الرخامية والتماثيل فى متحف صنعاء ومأرب

---

(١) العرب قبل الإسلام للدكتور جرجى زيدان صحيفة(١٨١) .

مدينة مأرب :

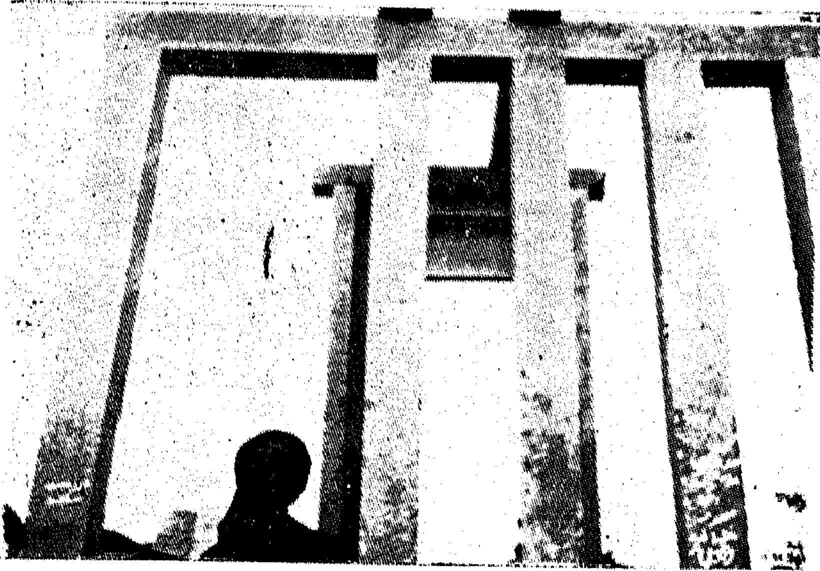
تقع مدينة مأرب فى المنطقة الشرقية من اليمن ، وتبعد عن صنعاء شرقاً ١٩٢ ك . م ، وقد بنيت فى العصر القديم عن فكرة مدروسة لتكون نقطة ارتكاز تجارية ومحطة استراحة لرحلات طويلة لقوافل التصدير اليمنية التى كانت تنقل المنتجات الزراعية والصناعية كالبخور واللبان والدارصينى والمر والقرنفل والباسم وسائر العطريات ، وكذا الصمغ واللاذن والقرفة ، وغير ذلك من أنواع البخور ، ثم الأحجار الكريمة كالعقيق اليمانى المشهور والياقوت واليقران بألوانه والبلور والجزع ، والمعادن كالذهب والفضة والنحاس ومناجمها لاتزال حتى اليوم فى كثير من المناطق اليمنية وكذا الحديد والفولاذ الذى كانت تصنع منه قوائم السيوف المشهورة بـ (السيوف اليمانية) ، والشزب وتصنع منه الرماح والسكاكين والمعدات الحربية إلى غير ذلك من المعادن والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والدر الذى كان يستخرج من شواطىء اليمن الغربية والجنوبية وشواطىء الخليج الفارسى ، ومنسوجات البرود اليمانية الحريرية وسائر المنتجات اليمنية المشهورة فى الأسواق التجارية ؛ كانت تصدرها اليمن إلى بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط بواسطة ميناء غزة وإلى الهند وبلدان شرقى أسيا بواسطة موانيها فى الجنوب كعدن والشحر والمكلا وكذا موانيها فى الخليج الفارسى .

لقد كانت مدينة (مأرب) — كما قال ويندل فيلبس — أكبر وأغنى المدن القديمة فى جنوب شبه الجزيرة العربية مركزاً لحضارة وثقافة قديمتين ، يرجع تاريخهما إلى ماقبل ثلاثة آلاف عام مضت وقال فى وصفه لمدينة مأرب أنها كانت توازى عشرة أضعاف مدينة (تمنع) — عاصمة مملكة قتبان — وبهذا يمكن القول أن مدينة مأرب أقدم من مدينة (تمنع) .

ولم يأت لنا من هو البانى لمدينة مأرب ولا فى أى عصر بالضبط ، والذى

يظهر أن بناءها يرجع إلى بدء انتقال الملك إلى أيدى مكربى سبأ فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد جاء فى بعض النصوص أن يثعمر بن سمهعلى ينوف — وهو الثانى عشر من مكربى سبأ (٦٤٠ — ٦٢٠ ق . م) بنى بابين لمدينة مأرب وحصنها ببروج بناها من البلق كما أسلفنا ـ راجع قائمة مكربى سبأ ـ وهذا دليل على أن المدينة بنيت قبل هذا التاريخ . وقدعثرت أثناء زيارتى لمأرب مؤخراً على نقش بين أنقاض سور مدينة (مأرب) يشير إلى أن (سمهعلى ينوف بن يدع ال ذرح هو الذى بنى سور المدينة . راجع التعليق رقم (١) صحيفة (٧٦) من هذا الكتاب وربما تكشف لنا الأيام وعمليات الحفر المستقبلة المزيد من المعلومات عن هذه المدينة وغيرها .

إن مدينة مأرب اليوم أصبحت مجرد مدينة صغيرة يحيط بها سور كثيف وعدة مبان وخرائب مبعثرة حولها ، ويوجد فيها الكثير من الأحجار المنقوشة والفصوص المكتوبة وتماثيل الرخام حيثما حفر الإنسان تقريباً وتشير كلها إلى تفوق ممتاز فى فن الرسم والنحت ، ويوجد فى متحف مأرب ما يزيد على ثلاثمائة قطعة من الرخام بعضها تماثيل كاملة وبعضها مجرد رؤوس فى غاية من الروعة ودقة الفن ، وهى تفوق بكثير ـ وبدون مبالغة ـ تلك الرءوس الرومانية التى شاهدتها فى المتحف الرومانى بروما ، ومتحف لوڤرى بباريس ، بالإضافة إلى ما تمتاز به من الدقة وجودة الرخام الناصع ومن قدم التاريخ أيضاً ، مما يجعلها أكثر أهمية نظراً لقيمتها الأثرية ، وفى وسط مدينة مأرب بقايا أعمدة قصر ضخم يعرف الآن عند السكان بـ (هيكل سليمان) ، وفى جنوب المدينة بمسافة اثنين كيلو متر يقع عرش بلقيس والمعبد وهما ما سنتكلم عنه بعد هذا .



صورة رقم (١١)

معبد معريم أي (العرب) بالمساجد ٤٠ ك م ، جنوبي مأرب ، وتظهر في الصورة بعض قوائمه المنحوتة من البلق نحتاً فنياً رائعاً ، وتشكل كل قائمة منها قطعة واحدة يبلغ طولها ٦ أمتار بعرض متر واحد ، وقد كتب على القائمة العليا المعترضة بالخط المسند اسم بانيه الملك يدع ال .



صورة رقم (١٢)

تمثال من المرمر لسيدة سبئية اسمها (عم قزم) كما يظهر من الخـــط ، وقد عثر عليها
سنة ١٣٨٠ هـ فى مكان بالجوبة ٥٠ كم جنوبى مأرب . « متحف مأرب »



صورة رقم (١٣)
تمثال من المرمر لسيدة سبئية ، وفى القطعة المسند عليها التمثال كتابة لم تعـد واضحة ، وقد عثر عليه سنة ١٣٨٠ هـ فى مكان بالجوبة . « متحف مأرب »



صورة رقم (١٤)
تمثال سبئى من المرمر لسيدة تحتضن عنقوداً من العنب متصلا بأوراقه . « متحف مأرب »



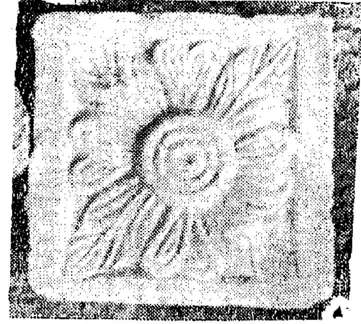
صورة رقم (١٥)
تمثال زعيم سبئى من المرمر .
« متحف مأرب »



صورة رقم (١٦)
تمثال من البرونز عثر عليه بالنخلة الحمراء بالحداء سنة ١٣٣٢هـ فى المكان الذى عثر فيه على التمثال صورة رقم (٧) .
« متحف صنعاء »



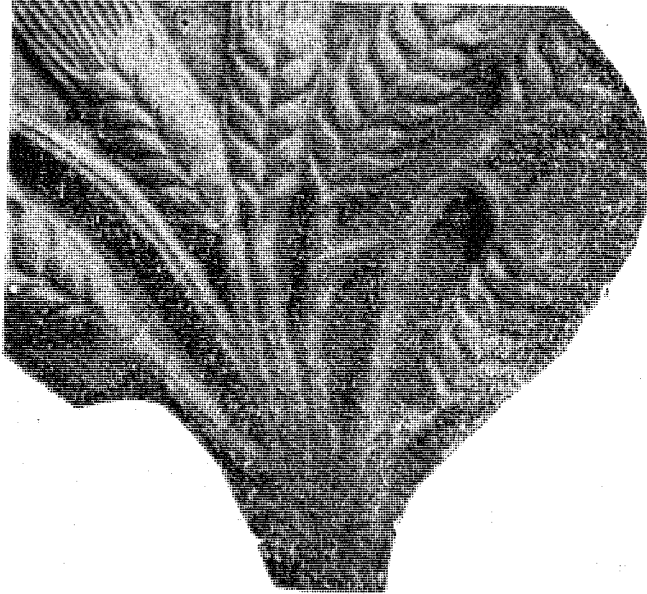
صورة رقم (١٧)
قدم برونزى يظهر أنه من حطام زعيم سبئى تابع للتمثال صورة رقم (٩) وجد بالنخلة الحمراء فى الحداء سنة ١٣٣٢ هـ ، ويوجد بالمتحف بقية أجزاء التمثال المحطمة .
« متحف صنعاء »



صورة رقم (١٨)
لوحة مزخرفة من المرمر .
« متحف صنعاء »



صورة رقم (١٩)
قطعة مزخرفة من المرمر .
« متحف مأرب »



صورة رقم (٢٠)
لوحة من المرمر نقش عليها سنابل الحنطة وهى فى روعتها تمثل فن الرسم اليمنى الأصيل .
« متحف مأرب »



صورة رقم (٢١)

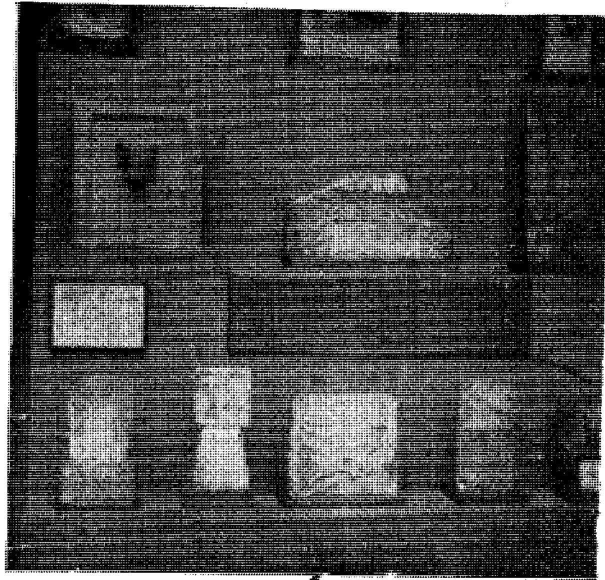
تمثال أسد برنزى يرجع الى عصر قتبانى عثر عليه فى نجران ، وقد أهداه سعود ابن عبد العزيز عند ما كان ولياً للعهد الملك جورج السادس . والى اليمين من أسفل تمثال رأس من البرونز ، أهداه الإمام يحي حميد الدين الملك جورج السادس بمناسبة تتويجه سنة ١٩٣٩م . والى اليسار لوحة من الرخام وفى وسطها صورة ثور بارزة .

« المتحف البريطانى — لندن »



صورة رقم (٢٢)

صورة للرأس البرنزى المهدى من الإمام يحي الملك جورج وبجانبه لوحة من الرخام عليها تمثال بارز لسيدة سبئية . وإلى أسفل مبخرتان إحداهما من البرنز والأخرى من المرمر .
« المتحف البريطانى »



صورة رقم (٢٣)

مجموعة من القطع الأثرية اليمنية . « المتحف البريطانى »

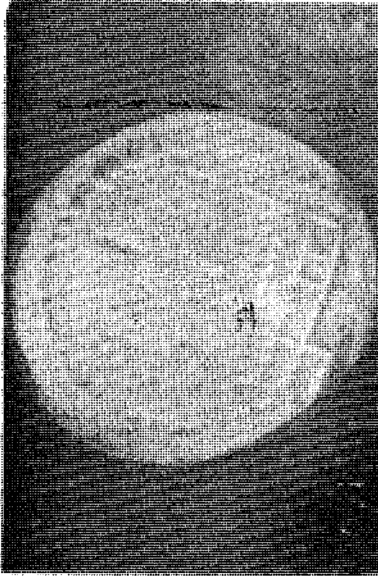


صورة رقم (٢٤)

مجموعة من التحف الأثرية اليمنية من مجموعة البرفسور الألماني راثجنز .

« متحف فولوكار كوندى ـ هامبرغ »






رقم (٢٥)

نماذج من النقود الحميرية . وقد كتب عليها اسم الملك (عمدان يبين ريدان) الذى حكم اليمن من سنة ٢٦٠ إلى ٢٧٠ م

(انظر قائمة ملوك سبأ وريدان قبل هذا) وقد عثر عليها فى (ظفار) سنة ١٩٦٤

عرش بلقيس بمأرب :

يقع على مسافة اثنين كيلو متر بالسيارة إلى الجنوب الشرقى من مدينة مأرب إحدى روائع الفن اليمنى القديم معبد (المقه) (Ilmgah) ويعنى فى لغة سبأ (الإله القمر) وهو شعار إحدى الملل التى كانت تقوم عليها الديانة القديمة فى جنوب الجزيرة العربية والذى لا يكاد يخلو من ذكر اسمه نص من النصوص السبئية والحميرية التى عثر عليها فى الكثير من الأماكن فى اليمن ، مهما كانت متعلقة بالديانة أو القرابين أو أسماء الآلهة ، إلا أنها تأتى فى بعض النصوص باسم (سين) وبعضها باسم (شهر) وبعضها باسم (ود) عند المعينين وكذا عند السبئيين أيضاً كما فى صورة الشمس والقمر المنقوشتين على عمود ضخم نصب على رأس الجبل المطل على باب الفلج جنوبى مأرب وهو من آثار سبأ الأولى ، وقد سمى فيها القمر باسم (وُد) ، أما المعبد نفسه فيسمى (أوام) أو (محرم بلقيس) وفى كثير من النصوص (ثهوان) ، ويطلق عليه السكان(عوّام)والأصل فى ذلك أوام وهو اسم القبيلة التى كانت تسكن منطقة مأرب وقد جاء ذكرها فى النصوص أيضاً باسم (عبد أوام) ويطلق عليه المؤرخون (عرش بلقيس الأسفل) . وهو بناء ضخم يقع فى شكل مثلث لا يزال — وعلى رغم من تقادم عهده — محتفظاً برونقه الزاهى ومظهره المصقول ، ويبلغ قطره حوالى ألف قدم ، أما طوله فيبلغ من إحدى جهاته كما ذكر ويندل فليبس ٣٧٥ قدماً ومن الجهة الأخرى ٢٥٠ قدماً وتبلغ مساحة قاعته ٥٧ × ٥٢ قدماً مربعاً [١] ، ويشتمل المعبد على عدة مربعات أقيم بينها ٣٢ عموداً (دعامه) يبلغ طول الواحد منها ٢٧ قدماً فى عرض ٨٢ سنتيم وسمك ٦٠ سنتيم على ما حققه جلازر [٢] ،

---

(١) كنوز مدينة بلقيس صحيفة ٣١٨ .
(٢) التاريخ العربى القديم صحيفة ٥٥.

ولا يزال منها ثمانية أعمدة قائمة حتى اليوم . ويقول الهمدانى عن قوة كل منها بأنه لو اجتمع أهل قرية كبيرة فى اليمن أن يقتلعوها لما استطاعوا لأنها أثبتت فى الأعماق على الصخر وصهر عليها القطر[(١)] ، والذى يظهر بعد الفحص أن الأعمدة أقيمت بطريقة فنية على جهة المنا كة فقد نقب فى الأساس ثقب لكل عمود لا يتجاوز الثلاثة السنتيم ونحت فى أسفل العمود القدر الذى ينطبق على الثقب وهكذا أقيمت جميع الأعمدة المستقيمة والمعترضة فوقها بشكل هندسى رائع[(٢)] ،

---

(١) الإكليل الجزء العاشر صحيفة ٨٧ .

(٢) يقول الأستاذ محمد توفيق فى كتابه (آثار معين فى جوف اليمن) . مالفظه « وقد أثبتت دراسة حفر النقوش على أنها صنعت بعد إقامة الأحجار فى البناء ، وأظهر البحث أنها صنعت على أيدى عمال مهرة جداً وبواسطة آلات دقيقة أيضاً ، فإن أحجام الحروف متناسقة ، واستقامتها متوازية ، وقياس الأبعاد بينها متناسب ، وعمق الحفر فيها جميعاً متساو ، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على مقدار ما وصل إليه أهل معين من الفن الرفيع والذوق السليم ولا بد أنهم لم يصلوا إلى هذا الطور من الإتقان البديع للكتابة إلا بعد أن مروا بمرحلة طويلة فى سالف الزمن للتمرين على الكتابة » .

وأضاف فى وصفه للعمران اليمنى قائلا « وأحجار البناء بصفة عامة خالية من الالوان كما أنها خالية من الطلاء ، بأى نوع من أنواع الطلاء المعروف ، وكذلك لم يكن بين الأحجار أى مادة تماسك البناء كالملاط (Marter) وظهر لى من فحص أبنية كثيرة أن الأحجار كانت تثبت بعضها فوق بعض اكتفاء بما فى جوانبها من صقل ناعم مع ما فيها من ثقل الوزن وضخامة الحجم » .

« وطريقتهم فى ترتيب وربط أحجار البناء فى صفوف بعضها فوق بعض كانت طريقة بسيطة ، فهى ليست مما نعرفه من طريقة الرباط الفلمكى ، أو الرباط الإنكليزى وإنما كانت توضع وضعاً غير متجانس ، وبلا رباط موحد ، وذلك لعدم توحيد قياس أطوال الأحجار ولكن مع مراعاة أهم نقطة فى صلابة البناء وهى تباعد الفواصل فى كل صنف من الأحجار عما يعلوه وهكذا » . =

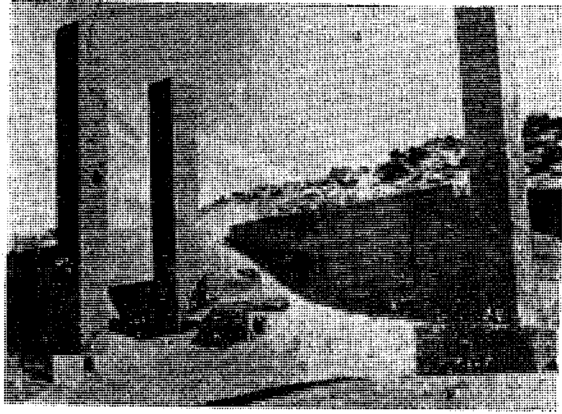
أما طريقة رفع هذه الأعمدة الهائلة سواء منها العمودية أو الأفقية ، فلم يهتد إلى ذلك أحد من المؤرخين ولا من خبراء التنقيب حتى الآن ، وتنتهى هذه الأعمدة من أعلى بشكل مخروطى الشكل كان يقوم عليها سقف واحد متحرك لكامل المعبد كما يرى ويندل فليبس [١] ، وهذا القول يؤكد رأى جلازر وهو أن هذه الأعمدة كانت فى يوم من الأيام قواعد لعرش من العروش [٢] ويؤيد أيضاً بعض الأقوال بأن العرش كان يقوم فوق المعبد ، وذهب آخرون بأنه كان يبعد عن المعبد مسافة مائتين متر تقريباً إلى الغرب ، ويوجد هنالك بقايا بناء ضخم مع سبعة أعمدة يسميه السكان باسم قصر سلحين وربما كان هو عرش بلقيس المشهور ومع هذا فلا يمكن الجزم بأى قول من الأقوال لعدم العثور على المعلومات الكافية عن ذلك.

= « أما كيفية تثبت العوارض أو الأعتاب فوق الاعمدة فكان بإحدى طريقتين : الأولى : أنهم كانوا يتركون جزءاً من الحجر برأس العمود ليكون ذكراً فى وسطه وشبه مخروطى الشكل ، وقطره من أعلاه ٣ سنتيمترات ومسلوب الأسفل بحيث يصبح قطر قاعدته ٤ سنتيمترات وارتفاع هذا الذكره سنتيمترات ، ويجعلون فى وسط الجزء المقابل من الحجر العارض أو حجر العتب (أنثى) أى ثقباً مستديراً قطره وعمقه يطابق مقياس الذكر الذى فى رأس العمود فتبدو أحجار الأعمدة والاعتاب مناظرها كأنها محملة تحميلا عادياً ، والواقع أنهـا متلاصقة ومتماسكة تماماً بواسطة (ذكر وأنثى) وهذه الطريقة تدل على مهارة خاصة فى فن البناء فى زمنهم » .

« والثانية : طريقة التحميل على هيئة كرسى وذلك أنهم كانوا يقطعون نحو ثلث عرض حجر العمود طولياً من أعلاه على هيئة زاوية قائمة ويحملون عليهـا حجر العتب من جانب الضيق ثم يضعون فوقهـا حجر عتب آخر بعرضه كله » انتهى .

(١) كنوز مدينة بلقيس صحيفة ٣١٧ .
(٢) التاريخ العربى القديم صحيفة ١٥٦ .

ويوجد على حيطان المعبـــد ٦٤ نافذة اصطناعية منقوشة على الحجر (البلق) مع كثير من التجاويف والنوافذ والصور التى تمثل القرابين ، والأحجار ذات الصنعة الشبكية المزدوجة ، الموشاة بمعدن الرصاص والزئبق ، وفى نهاية كل حائط مربع منحوت موشى بالبرنز ، وإلى جانب المعبد أقيم بناء دائرى الشكل يصل بينه وبين المعبد باب كانت درجات المعبد النافذة إليه مغطاة بالبرنز ، بدليل أن أكسيد النحاس قد تغلغل عميقاً داخل حجارة الدرج فى أماكن معينة ، ولذلك فإنه من الممكن أن يكون المدخل بأكمله قد غطى



صورة رقم (٢٦)
جانب من معبد بلقيس بمأرب

ذات مرة ببلاط برونزى ، كما يوجد داخل القاعدة فى الجهة الشمالية والشرقية عدة من الأمكنة أشبه ما تكون بالمصانع أو الدكاكين ، بدليل وجود الأفران والصناديق الحجرية [1] . ومن الجانب الشرقى للمعبد أقيم بناء يشبه (السكلية) إلى حد كبير وترتفع بعض جوانبه إلى ٢٧ قدماً ، وقد بنى بعناية فائقة من طرفيه

---

(١) كنوز مدينة بلقيس صحيفة ٣١٩ .

وحشى بالرمل والحجارة ، ولعله أقيم لدفع العواصف الرملية أو لمقاومة المياه المتدفقة من ناحية السّد .

ويوجد على مقربة من المعبد ما يزيد على خمسة عشر نصاً من البلق عثر عليها فى المعبد خلال التنقيب الذى قامت به بعثة ويندل فيلبس ، وقد فصلت عن تماثيلها التى كانت قائمة عليها والتى لا تزال مواضع أقدامها موجودة فى الجوانب العليا منها مما يلى الكتابة مع مادة البرنز التى كانت متصلة بالتماثيل والتى تؤكد بأن التماثيل كانت برنزية ويؤكد ذلك أيضاً الكتابة التى تنص بأن صاحب النص أهدى هذا التمثال الذهبى والمراد البرنزى أو هذين التمثالين أو الثلاثة كما فى بعضها لمعبد (المقه) ، ولم يظهر هل قد صارت هذه التماثيل — مع غاية الأسف — فى حكم المفقودة أم أنها لا تزال مطمورة بين الأنقاض التى لم تجر عليها يد التنقيب بعد .

ومن أهم هذه النصوص نص كتب فيه اسم (الشَّرْحْ يَحْضُبْ وأخوه (يازل بَيِيْنْ ملكا سبأ وذريدن ابنى فرع ينحب ملك سبأ وذريدان) وفيه ترجمة طويلة للملكين ، وأنهما أهديا تمثاليهما للمعبد ، والشرح يحضب هو الملك الخامس من ملوك سبأ وذريدان — أنظر قائمة أسمائهم — ومع الأسف الشديد أنه لا يوجد من التماثيل إلا مواضع أقدامها الأربعة . ونص آخر للملك نشأ كرب ابن الشرح يحضب وعدة نصوص أخرى لبعض ملوك وأقيال سبأ .

وتختلف أقوال المؤرخين والمستشرقين فى تأريخ بناء هذا المعبد ، ويذهب الكثير منهم إلى أن بناءه يرجع إلى ما بين القرن الثالث والخامس قبل الميلاد على جهة الحدس والتكهن ، أما ويندل فليبس فيقول أن بناءه يرجع إلى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد أى مبدأ حكم مكرب سبأ (٨٥٠ — ٦٢٠ق.م)

وقد تقدم لنا أن يدع ال ذرح بن سمهعلى ينوف الذى حكم سبأ من سنة ٨٢٠ إلى سنة ٨٠٠ ق . م قد أقام جدار معبد (المقه) ولا يبعد أنه نفس المعبد الذى أقامت بلقيس ملـكة سبأ وصاحبة القصة مع سليمان عليه السلام عرشها العظيم عليه .

ويعتقد بعض المستشرقين مما وجده من النصوص والآثار أن بلقيس الأولى ملـكة سبأ ، قد ثوت فى هذا المـكان فإن لم يكن هنالك بالضبط ففى خارجه من الأماكن ، كما أنه لا يخلو أن يكون تمثالها مع غيرها من ملوك سبأ عداد ما هو مطمور تحت الرمل وبين الأنقاض المتـكدسة سيما وأن المنطقة بكاملها لم يجر عليها أى تنقيب علمى ، غير ما كان فى نفس المعبد على يد بعثة ويندل فايبس الأميريكية سنة ١٨٧٢ هـ — ١٩٥٢ م) .

عرش بلقيس بصرواح :

تقع مدينة صرواح الأثرية القديمة على بعد ١٤٢ ك . م شرقى صنعاء ، وعلى مسافة ٥٠ ك .م إلى الشمال الغربى من مأرب ، وهى عاصمة مكربى سبأ الأولى ، كما أنها أقدم عهداً من مدينة مأرب ـ عاصمة سبأ الثانية ـ التى خلفت صرواح وتغلبت عليها ، وتُدعى أنقاض صرواح إلى اليوم باسم (خربه) ومن هذه المدينة السبئية حصل الباحثون على أقدم الـكتابات من مملـكة سبأ ، ومعبد صرواح بناء مثلث قائم الزاوية يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر قبل الميلاد ، وأعظم من عنى بتحقيق آثاره الرحالة جلازر ، قال إنه مشيد بالمرمر الأبيض المنحوت نحتاً جميلا ، وقد أحيط بسور خارجى من المرمر أيضاً يبلغ سمكه ٢½ متر ، لم يبق فيه أكثر من متر ونصف ، كما أن أجزاء الحائط قد انهارت[1] . ويبلغ طول

---

(١) التاريخ العربى القديم صحيفة ١٥٨ .

المعبد ٢٧ خطوة وتشتمل قاعدته على ١٠ أو ١٢ عموداً لا يوجد الآن إلا بقاياها أغلبها منقوشة بالخط المسند ، وفى وسط المعبد توجد صخرة مستطيلة من البلق لا يقل وزنها عن أربعة طن مكتوبة فى جميع جوانبها بالمسند وهى من البلق الناصع ولا يوجد هذا النوع من الصخر إلا على بعد خمسة ك . م فى جبل يسمى (هيلان) شمال شرقى صرواح . وعلى مسافة ٨٠ متراً تقريباً إلى الغرب يوجد بقايا قصر يسمى إلى الآن (قصر بلقيس) . وممن زار هذه المنطقة من الرحالين نزيه مؤيد العظم وذكر فى رحلته أنه وجد بجانب المعبد عدة قصور يزعم الأهلون أنها كانت لبلقيس وكان به عرشها ولذلك فإنه يعرف عندهم بعرش بلقيس الأعلا[1]

سد مأرب :

فى ذلك المكان المترامى الأطراف ، الواسع المساحة ، الجميل الموقع ، الفائق الخصب ، والذى يبعد عن صنعاء شرقاً مسافة ١٩٣ ك . م وينتهى طرفه بالربع الخالى ، يقع ذلك الممر المائى الذى تلتقى فيه عشرات الوديان المائية المنحدرة من جبال اليمن . لقد بُنى فى هذا الممر الضيق المسامى بالفلج الأيمن والذى يبلغ عرضه ٢٥٠ متراً تقريباً إحدى عجائب العالم القديم (سد مأرب) ، ويرجع بناؤه إلى ماقبل ٢٫٧٠٠ عاماً تقريباً ، ويعتبر البانى له سبأ الأكبر حفيد جد العرب (يعرب بن قحطان) على مايذكر بعض المؤرخين ، ويذكر بعضهم أن البانى له هو سمهعلى ينوف بن ذمار على — المكرب الأول لسبأ — وأنه وجد بين أنقاض السد ماترجمته : (إن سمهعلى ينوف بن ذمار على اخترق باق وبنى رحب لتسهيل الرى[2]) ،وأعتقد نظراً لضخامة المشروع أنه قد اشترك فى بنائه عدد

---

(١) رحلة فى بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء ٢/٣٤ فما بعدها .

(٢) قد جاء النقش بصيغة أخرى حسب الصورة رقم (٣) وقد أوردناها بترجمتها فى الفصل الرابع ، وربما كان لسمهعلى ينوف الثالث .

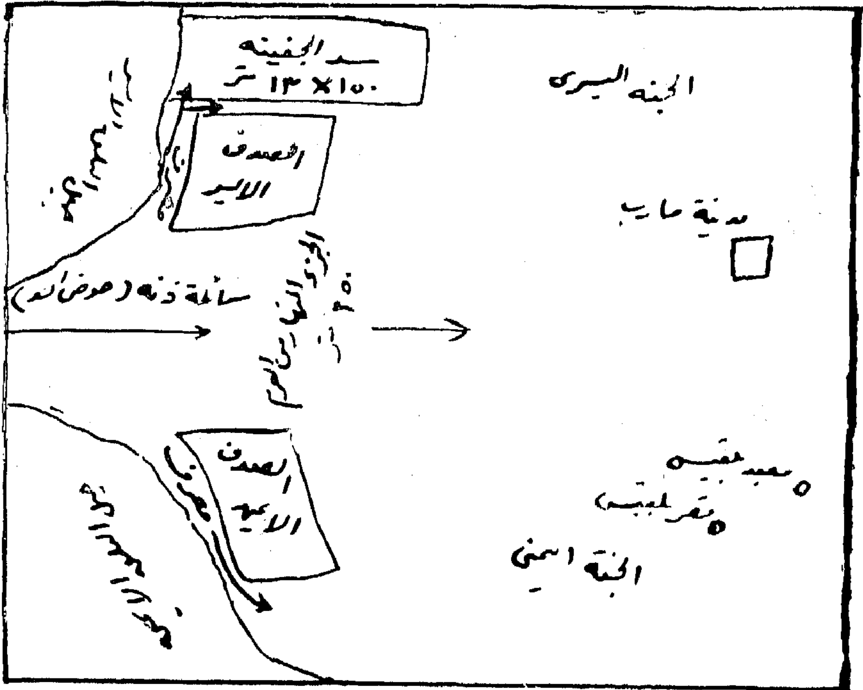
من مكربى سبأ ويؤكد هذا وجود نقوش أخرى بعضها على واجهة الصدف الأيمن وبعضها على واجهة الصدف الأيسر ، وبعضها على المصارف الأخرى ، وقد كتب عليها أسماء أربعة من المكربين ولنذكرهم على التوالى :

١ — يثعمر بن سمهعلى ينوف لم يكن مكرباً وقد ذكر الدكتور جواد على أنه قام بتكميل ما كان قد شرع فيه والده فى بناء بعض واجهات السد .

٢ — يدع إل بيين بن يثعمر مكرب سبأ واسمه مكتوب على الصدف الأيسر بالخط المسند الواضح ، وقد حكم سبأ سنة ٧٨٠ — ٧٥٠ ق . م .

٣ — ذمار على ذراح بن يدع إل مكرب سبأ واسمه مكتوب على الصدف الأيمن ، وقد حكم سنة (٧٣٠ — ٧٢٠ ق . م) .

٤ — كرب إل بيين بن يثعمر مكرب سبأ واسمه مكتوب على إحدى المصارف فى الصدف الأيسر ، وقد حكم سنة (٧٢٠ — ٧١٠ ق . م) .



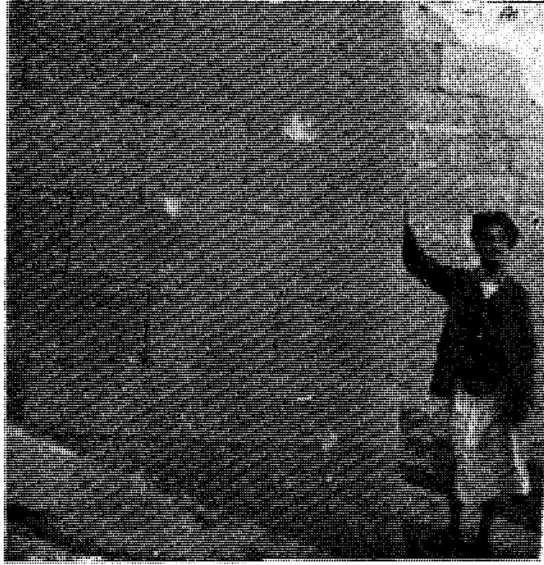
صورة رقم (٢٧)
خريطة سد مأرب كما شاهده المؤلف

أما طريقة بناء السد فإنها تدل على هندسة نادرة وتقسيم فنى ومهارة فائقة لا تقل عظمة وشأناً عن بناء أكبر أهرام فى مصر ، بل يفوق ذلك نظراً لقيمته العظيمة وفائدته الكبرى فى تنظيم الرى ، وتأمين معيشة الملايين من أبناء اليمن.

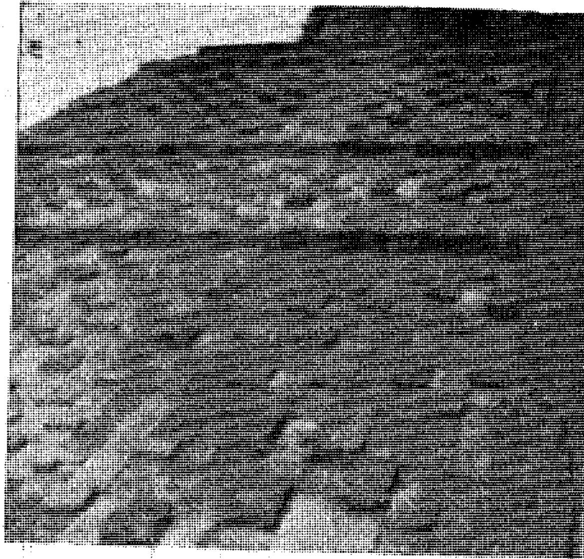
وقد شيد بالحجر البلق ذات القطع الهائل والنحت الفنى الدقيق ، ولا يزال كل من الصدف الأيمن والأيسر قائمان يمثلان البنيان المرصوص بكامل معناه .

أما (العرم) أو (عرمن) كما يسمى فى النصوص — وهو القسم المجتاح — فكان يبلغ طول البناء فيه على عرض الوادى ، وعلى مسافة ١٠٠ متر من المضيق شرقاً بطول ٣٥٠ متراً فى عرض وارتفاع ٤٥ متراً أى بما يحاذى ارتفاع الجبلين — انظر الخريطة — ومستندنا الوحيد فى مقياس العرض والارتفاع هو نص الملك شرحبيل يعفر ونص أبرهة الآتى ذكرها ، وقد ذكر فيهما قدر عرض وارتفاع بنيان العرم بعد أن أعيد بناؤه سنة ٤٢٥ وسنة ٦٥٨ بالتاريخ الحميرى ويساوى ٣١٠ و٥٤٣ بالتاريخ الميلادى ، مع تقدير مقياس الطول والعرض بالباع وقد أتى فى كلا النصين بلفظ (أم) وهو يقرب من المتر والنصف .

أما مصير هذه المياه التى كان يخزنها السد لعشرات الأعوام فإلى الجنّتين (اليمنى واليسرى) ، وهى — أى المياه — وإن كانت كثيرة بالنسبة لما ينصب فى هذا المضيق فى العام الواحد من جبال اليمن ليتجمع فى خزان لا ينقص طوله عن ثلاثة كيلو متراً تقريبا، وعرض يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ متر فإنها ليست كثيرة بالنسبة لمساحة الأرض التى تسقيها المياه والتى يبلغ عرضها ١٦ كيلو متراً بالسيارة فى طول خمس مراحل كما يقدرها المسافرون من أهل مأرب .



صورة رقم (٢٨)
جانب من الصدف الأيسر للسد



صورة رقم (٢٩)
جانب آخر من الصدف الأيسر

ويُستنتج من هذا أنه قد عاش فى هذه المنطقة ما يقدر بالملايين من أبناء اليمن قديما ، وصيروا من هذه الأرض القاحلة المغبرة مروجاً خضراء وحدائق غنّاء استحقت ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (لقد كان لسبإٍ فى مسكنهم آيةٌ جنتانِ عنْ يمينٍ وشِمَال) وقوله تعالى (بلدة طيبةٌ وربٌّ غفورٌ) وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القُرى التى باركنا فيها قرى ظاهرةً وقدَّرنا فيها السَّيْرَ سِيرُوا فيها ليالىَ وأيامًا آمنين .

إن هذه الأرض على اتساع رقعتها وازدهارها فى الماضى كما نص عليه القرآن هى حقاً وبدون شك ، كما سماها المستشرق لورنس (مصنع العرب) ، والتى انطلقت منها الموجات البشرية بعد خراب السّد فغمرت شمال الجزيرة العربية وأواسط أفريقيا وبلدان الشرق الأدنى ، وفى المحيط الأطلسى سلالات يمنية كما ذكر بعض المعاصرين لاتزال تحتفظ بعروبتها وأنسابها حتى اليوم ، بل إلى ذلك اليوم الذى ستؤوب فيه إلى رحلها الأول لتستعيد مجد الآباء وما ذلك على الله بعزيز .

وإنى أعتقد يقيناً أن إعادة بناء هذا المرفق الحيوى الهام الذى كان أبرهة بن الصباح الحبشى قد عمل على إعادته قبل أربعة عشر قرناً من التاريخ كما يحدثنا نصه الآتى ذكره ، هو أول خطوة يجب أن نخطوها فى سبيل إعادة مرفق هو أهم مرافق حياتنا من الناحية الزراعية ، سيما مع توفّر الإمكانيات الحديثة فى الوقت الحاضر ، وذلك لخزن المياه المتدفقة التى تعبر المضيق لتغوص فى الربع الخالى كما أعتقد أنه أعظم مشروع إنتاجى من الدرجة الأولى نظراً لعظم فائدته وقلة تكاليفه بعد إعادة بناء (العرم) وتنظيم المصارف على الطريقة الفنية الحديثة ، وبذلك سيضمن للمنطقة بكاملها احتياجات الرى وتوليد طاقة كهربائية تعادل عشرات أمثال الطاقة الكهربائية المستخدمة فى اليمن حالياً ، كما سيساعد على إيجاد صناعات ومصانع فى نفس المنطقة نظراً لثروتها المعدنية .

لقد عاش هذا السد قائماً بمهمته فى خزن المياه ما يقرب من ١٤٠٠ عام ، أى ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد — وهو تاريخ بنائه كما تقدم — إلى القرن السادس للميلاد ، وهو تاريخ انهياره الأخير إثر اجتياح السيل للعرم ، بعد أن أصيب بالتصدع ثلاث مرات ويعاد ترميمه كما تفيد النصوص الموجودة بين أنقاض السد ، والتى تفيد أن السد بدأ فى التهدم من سنة ١٤٥ قبل الميلاد ، أى خلال ثورة الهمدانيين ضد الريدانيين كما أسلفنا حتى سنة ١١٥ قبل الميلاد[١] ، وفيها حلت الكارثة العظمى بسكان تلك المنطقة — وكانوا السواد الأعظم من سكان اليمن — وتفرقوا فى الأرض بعد انهياره وفيهم يقول الله تعالى « لقد كانَ لِسَبَإٍ فى مسكنِهِم آيةٌ جَنَّتان عَنْ يمينٍ وشمالٍ كلوا مِنْ رزق ربكم واشكُرُوا له بَلْدَةٌ طيّبةٌ وربٌّ غفور فأَعرَضُوا فأَرْسَلْنَا عليهم سَيْل العَرِم وبَدَّلناهم بجنَّتَيْهم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَيْءٍ من سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذلك جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وهَلْ نُجَازِى إلا الْكَفُورُ الآية[٢] » . ويقال فى المثل العربى (تفرقوا أيدى سبأ) ، فقد نزحت قبيلة غسان إلى (حوران) فى سوريا وأنشأت بعد قرنين وربع تقريباً دولة (الغساسنة) المشهورة[٣] ، ونزحت قبيلة (لَخْمْ) إلى أرض (الحيرة) فى العراق وأقامت بعد

---

(١) القاعدة فى معرفة السنة الحميرية ضم ١١٥ سنة على السنة الميلادية ، وهو تاريخ انفجار السد فى المرة الأولى كما ذكرنا فى الأصل وقد اتخذه اليمانيون الذين هاجروا إلى الشام كالغساسنة وملوك الحيرة فى العراق ومؤسسى دولة أكسوم فى الحبشة كبداية لتاريخ عهد جديد ، وهذا هو نفس ما ذهب إليه الدكتور فيليب حتى ج ١ ص ٨٥ .

(٢) سورة سبأ : آية ١٥ .

(٣) قامت دولة الغساسنة فى مشارف الشام بعد أن تغلبت على قضاعة . وبعد أن قويت شوكة الغساسنة أنشأوا لأنفسهم دولة تحت رعاية الروم فيما هو معروف =

قرنين ونصف دولة (المناذرة)[١] ، ونزحت بعض قبائل كندة إلى نجد ، وبعضهم إلى حضرموت وأسسوا دويلات له شهرتها فى التاريخ . وقد أعيد بناء (العرم) على أيدى الهمدانيين من ملوك حمير كما كان عليه من قبل .

ويظهر من النصوص أن السد عاش قرابة خمسمائة عام بعد أن أعاد بناءه الحميريون حتى القرن الخامس للميلاد وفى أوائله بدأ فى التصدع مرةً ثانية وذلك خلال حكم الملك ، شرَحْبيل بن يَعْفُر بن أبى كَرب أسعد الكامل (٤٢٥ — ٤٥٥ . م)[٢] ؛ وقد قام هذا الملك بترميم السد ترميمًا كاملًا كما قام بإصلاحات كثيرة فى حفر القنوات وتسهيل الرىّ كما يستفاد من نص كتب باسمه ، ويتضمن أكثر من خمسمائة حرف ، ويعتبر هذا النص من أهم النصوص المتعلقة بتاريخ سد مأرب .

وهنالك نص آخر يعتبر ذا أهمية كبيرة من الناحية العلمية ، وقد نُقِشَ باسم إبْرَهَه بن الصباح الأشرم الذى حكم اليمن فى أواسط القرن الخامس للميلاد تحت تأثير النجاشى ملك الحبشة وتأييد ملك الروم ، وقد أشار إلى هذه

= الآن بالبلقاء وحوران ، وعمروا فيها المدن وشادوا القصور والقلاع ، وكانت عاصمتهم (بصرى) فى حوران وعدد ملوكهم ٣٢ ملكا ، أولهم جفنه بن عمر ، وقد بدأ حكمه سنة (٢٢٠ للميلاد) وآخرهم جبلة بن الأيهم سنة ٦٣٣ م - (١١ هـ) وكانت مدة حكمهم نحو ٦٠٠ سنة .

(١) بدأ حكم ملوك الحيرة ـ وهم المناذرة بالعراق ـ بمساندة ملوك فارس سنة ٢٦٨ ـ م ، وأولهم عمرو بن عدى ، وانتهت بآخرهم الملك المنذر المعروف ب (المغرور) سنة ٦٢٨ م - (٧ هـ) ، وكان عددهم ٢٢ ملكا ، ومدة حكمهم ٣٦٤ عاماً ، ومن أشهرهم وأطولهم حكما : أمرؤا القيس بن عدى (٢٨٨ م) وابنه عمرو (٣٢٨ م) والنعمان الأعور (٤٠٣ م) وابنه المنذر (٤٣١ م) والمنذر بن امرؤ القيس الملقب بماء السماء (٥١٤ م) والنعمان بن المنذر أبو قابوس (٥٨٥ م) .

(٢) راجع قائمة (ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) قبل هذا .

هذين النصين الكثير من الرحالة والمستشرقين ، واعتبروها ذا أهمية كبيرة فى تاريخ بناء السد ، وفى بيان الكثير من لغة المسند ، وذكر بعض الحوادث التاريخية وأسماء الأعلام والأماكن ، ولكنه مع الأسف لم يوجد لهما أى ترجمة كاملة مما اضطرنى إلى القيام بنسخها ثم طبعهما بواسطة الزنكوغراف ليكونا أكثر وضوحاً للقارىء ، ثم قمت بترجمتها بصورة مستوفاة ضمن المجموعة الأولى من كتابى (لغة يعرب فى سطور الخط المسند) فليرجع إليه ، وفيما يلى صورة النصين مع مختصر لفحواها :

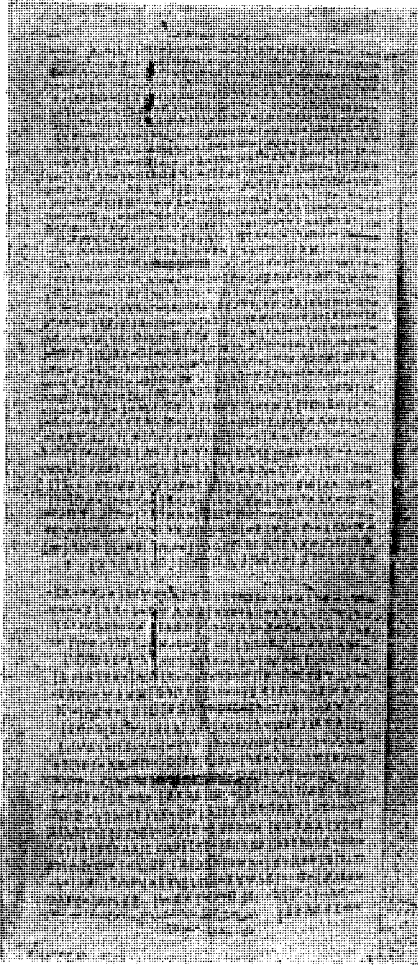
صورة رقم (٣٠)

نص الملك شرحبيل ، وخلاصة شرحه كما يلى :

شرحبيل ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم فى الطود وتهامة ابن أبى كرب أسعد ــ الملقب الكامل ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم فى الطود وتهامة ، قام بترميم سد العرم ــ أى سد مأرب ــ من قرب رحب إلى حدود عبران ، بأن مَسَرَهُ ــ أى طهّره من أكداس التراب ــ من

أسفله المحاذى لوادى طمحان ، إلى أعلاه ، كما شيّد سد (مذاب) وكابة (جيلان) وكابة (تزن) التابعة لقبيلة النمريين ، بغية تحوير المياه إلى (العرم) ؛ كما قام باصلاح محاجر وادى يسرين مسارةً وعمارةً ، مع ترميم مساقط المياه المنصبّة إلى السد والمصارف التابعة له ، وكان هذا الاصلاح فى شهر ذو ثبتان عام (٥٣٥) بالتوقيت الحميرى أى (٤٢٠) للميلاد ، وقد اشترك فى العمل الكثير من قبائل حمير وحضرموت ويبلغ عددهم عشرين ألف عامل . ويذكر فى آخر النص مقياس طول وعرض السد ، كما ختمه بالثناء على إله الأرض والسماء على ما حباه من العون ، ثم بشكر القبائل التى اشتركت فى الاصلاح . وكان مقدار ما استغرقه العمل من الأرزاق ٥٠٣٤٠ كيساً من حبوب البر والشعير والذرة والتمر و ١٣٠٠ر١ (مطموس) ، ومن اللحوم ١٣٧٠ر١ رأس من الإبل و ١٦٣٠ر١ ذبيحة من البقر والغنم .

هذا إلى جانب ٤٠٠٣٠٠٠ غرباً من السمن والدبس المكون من عصير التمر والزبيب . تاريخه شهر ذودوان عام (٥٦٥) أى عام ٤٥٠ للميلاد . ويظهر أن السبب فى الفرق بين تاريخ الاصلاح المذكور آنفاً وبين تاريخ النص وهو ثلاثين عاماً أن هذه الاصلاحات المتعددة كانت على مراحل استغرقت هذه المدة الطويلة والله أعلم .



صورة رقم (٣١)

نص أبرهة بن الصباح ، وقد استهله باسم الرحمن وقوته ، ومسيحه والروح القدس ، ثم أشار إلى قصة تمرد عامله على (كندة) يزيد بن كبشة ومعه بعض زعماء كندة وهم بنو مرّة ، وبنو ثمامة ، وبنو مراثد ، وذو خليل واليز ينون اقيال معدى كرب بن السميفع ، وأعيان (ذى جرَهْ) وغيرهم ، وقد جهز عليهم جيشاً من الحميريين والأحباش بقيادة (على نبط) فقتلوه ، ثم توجه إليهم بنفسه ومعه الآلاف من المقاتلين فى شهر ذو القياض سنة ٦٥٧ بالتوقيت الحميرى ويساوى (٥٤٢ م) ولما سمع المتمردون بتحركه جاؤا إليه باذلين له العهد ورهائن الطاعة .

وفى تلك الأثناء وعند ما كان قافلاً فى مسائل سبأ ، جاءه الخبر بتصدّع سدّ مأرب فتوجه من فور إلى مأرب وصلّى فى بيعتها ، وأخذ فى جمع المواد الخام ومباشرة العمل ، ثم بلغه أن القبائل يرغبون فى تأجيل العمل إلى بعد الصراب ـ أى حصاد الزرع ـ فقبل عذرهم وصرفهم على أن يعودوا بعد الصراب .

وما كاد يحل الوقت المحدد حتى وفد إليه الناس ومنهم قبائل (كدار) من حضرموت ، و(جَبَأ) و (كنع) ، و (يعفر) ، وعلى رأسهم الملوك والاذواء ، وفيهم (اكسوم ذو معاهر) ابن الملك ، و (مرجزاف) ،

و (ذو رنّاح) ، و (عادل ذوفيشـان) ، و (ذوشولمان) ، و (ذوشعبان) ، و (ذورعين[1]) ، و(ذوهمدان) ، و (ذوالـكلاع[2]) ، و (ذيبين) وكبار حضرموت ، وكان معهم الـكثير من الصلات والمعونات المالية .

وفى نفس الوقت جاء إليه وفد (النجاشى) ملك الحبشـة ، ووفد ملك (الروم) ووفد ملك (فارس) ووفد الملك (المنذر) ووفد من الحارث بن جبلة ملك الغساسنة وأخيه أبو كرب بن جبلة ؛ كل هؤلاء ـ بحمد الله ـ جاءوا خاطبين مودته .

وبوشر العمل فى إعادة بناء (العرم) أى سد مأرب ، حتى بلغ ٤٥ باعاً طولاً ، و٣٠ باعاً عرضاً و ١٤ باعاً سمكاً ، كما قام بتطهير حوض السد ومصارفه إلى آخره . . . .

وكان مقدار ما استغرقه العملة من المؤمن ، ٨٠٦ر٥٠ كيساً من الدقيق ، و ٠٠٠ر٢٦ وسقاً أو حملاً ـ وقد قدره بتقدير يدع إل وهو تقدير كان يتعامل به فى تقدير المـكيلات ـ من التمر ، كما طُبخ ٠٠٠ر٣ ذبيحة من إبل وبقر وغنم ، بالإضافة إلى ٠٠٠ر٢٠٧ ذبيحة أخرى من الغنم خاصّة ، وأُهريق ٣٠٠ غربٍ من السّمن ، و ٠٠٠ر١١ غرباً من عصير التمر — أى الدبس — .

وكانت مدة العمل أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

كتب النص فى شهر ذومعان سنة ٦٥٨ بالتوقيت الحميرى ويسـاوى (٥٤٣) اهـ

---

(١) ذو رعين قبيلة فى مخلاق يحصب وفيها يقول الشاعر اليمنى القديم :

فإن تك حمير غدرت وخانت   فمعـذرة الإله لذى رعين

(٢) ذوالـكلاع نسبه إلى ذى الـكلاع الأكبر يزيد بن النعمان ، والأصغر سميفع ابن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الـكلاع الأكبر ، وهما من اذواء اليمن . والتكلع =

وقد أورد الهمدانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) قصيدة نسبها لعائذ ابن عبد الله بن مالك بن نصر الأزدى ، وكان قد خرج من مأرب بعد خراب السد رائداً إلى بلد حمير فرأى بلاداً وعرة لا تحملهم مع أهلها فأقبل آيباً حتى وافى أصحابه فقام فيهم منشداً يقول :

علامَ ارتحال الحى من أرض مأربٍ ومأربُ مأوى كلِّ راضٍ وعاتب
أما هى فيها الجنّتان وفيهما لنا ولمِن فيها فنون الأطائب
ألمْ تك تغدو خُورُنا مرجَحِنَّةً على الحرج الملتف بين المشارب
أَإنْ قال قولاً كاهنٌ لمليكنا فما هو فيما قال أول كاذب
نُخَلِّفها والجنّتين ونبتغى بجهران أو فى يحصُبٍ مثلَ مأرب
فهيهات بل هيهات والحق خير ما يقال وبعض القول كشف المعايب
لقد رُدْتُ صَيْداً والسُّحُولَيْن بعده وعينهما السيال بين الذّنائب
وغوّرت حتى طفت أَبْيَنَ بعد ما خبرت لكم لحجَ الرُّبى والسباسب
فلم أر فيما طفت من أرض حميرٍ لمأربنا من مشبهٍ أو مقارب

= التحالف والتجمع ، والكلاعى بضم الكاف الشجاع وصاحب البأس اهـ . قاموس ج ٤ ص ٤٧ .

وكانت قبيلة ذى الكلاع فى مقدمة القبائل اليمنية التى وفدت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ارتجل زعيمها ذو الكلاع الحميرى بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبياته المشهورة ومنها :

أتتك (حمير) بالأهلين والنشب أهل السوابق والعالون فى الرتب
بيض أشاوسة أسد غطارفة يردوا الكماة غداً فى الحرب بالقضب

وهذى الجبال الشم للغور دونكم حجاب وما فيها لكم من مآرب

وخيلكم خيلٌ رعت فى سهولةٍ من الأرض لم تألف طلوع الشناخب

أخاف عليهنَّ الوَنَى أن ينالها وأنتم ولاة المعلَمات الكتائب

وكم ثمَّ منكم معشر بعد معشرٍ أبحتم حماهم بالجياد السَّلاهب

كما أورد قصيدة أخرى نسبها لُجماعة البارقى يذكر فيها أسماء الأماكن والبلدان التى نزلت فيها قبيلة الأزد بعد انهيار السد ، ولأهمية القصيدة أوردناها هنا بكمالها :

حلّت الأزد بعد مأربها الغو رَ فأرضَ الحجاز فالسَّرَوَات

ومضَتْ منهم كتائبُ صدقٍ منجِدات تخوض عرض الفلاة

فأتت ساحة اليمامة بالأظ . . . . . . عان والخيل والقنا والرُّماة

فأنافت على سيوفٍ ل (طسْمٍ) و (جَدِيسٍ) لدى العظام الرُّفات

واتلأبّتْ تؤم قافية البحـرين بالخور بين أيدى الرعاة

فاقرت قـرارها بِعُمانٍ فعمانٌ محل تلك الحماة

وأتت منهم الخورْنَق أسدٌ فاحتووا ملكها وملك الفرات

وسمت منهم ملوكٌ إلى الشـام على التَّبْيِنيَّة المضْمَرات

فاحتووها وشيّدوا الملك فيها فلهم ملك باحة الشأمات

تلكم الأكرمون من ولد الأزْ د لغسَّان سادة السادات

والمقيمون بالحجازين منهم أرغموا عنهمُ أنوف العِدَاة

ملكوا الطود من سَرُوِيمٍ إلى الطّا ئف بالبأس منهمُ والثباتِ

واحتوت منهم خزاعتها الكعبة ذاتَ الرسوم والآيات
أخرجت جُرهُمَ بن يشجب منها عَنوةً بالكتائب المُعلَمات
فولاة الحجيج منها ، ومنها قدوة في منًى ، وفي عرفات
وإليها رِفادة البيت والمر باع يجبَى لها من الغارات
وبنو قيلة الذين حووا يثرب بالقَوْد والأسود العُتاة
زَحَفوا لليهود وهي ألوف من دُهاة اليهُود أيَّ دهاة
فأبادوا الطغاة منها ولما يفشلوا في لقاء تلك الطغاة
وأذلُّوا اليهود منها وأجلوا منهم الحرَّتين واللّابات
أصبح الماء والغسيل لقومٍ تحت آطامها من الثمرات
ورُعاةٍ لهم تشيم سُرُوحاً وسقاةٍ قوارب وطهاة
أسروها من اليهود لدى تشتيتها في القرى وفي الفلوات
أيُّهاذا الذي يسائل عنا كيف يخفى عليك نور الهداة ؟
نحن أهل الفخار من ولد الأز دِ وأهل الضياء والظُّلمات
هل ترى اليوم في بلادٍ سوانا من ملوكٍ وسادةٍ وولاة ؟

قصر غمدان :

لا يزال اسمه وموضعه معروفان ومشهوران حتى اليوم في الجهة الشرقية من صنعاء . بناه الشّرح يحضب بن فرع ينهب « الملك الخامس من ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات ٣٥ — ١٥ ق . م » ، وقد ذكره الهمداني في الجزء الثامن من كتابه « الإكليل » ، وفي كتابه (صفة جزيرة العرب) فقال أنه كان يتكون من عشرين طبقة ، بين كل طبقتين عشرة أذرع « أي سبعة أمتار ونصف » ، وقد أطبق بانيه آخر طبقة بقطعةٍ شفافَة من الرخام ، يُمَيِّز

الطائر من خلالها عند ما يمر من فوق سطح القصر ، وعلى أركانه أربعة تماثيل نحاسية مجوّفة ثابتات على أرجلهن ، أما أيديهن وصدورهن فكانت بأزرات من القصر ، وكانت الريح إذا هبت دخلت إلى أجواف التماثيل فيُسمع لها زئير كزئير الأسود ، وكانت مساحة أعلى غرفة من الدار اثنى عشر ذراعاً مربعاً (ثمانية أمتار) ، وكانت تُرى وهى مضاءة من رأس جبل عجيب [١] . ووصف باسهاب ما كان يحتوى عليه القصر من الأستار والأجراس وأخشاب الساج والأبنوس ودعائم الرخام وغير ذلك من النقوش والزخارف . ويرجع تاريخ تهدمه إلى أوائل القرن السادس للميلاد أى أوائل القرن الهجرى [٢] .

التجارة :

كانت اليمن أيام الدولة المعينيّة — ومن بعدها السبئية حتى أوائل الدولة الحميرية ـ همزة وصل تجارية بين الشرق والغرب ، تصدر منها البخور والتوابل — وكانت بضاعة لها قيمتها المعروفة — بواسطة موانيها فى البحر العربى وخليج فارس فى الشرق والجنوب ، وبواسطة موانى البحر الأبيض المتوسط فى الشمال وأهمها ميناء (غَزَّة) ، كما كانت همزة وصل لنقل تجارة الهند والصين القادمة عبر المحيط الهندى — حينما كان يتمتع بما يتمتع به البحر الأبيض المتوسط حالياً من الحركة التجارية والازدهار — ؛ وقد حافظت هذه الحكومات على مركزها التجارى ببقاء البحر الأحمر مغلقاً وعلى أن يبقى لها نفوذها المطلق على الموانى البحرية فيه ، وكانت القوافل اليمنية هى وحدها التى تنقل بضاعات الشرق إلى بلدان الغرب والعكس ؛ وبطريقة التجارة أصبح لليمنيين اتصال كبير باليونان والرومان والبابليين والفينيقيين كما تحدثنا الكتب الكلاسيكية .

(١) فى طرف قاع البون شمالا على مسافة ٩٠ كيلو متراً من صنعاء .

(٢) أمر بهدمه الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد بنى الجامع الكبير بصنعاء ببعض أحجاره .

وقد ظلت على هـذه الحالة حتى كان القرن الأول للميلاد حينما اهتدى هيبالوس « Hipalus » البحار اليونانى إلى معرفة اتجاه الرياح الموسمية فى المحيط الهندى واكتشف أن اتجاهها نحو الغرب لا يكون إلا فى فصول معينة من السنة وكذا اتجاهها نحو الشرق فكان لهـذا الاكتشاف الخطير أثره فى تحويل الطريق البحرية حيث أخذت السفن الهندية وغيرها تعبر المحيط الهندى ومنه إلى الهند رأساً ، وبهذا ضعفت الحركة التجارية فى اليمن [١] ، ويقول الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) [٢] عن أهمية المنطقة من الناحية التجارية مالفظه :

« وكان مضيق باب المندب والبحر الأحمر الشريان الرئيسى فى تجارة العالم القديم ، الأمر الذى أعطى لجزيرة العرب أهمية خاصة فى النواحى

(١) وكان اكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٦ م عاملا أساسياً آخر فى شل الحركة التجارية اليمنية ، وقد اكتشفه (برتلمى دياز) كما جاء فى قاموس المكتشفين . وقيل إن المكتشف له هو أحمد بن ماجد السعدى البحار اليمنى المتوفى سنة ٩٠٠ هـ . وقد قام بتسيير السفن البرتغالية بقيادة فاسكو دى غاما عبر المحيط الهندى ، وهذا وإن كان متعارضاً مع ماذكر فلا يبعد أن لابن ماجد صلة بهذا الاكتشاف الخطير لأنه كان الهادى الوحيد لسفن البرتغاليين من أهل المنطقة ، وكانوا يسمونه بـ (المعلم) كما لقب عند العرب بـ (أسد البحر). وله عدة مؤلفات فى علم البحر تزيد على العشرة ، منهـا كتاب ، الفوائد فى علم البحر والقواعد (وقد عنى بنشره الأستاذ الفرنسى غبريال فران سنة ١٩٢١) . وقيل أنه أول من اخترع البوصلة البحرية .

ويروى أن البرتغاليين قد تمكنوا من استمالته والاستفادة من خبرته البحرية فى ميدان الخليج الفارسى (العربى) ، حتى تم لهم السيطرة على (مضيق هرمز) وكامل المنطقة ، وصيروا من الخليج الفارسى (العربى) ممراً بحرياً عالمياً لا يزال مزدهراً حتى اليوم .

قد استمر البرتغاليون فى احتلال المنطقة حتى أجلاهم القائد التركى سليمان ابن السلطان سليم القانونى سنة ١٥٣٨م .

(٢) صحيفة (٣٧٥ — ٣٨٤) باختصار .

العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ولهذا حاول الاسكندر [١] اليونانى ،

---

(١) المراد الإسكندر الأكبر المقدونى وقد ولد فى قرية (Pella) فى مقدونيا (Macedon) فى سنة ٣٥٦ قبل الميلاد وتولى عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ حيث نصبه قواد الجيش بعد اغتيال أبيه الملك فيليب (Phelip) ، وبدأ عمله بالزحف ضد قبائل التيبى (Thebes) مخترقا نهر الدانوب نحو الجنوب ، وكان لهؤلاء القبائل ضلع فى اغتيال الملك (Phelip) ، وكانت ثورتهم قد قويت بعد اغتياله ، ولكن الإسكندر تمكن من إخضاعهم وتحطيم مدينة التيبى التى كانوا يتمركزون فيها ، وكان لهذه الوقعة أثرها مما زاد فى هيبته أثر اعتلائه عرش أثينا وقد قامت بينه وبين الفرس عدة معارك ، أهمها معركة نهر القرانيكوس (Granicus) تمكن فيها من اقتحام الدردنيل فى سنة ٣٣٤ ومعه من الجيش ٣٥٠٠٠ فيهم الخبراء والفنيون فى علم الصناعات والبناء والتاريخ والطب والأدب والطبيعة والهندسة ، كما تمكن من مطاردة السفن الفارسية التى كانت قد ضيقت الخناق على طرق اليونان التجارية ، البرية والبحرية الممتدة من الدردنيل إلى البنجاب الهندى وذلك فى أيام كسرى فارس داريوس الثالث ، ثم تمكن بواسطة مضيق غزه من احتلال مصر وسوريا ، وبهذا ارتبطت مصر باليونان ارتباطاً وثيقاً حط من عظمة كسروية فارس وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط ، وكانت أولى خطواته فى مصر تشييد مدينة الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م كعاصمة له على فوهة نهر النيل والتى أصبحت مركزاً تجارياً خطيراً فى الشرق الأوسط ، ثم بنى (همذان) كعاصمة ثانية له فى بابل ومن هنا اشتهرت صولته ، وأصبح يدعى ملك آسيا الأكبر ، واستولى على فارس وأفغانستان ، وبنى فيها مدينة سمرقند وهى التى تدعى اليوم بمدينة لينين أباد (Leninabad) بمقاطعة أوز باكستان بالاتحاد السوفيتى ، ثم اقتحم نهر الهندوس متجهاً شرقاً وعاد إلى اليونان عابراً ممر جدروسيا (Gedrosia) حيث قطع رحلة شهيرة فى العالم ، وصل منها إلى بابل وجاء أسطوله عابراً المحيط الهندى . لقد عمل إثر وصوله أثينا فى تقوية الطريق التجارى عبر البحار بأن عقد أحلافا مع قواد جيوشه المقدونيين ومع زعماء الآسيويين فى نظام يشبه اتحاد الكمنولث ، وخلال ذلك اغتالته المنية ودفن فى بابليون سنة ٣٢٣ ق . م وهو يبلغ من العمر ٣٣ عاما =

= انتهى مترجماً من دائرة المعارف الأمريكية جزء أول (ص ٣٦٠ — ٣٧٠) ،
وقد جاء فى دائرة المعارف عدة أسماء ممن سموا بالاسكندر من عظماء العالم الغربى ويبلغ عددهم العشرين وهم كما يلى .

١ — الاسكندر كاراكول بورنرز (Characol Burners) باباكومانا Commana مات سنة ٢٥٠ م فى بونتوس Bontus بفلسطين .

٢ — الاسكندر كابادوشا Cappadocia معتقد القدس مات سنة ٢٥١ .
٣ — باطريارك الاسكندرية ويعد من أهم رجال الدين المسيحى مات بالاسكندرية سنة ٣٢٦ م .

٤ — الاسكندر الرومانى الأول مات سنة ١١٥ م .

٥ — الاسكندر الثانى وهو أول بابا انتخب بواسطة جامعة كاردينالز (Cardinals) بايطاليا ، وقد ولد من أسرة شريفة ومات بها سنة ١٠٧٣ م .
٦ — الاسكندر الثالث أورلاندو باندينللى Orlando Bandinelleti انتخبته جامعة كردينالز وجامعة الامبراطور فريدريك الأول . ومات فى سنة ١١٨١ .
٧ — الاسكندر الرابع البابا رينالدو كونتى Rinaldo Conti ، وقد حكم إيطاليا (١٢٥٤ — ١٢٦١) .

٨ — الاسكندر الخامس بيترو دى كانديا (Pietro di Candia) قام بالبابوية فى ميلانو وتولى رئاسة مجلس الأمة فى بيزا ثم انتخب بابا عاما للمذهب المسيحى فى روما حيث انتخبه الحزب الكاثوليكى وعارضه حزب البروتستانت ومات سنة ١٤١٠ .

٩ — الاسكندر السادس ريدريقولانزول بورجيا الأسبانى Redrigo Lanzol Borgia . مات سنة ١٥٠٣ .

١٠ — الاسكندر السابع فابيوتشيجى (Fabio Chigi) . مات سنة ١٦٦٧
١١ — » بيترو أوتوبونى (Pietro Ottoboni) مات سنة ١٦٩١ .
١٢ — » البلغارى الأول يوسف (Joseph) ؛ درس الثقافة العسكرية فى أكاديمية دريدن (Dreden) وتخرج منها برتبة ملازم ثانى واشترك فى الحرب الروسية مع الأتراك (١٨٧٧ — ١٨٧٨ م) ثم حكم بلغاريا تحت تأثير الروس =

= كدكتاتور فى سنة ١٨٨١ ثم استقال فى سنة ١٨٨٦ لأسباب سياسية ، وقد مات فى قراز (Graz) بسويسرا سنة ١٨٩٣ .

١٣ — الاسكندر اليونانى ملك اليونان مات سنة ٣٨٢ ق . م .

١٤ — « الثانى وهو الاسكندر الأكبر المقدونى المتقدم ذكره فى الأصل .

١٥ — « الأول الروسى باڤلوڤيتش (Pavlovich) وقد بنى أكاديمية العلوم فى مدينة بترسبرغ (Petrsburg) وهى المعروفة حاليا باسم لينغراد (Leningrad) وجامعتى كازون (kazon)وخاركوف (Kharkov)، وهو الذى أدخل فينلندا ضمن النطاق الروسى سنة ١٨٠٨ ، وتحارب مع الأتراك (١٨٠٩ — ١٨١٢) ثم انتهت الحرب بمعاهدة السلام المعقودة فى بخارست سنة ١٨١٤ وتبعتها معاهدة ڤينا سنة ١٨١٥ وبعدها عقد ميثاق جامع مع دول أوروبا اشتركت فيه روسيا وبروسيا والنمسا مع دول الغرب فى وارسو سنة ١٨١٦ وهو المسمى بالميثاق المقدس (Holy Allince) ، وقد مات الاسكندر باڤلوڤيتش سنة ١٨٢٧ حيث خلفه أخوه نيكولا الأول (Nikoloi Pavlovich)

١٦ — الاسكندر الامبراطور الروسى الثانى نيكولا باڤلوڤيتش الثانى وهو ابن نيكولا الأول المتقدم ذكره مات سنة ١٨٨١ .

١٧ — الاسكندر الثالث الاسكندروفيتش (Alekasandarovich) ابن الاسكندر الثانى مات سنة ١٨٩٤ .

١٨ — الاسكندر الثانى ملك اسكوتلاندا وهو الذى تزوج ابنة هنرى الأول ملك بريطانيا مات سنة ١١٢٤ .

١٩ — الاسكندر الثانى ابن وليم الأسد (Wiliam The Lion) وقد تزوج أخت الملك هنرى الثالث ملك بريطانيا سنة ١٢٢١ وأثر ذلك تجددت معاهدة السلام بين بريطانيا واسكوتلاندا مات سنة ١٢٦٩ .

٢٠ — الاسكندر الثانى ابن الاسكندر الثالث وقد تزوج الأخت الأخرى لهنرى الثالث مات سنة ١٢٨٦ .

فى أواسط القرن الرابع قبل الميلاد ، ومن بعده أغسطس Augustus [١] فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد وتيتوس Titus [٢] فى أوائل القرن الأول للميلاد ، ثم نابليون Napoleon [٣] فى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد السيطرة

---

(١) ولد بروما سنة ٦٣ ق . م ومات فى نولا Nola سنة ١٤ م ، غزى اليونان ومصر وسوريا وآسيا الوسطى وأسبانيا والبرتغال من سنة ٢٣ إلى سنة ٢٥ م ، وعاد إلى روما حيث قام بعدة إصلاحات منها إنعاش الزراعة والاقتصاد وبناء المنشآت العسكرية وتشكيل جيش رومانى جعل نفسه القائد الأعلى له ، وقد سمى الشهر الثامن من الأشهر الرومية أغسطس August باسمه وكان يسمى من قبل سيقستيليز Sixtilis كما سمى شهر يوليو July باسم القيصر جوليوس Julius . نفس المصدر ج ٢ صحيفة ٥٤٨ — ٥٥٠ .

(٢) الامبراطور الرومانى ابن الامبراطور فيسباسيان Vespasian . ولد فى روما سنة ٤٠ م ومات سنة ٨١ . قاد جيش والده فى الحرب مع اليهود سنة ٧٠ م وتمكن من التغلب عليهم واحتلال فلسطين وتحطيم هيكل أورشليم فى سبتمبر سنة ٧٠ وعاد إلى روما سنة ٧١ حيث لقب بالقيصر وأكمل بناء قصر الكلسيوم Colosseum بروما المعروف بقصر نيرون والذى كان والده قد شرع فى بنائه اهـ نفس المصدر ج م ص ٦٥٤ .

(٣) الامبراطور الفرنسى واسمه الكامل نابليون الأول بونابارت Napoleon Bunaparte . ولد فى كورسيكا بايطاليا سنة ١٧٦٩م ، وعند ما بلغ سن السابعة من عمره نزح بهوالده إلى فرنسا حيث ألحق بجامعة اوتن Autun ثم تخرج منها بعد ثلاث سنوات إلى الأكاديمية العسكرية فى بريني Brienne وتخرج منها فى سنة ٨٥ برتبة ملازم ثانى حيث ألحق بجامعة ڤالنسى Valence حيث تخرج منها برتبة ملازم أول . وفى سنة ٨٩ انتخب ضابطاً فى الحرس الوطنى لجزيرة كورسيكا (موطنه الأصلى عند ما كانت تحت الاستعمار الفرنسى) برتبة كولونيل وفى يوليو سنة ٩١ نقل إلى الجيش النظامى بباريس برتبة كابتن حيث شهد الحوادث الدموية التى قامت فى ٢٠ يوليو و ١٠ أغسطس وفاز فيها بثقة لويس =

على الجزيرة العربية أو على الأقل المراكز الحساسة فيها ، ولهذا أيضاً تهيمن بريطانيا فى الوقت الحاضر على مواضع خطيرة منها لتأمين سيطرتها على تجارتها البحرية ومصالحها القديمة ، ولا تقبل الزحزحة عنها أو مزاحمة مزاحمٍ لها من دول الغرب كميناء (عدن) وجُزُر (سُوقطره) و (كمران) و (سَيون) وكلها تابعة للأراضى اليمنية » .

= الخامس عشر . وفى سنة ٩٣ اشترك فى الحملة الفرنسية لاحتلال جزيرة سردينيا بايطاليا أثر محاولة بريطانيا القيام باحتلالها .

لقد اشتغل نابليون فى سنة ٩٣ فى قراءة الكتب والاستزادة من الثقافة السياسية والتاريخية الأمر الذى مكنه من وضع كتابه الأول ، وفيه تجلت عبقريته ، كما تجلى ثباته فى المعركة التى دارت بين الجيشين الفرنسى والانكليزى على سواحل ايطاليا مما أدى إلى رفع رتبته إلى درجة (عقيد) .

وفى سنة ٩٦ عين قائداً عاماً للجيش الفرنسى فى ايطاليا وجعل مقر قيادته فى نايس (Nice) حيث بدأ حملاته لاحتلال ايطاليا على رأس قوة تتألف من ٣٠ ألف جندى حتى وصل إلى غربى جنوا (Ganoa) ، وفى هذه السنة كانت ايطاليا المسرح الثانى للحرب فقد دارت فيها معارك عنيفة بين نابليون وجيشه وبين القائد النمساوى يوسف الفنكزى (Joseph Alvincze) ، من أهمها معركة نهر البون Alpone كان النصر فيها لنابليون وجيشه ثم عاد إلى باريس .

وفى سنة ٩٨ أبحر من ميناء سردينيا على رأس قوة فرنسية تتألف من ٣٨٫٠٠٠ جندى و ١٢٠٠ حصان و ١٧١ مدفع كان الغرض منها المحافظة على الطرق البحرية والتجارية إلى الهند بعد أن هددت بريطانيا بقطع الطريق البحرى على فرنسا وبعد أن نشب نزاع بين فرنسا وبريطانيا على القنال الانكليزى فقام نابليون بتحصين السواحل الايطالية المطلة على البحر الأبيض واكتسح جزيرة مالطة ، وفى هذه الآونة قام القائد البريطانى نيلسون (Nelson) بالابحار فوراً إلى الاسكندرية ثم غادرها إلى صقلية عند ماعلم بقدوم نابليون الذى وصل الإسكندرية فى ٢ يوليو ثم تحرك عبر الصحراء على الجانب الأيسر للنيل حيث اتخذها مقراً للقيادة بعد أن حصلت بينه وبين المماليك معارك استمرت إلى يوم ٢١ بالقرب من البراسيدس ثم أخذ فى التحبب إلى المصريين لاستجلاب مودتهم . =

« لقد كان بحارة العربية الجنوبية أصحاب كفاية ودراية ، وما زالوا ملاحين أ كفَّاء حتى اليوم ، فلم يكن من السهل على البطالسة إخراجهم من البحر أو إبعادهم عنه ، وحاول أوليوس غاليوس فى أوائل القرن الأول للميلاد غزو جنوب الجزيرة العربية بجيش قوامه ١٠٫٠٠٠ جندى ثم من بعده البرتغاليون قبل أربعمائة سنة ، حاولوا اقصاء العرب عن تجارة الهند وأفريقيا ومنع سفنهم من الظهور فى المحيط الهندى والبحر الأحمر فباءت هذه المحاولات بالإخفاق والفشل » .

« لقد استمرت قوافل سبأ ومن قبلها قوافل معين تدير دفة التجارة بين الشرق والغرب وكانت تسلك مسافات شاسعة من موانيها فى الجنوب ثم تسير شمالاً حاملةً السلع الهندية والأفريقية إلى (صُوْر) عاصمة الفينيقيين و (وغَزّة) شمالاً ، وإلى شواطىء الخليج الفارسى وأراضى البابليين شرقاً » .

= وفى أغسطس هاجم القائد البريطانى نيلسون السفن الفرنسية التى كانت ترابط فى (أبو الخير) ثم تلتها معركة (الطرف الأغر) فى جنوب أسبانيا وكانت المعركة الحاسمة ، قضى فيها نيلسون على قوات نابليون التى كانت تحاول الزحف نحو الشمال وقد قتل فيها نيلسون . وفى أوائل سنة ١٧٩٩ غزى نابليون سوريا واحتل ميناء يافا . وفى أغسطس وصلت إلى نابليون أنباء تفيد عن تحركات سياسية وعسكرية فى باريس مما اضطره للابحار سراً ، وفى هذه الآونة خرجت ايطاليا من تحت الاحتلال الفرنسى وكذلك سويسرا ، وقد تسلم نابليون أثر وصوله باريس منصب القيادة العامة للقوات المسلحة ثم تقلد منصب رئاسة الوزارة ، وقام بعدة تغييرات فى الجهاز الادارى والحكومى والدينى وأعلن المذهب الكاثوليكى مذهباً عاماً لفرنسا وذلك [illegible] سنة ١٨٠١ حيث كانت الأغلبية البرستانتيه لا تزيد على ٣٣ فى [illegible] أن الأغلبية الكاثوليكية تبلغ ٧٧٪ وقد أدى ذلك إلى تأييد البابا لنابليون وانتخابه امبراطوراً لفرنسا أثر اغتيال الامبراطور [illegible]

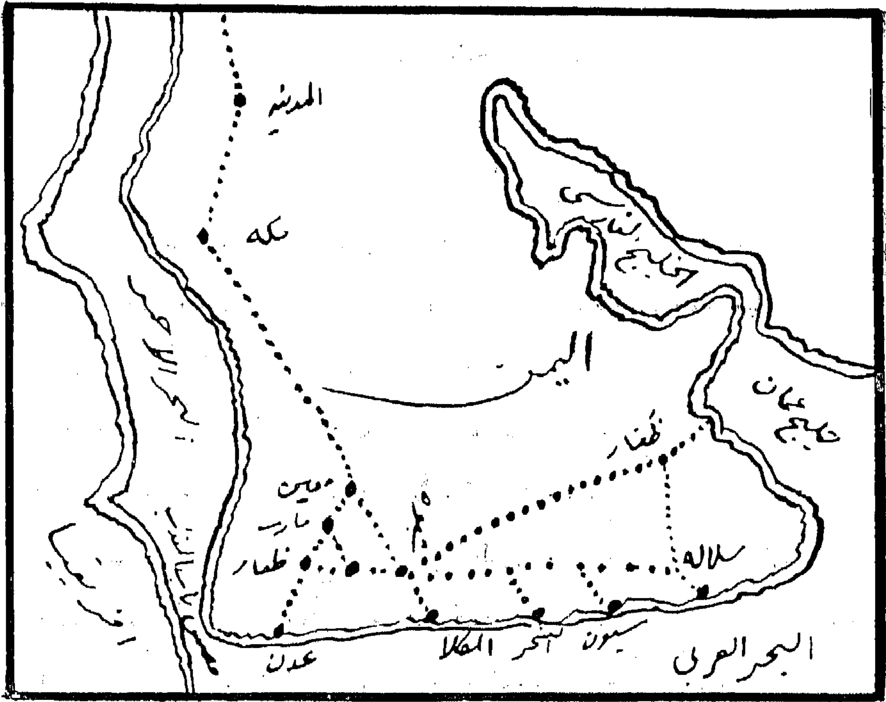
وأشار الدكتور جواد على فى موضع آخر من كتابه فى كلامه عن تجارة سبأ فقال « أشار ثيوفراستوس اليونانى Theophrastos (٣٧٠ — ٢٥٠ ق.م) إلى سبأ فى أثناء كلامه عن البخور — وكانوا يصدرون ويبيعون فى أيامه هذه البضاعة النفيسة الغالية — أنه سمع أن السبئيين كانوا حريصين جداً على احتكار تجارة البخور وأنهم كانوا يجمعون البخور بأنواعه من مختلف الأماكن ويخزنونه

(غزو نابليون لروسيا)

كان الحكم النابليونى فى أوائل القرن التاسع عشر مهدداً للحكم القيصرى فى روسيا ومنذراً بنشوب الحرب بين الجانبين مما اضطر القيصر الروسى إلى أن يعقد حلفاً مع السويد ومعاهدة سلام مع تركيا ، وفى ٢ يونيو سنة ١٨١٢ تحرك نابليون على رأس قوة ضخمة تتألف من ٨٠ ألف جندى لاكتساح روسيا ولكنه ما كاد أن يتوغل فى البلاد حتى أحدقت به المصاعب من كل جانب ، منها البرد القارس وقلة المدد والعلاج ، وحرب العصابات التى يشنها الروس ، ولكنه بالرغم من ذلك تمكن من احتلال « موسكو » بعد مذابح فقد فيها أغلبية من رجاله ، وفى ١٤ سبتمبر وهو اليوم التالى من احتلال (موسكو) لم يشعر إلا بنشوب الحريق الهائل فى موسكو على أيدى لعصابات الروس ثم بانقطاع القوة مما اضطر إلى العودة مع جيشه الفاتح إلى الوراء ، وهناك تمكنت العصابات الروسية من الفتك بالجيش الفرنسى ولم ينج نابليون إلا بالعدد القليل وقدر عدد القتلى بـ ٥٠ ألف جندى ، وفى ١٤ ديسمبر وصل إلى باريس ولم يبق معه غير ٣٠ ألف جندى فقط .

ومنذ وصوله باريس أخذ يعد العدة لاستئناف الغزو على روسيا بالرغم من تذمر رجال الدولة وأستياء الرأى العام فى فرنسا على ما فقد من الجيش الفرنسى ، ولكن جاءت الأقدار بعكس ما يتوقع فقد اشتد الألم على نابليون فى معدته ومات فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ وخلفه على العرش ابن أخيه نابليون الثالث . انتهى ، دائرة المعارف الاميريكية جزء ١٩ صحيفة ٦٩٦ — ٦٩٧ .

فى (معبد الشمس) ، وهو معبد أحيط بحراسةٍ قوية وبجنود أشدَّاء فإذا حل الموسم جاء الناس بحاصلهم لخزنه فى المعبد ، فيضعونه أكواماً وأمام كل كومة لوحة كُتِب عليها مقدار البخور ووزنه والسعر الذى يجب أن يباع به، فإذا أراد تاجر مّا شراء كومة ، وزَنَها وَوَضَع الثمن أمامها ، فيأتى كهنة المعبد فيأخذون الثلث باسم المعبد ويتركون الباقى فى محله إلى أن يأتى صاحب الـكومة المبيعة فيتسلمه » .



صورة رقم (٣٢)
طريق القوافل التجارية أيام معين وسبأ

وقال الدكتور فليب حتّى فى كتابه (تاريخ العرب) أثناء كلامه عن تاريخ جنوب الجزيرة العربية ما لفظه : « ويعزى رقى تلك الربوع « السعيدة » إلى عوامل عديدة ، منها نصيبها الوافر من الأمطار وقربها من البحر ومركزها الجغرافى الخطير على خط الاتصال بالهند ، وكان من حاصلاتها الطيوب والمرّ وسواها من طرائف العطور والأفاويه التى تستعمل كتوابل للطعام ، وتحرق فى حفلات البلاط والمراسيم الدينية ، وأجدرها بالذكر البخور وهو أثمن البضائع التى تداولتها التجارة القديمة ، وإلى هذه البلاد ترد الحاصلات الغالية المرغوبة ، فكان يرد اللؤلؤ من خليج العجم والأفاويه والأنسجة والسيوف من الهند ، والحرير من الصين ، والأرقّاء والقرود والعاج وريش النعام والذهب من الحبشة ، وكانت جميعها تجد طريقها إلى أسواق بلاد الغرب . ولقد ترك لنا مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأرتيرى » ٥٠ ـ ٦٠م وصفاً مجملًا لسوق (مُوزَا) وهى (المخاء) اليوم حسبما شاهده ، قال فيه : «كان يردُها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية ، ناعمها وخشنها ، وألبسةٍ خيطت على الزى العربى ، ذات أردان قد تكون بسيطة أو عادية مطرزة أو موشاة بالذهب ، والزعفران وقصب الذريرة وأنسجة القطن الشفافة والأعبئة والأحزمة ـ وهى ليست كثيرة ـ بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية ، ومناطق ذات ألوان عديدة ، ودهون عطرية بكميات معتدلة ، والخمر وقليل من الحنطة لأن البلاد لا تنتج منها إلا اليسير ، على أنها تفيض خمراً ، وتصدر البلاد حاصلات أرضها : فاخر المرّ والصمغ المعينى والرخام اللين (المرمر) » .

« لقد كان أهل (سبأ) فينقىّ البحر الجنوبى ، فقد عرفوا طرقه وتعرجات سواحله وموانيه ، وامتلكوا أرياحه (الموسمية) السّموم ، فاحتكروا بذلك تجارته خلال القرون الثلاثة عشرة الأخيرة قبل الميلاد[1] » .

(١) صحيفة ٦٠ — ٦٣ ج ١ .

وقال فى موضع آخر نقلاً عما كتبه المؤرخ اليونانى الشهير (سترابون) «Strabun» ــ وكان له إعجاب عظيم بما ناله عرب الجنوب من تقدم فى ميدان التجارة والعمران شأن غيره من الكتاب اليونان ــ : « ولقد أصبحت (السبأى) و(الجرهاى) وهى فى العربية الجرعاء على خليج العجم بما لهما من نصيب فى تجارة (الطيوب) ــ أغنى القبائل عامّة ، فعندهما مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة ، منها : الأسرّة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب ، وناهيك بمنازلهم الفخمة ، وقد تزوقت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان ، وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة ، وما فى بلادها من مناجم الذهب وأمواه للرىّ ، وما تنتج من العسل والشمع بكثرة ، فلو تحريت هذه الأفكار تماماً علمت أنها أغنى بلدان الأرض قاطبةً مما يتوارد إليها من كنوز دولة الرومان ودولة الفرثيين[١] » .

الثقافة والدين :

يستفاد من الأبحاث العلمية الابيقرافية ــ الكتابات والنقوش وهى المصدر الرئيسى الذى يعطينا المعلومات الكافية عن الثقافة القديمة والدين لجنوب الجزيرة العربية ــ أنها كانت تتركز على الثقافة الدينية البحتة القائمة على دعائم الثالوث الفلكى وهى ترمز إلى أشياء ثلاثة :

١ ــ إِلْمُقَهْ ــ الإله القمر ــ وهذا الاسم لايخلو منه نصٌّ فى الغالب ويعرفه السبئيون بـ (ثهوان) ، وأهل الجوف والبون بـ (هِرّان)[٢] ، والهمدانيون

---

(١) ج ١ صحيفة ٦٠ — ٦٣ .

(٢) (هران) اسم لموضعين ، أحدهما جبل واقع شمالى ذمار ، والثانى واد متوسط بين الجوف ونهم وهذا هو المراد .

بـ (تالب ريام)[١] ، ويطلق عليه اسم (سين) و(شهر) و(وُدّ) عند المعينيين .

٢ — (الشمس) وتسمى عند المعينيين (ذت نَـكْرَحْ) ، وعند السبئيين (ذت حميم) أى الشديد الحرارة و (ذت بعدان) و (ذت غضران) و (ذت بران) وعند القتبانيين (ذت صنتم) و(ذت مَخْرَنْ) و(ذت رحْبَنْ) .

٣ — (عثتر) وهو عشتر الاسم المعروف بالزهرة ، ومن أسمائه (ذُو قَبْضْ) و(ذو يَحرِفْ) و(عثتر شرقن) أى الشارق[٢] و(عثتر ذو يهرق) و(ذو حِنْسَت) و(ذو جَرِبْ) و(حجر) و(بَهْرَوَيْرْ) وغيرها ، وقد رسم كطفل عارٍ ، ويُتقرب إليه خاصة فى شئون النساء والأطفال والحمل والولادة على رأى هومل .

وفى قصة ملـكة سبأ حكى الله سبحانه وتعالى على لسان هدهد سليمان قوله (وجدتُها وقومَها يسجُدون للشمسِ من دونِ الله . الآية) مما يؤكد أن عبادة الشمس كانت السائدة فى عصر ملـكة سبأ الأولى فى القرن العاشر قبل الميلاد ، أى فى أواخر دولة (معين) .

وقد اختيرت الرموز الحيوانية كالثور مثلًا لما فى قرنيه من الشبه بالهلال تقديساً (للإله القمر) وتظهر صورته فى طوابع اليمن الحديثة ـ ، وقد يرمز إلى الحراثة كوسيلة من وسائلها كما أسلفنا . ويطلقون على الآله اسم (إل) أو (بعل) وعلى المذكر (ذ) والمؤنث (ذ ت)[٣] .

وهذه الثقافة الدينية الجنوبية كان لها شأن فى التاريخ القديم حتى لقد أثرت على غيرها من الديانات فى الشمال والحبشة ، فقد وجد رسم الطفل الذى يرمز

---

(١) ريام : اسم لموضع على رأس جبل (أتوه) من بلد همدان ، ويقول الهمدانى عنه فى الإكليل أنه كان منسكا ينسك عنده ويحج إليه .

(٢) أداة التعريف عند المعينين والسبئين والقتبانيين والحميريين هى النون فى آخر الـكلمة فيقال فى الملك (ملـكن) وفى الذهب (ذهبن) .

(٣) راجع الفصل الثانى من كتابنا (آثار معين وسبأ) .

إلى (عثتر) أى الزهرة على حجر فى (تدمر) ، كما وجد اسم الزهرة بلفظ (عشترت) عند الاشوريين والاراميين القدماء .

ويقول بلينيوس المؤرخ اليونانى أن بمدينتى (ناجيه) و(تمنع) باليمن ٦٥ هيكلاً ، وفى شبوه ٦٥ هيكلاً . وكان السكان ينسبون آلهتهم إلى بعض الأماكن التى كانوا يعبدون فيها تمثاله كما هو معروف فى المقه ، وشهوان ، واوام وهرّان ، وتالب ريام .

الخط المسند :

والخط المسند ـ وهو قلم الجنوبية العربية الخاص ـ من أبرز الأقلام السَّامية وأقدمها وقد استعمله المعينيون وتفنن فيه السبئيون والقتبانيون والحميريون .

ويقول الدكتور جواد على : « والمسند من الأقلام العتيقة وهو أعتق من القلم النبطى بل أقدم الأقلام التى عرفت فى شبه جزيرة العرب حتى من الأبجدية الكنعانية التى يزعم فريق أن المعينيين تعلموا الخط من الكنعانيين برابطة التجارة معهم بدليل أن الكنعانية ينقصها حروف (د ، ض ، ظ ، س ، ث ، غ) ، ويرى الكثير من الباحثين أن الأقلام التى عثر عليها فى الجزيرة العربية كلها متفرعة من المسند ، وهى تعد متأخرة إلى حوالى القرن الأول للميلاد[١] ، ونكاد نلمس أثر المسند فى الكتابة الحبشية المستعملة فى الوقت الحاضر دون عناء كبير ، وهذا يشير بالطبع إلى أثر الثقافة اليمنية فى الحبشة وفى السواحل الأفريقية المقابلة لبلاد العرب ، وحتى فى القلم (البراهيمى الهندى حيث نلاحظ

---

(١) وهذا القول محل نظر ، فقد وجدت نقوش تحمل أبجديات أخرى وهى تعود إلى ما قبل هذا التاريخ بمراحل .

شبهاً كبيراً بينه وبين المسند ، ولا يستبعد أثر المسند فيه لأن العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جداً . وقد عثر بعض المستشرقين على لوحات مكتوبة بالخط المسند فى (حنّا) (وثَبَحْ) التى تبعد خمسين ميلاً من ساحل الخليج الفارسى ، وفى فلسطين والشام ، وفى (وركآء) بالعراق ، و (ديلوس) من جزر اليونان و(الجيزه) و(مصر) و (القطيف) بالحجاز و (يحَا) فى الحبشة »[1] .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه ي

صورة رقم (٣٣)
أبجدية الخط المسند

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جزء (١) صحيفة ١٩٢ - ٢١١ باختصار .

أبجدية المسند :

تتألف أبجدية المسند من ٢٩ حرفاً وهى مجرد حروف صامتة ؛ ويفصل بين الكلمتين بخطٍ عمودى مستقيم ، ومن قاعدتها أن يكتب العدد من اليمين إلى اليسار كالقاعدة المتبعة فى الكتابة العربية ، وقد يكتب السطر الذى يليه أحياناً من اليسار إلى اليمين كالقاعدة المتبعة فى الخط اللاطينى ولكن بطريقة معكوسة وهى الطريقة المعروفة فى علم الأقلام القديمة بـ (طريقة دوران الثور) وهى الطريقة التى كانت معروفة فى شبه الجزيرة العربية قديماً[١] ، وتسمى بالإنكليزية Poustrophedon Inscriptions[٢] .

وليس فيها شىء من النقط أو الإشارات أو الحركات ، وقد يكتب الحرف المشدد مرتين ، وسمى هذا القلم مسنداً لأن حروفه ترسم على أشكال خطوط مستندة للأعمدة وكان لحضارة اليمنيين عقلية تنحو نحو الأعمدة فى عمارة القصور والمعابد والأسوار والأبراج والسدود وأبواب المدن حسبما ذهب إليه صاحب تاريخ اللغات السامية[٣] .

لغة المسند :

هى ما نسميها الآن باللغة الحميرية وهى لهجة سامية وتمتاز بثروتها اللغوية وغزارتها التعبيرية ، وخاصة التى ترجع إلى العصر المعينى إلاّ أن الكثير منها لم يترجم حتى الآن ، ولم يكن ماعثر عليه المستشرقون مما وجدوه على سطح الأرض كافياً فى معرفة جوهر اللغة ، وذلك نظراً لقلة مصادرها حالياً من جهة ، ثم لعدم

---

(١) كنوز مدينة بلقيس ص ١٢٠ .

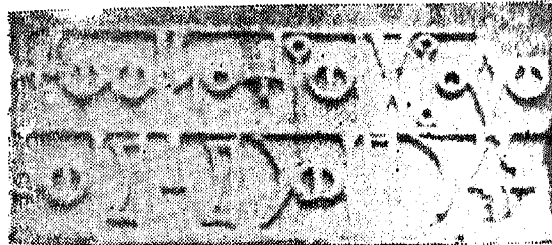
(٢) Incy. Brita Vol. 3. p. 972 .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام جزء (١) صحيفة ١٩٧ .

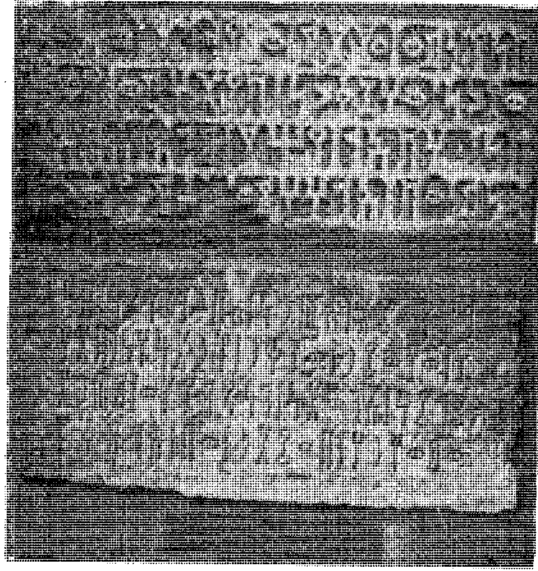
وجود الكثير من الألواح والنقوش الكاملة الغير مقطعة ولا مجزأة من جهة أخرى ، مما يجعل القارىء غير قادر على فهم ، محتويات النص كاملاً ، ومع هذا فإننا فى حاجة إلى بذل جهد عظيم لدراسة هذه اللغة المجيدة ، وفهم الخط فهماً صحيحاً يمكّننا من معرفة أسرار النقوش ومحتوياتها ، وهذا طبعاً لا يتسنى إلا باكتمال وسائل البحث والتنقيب عن الآثار والمعابد والهيا كل التى تعتبر إحدى ثروات اليمن (السعيدة) .



صورة رقم (٣٤)
شاهد قبر من الرخام كتب عليه اسم (على وأولاده)
« متحف صنعاء »



صورة رقم (٣٥)
قطعة من المرمر مكتوبة بالمسند
(المتحف الرومانى — روما)



صورة رقم (٣٦)

تشتمل على نقشين بالمسند : النقش الأعلى — ويحتوى على ذكر أسماء ، منها عزام وزيدلت وسعدثون بنى جدنم ، شيدوا قصرهم المسمى (يفض) من أساسه حتى القمة ، وكان ذلك فى مقام سيدهم كرب ال وتار بن وهت ال يحز المتقدم ذكرها فى النقش الموجود بالجامع الكبير بصنعاء صورة رقم (٦) ، وقد ختم النقش بالثناء على إله السماء .

والنقش الأسفل — ويتضمن اسم (لحيعثت سطاران كبير قبيلة فيشان) ، بنى حرة (شلثان) لتحوير المياه إلى بساتين النخيل ، وختم النقش بالثناء على الإله (عثتر) و (المقه) .

« المتحف البريطانى »

الفصل السادس

(سقوط الدولة الحميرية)

كانت الحركة التجارية فى اليمن حتى القرن الأول للميلاد هى المصدر الرئيسى الذى يقوم عليه كيان البلاد الاقتصادية والسياسية ، وفى هذا الوقت بالذات حولت السفن التجارية اتجاه سيرها عابرةً المحيط الأطلسى لأول مرة بعد اكتشاف هيبالوس اليونانى لاتجاه الرياح فى المحيط الهندى[1] كما أسلفنا فى الفصل السابق ، وأصبح البيزنطيون بعد أن استولوا على مصر — وكان لهم علاقة كبيرة مع اليمنيين فى المجال التجارى — وكذا تجار الهند والصين يسافرون بتجاراتهم عبر المحيط الأطلسى ، وبهذا توقفت حركة القوافل اليمنية تدريجاً ، وأخذت حالة اليمن التجارية تسير من سيىء إلى أسوأ ، وأخذ اليمنيون يهاجرون إلى الأقطار الأخرى زرافات ووحداناً بحثاً وراء مصادر تجارية أخرى .

وأعتقد أن هذا السبب هو العامل الرئيسى فى هجرة أهل اليمن ، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التى ذكرها بعض المؤرخين ، وزاد الطين بلّة ذلك الخلاف المحتدم والنزاع الدائم بين الهمدانيين ومن تبقى من سلالة الريدانيين ، وانصراف ملوك حمير إلى الاهتمام بالغزو والحرب وإخضاع الأطراف أكثر من اهتمامهم بالزراعة والعمران وفتح آفاق جديدة فى المجال التجارى الذى هو أحد مقومات الحياة فى البلاد ؛ ولعمرى أن هذا الاتجاه الحربى البحت الذى سلكه الملوك الحميريون ، وبالأخص ملوك الطبقة الثانية ، واهتمامهم بتشييد الحصون والقلاع الحربية واستبدالهم بمدينة مأرب المحفوفة بالجنان الزاهرة ، والمروج الخضراء بمدينة (ظفار) الاستراتيجية و(غيمان) وغيرهما أضر كثيراً بحالة اليمن الاقتصادية كما أثر فى عمرانها وازدهارها بالإضافة إلى ما أصاب اليمن من النكبة الكبرى والخسران

---

(١) صحيفة ٦٥ من كتاب (قاموس المكتشفين) .
«Dictionary of Discoverers»

الفادح بتحويل الطريق التجارية عنها ؛ على أنا لا ننكر ما أحرزه الحميريون من السيطرة وبسط النفوذ فى كافة جنوب الجزيرة العربية ، الأمر الذى لم تنله دولة سبأ ولا دولة قتبان ، ولكننا نقول أن هذا النفوذ كان أمراً شكليًّا لم تستفد منه البلاد شيئاً ، علاوةً على استمرار الهجرة سيما بعد تهدم السدود ، ولذا فإنه سرعان ما ضعف هذا الحكم وتبدد ، الأمر الذى أدّى أخيراً إلى سقوط الدولة وتصدع البلاد ، وصيّر من اليمن معتركاً سياسياً بين اليهودية والنصرانية .

اليهودية والنصرانية فى اليمن :

فى عام ٧٠ ميلادية كان اليهود قد نزحوا من فلسطين بعد أن دمّرها الأمبراطور الرومانى (تيتوس) Titus ، وحطم هيكل أورشليم حسبما تقدم ، فتفرقوا فى الأقطار ، ووجد بعضهم فى اليمن بلداً آمناً يأوون إليه ومكاناً حصيناً يقيمون فيه ؛ وبعد مضى برهة من الزمن تمكنوا من السيطرة على مرافق اليمن التجارية مما ساعدهم على نشر الدين اليهودى فى اليمن . وكان أول من اعتنقه هو الملك أسعد الكامل ، ثم من بعده ذو نواس — وهو آخر الملوك الكبار لدولة حمير .

وقد أدّى تعصُّب ذو نواس — الذى سمّى نفسه يوسف — للدين اليهودى إلى إيقاعه بنصارى نجران فى قصة الأخدود المعروفة فى القرآن الكريم (١) وذلك بعد أن شكى إليه يهود نجران غلبة النصارى أثر نشوب فتنةٍ بين الجانبين ، فنهض يوسف ذو نواس إلى نجران فى سنة ٥٢٣ م ، وحفر الأخدود ، وأضرم فيه النار وخيّر النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إلقائهم فى الأخدود ، فأبى الكثير منهم عن الرجوع عن دينهم فأحرقهم .

لقد كان هذا الفعل الشنيع مثاراً لاستنكار معتنقى دين النصرانية فى أوربا والحبشة أصبحت بعده اليمن مسرحاً للنزاع والحروب بين اليهودية — وعلى رأسها يوسف ذو نواس — وبين المسيحية — ومن ورائها قيصر الروم ونجاشى

---

(١) سورة الأخدود .

الحبشة ـ لقد وجّة (مارشمعون) أسقف بيت أرشام رسالة نداء إلى الأساقفة ، وبالأخص أساقفة الروم والحبشة دعاهم فيها إلى مناصرة إخوانهم فى الدين ، كما غضب لهذا الحادث ملك الروم أيضاً ، فكتب إلى نجاشى الحبشة وهو على دين النصرانية[١] أن يجرد حملةً عسكرية من جهته للقضاء على يوسف ذونواس وأتباعه من اليهود فى اليمن ، فأرسل النجاشى قوة كبيرة تتكون من أربعة آلاف جندى بقيادة (أرياط)[٢] وجرت بين الفريقين معارك دامية كانت الغلبة فى نهايتها للأحباش مما اضطر يوسف ذو نواس إلى إلقاء نفسه فى البحر ، وهكذا انتهت دولة الحميريين واستولى الأحباش على اليمن عام ٥٢٥ م ، وفى هذه الآونة قام أبرهة بن الصباح الأشرم ـ وكان أحد قواد جيش النجاشى ـ بثورة ضد النجاشى فى اليمن بأن قتل القائد أرياط ـ وكان قد حكم اليمن خمسة عشر عاماً كما تقدم ـ ودعى نفسه ملكاً على البلاد ، وعمل على تنصيرها ، وهو الذى بنى كتدرائية (القليس) بصنعاء والمعروفة الآن بـ (غُرْفَةُ القَلِيْسْ) وأرغم الناس بالحج إليها بدلًا عن البيت الحرام ، وهو صاحب قصة الفيل المعروفة فى القرآن ، وكان متحمّساً للنصرانية ، وقد بنى بيعة فى مأرب كما يحدثنا نصّه السالف الذكر (صورة رقم ٣٠) وقد دام حكمه على اليمن ٢٣ عامًا ، ثم خلفه ولده (يَكْسُوم) لمدة تسعة عشر عامًا ، ثم ابنه الآخر (مَسْرُوقْ) ، ولبث ١٢ عامًا ، وكانت

---

(١) دخلت الحبشة فى الدين المسيحى سنة (٣٥٠ م) على يد الاسقف (فرومينيوس) وكان داعية سياسياً للاستعمار البيزنطى الذى كان قد انتشر بين القبائل العربية حتى وصل إلى نجران فى الوقت بالذات ، وقد نجح هذا الاسقف فى اقناع النجاشى (عزانا) بوجوب اعتناق المسيحية ، ومن هنا انتشر الدين المسيحى فى القارة الافريقية وجنوب الجزيرة العربية عند احتلال الاحباش لليمن فى المرة الأولى (٣٤٠ — ٣٧٤ م) اهـ . العرب قبل الإسلام صحيفة ٣٠٢ .

راجع احتلال الحبشة لليمن للمرة الأولى فى ترجمة بلقيس بنت الهدهاد قبل هذا .

(٢) الطبقات لابن سعد . . جزء ١ صحيفة ٩١ .

صنعاء عاصمةً لهم وقد انتهى حكم (مسروق بن أبرهة) عام ٥٩٩ م عند ماقام سيف بن ذى يزن بثورته المشهورة ضد الأحباش كما سيأتى .

جلاء الأحباش الأخير :

لقد دام الاحتلال الحبشى لليمن حوالى أربعة وسبعين عامًا كانت اليمن فيها مسرحًا لحروب طاحنة بين أقيال اليمن وقوات الاحتلال الحبشى ؛ وبالرغم من قوات الأحباش المتدفقة على اليمن فقد استمر من بقى من الأقيال فى مناضلتهم وقتالهم بعزائم ثابتة ، فقد جاء فى نقش أبرهة ذكر بعض التحركات التى قام بها اليزنيون ، وكان سيف بن ذى يزن النعمان بن عفير أحد سلالة ملوك حمير ، وكان أبوه النعمان بن عفير قد ثبت على جزء صغير من اليمن بعد موت يوسف ذونواس ، ثم بعد موت أبيه النعمان تمكن الأحباش من انتزاع الملك من يده ، فاضطره ذلك إلى السفر إلى كسرى أنو شروان ملك فارس طالباً منه النجدة على طرد الأحباش واستعادة ملك آبائه وأجداده ، فأجابه كسرى إلى مطلوبه وأمده بالقوة والمال ، وبعث معه القائد (وهرز) على رأس قوةٍ كبيرة ، ووقعت معارك بينه وبين قوات الأحباش بقيادة مسروق بن أبرهة ، ولقى سيف بن يزن تأييداً كبيراً من أهل اليمن أعانه على هزم قوات الأحباش بعد أن قتل مسروق فى إحدى المعارك ، وتولى سيف أمر اليمن من قبل كسرى فارس ، ووفدت إليه الوفود العربية ، وكان ممن وفد إليه وفد مكة وفى مقدمتهم عبد المطلب ابن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل ذلك مبعث النبى الكريم ومنقذ البشرية العظيم محمد صلى الله عليه وسلم بما يقرب من عشرين عامًا .

ثم وَلِى بعد موت سيف بن ذى يزن المرزُبان بن وهرز الفارسى كعاملٍ من قبل كسرى ، ثم التّيجان ابن المرزُبان ، ثم خسرو بن التّيجان ، ثم (باذان) وقد بقى الأخير والياً على اليمن حتى جاءت البعثة الإسلامية فى عام ٦٢٢ م ودخل مع أهل اليمن فى الإسلام .

المستشرقون

كانت النتائج التي عاد بها أول رحالة إلى جنوب الجزيرة العربية وهو الرحالة الدانمركي المشهور كارستن نيبور (C. Nibuhr) في سنة ١٧٦٢ م (١١٧٤ ه) هي العامل الرئيسي الذي حدى غيره من المستشرقين لزيارة اليمن ، وجعلهم يتجشمون أعظم المتاعب ، وأقسى المصاعب باعتبارها — كما قال الدكتور فؤاد حسنين علي — « أهم المناطق الحيوية في دنيا الآثار ، بل أوحدها في عالم الحضارة القديمة التي تمتد إليها أيادي المستشرقين وكشفيات الحفر والتنقيب » ؛ وبالرغم من هذه المصاعب فقد نجح الكثير منهم في القيام بمهماتهم في دراسة آثار اليمن القديمة ، باعتبار ما وجدوه على وجه الأرض من الكتابات والنقوش ، وعادوا بنتائج ذات فائدة كبرى ومعلومات قيّمة ، وساعد على فحص هذه المعلومات وتمحيصها وإخراجها إلى حيز الوجود الباحثون والعلماء المختصون بدراسة اللغات العربية الجنوبية[1] ،

---

(١) من الذين كتبوا عن تاريخ اليمن القديم أخذاً من المعلومات الأبيقرافية (الكتابات والنقوش) العلماء التالية أسماؤهم .

١ — وليم كسينوس	W. Gesinus
٢ — ف. فريسنيل	F. Fresnel
٣ — ى. رودكر	E. Rodiger
٤ — م. ليفي	M. Levy
٥ — ادورد قلازر	E. Glazer
٦ — فريتز هومل	F. Hommel
٧ — نيكولاس رودوكناكس	N. Rodokanakis
٨ — هوف سكوت	H. Scott
٩ — فيلبي	Philby

=

ومن أهم هؤلاء المستشرقين التالية أسماؤهم ، وقد جمعتها من عدة مصادر عربية وغربية :

١ — الرحالة الدانماركي كارستن نيبور (Carsten Nibuhr) . زار جنوب الجزيرة مع بعثته التي تتألف من خمسة فنيين ، أحدهم هـ . هافن H. Hagen أحد علماء جامعة كوبنهاقن الألمانية ، وقد غادرت البعثة كوبنهاقن متجهة إلى اليمن عن أمر ملك الدانمرك (فريدريك الخامس) ، ووصلت أرض اليمن فى أواخر عام ١٧٦٢ م (١١٧٤ هـ) وبقى نيبور فيها حتى أنجز مهمته وعاد إلى كوبنهاقن فى سنة ١٧٦٧ م (١١٨٠ هـ) بينما مات جميع أعضاء بعثته ـ وهم من كبار علماء الجامعة فى الآثار واللغات الجنوبية ـ حيث تأثروا بالجأ ومختلف الأمراض ، وقد عاد نيبور بمعلومات نافعة ومواد أثرية قيّمة لا تزال محفوظة فى متحف كوبنهاقن حتى اليوم كما طبعت رحلته فى سنة ١٧٧٢ وسنة ١٧٧٤ م .

وكارستن نيبور هو صاحب النص المعروف بنص (حصن الغراب) وقد نشره باللغة الافرنسية ، وله كتاب بالألمانية عنوانه .

(Reise Beschreibug Nach Arabien)

٢ — الدكتور ستزن (U. E. Seetzen). زار اليمن سنة ١٨١٠ م (١٢٢٦ هـ) وأثر وصوله ذمار عثر على خمسة نصوص سبئية وأرسلها إلى لندن بواسطة الخفاء ، وقد اختفى هذا المستشرق فى اليمن عند ما أوغل فى البلاد ولم يعرف مصيره .

= ١٠ — ل. كيتانى الإيطالى	L. Kaetani
١١ — د. أوليرى »	D. O'Leari
١٢ — ل. أوساندر	L. O'Sandar
١٣ — ج. موردتمن	J. Mordtmann
١٤ — ج بيستون	G Beeston

٣ — الضابط الانكليزى جيمز (James Welested) ، زار اليمن سنة ١٨٣٠ م - (١٢٤٦ هـ) .

٤ — الرحالة هوتن (J. G. Huttun) زار مأرب ونجران ، وتمكن من الحصول على ٦٨٦ من نقوش ونصوص وألواح على اختلافها ، استنسخ بعضها ، وحمل ماقدر عليه معه إلى أوربا .

٥ — الدكتور ماكل الإنكليزى (Mackell) . زار اليمن سنة ١٩٣٦ م (١٢٥٢ هـ) ، وقد أرسل خمسة نصوص سبئية إلى لندن ، وطبعت رحلته فى سنة ١٨٣٨ بعنوان (صنعاء عاصمة اليمن) حيث قامت بنشرها الجمعية الملكية البريطانية للجغرافيا بلندن وفروعها فى (بمبى) .

٦ — كروتندن (Cruttenden)البريطانى وصل اليمن مع رفيق له يدعى هلتون (Hulton) سنة ١٨٣٨ م (١٢٥٠ هـ) وقد مات هلتون فى اليمن، بينما نجح كروتندن فى رحلته وعاد بنتائج حسنة ، ونشرت رحلته المسماة (رحلة من المخا إلى صنعاء) الجمعية الملكية البريطانية للجغرافيا بلندن سنة ١٨٣٨ .

٧ — بأول بورتا (Paul Borta) سنة ١٨٤٠ م (١٢٥٧ هـ) .

٨ — الضابط الانكليزى الكولونيل كوغلان (Coghlan) . أرسل من عمران إلى لندن بواسطة المخاء ٢٥ لوحة برنزية سنة ١٨٦٠ م (١٢٧٧) [1] .

٩ — يوسف هاليفى (J. Halévy) يهودى افرنسى بعثته أكاديمية

---

(١) أهدى مجموعته للمتحف البريطانى بلندن وهى مجموعة رائعة إذ فيها ١٨ نصاً برونزية كتبت كلها فى أيام إمارة بنى مراثد التى عاصرت الدولة الحميرية أو هى فرع منها وتمركزت فى عمران ، وهى نصوص مربعة وبعضها مستطيلة يتراوح طولها من ٤٥ إلى ٥٥ سم وعرضها من ٢٥ سم إلى ٤٥ سم ، وقد قمت بنسخها حرفياً ونشرها مع ترجمتها الحرفية فى الكتاب السالف الذكر .

الفنون الجميلة فى باريس على رأس بعثة لجمع النقوش سنة ١٨٧٠ م (١٢٨٦ هـ)، وقد تمكن أثر دخوله اليمن من الاندماج مع اليهود والتزيى بزيهم الخاص ، وبذلك استطاع الوصول إلى كل مكان فى اليمن ، فزار (صنعاء) و (نجران) ثم (مأرب) و (صرواح) وغيرها واطلع على جميع الأماكن الأثرية ، واسترفق معه يهوديًا آخر من صنعاء يدعى حاييم حبشوش — وقد نشر كتابًا باللغة العبرية عن معلومات هاليفى — ، أما هاليفى فقد نشرت معلوماته أكاديمية الفنون الجميلة بعد عوده إلى باريس بعد أن زود الأكاديمية بستمائة وثمانين نقشًا جمعها من سبعة وثلاثين مكانًا من اليمن ، وتعد مجموعات هاليفى التى أصدرتها الأكاديمية من أهم المراجع لدراسة آثار اليمن المعينية والسبئية ، وتوجد بعض مجموعات فى متحف لوفر بباريس .

١٠ — توماس يوسف أرناؤط « Thomas Joseph Arnaud » وهو صيدلى إفرنسى وصل إلى اليمن كطبيب لبعض القواد الأتراك سنة ١٨٤٨ م (١٢٥٩ هـ) وبمساعدة الأتراك تمكن من زيارة الكثير من المواضع فى اليمن، وأهمها مأرب وصرواح ، وقد استنسخ منهما ما يزيد على ٥٦ نصًا سبئيًا نشرتها المجلة الأسيوية بباريس سنة ١٨٤٥م من ضمنها نصّ حصن الغراب ، وقد نشره مترجمًا فى سنة ١٨٤٧ .

١١ — المستشرق النمساوى إدوارد جلازر « Edward Glazer »، أستاذ اللغة العربية وفلكى المرصد القيصرى بڤينا ، بعثته الأكاديمية الباريسية ثم أكاديمية (براغ) إلى اليمن ، وقد تردد إليها أربع مرات فى التواريخ التالية

الرحلة الأولى : سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) بقى فى اليمن أربع سنوات ، قام خلالها بثلاث رحلات فى المنطقة الشمالية من اليمن ـ أولها : وهى التى رافق فيها كتيبةً تركيةً قدمت من صنعاء إلى السودة لمحاربة الإمام الهادى شرف الدين بن محمد ، ثم قام برحلة أخرى إلى (شبام) ، و (كوكبان)

و (عمران) و (حجه) ، وعثر على عدة آثار فى همدان ، وزار بمساعدة القائد الباشا مصطفى عاصم حاشد وبكيل ، ثم قام بالرحلة الثالثة لزيارة أرحب حيث عثر على أماكن فيها الكثير من النقوش والألواح قام بنقلها واستنساخها ، وقد هم بعض القبائل بقتله ، ولكنه نجا منهم بأعجوبة وعاد إلى صنعاء ومنها سافر إلى باريس سنة ١٨٨٤ م (١٣٠٢ هـ) .

الرحلة الثانية : سنة ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ) زار فيها (ذمار) و (يريم) و (رداع) و (جهران) ، وعاد إلى باريس ومعه ما يزيد على ١٤٠ نصّا ، أصبح معظمها الآن من ممتلكات المتحف البريطانى .

الرحلة الثالثة . سنة ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ) زار فيها الجوف ومأرب وصرواح .

الرحلة الرابعة : سنة ١٨٩٢ م (١٣١٠ هـ) وقد تزى فى هذه الرحلة بزى عالم عربى مكنه من اجتياز البلاد وصحب معه كثيراً من الوسائل للحصول على النقوش والنصوص ، كما حمل معه أدوات الطبع والنقل والتصوير وكان جملة ما عثر عليه من الألواح الحجرية والبرنزية مختلفة النحت والأحجام والنقود القديمة ما يبلغ ٧٥٢ قطعة ، يوجد الكثير منها الآن فى متحف فينا ، ويقال أنه استخدم عدداً من الأهالى واليهود وعلمهم طريقة طبع النقوش مقابل أجور مغرية ، ومن بين هذه الألواح نقوش عن مملكة قتبان ومدينة صرواح ، حفظ الكثير منها فى متحف برلين ، ومعها رسوم وخرائط سد مأرب وقنواته ومسائله ، كما باع بعضها من المتحف البريطانى ، وكانت مجموعاته أكبر مجموعة أثرية تصل إلى أوربا ، وقد قال عنها العلامة (هومل) بأنها فتحت عهداً جديداً لمعلوماتنا عن بلاد العربية السعيدة كما أغنتنا فى تاريخ الشرق القديم ، ويرجع السر فى نجاح هذا المستشرق إلى كفاءته العلمية وتصميمه الذى امتاز به عن سائر المستشرقين الذين

سبقوه ، فقد درس التقاليد والعادات ــ الديانة واللغة ــ ، وإلى امتزاجه مع القبائل اليمنية ، وإلّا لما استطاع أن يحصل على ما حصل عليه[١] .

١٢ — سيجفر يدلنجر « Siejafred Langer » (النمساوى) وصل اليمن فى أوائل سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) أى فى السنة التى وصل فى آخرها جلازر ، وقد زار قرية (ضَافْ) بجهران ، وتردد فى منطقة ذمار ويريم ، وحصل على عدة نقوش حميرية ، وحاول التوغل فى البلاد فمنعه الأتراك حرصاً على سلامته لاشتعال نيران الحرب فى البلاد ضد الغزو التركى ، فعاد إلى عدن حيث أرسل معلوماته منها إلى (ڤينا) ، ثم عاود الكرة من عدن ودخل البلاد وحصل على عدة نقوش أخرى فى حضرموت ذات فائدة كبيرة ، ولكنه وقع آخر الأمر فيما حذره الأتراك ، فقد قتل غيلةً فى وادى (بناء)[٢] .

١٣ — راثجنز الألمانى « Rathgenz » سنة ١٩٢٨ م (١٣٤٧ هـ) ، وقد تحدثت عن مجموعاته فى مقدمة كتابى (لغة يعرب فى سطور الخط المسند) .

١٤ — جون جرديان الإنكليزى سنة ٩٠٩ م (١٣٢٦ هـ) .

١٥ — برترام توماس الإنكليزى « Bretram Thomas » سنة ١٩٣٩م (١٣٥٩ هـ) ، وله كتاب نشره بعد عوده إلى بريطانيا أسماه : (العربية السعيدة عبر الربع الخالى) « Arabia Felix Accross The Empty Quarter » .

١٦ — هوف سكوت الإنكليزى « Hugh Scott » سنة ١٩٣٧ م (١٣٥٧هـ) له كتاب مشهور عنوانه : فى اليمن العليا «In The High Yemen»

---

(١) التاريخ العربى القديم صحيفة ٣٢ .

(٢) قام بنشر بعض مجموعات الدكتور موللر (H. Muller) ورودوكناكس (Rodokanakies) سنة ١٩٣٤ بعنوان: « رحلات إدوارد جلازر إلى مأرب » .

١٧ — هاردلد انقرامز الإنكليزى « Harold Ingrams » ، وقد تجول هـــذا كثيراً فى حضرموت وعدن وبقية المقاطعات الجنوبية الرازحة تحت الاحتلال البريطانى بصفته موظف سياسى كبير ، ووصل إلى صنعاء سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ) ، وله كتاب معروف عنوانه : « Arabia and the Isles » .

١٨ — ويندل فيليبس الأمريكى « Widell Philips » رئيس البعثـة الأمريكية لدراسة حياة الإنسان التى نقبت فى (تَمْنَعْ) عاصمة قتبان ، ثم وصلت إلى اليمن سنة ١٩٥١م (١٣٧١ هـ) وقامت بالتنقيب عن آثارمأرب ، وله كتاب سماه : (كنوز مدينة بلقيس) ، وقد نشرت نتائج التنقيب التى قامت بها البعثة جامعة جون هابكنز الأمريكية مؤخراً فى مجلدين ضخمين تقدم الـكلام عنهما.

١٩ — البرفسور تشـــيزى أنسالدى الإيطالى « Cesare Anasalde » (١٩٣١ - ١٩٣٢ م) كتب إثر عوده كتاباً سماه : « El-Yemen » نشرته وزارة المعارف الإيطالية سنة ١٩٣٤[١] .

(الرحالة العرب)

٢٠ — ابن بطُّوطة : واسمه محمد بن عبد الله العربى المراكشى {٣٠٤ - ٣٧٥هـ / ٩١٦ - ١٠٠٣م}

---

(١) مركز العلاقات الإيطالية العربية - روما ومكتبة أكاديمية (Loncei) للعلوم ، ويوجد فى المـكتبة الأخيرة أبحاث عن اليمن للدكتور ل. كيتانى (Caetani) وج. قابرلى (G. Gabrieli) وذلك جزء مما كتباه عن تاريخ الجزيرة العربية القديم مما يعتبر من أهم المراجع فى أوروبا . ومجموعة البرفسور تشيزرى تتـكون من ٩٤ قطعة برنزية وجيرية ورخامية أودعها فى المتحف الوطنى الرمانى بروما . (Moseu Nazionalé Romano).

وصل إلى اليمن سنة ٣٦٥ ﻫ وزار الكثير من البلدان العربية والإسلامية ونشر نتائج زيارته فى رحلته المعروفة بـ : (رحلة ابن بطوطة) .

٢١ — الأستاذ محمد توفيق المصرى : يعد فى مقدمة الرحالة العرب بالنسبة لجمع الآثار ، وله كتاب سماه : (آثار معين فى جوف اليمن)[١]، وقد زار اليمن سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٩ .

٢٢ — الدكتور أحمد فخرى المصرى : زار مدينة مأرب وصرواح والجوف سنة ١٩٤٧ م (١٣٦٦ﻫ) وتمكن من الحصول على عدة صور ونقوش تزيد على ١٣٠ قطعة ، كما زار مأرب وصرواح سنة ١٣٧٢ ﻫ ، وكتب أثر عوده كتاباً سماه (اليمن ماضيها وحاضرها) باللغة العربية نشرته الجامعة العربية على شكل محاضرات ، وآخر باللغة الانجليزية نشرته الحكومة المصرية وعنوانه :

«Archologia Journy to Yemen»

٢٣ — أمين الريحانى اللبنانى : سنة ١٩٣٢ م (١٣٤٠ ﻫ) زار الكثير من الأقطار العربية ، وله كتاب فيه تفاصيل رحلته ، وكتاب آخر سماه (ملوك العرب) وقد طبعا فى بيروت .

٢٤ — نزيه مؤيد العظم السورى : وصل اليمن سنة ١٩٣٦ م (١٣٥٥ ﻫ) حيث زار مأرب وصرواح ، وله كتاب رحلة مشهور عنوانه : (رحلة فى بلاد العرب السعيدة . من صنعاء إلى مأرب (نشره فى القاهرة سنة ١٩٣٨ م (١٣٥٧) ﻫ .

---

(١) مكتبة الجامعة الاميريكية ببيروت ، وقد قام بنشر الكتاب المعهد الشرقى الافرنسى بالقاهرة سنة ١٩٥١ .

٢٥ — الدكتور خليل يحيى نامى أستاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة . زار اليمن مرتين ، فى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٥٢ ، وله إلمام واسع بلغة المسند خاصة وبعلوم الآثار العربية القديمة عامة . نشرت مجموعاته كلية الآداب بجامعة القاهرة فى عدة سلاسل متتابعة ، زرته بالقاهرة سنة ١٩٥٩ ، وفى مطلع عام ١٩٦٣ م ، حيث عرضت على فضيلته مجموعاتى عن الآثار اليمنية ولغة المسند ، وكان لى حفظه الله أكبر سند وخير معين فى فحصها ومراجعتها .

الفصل السابع

(اليمن فى موكب الإسلام)

كانت اليمن فى مقدمة البلدان العربية استجابةً لدين الإسلام ، فما كاد صوت الدعوة الإسلامية يبلغ إلى اليمن ، حتى توافدت بعوث همدان ، وخولان والنَّخع وكنده والصَّدف وبهراء وعُذْرَه وجُهَيْنَة وصِدَاء ومُرَادْ وغيرهما من مخاليف اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل أهل اليمن فى دين الله أفواجاً فى مواكب متسلسلة وجماعات متتابعة ، ويشهد لهم بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى مدحهم « الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق قلوباً وألين أفئدة ، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية » .

وجاء فى كثير من الروايات أن سورة النصر نزلت فى أهل اليمن عند مادخلوا فى دين الله أفواجاً .

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مبعوثَين من أكابر أصحابه ، هما الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى صنعاء ومخاليفها ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنه إلى الجَنَد[1] ومخاليفه ليدعوهم إلى الدين الإسلامى ، فاستجاب

---

(١) الجند فى النظام الادارى القديم أعظم الاقسام الثلاثة لليمن ؛ وأوسطها مخلاف صنعاء ، وأدناها مخلاف حضرموت . ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن اختار الجند فاختط فيها مسجده ، والجند أول مدن اليمن ، وهى من أرض السكاسك ، وقد أشتهرت فيها علماء وفقهاء ، مثل ابن قرة صاحب المسند ، وعبد الرحمن بن عبد الله قارىء المسانيد ا هـ . ص ٥٧ هامش الاكليل ج ٨ .

لها أهل ليمن فى الحال ، ودخلوا فى الإسلام جميعاً بكل يسر وسهولة ، وأصبحوا من أعظم مؤيدى الرسول الأعظم فى الحرب والسلم ، وفى توسيع دائرة الإسلام من بعده ، فقد استمروا فى مناصرة الخلفاء الراشدين ؛ فإنه ما كاد خطاب الخليفة الأول أبو بكر الصديق يُتلى على أهل ليمن ، داعياً لهم بالجهاد ، حتى نهض عدد من قبيلة ذى الكلاع ، بقيادة زعيمها ذى الكلاع الحميرى ، ومن قبيلة مذْحج بقيادة زعيمها قيس بن هُبيرة ، ومن قبيلة دَوْسْ (الأزْدْ) بقيادة زعيمها جَنْدبْ بن عمر الدوسى ، ومن طَيْء بقيادة زعيمها حَابِسْ بن سعد الطَّائى ، ووصل هؤلاء جميعاً إلى أبى بكر فى يومٍ واحد ، وكان عددهم يزيد على العشرين ألفاً بكامل سلاحهم وعتادهم ، وقد بعثهم أبو بكر إلى العراق والشام فجاهدوا أصدق جهاد وأبلوا أعظم بلاء ، كما كانوا أيضاً فى طليعة الجيش الإسلامى فى وقعة القادسية وحرب صفين والجمل تحت راية الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان له فى الثناء على قبائل اليمن ـ وخاصةً همدان ـ ما رواه الكثير من المؤرخين والكتاب .

ومن أشهر رجال الحرب اليمنيين وقادة المعارك فيهم سَعْد بن قَيْس وقَيْسُ ابن سَعد الهمدانيَّيْن ، وعمرو بن سلَمة الأرْحَبىّ ، ومحمد بن الأشْعَث الكِنْدِى وعَمرو بن سَلَمة الهمدانى وغيرهم .

وبرز من أعقاب أولئك المجاهدين اليمانيين رجال حملوا على كواهلهم رايات الفتح الإسلامى التى خفقت فى أفريقيا والمحيط الأطلسى ، وأخذت فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وبنيه الأربعة تنتشر إلى أسبانيا وجنوب فرنسا شمالاً ، وإلى تخوم الصين شرقاً ، حتى قال بعض المؤرخين ومنهم الدكتور جورجى زيدان فى الجزء الرابع من كتابه التمدن الإسلامى « أن أكتاف اليمانية هى التى رفعت عرش الدولة الأموية » .

ومن قاداتهم المشهورين عبد الرحمن الغافقى العكّى اليمانى بطل الفتح الاسلامى فى أسبانيا سنة ١١٢ هـ (٧٣١ م) وأمير الأندلس السَّمْحُ بن مالِك الخَولَانىِّ فاتح قرطبة ومؤسس الأمارة فيها سنة ٩٨ هـ (٧١٦ م) .

وكان لليمانيين يد كبيرة فى إرساء قواعد دولة عبدالرحمن الأول (الأموى) الملقب بالداخل فى الأندلس ، فقد كانت أول راية تنشر له هى عمامة زعيم اليمانية الخضراء فى أشبيلية أبو الصباح يحيى اليَحْصُبى ، حينما أراد عبد الرحمن فتح قرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) ولم يكن حينذاك لجيشه راية .

وتشهد لهم بذلك قلعة همدان فى قرطبة ، وقاعة خَولان فى غرناطة ، وقلعة يحصب فى أشبيلية ، وكلها بالأندلس[1] ، وبقايا قصور الـكلْبيّين فى (بَالِرمُو)

(١) يطلق اسم الأندلس على مقاطعات أسبانيا الجنوبية كمدينة قرطبة وأشبيلية وغرناطة ، وهى المقاطعات التى تمركزت فيها قوات الفتح الإسلامى وانتشرت إلى (التوليدو) التى تبعد عن (مدريد) عاصمة اسبانيا بثمانين كيلو متراً جنوباً .

وقد بدأ غزو المسلمين لأسبانيا سنة ٦٤ هـ (٦٨٤م) فى عصر الخليفة عبد الملك ابن مروان ، عندما أبحرت قوات إسلامية بقيادة طارق بن زياد عامل موسى بن نصير (أمير أفريقيا على تنجيرا) ومعه سبعة آلاف مقاتل من البربر ، وتمكن طارق من احتلال الشواطىء الأسبانية فى معركة لهـا شهرتها فى التاريخ الإسلامى ، ثم تبعه موسى بن نصير فى سنة ٩٤ هـ (٧١٢م) على رأس قوة قوامها ١٨٫٠٠٠ مقاتل معظمهم من العرب لاحتلال ما بقى من أسبانيا .

وقد بقيت أسبانيا تابعة لخلفاء الإسلام بدمشق حتى سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) . حينما نزح عبد الرحمن الأموى الملقب بالداخل ــ ويعرف عند الأسبان بعبد الرحمن الأول ــ إثر قيام الدولة العباسية فى العراق ، فأنشأ فى أسبانيا دولة مستقلة كان لها شأنها المعروف فى تاريخ الإسلام ، واتخذ قرطبة مركزاً لخلافته التى استمرت حوالى ثلاثين عاماً أى إلى تاريخ وفاته سنة ١٧٢ هـ (٧٨٩ م) ، وقد ساس البلاد خلالها بمنتهى الحزم والحكمة .

=

ثم انتقلت الامارة إلى غرناطة خلال حكم عبد الرحمن الثانى الذى حكم أسبانيا باسم خليفة بغداد المقتدر بن المعتضد (راجع قائمة خلفاء بنى العباس بعد هذا) واستمرت إلى أيام المطيع بن المقتدر ، ثم حكمها الأمير محمد بن أبى عامر باسم الخليفة العباسى القادر وهو من كبار قواد الجيش العباسى ومن أشهر حكام الإسلام فى تاريخ أسبانيا .

وبقيت أسبانيا كذلك حتى أواخر القرن الخامس الهجرى أى أوائل القرن الحادى عشر للميلاد حينما انقسم المسلمون على أنفسهم وفرقهم الغرور والأطماع إلى شيع وأحزاب فى عهد ملوك الطوائف وأصبحت أسبانيا كما قال الشاعر :

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة　　　فيها أمير المؤمنين ومنبر

فكان هنالك الخليفة المعتمدى بن عباد باشبيلية ، وخلفاء بنى الأحمر فى قرطبة ، ودولة الصقالبة فى غرناطة ، وجرى بينهم من الحروب والفتن ما ألحق بأسبانيا وأهلها الكثير من المصائب والمحن ، وانتهت هذه الاحتكاكات بتغلب يوسف ابن تاشفين على جميع ملوك الطوائف ، وتم له السيطرة على البلاد بعد أسر المعتمد ابن عباد وإرساله إلى سجن (أغماد) بالقرب من مراكش حتى مات سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) . وكان المعتمد من أهم ملوك العرب الذين ملكوا أسبانيا وأعظمهم كرماً وشجاعة ، وأكثرهم أدباً وعلماً ، ومن شعره وقد دخل عليه بعض بناته يزرنه فى يوم عيد وأقدامهن حافية وهو بسجن (أغماد) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً　　　فجاءك العيد فى (أغماد) مأسوراً
ترى بناتك فى الأطمار جائعة　　　يغزلن للناس ما يملكن قطميراً
يطأن فى الطين والأقدام حافية　　　كأنها لم تطأ مسكا وكافوراً
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا　　　فصرت فى القيد منهياً ومأموراً
من بات بعدك فى ملك يسر به　　　فإنما بات بالأحلام مغروراً

وانتهز المسيحيون فرصة هذه الفوضاء والتصدع فى صفوف المسلمين فألفوا عدة عصابات يربط بينها حزب مسيحى قوى كان قد شكل لمناجزة المسلمين القتال عند أن يتمكنوا من ذلك . ثم إجلائهم عن البلاد ، فكانت هناك قوة مسيحية فى نافارى (Navarre) بزعامة سانكو الثالث . وقوة أخرى فى التوليدو (Tolido)

بزعامة الفونسو الثالث ، وقد تمكنت هذه القوات من شن حملاتها على المسلمين وإخضاعهم بدون كبير عناء ، كما تم حصرهم في غرناطة ، ثم انتهى الأمر بإجلائهم عن البلاد جلاءً تاماً عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أفريقيا ، ثم أمعن المسيحيون فى طمس كل أثر إسلامى ، ونصب الشعار الصليبي فى كل مكان وعلى رأس كل مرتفع ، ولذا فإن الزائر لأسبانيا يجد الصليب فيها ولا سيما فى الأندلس أكثر مما يجده فى البلدان الأوروبية الأخرى .

أما الآثار الإسلامية فلم يبق منها إلا ماكان صعب التدمير مثل سور أشبيلية العظيم وقصر المعتمد بن عباد المعروف بلؤلؤة أشبيلية ويسمى (الخيرالدا) فى لغة الأسبانيين ، ومسجد الخليفة عبد الرحمن الأول فى قرطبة ومسجد مردوم فى التوليدو وقلعة خولان مع غيرها من أطلال المبانى والقلاع العربية فى غرناطة ، وقلعة الملك المظفر خارج قرطبة بحوالى عشرين كيلو متراً جنوباً ، وكذا آثار قرية القصبة ، والطارفة ، وبقايا مدينة الزهراء على الجبل المسمى (العروس) وجبل موسى بن نصير .

كما أن هنالك عدة أماكن أخرى لا تزال تحمل أسماءها العربية إلى اليوم ، كقرية اسبيل خارج مدينة أشبيلية شمالا بمسافة خمسة كيلو مترات (واسبيل بلدة معروفة باليمن بمقاطعة ذمار) ، ولعل اسم أشبيلية مشتق منها ، والوادى الكبير بين قرطبة وأشبيلية ، ووادى الخير شرقى مدينة (مدريد العاصمة حالياً) وإلى جانبه بلدة سميت باسمه .

أما القلاع العربية فهى كثيرة جداً ومنتشرة فى ربوع البلاد لا سيما جنوب أسبانيا ، وجنوبها الشرقى ، كقلعة الزايدة وقلعة مراد فى قرطبة ، وجلسة ، وأيود بين مدريد وبرشلونه .

وأهل قرطبة وكذا أشبيلية وغرناطة والتوليدو وبلنسية متأثرون بالطابع العربى فى مأكلهم وملبسم ومسكنهم وفى حرفهم أيضاً ، كالتطريز والخياطة والحياكه وتوشية الملابس وصنع النحاس والأحذية ، إلى غير ذلك من المهن التى تحمل الطابع العربى .

أما الدين الإسلامى فى أسبانيا فقد عمل المسيحيون على محوه بالكلية . ولم أسمع خلال زيارتى لأسبانيا بأى اسم عربى غير أسرة آل النسرى فى قرطبة .

عاصمة (صَقَلِّيَة)[1] . وفيما يلى قائمة عمال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين على اليمن ، يتبعها قائمتا عمال بنى أمية وبنى العباس :

---

(١) جزيرة كبيرة فى البحر الأبيض المتوسط جنوبى ايطاليا يفصل بينهما مضيق (مسيمو) وقد بدأت الجيوش الإسلامية تغزوها وتحتلها عام ٣٠ هـ (٦٥٢ م) أيام حكم معاوية بن أبى سفيان وكانت تحت حكم البيزنطيين ، وعند قيام دولة بنى الأغلب فى القيروان قامت قواتهم باحتلال مدينة (سيراقوسا) عام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ثم بالرمو (العاصمة الحالية) عام ٢١٦ هـ (٨٣١ م) ، ثم مسينى عام (٢٧١ هـ ٨٧٨ م) .

واستمرت دولة الأغالبة تحكم الجزيرة إلى عام ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) ، بينما علن من فيها من المسلمين انضمامهم إلى دولة الفاطميين فى مصر ، وبذلك أصبحت قاعدة حربية للفاطميين . وكان دور الفاطميين فى صقلية دور يحتل المكانة الأولى من الأهمية ، فقد كانت الجزيرة هى الميدان الذى جردوا منها حملات كبيرة على البيزنطيين ، وصلت معظمها إلى (جنوا) أحد موانى إيطاليا فى سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) .

وكان ضمن الجيش الإسلامى فى الجزيرة عدد من اليمانية وأشهرهم الكلبيون ومنهم الأمير الحسن بن على أبى الحسين الكلبى المتوفى ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) وقد أنابه الخليفة المنصور الفاطمى على حكم الجزيرة عام ٣٣٦ هـ كما أناب أخاه أحمد من بعده ، وقد أنشأ هذان الأميران دولة عظيمة لا تزال تعرف إلى الآن بـ (دولة الكلبيين) ، ويعود إليهم فضل انشاء القصور الأنيقة والمجالس الراقية والمساجد العظيمة والقلاع المنيعة فى مدينة بالرمو وسيراقوسا ، ودامت دولتهم فى الجزيرة حتى عام ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) حينما بدأ الفتح النورمندى .

وفى سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٩ م) كان المؤلف أحد أعضاء الوفد اليمنى الذى زار المدن الإيطالية ، وقد وجد فى زيارته الكثير من الآثار العربية والمساجد والقباب لاسيما =

= مدينة بالرمو وسيراقوسا مما يشهد للكلبيين بقوة الإيمان وعظمة السلطان ، على الرغم من تغير معالم البلاد وإمعان النصارى فى طمس أثار الدين الإسلامى بعد نفى المسلمين من صقلية — شأنهم فى أسبانيا — ، وقد لفت نظرى عند ما كنا نزور مسجداً إسلامياً فى مدينة بالرمو لوحاً حجرياً ملقى فى زاوية المسجد قد أثر فيه التراب والرطوبة حتى كادت كتابته أن تنطمس » فلم أتمكن من قراءته إلا بصعوبة » ويشير خطه اليمنى إلى أنه ضريح « الشيخ الهمام المجاهد ياسين بن على يعيش المتوفى سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) وبيت يعيش معروفون إلى الآن فى (سنحان) جنوبى (صنعاء) ، وقد كتب فى نفس الضريح مرثاة بليغة ، ومع الأسف لم أتمكن إلا من نقل أربعة أبيات منها وهى كما يلى :

فُقِدْتَ فما فى العيش بعدك طيبُ	وغبتَ عن الدُّنى فلستَ تؤبُ
مقيمٌ إلى أن يبعثَ الله خلقَه	لقاؤك لا يُرجى وأنت قريبُ
ووجهك يبلى كل يوم وليلة	وقدُّك لا يثنى وكنتَ رَطيبُ
عليك سلام الله مادرّ شارقٌ	وما اهتزَّ فى دوح الأراك قضيبُ

(قائمة عمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين على اليمن)

١ ـ الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

٢ ـ مَعَاذ بن جَبَل رضى الله عنه

٣ ـ أبو موسى الأشعرى

٤ ـ خالد بن الوليد

٥ ـ البراء بن عازب

٦ ـ سعيد بن لبيدٍ الأنصارى

٧ ـ خالد بن سعيد بن العاصْ

٨ ـ الطّاهر بن أبي هَالَه

٩ ـ يعلَى بن أميَّه

١٠ ـ عمرو بن حَزم الأنصارى

١١ ـ عُـكاشه بن ثَوْر

١٢ ـ جرير بن عبد الله البَجَلِي

١٣ ـ عامر بن شِهْر

١٤ ـ شِهرْ بن بادَامْ

١٥ ـ وَبْر بن يحنَّس : عمر جامع صنعاء المسمى الجامع الـكبير[1] عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) قال الحجرى فى كتابه (مساجد صنعاء) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر وبر بن يحنس الأنصارى حين أرسله إلى صنعا والياً عليها ، فقال له ادعهم إلى الإيمان ، فإن أطاعوا لك بها فاشرح لهم الصلاة ، فإن أطاعوا لك بها فمر ببناء المسجد فى بستان (باذان) ما بين الصخرة الململة إلى غمدان . قيل إن الصخرة المشار=

١٦ ـ أبو سُفيان بن الحارث

١٧ ـ فَيْرُوز الدَّيلمى .

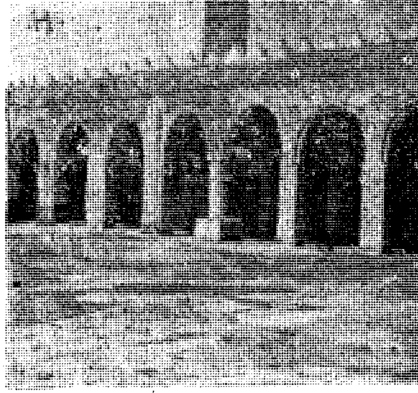
١٨ ـ قَيْس بن المكْشُوحْ

١٩ ـ فَرْوة بن مُسَيْكٍ المُرَادِى : عمر (الجبانه) المعروفة شمال صنعاء عن أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقبره مشهور فى مسجد مسيك شمال صنعاء بالقرب من الجبانه .

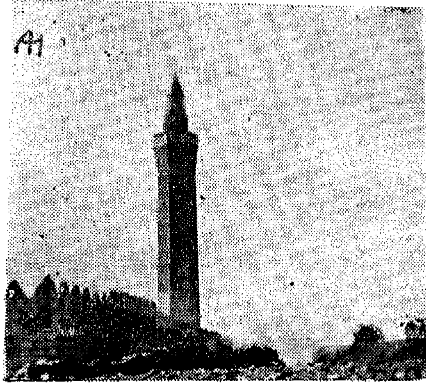
٢٠ ـ عبد الله بن العبَّاس

٢١ ـ سعيد بن سعد بن عُباده

= إليها هى الموجودة الآن فى الصوح الغربى فى أصل أساس الجدار الغربى من الجامع وقيل أن الذى أمره النبى صلى الله عليه وسلم هو فروه بن مسيك المرادى وقيل أبان بن سعيد وقيل المهاجر بن أمية .



صورة رقم (٣٧)
صورة داخلية لجامع الجند وقد بنى فى العصر النبوى وجدد بناؤه بعد ذلك .



صورة رقم (٣٨)
جامع الجند من الخارج ، وتظهر فى الصورة منارته الجميلة

عمال بنى أميه (١)

٤٠ — ١٣٢ هـ

٦٦١ — ٧٥٠ م

١ — عثمان بن عفّان الثّقفى

٢ — عتبة بن أبى سفيان

(١) يرجع نسب معاوية بن أبى سفيان ـ مؤسس الدولة الأموية ـ إلى حرب ابن أميه بن عبد مناف ، ويلتقى نسبه بالنسب النبوى الشريف فى عبد مناف . وفيما يلى قائمة خلفاء بنى أمية وهم قسمان :

١ — السفيانيون : وينتمون إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد مناف .

٢ — المروانيون : وينتمون إلى مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد مناف .

(السفيانيون)	مدة الحكم (هجرى)	(ميلادى)
١ ـ معاوية الأول بن أبى سفيان	٤١ — ٦٠	٦٢١ — ٦٨٠
٢ ـ يزيد الأول بن معاوية الأول	٦٠ — ٦٤	٦٨٠ — ٦٨٣
٣ ـ معاوية الثانى بن يزيد الأول	٦٤ — ٦٤	٦٨٣ — ٦٨٣
(المروانيون)		
٤ ـ مروان الأول بن الحكم	٦٤ — ٦٥	٦٨٣ — ٦٨٥
٥ ـ عبد الملك بن مروان	٦٥ — ٨٦	٦٨٥ — ٧٠٥
٦ ـ الوليد الأول بن عبد الملك	٨٦ — ٩٦	٧٠٥ — ٧١٥
٧ ـ سليمان بن عبد الملك	٩٦ — ٩٩	٧١٥ — ٧١٧
٨ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩ — ١٠١	٧١٧ — ٧٢٠
٩ ـ يزيد الثانى بن عبد الملك	١٠١ — ١٠٥	٧٢٠ — ٧٢٤
١٠ ـ هشام بن عبد الملك	١٠٥ — ١٢٥	٧٢٤ — ٧٤٣
١١ ـ الوليد الثانى بن يزيد الثانى	١٢٥ — ١٢٦	٧٤٣ — ٧٤٤
١٢ ـ يزيد الثالث بن الوليد الأول	١٢٦ — ١٢٦	٧٤٤ — ٧٤٤
١٣ ـ إبراهيم بن الوليد	١٢٦ — ١٢٧	٧٤٤ — ٨٤٤
١٤ ـ مروان بن محمد بن مروان الأول	١٢٧ — ١٢٨	٧٤٤ — ٨٤٥

٣ ـ النُّعْمان بن بَشير الأنْصارى

٤ ـ بَشِيْر بن سعد الأعْرج

٥ ـ الضّحاك بن فيروز الدّيلمى

٦ ـ بُجير بن رِيشان الحِمْيَرى

٧ ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى

٨ ـ عبد الله بن عبد المطلب بن وَادِعَة السَّهْمى

٩ ـ حسن بن عبد الله الفقيْه

١٠ ـ قيس بن يزيد السَّعْدى

١١ ـ محمد بن يوسف الثَّقفى

١٢ ـ واجد بن مسلمة الثَّقفى

١٣ ـ أيوب بن محمد الثَّقفى

١٤ ـ عُرْوَة بن محمد السَّعدى

١٥ ـ وَهْب بن مُنبّه الأَبْنَاوى

١٦ ـ مسعود بن عوف الـكلْبىّ

١٧ ـ يوسف بن عمر الثَّقفىّ

١٨ ـ الصَّلتُ بن يوسف بن عمر الثَّقفى

١٩ ـ الضَّحَّاك بن واصل

٢٠ ـ مروان بن محمد الجَعْدىّ

٢١ ـ القاسم بن عمر الثَّقفىّ

٢٢ ـ الوليد بن عروة

(عمال خلفاء بنى العباس[١])

١٣٢ — ٢٠٣ هـ

٧٥٠ — ٨١٩ م

١ ـ عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب

٢ — محمد بن يزيدى بن عبد المدّان الحارثى

(١) ينتسب أبو عبد الله السفاح — مؤسس الدولة العباسية — إلى محمد بن على ابن عبد الله بن العباس بن هاشم بن عبد مناف ، أى أن نسبه يلتقى بالنسب النبوى الشريف فى هاشم بن عبد مناف . وفيما يلى قائمة خلفاء الدولة العباسية :

	مدة الحكم (هجرى)	(ميلادى)
١ — أبو عبد الله السفاح[١]	١٣٢ — ١٣٦	٧٥٠ — ٧٥٤
٢ — أبو جعفر المنصور[٢]	١٣٦ — ١٥٨	٧٥٤ — ٧٧٥
٣ — المهدى بن المنصور	١٥٨ — ١٦٩	٧٧٥ — ٧٨٥
٤ — الهادى بن المهدى	١٦٩ — ١٧٠	٧٨٥ — ٧٨٦
٥ — الرشيد بن المهدى	١٧٠ — ١٩٣	٧٨٦ — ٨٠٩
٦ — الأمين بن الرشيد[٣]	١٩٣ — ١٩٨	٨٠٩ — ٨١٣
٧ — المأمون « «	١٩٨ — ٢١٨	٨١٣ — ٨٣٣
٨ — المعتصم بن الرشيد[٤]	٢١٨ — ٢٢٧	٨٣٣ — ٨٤٢
٩ — الواثق بن المعتصم	٢٢٧ — ٢٣٢	٨٤٢ — ٨٤٧
١٠ — المتوكل بن المعتصم	٢٣٢ — ٢٤٧	٨٤٧ — ٨٦١
١١ — المنتصر بن المتوكل	٢٤٧ — ٢٤٨	٨٦١ — ٨٦٢
١٢ — المستعين بن المعتصم	٢٤٨ — ٢٥٢	٨٦٢ — ٨٦٦
١٣ — المعتز بن المتوكل	٢٥٢ — ٢٥٥	٨٦٦ — ٨٦٩ =

(١) قضى على حكم الأمويين بدمشق واتخذ الأنبار عاصمة له . (٢) بنى بغداد سنة ٧٦٢ م وجعلها عاصمة ملكه . (٣) تحارب مع أخيه المأمون وانتهى الأمر بقتله على يد طاهر بن الحسين . (٤) انتقل إلى سامرا فى سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦م) وجعلها عاصمته وبقيت كعاصمة للعباسيين أيام المعتضد بن المعتمد .

٣ ـ عبد الله بن مالك الحارثى
٤ ـ علىّ بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان
٥ ـ عبد الله بن الرّبيْع الحارثىّ
٦ ـ مَعْنُ بن زائدة الشّيْبانىّ

	(هجرية)	(ميلادية)
=١٤ — المهتدى بن الواثق	٢٥٥—٢٥٦	٨٦٩ —٨٧٠
١٥ — المعتمد بن المتوكل	٢٥٦—٢٧٩	٨٧٠ —٨٩٢
١٦ — المعتضد بن المعتمد(١)	٢٧٩—٢٨٩	٨٩٢ —٩٠٢
١٧ — المكتفى بن المعتضد	٢٨٩—٢٩٥	٩٠٢ —٩٠٨
١٨ — المقتدر بن المعتضد	٢٩٥—٣١٧	٩٠٨ —٩٣٢
١٩ — القاهر بن المعتضد(٢)	٣١٧—٣٢٢	٩٣٢ —٩٣٤
٢٠ — الراضى بن المقتدر	٣٢٢—٣٢٩	٩٣٤ —٩٤٠
٢١ — المتقى بن المقتدر	٣٢٩—٣٣٣	٩٤٠ —٩٤٤
٢٢ — المستكفى بن المقتدر(٣)	٣٣٣—٣٣٤	٩٤٤ —٩٤٦
٢٣ — المطيع بن المقتدر	٣٣٤—٣٦٣	٩٤٦ —٩٧٤
٢٤ — الطائع بن المطيع	٣٦٣ — ٣٨١	٩٧٤ —٩٩١
٢٥ — القادر بن المتقى	٣٨١—٤٢٢	٩٩١ —١٠٣١
٢٦ — القائم بن القادر(٤)	٤٢٢—٤٦٧	١٠٣١ - ١٠٧٥
٢٧ — المقتدى بن محمد بن القائم	٤٦٧ — ٤٨٧	١٠٧٥ — ١٠٩٤
٢٨ ـ المستظهر بن المقتدى	٤٨٧ — ٥١٢	١٠٩٤ — ١١١٨
٢٩ — المسترشد بن المستظهر	٥١٢ — ٥٢٩	١١١٨ — ١١٣٥
٣٠ — الراشد بن المسترشد	٥٢٩ — ٥٣٠	١١٣٥ — ١١٣٦
٣١ — المقتفى بن المستظهر	٥٣٠ — ٥٥٥	١١٣٦ — ١١٦٠
٣٢ — المستنجد بن المقتفى	٥٥٥ — ٥٦٦	١١٦٠ — ١١٧٠=

---

(١) عاد إلى بغداد وجعلها عاصمته .
(٢) أول خليفة يستعين بأمراء بنى بويه الفارسيين .
(٣) سمله وزيره معز الدولة بن بويه وخلعه وأقام المطيع مكانه .
(٤) أول خليفة يستعين بالسلاجقة الأتراك .

٧ ـ ابنه زائدة بن مَعْن

٨ ـ الفُرَاتُ بن سالم العبْسِيّ

٩ ـ يزيدُ بن منصورِ الحارثىّ

١٠ ـ رجاء بن حَيْوَة الجُذامى

١١ ـ على بنُ سليمان بن العبّاس

١٢ ـ واسِعُ بن عُصْمَة

١٣ ـ عبد الله بن سليمان بن العبّاس

١٤ ـ منصور بن يزيد الحِميرىّ

١٥ ـ عبد الله بن سليمان النَّوْفَلِي

١٦ ـ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العبّاس

١٧ ـ الرّبيعُ بن عبد الله الحارِثىّ

١٨ ـ الغِطْرِيْفْ

١٩ ـ أيوب بن جعفر بن سليمان

٢٠ ـ العباسُ بن محمد الهاشمىّ

٢١ ـ عبد الله بنُ موسَى بن عبدِ الله بن الزبير

	(هـ)	(م)
= ٣٣ ـ المستضىء بن المستنجد	٥٦٦ — ٥٧٥	١١٧٠ — ١١٨٠
٣٤ ـ الناصر بن المستضىء	٥٧٥ — ٦٢٢	١١٨٠ — ١٢٢٥
٣٥ ـ الظاهر بن الناصر	٦٢٢ — ٦٢٣	١٢٢٥ — ١٢٢٦
٣٦ ـ المستنصر بن الظاهر	٦٢٣ — ٦٤٠	١٢٢٦ — ١٢٤٢
٣٧ ـ المستعصم بن المستنصر[1]	٦٤٠ — ٦٥٦	١٢٤٢ — ١٢٥٨

---

(١) قتل فى آخر معركة له مع (هولاكو) عند احتلاله لبغداد فى ١٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

٢٢ ـ أحمد بن إسماعيل الهاشمىّ

٢٣ ـ إبراهيم بن عبيدِ الله بن عبد الله بن طلحة بن أبى طلحة

٢٤ ـ محمد بن خالد بن بَرْمَكْ

٢٥ ـ حمَّاد البَرْبرى

٢٦ ـ محمد بن سعيد بن السَّرح الكنانىّ

٢٧ ـ يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القسْرىّ

٢٨ ـ عمر بن إبراهيم بن واجِدْ

٢٩ ـ إسحاق بن موسى

٣٠ ـ حَمْدَوَيْه بن عيسى بن مَاهان

٣١ ـ عيسى بن يزيدٍ الجالودى

٣٢ ـ محمد عبد الله بن زياد(١)

---

(١) إختط مدينة زبيد بتهامة وبنى سورها ؛ وقد ظلت ذريته تحكم تهامة حتى سنة ٤٠٢ هـ ، أما فى قسم الجبال فقد تعاقب عدد من عمال بنى العباس بعد من ذكر ، من أشهرهم نعيم بن الوضاح ومحمد بن عبد الله محرز واسحق بن على بن العباس وعبد الله بن عبد الله بن الحسن وعباد بن عمر الشهابى وعبد الرحيم بن جعفر بن سليمان الهاشمى ومنصور بن عبد الرحمن التنوخى وإيتاج التركى وأبو العلاء العامرى وهرثمة بن بشير وجعفر بن محمد جعفر ، وكان آخرهم على بن حسين بن خفتم وقد بقى فى (صنعاء) إلى سنة ٢٨٢ هـ ، وعاد إلى العراق ، ثم عاد سنة ٢٩٠ وفيها قتل على أيدى أصحاب أسعد بن أبى يعفر بعد أن استولى على صنعاء حسبما يأتى تفصيله .

الفصل الثامن

(انفصال اليمن من الحكم العباسى)

بلغ عمال دولة بنى العباس الذين تعاقبوا على اليمن خلال سبعين عاماً مايزيد على أربعين عاملاً ، وكان آخر هؤلاء العمال على تهامة محمد عبد الله بن زياد ، وقد بعثه المأمون إلى اليمن سنة ٢٠٢ هـ (٨١٨ م) على أثر تمرد قبيلة الأشاعر ، فتمكن من القضاء على تمردهم وإرجاع الأمور إلى مجراها الأصلى ، وقد استقر بتهامة واختط مدينة زبيد ، كما تمكن من إخضاع القسم التهامى للعباسيين بحزم وصرامة بالغين وجعل عاصمته زبيد .

وقد عين المعتمد بعد توليه الخلافة يعفر بن عبد الرحيم الحوالى الحميرى عاملاً على (صنعا) فى سنة (٢٦٣هـ) ، وحاول حينئذ بسط نفوذه على سائر البلاد فلم يسعده الحظ ، فقد امتنعت أكثر المناطق اليمنية من الدخول تحت حكمه ، كما امتنعت أيضاً على محمد عبد الله بن زياد الذى بقى سلطانه أخيراً محصوراً بتهامة ، بينما بقى سلطان الحوالى محصوراً بشبام ثم بصنعاء والجند وما حولها ، واستقل أيام أسعد بن أبى يعفر بعض القبائل بأنفسهم ، كالدعام بحاشد ، والأكيليين بعلاف ، والإمام الهادى بصعده ، وسنتكلم فيما يلى عن كل دولةٍ وأسماء سلاطينها ومدد حكمهم ، مبتدئين بدولة بنى زياد :

(دولة بنى زياد)

٢٠٥ — ٤٠٢ هـ

٨٢١ — ١٠١٢ م

كانت دولة بنى زياد أولُ دولة نشأتْ فى اليمن بعد انفصالها من الحكم العباسى خلال حكم الخليفة المأمون كما أسلفنا ، وقد جعلها المؤرخ بهاء الدين الجندى فى مقدمة الدول التى حكمت اليمن ، وقال عنها بأنها (صدر الدول اليمنية) ، وذهب عماره اليمنى الى أن محمد بن عبد الله بن زياد قد أذعنت له اليمن بأسرها من جبال وتهائم ، وظلت تسوق خراجها إليه مايقرب من عشرين عاماً ، أى إلى عام ٢٢٥ هـ (٨٤٠م) حينما استولى بنو يعفر على صنعاء ، وبنو الكرندى[١] عمالهم على الجند .

ويقول بعض المؤرخين أن الفضل فى تمهيد الملك لمحمد بن عبد الله بن زياد وتذليله ، يعود إلى وزيره ومملوكه جعفر[٢] له ، وكان على جانبٍ من الدهاء والحنكة والحذق ، حتى قيل فى المثل (زياد بجعفره) .

وقد دامت دولة بنى زياد بزبيد مايقرب من ١٩٧ عاماً ، وتشتمل دولتهم على أربعة سلاطين كالآتى :

---

(١) يرجع نسبهم إلى حمير ، ومن آثارهم فى الجند والمعافر : حصن الدملوه والسمدان والسواء وصبر والتعكر المطل على الجند .

(٢) اختط مدينة المذيخرة بجبل ثومان بالعدين ، وإليه ينسب مخلاف جعفر (إب وجبله وما حولها) ، أما الجندى فيقول إن نسبته إلى جعفر بن إبراهيم المناحى .

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — محمد بن عبدالله بن زياد	٢٠٥ — ٢٤٢	٨٢١ — ٨٥٧
٢ — إبنه إبراهيم بن محمد	٢٤٢ — ٢٨٩	٨٥٧ — ٩٠٢
٣ — « اسحق بن إبراهيم[1]	(٠٠٠) — ٣٩١	(٠٠٠) — ١٠٠١
٤ — الحُسين بن سَلامة[2]	٣٩١ — ٤٠٢	١٠٠١ — ١٠١٢

---

(١) فى أيامه غزى على بن الفضل القرمطى الآتى ذكره زبيد وانتهبها ، كما غزاها وانتهبها أيضاً عبد الله محمد بن قحطان اليعفرى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) هو مولى بنى زياد ، وقد تولى أمر البلاد بعد إسحق بن إبراهيم حيث لم يبق من بنى زياد من يصلح لذلك غير طفل صغير اسمه أبو الجيش بن إسحاق ، وكان الحسين حازماً فاضلا حسن الإدارة ، وقد بعث دولة بنى زياد من جديد وخضعت له اليمن والحجاز . ونقل الهمدانى عن عماره اليمنى قوله : (إن الحسن ابن سلامه وزير أبي الجيش ابن زياد صاحب زبيد أنشأ الجوامع الكبار والمنابر الطوال من حضرموت إلى مكة) اهـ . هامش الإكليل ص ٣ — ٤ ، ج ٨ .

وقد اختط مدينة (الكدرا) على وادى سهام ، وحفر الآبار وأقام الأميال والفراسخ والبرد على الطريق من حضرموت إلى مكة ، وبعد موته تمزقت اليمن فتغلب بنو نجاح على تهامة ، وبنو يعفر (همدان) على (صنعاء) ، وعمالهم بنو الكرندى على الجند ، وبنو معن على عدن ، وبنو التبعى على حصن حب وخدد ونواحيهما كالشعر والنقيل والشوافى وبنى وائل الذين منهم أسعد بن وائل بن عيسى المتوفى سنة ٥١٥ هـ ، وعلى وحاضه ودهران وشعب وعزان اهـ . مختصراً من الجزء الثالث من تاريخ الجندى .

(دولة بنى يعفر)

٢٢٥ — ٣٩٣ هـ

٨٤٠ — ١٠٠٣ م

هى ثانى دولةٍ نشأت فى اليمن خلال حكم الدولة العباسية ، وقد بدأت عام ٢٢٥ هـ (٨٤٠ م) متمركزةً فى شِبَام ثم، بصنعاء أيام أسعد بن أبى يعفر الُحوالى، وامتدت جذورها إلى حاشد فى الشمال بواسطة حليفهم الدَّعَّام ، والى مخلاف جَعْفَرٍ والجَنَد والمَعَافر فى الجنوب بواسطة بطانتهم من الحميريين المعروفين ببنى الـكِرَنْدِى حسبما تقدم .

وقد تكلمنا فيما سبق أن يَعْفُر بن عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالى كان قد تولى عمالة صنعاء عام ٢٦٣ هـ من طرف الخليفة المعتمد العباسى ، وحكمها بواسطة نائبه إبراهيم بن محمد بن يعفر .

ومنذ أن لمع اسم الإمام الهادى بصعده كان إبراهيم بن محمد ومن جاء بعده من أشد المعارضين له والمقاومين لحركته خلال غزوه لصنعاء سنة ٢٨٥ هـ ، وكذا سنة ٢٨٨ هـ حينما تم له دخولها بمساعدة أبو العَتَاهِيَة الطَّرِيْفى [1] .

---

(١) نسبة إلى آل طريف بالبون ، وقد احتلوا صنعاء بقيادة أبى العتاهية سنة ٢٦٥ هـ إثر ثورتهم على يعفر بن عبد الرحيم ونهبوا دار عامله إبراهيم بن محمد ، وفى سنة ٢٨٦ هـ دخل أبو العتاهية وبعض أصحابه فى طاعة الهادى وناصروه فى حروبه مع آل الضحاك وآل يعفر وآل طريف . وقد قتل أبو العتاهية وهو يقاتل آل طريف فى صفوف جيش الهادى وذلك فى معركة (حدين) بالقرب من صنعاء سنة ٢٨٨ هـ .

ويُرى المؤرخون أنّ معارك عديدةً دارت بين الهادى وبين بنى يعفر وحلفائهم من آل الضَّحَّاك[١] وآل طَرِيف ، ومن أشهرها معركة (أُثَافِتْ) فى بنى صريم[٢] سنة ٢٨٥ هـ ثم معارك شَرارة بصنعاء ، وعَلِبُ[٣] ، وبيت بَوْس[٤] ونُقَم[٥] فى سنة ٢٨٨ هـ وفيها أغار بنو يعفر على الهادى وهو يصلّى عيد الفطر بجبانة (صنعاء) ، ثم تبعتها معارك عديدة ، كمعركة (أُتُوَه) من بلاد أرحب و (ميدان صنعاء) وضَبْوَه[٦] و (وادى ضُلَع)[٧] و (وادى ضهر[٨]) وبيت بَوس سنة ٢٩٠ هـ ، وقد وقع فى الأخير المرتضى محمد بن الهادى أسيراً فى أيدى آل طَرِيف ودخلوا به إلى صنعاء على بغلة حيث طافوا به فى الأسواق ، وأخيراً اعتقل ببيت بوس ثم بشبام قرابة عام .

وكان أطول سلاطين بنى يعفر مدةً فى الحكم أسْعدُ بن أبى يعفر ، وقد غزاه على بن الفضل القرمطى إلى (صنعاء) و (شبام) وأخرجه منها مراراً فى سنة ٢٩٣ هـ وسنة ٢٩٨ هـ .

وفى سنة ٣٠٣ هـ غزا أسعدُ مدينة (المُذَيخره) [٩] حيث كان يقيم على بن

---

(١) قليلة من همدان وقد قام زعماؤها بدور كبير فى محاربة الهادى ومن جاء بعده وفى سنة ٣٣٥ قتلوا المختار بن الناصر بـ (ريده) بعد سجنه سنة .

(٢) قبيلة تبعد عن صنعاء شمالاً حوالى ١٥٠ كيلو متراً .

(٣) أكمة فى ضواحى صنعاء الجنوبية .

(٤) إحدى منتزهات صنعاء الجنوبية .

(٥) الجبل المطل على صنعاء من جهة الشرق ، ويرتفع عن سطح البحر (٢٨٠٠) متر .

(٦) قرية فى ضواحى صنعاء الجنوبية .

(٧) يبعد عن صنعاء غرباً ٣٥ كيلو متراً.

(٨) أحد منتزهات صنعاء الغربية وتبعد عنها ٥٠ ك م .

(٩) مدينة جميلة بالعدين من أعمال لواء إب .

الفضل ودخلها قهراً بالسيف سنة ٤٠٣هـ بعد موت على بن الفضل متأثراً بالتيفوه على أصح الأقوال ، وقد انتهبت المُذَيخره وقُتل من أنصار القَرْمَطِى عدد كثير من بينهم ابنُه عبد الله ، الذى بُعث برأسه مع رؤوس عدد من أنصاره إلى الخليفة العباسى ببغداد .

وفيما يلى قائمة أسماء سلاطين بنى يعفر ومُدد حكمهم ، مع الإشارة إلى أهم ما جرى من الأحداث فى أيامهم :

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — إبراهيم بن يعفر ٢ — ابنه عبد الرحيم	٢٢٥ — ٢٦٠	٨٤٠ — ٨٧٤
٣ — يعفر بن عبد الرحيم [١]	٢٦٠ — ٢٨٢	٨٧٤ — ٨٩٦
٤ — أسعد بن أبى يعفر [٢]	٢٨٢ — ٣٣١	٨٩٦ — ٩٤٣
٥ — عبدالله بن محمدبن قحطان [٣]	٣٣١ — ٣٨٧	٩٤٣ — ٩٩٧
٦ — ابنه أسعد بن عبد الله [٤]	٣٨٧ — ٣٩٣	٩٩٧ — ١٠٠٣

---

(١) أمر بقتل ولديه محمد وأحمد لمخالفتهما لأمر أمر به وقتلا بصومعة شبام سنة ٢٦٣ هـ .

(٢) جدد عمارة جامع صنعاء المعروف بالجامع الكبير الذى بنى فى السنة العاشرة للهجرة عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى الفصل السابع .

(٣) توفى فى كحلان عفار وحمل جثمانه فى تابوت إلى (شاهرة) حيث دفن ، وشاهرة قرية فى ضلع همدان غربى صنعاء مسافة ٤٥ كيلو متراً ، ويعرف مكان القبر بقبر اليعفرى .

(٤) تحارب مع آل الضحاك وغزى القرامطة بالمذيخرة وأنهى دولتهم هناك ، وهو صاحب واقعة (حجرة حراز) مع إسحق بن إبراهيم بن زياد سنة ٣٧٩ هـ هزم فيها جيش إسحق ودخل زبيد وانتهبها ثم عاد إلى كحلان .

(٤) دخل تحت طاعة الإمام القاسم بن على العيانى وأقام الخطبة فى صنعاء وشبام باسمه .

(دولة بنى نجاح)

٤٠٣ — ٥٥٥ هـ

١٠١٣ — ١١٥٠ م

بعد موت الحسن بن سلامه آخر ولاة بنى زياد السالف الذكر انتهت بموته دولة بنى زياد بزبيد ، وقام بأمر الدولة الأمير نجاح مولى بنى زياد بعد أن قتل الأمير نفيس أحد منافسيه فى الحكم وأعلن نفسه سلطاناً على تهامة ، كما شرع فى مراسلة الخليفة العباسى القادرى المتقى ببغداد معلناً . ولاءه وطاعته للدولة العباسية ، فأجازهُ بذلك ونعته بالمؤيد نصير الدين .

ويقول عمارة فى تاريخه « وإن كان بنو نجاح ينتمون إلى الأحباش فلم يكن ملوك العرب يفوقونهم فى الحسب ، فلهم الكرم الباهر والعزم الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة والمفاخر المأثورة وفيهم فُضَلاَ وعُلماَ » ولبنى نجاح عدة معارك مع آل الصليحى وبنى مهدى سوف نورد بعضها فى الهامش ، وأهمها واقعة (المَهْجَمْ) التى قتل فيها الصليحى سنة ٤٥٨ هـ ، ثم معركة (الشِّعر) بين المكرم بن الصليحى وبين سعيد الأحول ٤٨١ هـ والتى انتهت بقتل سعيد وأسر زوجته أم المعارك وفرار أخيه جياش إلى الهند ثم عوده بعد عامين حيث تمكن من احتلال زبيد من جديد .

	مدة الحكم	
	(هـ)	(م)
١ ـ الأمير نجاح[١]	٤٠٣ ـ ٤٥٢	١٠١٣ ـ ١٠٦٠
٢ ـ سعيد بن نجاح (الأحول)[٢]	٤٥٢ ـ ٤٨١	١٠٦٠ ـ ١٠٨٩
٣ ـ جيّاش بن نجاح[٣]	٤٨٣ ـ ٤٩٨	١٠٥١ ـ ١١٠٤
٤ ـ فاتك بن جيّاش	٤٩٨ ـ ٥٠٣	١١٠٤ ـ ١١٠٩
٥ ـ منصور بن فاتك	٥٠٣ ـ ٥٢١	١١٠٩ ـ ١١٢٦
٦ ـ فاتك بن منصور[٤]	٥٢١ ـ ٥٤٠	١١٣٦ ـ ١١٣٦
٧ ـ فاتك بن محمد بن فاتك[٥]	٥٤٠ ـ ٥٥٥	١١٣٦ ـ ١١٥٠

(١) قال عمارة اليمنى : (كان جياش ملكاً يلقب بالعادل ابن الطامى ، وكان فاضلاً عالماً وله شعر رائق فى مجلد ضخم ، وله ترسل متوسط بعيد من الكلفة أطلع منه على عدة مجلدات ، وهو مصنف كتاب : (المفيد عن أخبار زبيد) وهو كتاب متسع الإفادة ، وقد توفى بالكدراء مسموماً على يد جارية أهداها إليه على محمد الصليحى) .

(٢) أغار على الصليحى وهو فى طريقه إلى مكة سنة ٤٥٨ هـ فقتله حسبما يأتى تفصيله .

(٣) فر إلى الهند بعد قتل سعيد الأحول سنة ٤٨١ هـ ، ثم عاد بعد سنتين إلى (زبيد) .

(٤) فى سنة ٥٣٨ لمع اسم على بن مهدى الرعينى وغزى مدينة الكدراء بوادى سهام على رأس جيش قوامه ٤٠ ألفاً ، فواجهه أميرها القائد اسحق فهزمهم وقتل عدداً منهم ، وانسحب على بن مهدى إلى الجبال .

(٥) أغار على بن مهدى فى أيامه على زبيد سنة ٥٥٣ هـ . وكان فاتك ضعيف السلطان فاستنجد أهل زبيد بالإمام المتوكل أحمد بن سليمان ، وأنجدهم بنفسه بعد أن شرط عليهم قتل فاتك لارتكابه أموراً توجب ذلك فقتلوه كما حكى الجندى ذلك فى تاريخه ، وقد دفع المتوكل عن زبيد هجمات ابن مهدى ، ولكنه ما لبث أن عاد بعد عودة المتوكل إلى ذمار وتمكن من احتلال زبيد والاستقرار بها ـ راجع دولة بنى مهدى بعد هذا ـ .

(دولة بنى الصليحى)

٤٣٩ — ٥٣٢ هـ ١٠٤٥ — ١١٣٨ م

كان قيام على بن محمد الصليحى[١] . مؤسس الدولة الصليحية بالدعوة باسم الخليفة المستنصر العبيدى الفاطمى صاحب مصر[٢] (٤٣٧ — ٤٨٧ هـ) من أهم الأحداث السياسية التى يحدثنا بها التاريخ اليمنى ، فقد ظهر فى فترة كانت معظم بلاد اليمن مسرحاً للفوضى والاضطرابات السياسية والمنازعات القبلية .

---

(١) ينتمى الصليحون إلى بنى عبد اوام — وهى من أهم القبائل التى جاءت ذكرها فى النقوش السبئية — بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم بن جشم الأكبر بن جبران بن نوف بن همدان بن مالك ابن زيد بن أوله بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن هود ، ويلتقى الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط . اهـ صحيفة (٤٥) الاكليل جزء (٨) .

(٢) قامت دولة الفاطميين بالمغرب ثم بمصر سنة ٢٩٧ هـ واستمرت إلى سنة ٥٦٤ هـ وكان أول دعاتها عبد الله المهدى ، ويختلف النسابون فى نسبهم ، فبعضهم ينسبهم إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وبعضهم ينسبهم إلى محمد بن جعفر ، وقد جرت عليهم نفس الحال التى جرت على بقية العلويين من تشريد ومطاردة العباسيين ، وكان والد عبد الله هذا ممن تتوق نفسه للخلافة فكان ينشر دعوته سراً ، فاجتمع به وناصره شخص يقال له (رستم بن الحسين) ؛ وكان باليمن رجل كثير المال والعشيرة يدعى محمد بن الفضل من رؤس الشيعة جاء إلى مشهد الحسين بن على يزوره فرآه والد عبد الله ورستم وهو يبكى بشدة ، فلما خرج اجتمع إليه الأول وأفضى إليه بما يطمح إليه أبى من تولى أمر المسلمين ، فقبل مذهبه وسار معه هو ورستم إلى اليمن ، وأخذ الأخير ينشر دعوة أبى عبد الله باليمن ، واتصل خبره بشيعة العراق فساروا إليه وكثرت جموعه وصار لهم صولة ودولة هناك ثم =

ويحدثنا السيد يحيي بن الحسين فى كتابه (أنباء الزمن) عن الجوّ الذى كان سائداً فى اليمن قبل وحال قيام دولة على بن محمد الصليحى فيقول :

= انفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يقال له (الحلوانى) والآخر يعرف باسم (أبى سفيان) ، فأخذا ينشران الدعوة لأبى عبد الله ، وهكذا انتشرت فى المغرب كما انتشرت فى اليمن على يد رستم ، ولكنها فى المغرب كانت أقوى وأعظم بسبب ما اعترضها فى اليمن من مناواة بطانة العباسيين ، وهم بنو يعفر فى قمم الجبال وبنو نجاح فى تهامة ثم معارضة الهاشميين بصنعاء وذمار وما حولهما .

وبعد وفاة أبى عبد الله قام بعده ولده عبيد الله وتكنى بالمهدى ، وبايعه شيعته بالخلافة . إنتهى مختصراً من دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى ٣١٤ — ٣١٥ ج ٧.

وفيما يلى قائمة الخلفاء الفاطميين ومدد حكمهم :

	مدة الحكم
١ — عبيد الله المهدى	٢٨٠ — ٣٢٢ هـ
٢ — أبو قاسم القائم بأمر الله نزار	٣٢٢ — ٣٣٤ »
٣ — المنصور اسمعيل	٣٣٤ — ٣٤١ »
٤ — المعز لدين الله [1]	٣٤١ — ٣٦٥ »
٥ — ابنه العزيز	٣٦٥ — ٣٦٦ »
٦ — « الحاكم بأمر الله	٣٨٦ — ٤١١ »
٧ — « الظاهر لإعزاز دين الله	٤١١ — ٤٣٧ »
٨ — « المستنصر بالله	٤٣٧ — ٤٧٧ »
٩ — « المستعلى بالله	٤٨٧ — ٤٩٥ »
١٠ — « الآمر بأحكام الله	٤٩٥ — ٥٢٤ »
١١ — الحافظ لدين الله	٥٢٤ — ٥٤٤ »
١٢ — الظافر بأمر الله	٥٤٤ — ٥٤٩ »
١٣ — الفائز بالله	٥٥٥ — ٥٥٥ »
١٤ — العاضد	٥٥٥ — ٥٦٦ »

---

(١) تم له فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ على يد قائده (جوهر) ودخلها سنة ٣٦١ هـ واستقر بها .

« من سنة ٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع الكلمة الواحدة وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله ، وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء تتخطفها الحدأ ، لها فى كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة فى هذه المدة حتى أصبح عدد دورها ألف دار بعد أن كانت مائة ألف دار فى عهد الرشيد ، إلا أن (صنعاء) تراجعت بعض التراجع فى زمن الصليحيين لما اجتمع لهم من ملك اليمن » .

وعند ما نتصفّح رسائل الصليحى التى كان يبثها إبان دعوته نرى أن غرضه الوحيد وهمه الأكبر هو إعلاء كلمة الله ولمّ شعث اليمن بعد شتاته ، والدعوة إلى الخير والإصلاح ، بغض النظر عن نزعاته العقائدية التى كان يخفيها بادىء الأمر ، وهى إرساء قواعد مذهب الباطنية[1] التى كان على بن الفضل ،

(١) الباطنية هى الطريقة التى نظم الإسماعيليون نشرها فى العالم الإسلامى ، وتعرف بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل الإمام الذين يعتقدون اختفاءه وأنه المهدى المنتظر الذى لابد وأن يظهر يوماً ما وحلول الألوهية فيه ، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز ، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذى هو مقصود فى المعنى الظاهر .

وكان عبد الله بن ميمون القداح الفارسى أحد زعماء هذه الحركة قد جعل مركزه (الكوفة) ، ثم تلاه بعد موته حمدان قرمط وانضم إليه جماعة كبيرة وجعل له مركزاً للحركة القرمطية بجوار (الكوفة) سماه (دار الهجرة) ، وأحدث بعض العقائد المتطرفة كما فعل داعيته على بن الفضل فى اليمن ، وقد أحدثت هذه العقائد أثرها فى البلدان الإسلامية كالعراق والشام وخراسان وغيرها ، وأوجدت القلاقل والأهوال والفتن ومن جملتها اليمن التى نالها ما نال غيرها من الاختلال والفوضى حتى جاء الإمام الهادى يحيى بن الحسين إلى صعدة ، وتم له الأمر فيها . انتهى باختصار من تاريخ العرب لفليب حتى صحيفة ٥٣٣ .

القرمطى[1] ، ثم منصور بن فرج بن حوشب قد قدما إلى اليمن لنشرها فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

لقد بقى منصور بن حوشب ينشر الدعوة فى مغارب اليمن ثم تلاه ابنه جعفر ، ثم الداعى بن أبى الطفيل ، ثم هارون بن محمد بن رحيم ، ثم يوسف بن أحمد الأشج ، وكان آخرهم الداعية سليمان بن عبد الله الزواحى شيخ على بن محمد الصليحى والذى أوصاه قبل موته أن يكون خليفته فى القيام بأمر الدعوة بعد أن استمد له الموافقة من المستنصر العبيدى بمصر .

وقد رأى الصليحى أن من سبقه من الدعاة لم يكتب لهم النجاح فى هذا

---

(١) قال نشوان بن سعيد الحميرى فى كتابه : (الحور العين) ص ١٩٧ — ١٩٨ ما يلى :

« أول من نشر مذهب الإسماعيلية باليمن الداعى منصور بن فرج بن حوشب ابن زاذان الكوفى ، أرسله الهادى بن محمد بن إسماعيل بن جعفر من الكوفة وأمره أن يدعو إلى ابنه عبد الله المهدى ، وبعث معه على بن الفضل الخنفرى — نسبة إلى (خنفر) قرية من قرى يافع السفلى — فخرجا معاً إلى مكة ثم افترقا فقصد منصور عدن لاعه فى جهة (حجة) باليمن ثم طلع جبل (مسور) واستفتحه وأسر العامل الذى كان فيه للأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر ثم بنى حصن مسور ونزل به » .

« وقصد على بن الفضل أرض يافع فاشتدت وطأته باليمن واستولى على أكثر مخاليفه ، وأحل جميع المحرمات وكان يدعى أنه نبى ، وهو أول من سن القرمطة فى اليمن ، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة . فلما مات على الفضل بالمذيخرة سنة ٣٠٣ هـ قام ابنه أحمد بالمذيخرة وفرق الأموال فى أصحابه فخرج إليه الأمير أسعد بن أبى يعفر بن إبراهيم الحوالى من صنعاء فى رجب من نفس العام ومعه قواده وأخذ فى محاربة القرامطة حتى استفتح بلدانهم ، ودخل (المذيخرة) فى جمادى الأولى سنة ٣٠٤ فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه وظفر بهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ولا يزال فى اليمن ولا سيما فى حراز بقايا الإسماعيليين ومن مهاجرة الهند جماعة البهره أتباع طاهر سيف الدين » انتهى باختصار .

الغرض ، لسلوكهم خططاً لا تضمن لهم تجاوب الناس وانقيادهم لهم ، لا سيما بعد ما كان من على بن الفضل (الداعية الأول) من تشويه سمعة الدعوة وانحرافه عن الأهداف التى كان عليه أن يستمر فى التزامها والعمل من أجلها ، كيف لا وقد تنكب على المذهب الإسماعيلى الصحيح كل التنكب وتنكر له كل التنكر بإعلان مذهبه المكتوم فى صدره والذى لقنه إياه أستاذه حمدان قرمط من نشر الإباحية والفساد الأمر الذى مزّق قواته ونكّس راياته التى كانت قد انتشرت من يافع فى جنوب اليمن إلى حاشد فى شمالها وإلى زبيد فى غربها ، ولهذا تمكن زعيم همدان الأمير أسعد بن أبى يعفر من غزو القرامطة إلى المذيخرة وإبادتهم سنة ٣٠٤ ﻫ .

لذا فقد اتخذ الصليحى لنفسه خطة جديدة فعمل أولاً على إبراز شخصيته متحلية بالنسك والتقوى والصلاح شأن كل زعيم روحى حتى اشتهر عند الناس وعظمت مكانته فى القلوب ، بالإضافة إلى ما كان يتحلى به من مزايا أخرى كالقوة والحزم والذكاء والشجاعة وطلاقة اللسان ، وجعل تردده إلى (مكة) على رأس الحجاج من عشيرته وسيلةً لتنفيذ أهدافه ونشر مبادئه التى تنطوى على جمع الكلمة وتوحيد الصف تحت لوائه عند الوقت المناسب . وقد مهد له هذا استجابة الكثير من سواد الناس كما بايعه جم غفير من زعماء القبائل فى أقرب وقت .

وفى سنة ٤٣٩ ﻫ (١٠٤٥م) رأى أن الوقت قد حان لإظهار الدعوة بعد أن تحصّن بجبل (مَسَار) بحراز ، فأعلنها بشهر القعدة ، وأجابه معظم قبائل (حَرَاز) و (همدان) ، وجاءته الصِّلات من مختلف البلاد ، وتمكن فى أقرب مدة من تنظيم جيش داهم به مناوئيه كالشَّاورى ، وابن جَهور ، وجعفر بن الإمام القاسم العيانى[(١)]

---

(١) لما علم بقيام الصليحى توجه إليه فى ٣٠ ألف مقاتل ، وناصره كثير من مغاربة اليمن ، ولكنه منى بالهزيمة .

وولده القاسم[١]، وبني الكرندى في الجند، ولم تمض عدة شهور حتى فتح (صنعاء) وأخرج منها بني يعفر كما تمكن من احتلال زبيد بعد أن سمّ الأمير نجاح بواسطة جارية حسناء أهداها إليه، ثم فتح ذمار واب وتعز وعدن وسائر بلاد اليمن.

« ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألف له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكابرة[٢] ».

وقد رأينا إيراد مقتضباتٍ من رسالته البليغة التي وجهها إلى أهل حراز إبّان قيامه بالدعوة، منها قوله :

« أما بعد، يا أهل حراز، ألهمكم الله رشدكم وجعل الجنة قصدكم، فلم أطلع إلى حصن (مسار) متجبراً باغياً، ولا متكبراً على العباد عاتياً، ولا أطلب الدنيا وحطامها، ولا طامعاً أملاك غوغاءها وطغامها، لأن لي بحمد الله ورعاً يحجزني عمّا تطمع النفوس إليه، وديناً أعتمد عليه، وإنما قيامي بالحق الذي أمر الله عزوجل به، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه، أحكم فيه بسنن أنبيائه وأحكام أوليائه، وأدعو إلى حجته التي في أرضه، والقائم بفرضه، لست من أهل البدع ولا من ذوي الزور والشّنَع، الذين يعملون في الدين بآرائهم، ويحكمون بأهوائهم، بل أنا متمسكٌ بحبل الله المتين، عاملٌ بما شرع الله في الدين، وداعٍ إلى أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين، لا أقول إلا سداداً، ولا أكره في الدين أحداً، « فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما ربك بظلّامٍ للعبيد ».

---

(١) ناصره سلامة بن الضحاك وعلى بن دعفان وغيرهما من رؤساء (همدان) الثائرين على الصليحي سنة ٤٤٨ هـ، وقد جرت بينهم وبين الصليحي معركة (قراتل) بالقرب من حاز بهمدان ومعركة (الهرابه) في وادعه، حوصر القاسم وأتباعه فيها سبعين يوماً حتى نزلوا على حكم الصليحي فعفى عنهم.

(٢) عيون الأخبار صحيفة ١٥ ج ٣.

« واعلموا يا أهل حراز أنى بكم رؤوف وعلى جماعتكم عطوف للذى يجب علىّ من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمنى من عشرتكم وقرابتكم ، أعرف لذى الحق حقَّه ، ولا أظلم سابقاً سبقه ، أنصف المظلوم ، وأقمع الظالم الغشوم ، أبث فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل ، فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصغوا إلى أهل الكفر الذين من بقايا أهل الكفر ، فيحملونكم من ذلك على البغى والعدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفر الإنعام والإحسان ، تستوجبوا بذلك تغيير الإنعام ، وتعجيل الانتقام ، وكتابى هذا حجة عليكم ، ومعذرة إليكم ، والسلام على من اتبع الهدى وتجنّب عواقب الردى » .

هذا وقد ولاه المستنصر أمر مكة ، وجاء فى عيون الأخبار وغيره أنه أقام فيهما العدل والأمن ، ودار الأراضى المقدسة إدارة محمودةً ، وقد جرت بينه وبين الإمام أبو الفتح الديلمى عدة معارك انتهت بقتل الإمام فى آخر معركة تسمى معركة (فَيد) من بلاد عنس فى مخلاف يحصُب سنة ٤٤٤ هـ .

وفى اليوم السادس من شهر ذى القعدة سنة ٤٥٨ كان الصليحى فى طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج وزيارة المستنصر العبيدى بعد أن استمد منه الإذن وأناب ولده المُكرّم على البلاد ، وسار فى موكب حافل بالأتباع والفرسان وأعيان القبائل اليمنية ، وكان غرضه من اصطحابهم هو أن لا يفارقوا ركابه خشيةً من انتقاض بعضهم فى غيبته ، وقد قدّر الجندى من سار معه من رجالات اليمن وكبرائها بألفى فارس فيهم من عشيرة الصليحى مائة وسبعون فارساً ، وكان معه الكثير من التحف والهدايا والزينات ، ولما بلغ قرية (المَهْجَمْ) فى تهامة أغار عليه سعيد الأحول النجاحى وأخوه جَيَّاش ومعهما سبعون فارساً ، وكان الصليحى قد تأخر عن الركب ، ولم يكن معه غير ابنه الموفق وزوجته أسماء

بنت شهاب[١] وأخواه عبد الله[٢] وإبراهيم وجماعة قليلة من آل الصليحى ، فأحاط بهم سعيد الأحول بمساعدة بعض عبيد الصليحى وقتلوهم جميعاً فى قرية تسمّى (ضَيعة إبراهيم) من قرى المَهجم[٣] بعد أن قاتل الصليحى مع صحبه قتالاً عظيماً ، وذلك فى يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة ، وعاد سعيد برءوس القتلى والنساء الأسيرات — وفيهن زوجته أسماء بنت شهاب — إلى (زبيد)، وقد بقين تحت الأسر إلى سنة ٤٦٠ هـ عندما أنقذهنّ المكرم بن على الصليحى فى واقعةٍ مشهورة بزبيد قتل فيها عدد كبير من النجاحيين ، بينما نجى سعيد الأحول بأعجوبة وهرب (دَهْلك[٤]) .

ويُحكى أن المكرم كان قد تلقى كتاباً من والدته أسماء بعثته إليه سراً مع أحد المتسولين تستنكفه وتحرضه على محاربة العبيد ؛ قالت فيه تستثيره أنها قد صارت

---

(١) كانت من أعيان النساء وحرايرهن وكرامهن بحيث تقصد وتمدح ويمدح بها زوجها الصليحى وابنه المكرم ، وكان الصليحى لما تحقق كمالها قد وكل إليها تدبير شؤنه ولم يكن يخالفها فى غالب أمره ، وكان يجلها إجلالاً عظيماً ولا يقدم على رأيها رأياً ، وكان فيها من الحزم والتدبير ما لم يكن فى نساء زمانها ، وفيها يقول الشاعر الحسن بن على القم :

قلت إذ عظموا لبلقيس عرشاً دست أسماء من ذرى النجم أسمى

إنتهى باختصار من الجزء الثالث من تاريخ الجندى .

(٢) اختط مدينة ذى جبله .

(٣) المهجم بادية بتهامة أول من سكن بها بنو كنانة ، ثم بنو الحل ، ثم بنو الحصرى ، وقد أورد الجندى فى الجزء الثالث من تاريخه الكثير من علماء وفضلاء هذه البيوتات وما تفرع منهم فى قرى المهجم مع نبذة من أخبارهم وأنسابهم .

(٤) جزيرة فى البحر الأحمر مما يلى شواطىء (زبيد) .

حاملاً من العبد الأحول وأنه من الواجب عليه إنقاذها قبل أن تقع الفضيحة والعار ، وهذا فى الواقع لم يحدث وإنما أرادت به التحريض والإثارة كما جاء فى (تاريخ الجندى) و (أنباء الزمن) .

هذا وقد جاء فى رثاء الصليحى الكثير من القصائد والمراثى ، منها قول عمرو بن يحيى الهيثمى :

وأنشأ الحــج إلى مكةٍ ... يبغى رضى الله وآلَ البتول
وارتجّت الأرض له خفيةً ... بمن بها بين فراتٍ ونِيل
وقام بالجيش وأضرابه ... شُمٌّ العرانين كرام الأصول
فصار فى المَهجم فى عُصبةٍ ... من قومه غالتْه دهياء غُول
كالليث فى الغابة دبّت له ... رقطاء ليلاً ذات شخصٍ ضئيل
فان يكن نِيل على غِرّةٍ ... فالبدر لا بد له من أُفول

ويقول الشاعر المجيد الحسين بن على القِمّ فى رثائه قصيدةً بليغة يحرض فيها قحطان على الأخذ بثاره ، منها :

أقحطان هُزّى البيض واعتقلى السُّمرا ... ورُدِّى العوالى من دماء العدا حُمرا
ولا تُهـدرى ثأر المظفر ، إنّه ... بنى لكم مجداً وشاد لكم فخرا
سَرَى نحو بيت الله ، لله طائعاً ... يروم من الله المثوبة والأجرا

وقد أثنى الكثير من المؤرخين على سيرة الصليحى وعدله ودهائه الأمر الذى أتاح له السيطرة على جميع البلاد ، سهلها وجبلها إلا مدينة صعدة فقد تمنع أولاد الناصر بعض التمنع ثم إنه قبل القائم فيهم كتائب على صعدة وأقام الصليحى بصنعاء .

ومن عدله ووفائه نجد أنه قد ظل مخلصاً حتى مات فى تنفيذ مبدئه وعقيدته التى لقنها إياه أستاذه الزواحى وعمل جاهداً على نشر مبادئه ، كما أنه ظل مخلصاً لإمامه المستنصر العبيدى ، مستقيما على طاعته مهما كلّف الأمر ولم يُغره ملك اليمن وما أحرزه من مجد وسلطان إلى الخروج عن الطاعة والانتقاض على الخليفة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على قوة الإيمان ومضاء العزيمة والإخلاص فى المبدأ .

(قائمة سلاطين بنى الصليحى)

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — على بن محمد الصليحى	٤٣٩ — ٤٥٨	١٠٤٥ — ١٠٦٦
٢ — ابنه المكرّم بن على [١]	٤٥٨ — ٤٨٤	١٠٦٦ — ١٠٩١
٣ — سبأ بن أحمد بن المظفر [٢]	٤٨٤ — ٤٩٢	١٠٩١ — ١٠٩٩

(١) يقول الجندى فى تاريخه أنه قام بالأمر بعد والده أتم قيام ، وأحرز انتصارات ساحقة ضد مناوئى الدولة الصليحية فى بلاد حمير وحراز وجهران وبكيل ومغارب اليمن وتغلب على الإمام المحتسب حمزة بن أبى هاشم فى معركة أرحب سنة ٤٥٩ هـ التى قتل فيها الإمام وقبر فى محل يدعى (بيت الجالد) ، وقد ساند المكرم أيضاً الكثير من قبائل همدان وسنحان وخولان وحراز فى محاربة سعيد الأحول النجاحى ـ قاتل والده ـ ولم ينفك فى مطاردته حتى قتل فى آخر معركة دارت فى قرية (مابه) من قرى الشعر سنة ٤٨١ هـ ، وقد توفى المكرم فى قرية (بيت بوس) المعروفة قبل هذا وهو فى طريقه من جبلة إلى صنعاء ، وأسند الوصية فى الملك إلى زوجته السيدة أروى بنت أحمد الصليحى ، وفى الدعوة إلى ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر ابن على الصليحى الذى كان مقيما بحصن (أشيح) فى مخلاف بنى سويد من آنس ويعرف الآن بـ (ظفار) وهو خارب .

(٢) نعته الجندى بأنه كان من أكرم العرب وأعفهم وأشرفهم نفسا ، ماوطىء أمة ولا خيب قاصدا ، وكان ممدوحاً يقصده الشعراء ويمدحونه فيكرمهم وربما يمدحهم بشىء من الشعر مع الإثابة ، وإلى ذلك أشار ابن القم بقوله :

ولما مدحت الهزبرى بن أحمد أجاز وكافانى على المدح بالمدح
فعوضنى شعراً بشعرى وزادنى نوالاً فهذا رأس مالى وذا ربحى
شققت إليه الناس حتى رأيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبح دهر لم يكن فيه أحمد ونزه دهر كان فيه عن القبح

وقد خطب السيدة أروى بعد وفاة المكرم بخمسة شهور فأجابته إلى ذلك بعد =

	مدة الحكم	
	(هـ)	(م)
٤ — السيدة أروى بنت أحمد الصليحي [1]	٤٩٢ — ٥٣٢	١٠٩٩ — ١١٣٨

= أن استمد الإذن من الخليفة الفاطمى بمصر حسب اقتراحها ، ولم تنجب له أحداً بل قيل إنه لم يدخل بها ، وقد قام بعدة حملات عسكرية على بنى نجاح بزبيد ، منها معركة الكظائم سنة ٤٨٤ هـ التى قتل فيها القاضى عمران بن المفضل اليامى حسبما يأتى ـ راجع كلامنا عن حاتم بن أحمد اليامى فى دولة بنى حاتم ـ ، وقد مات سبأ ودفن بحصنه (أشيح) سنة ٤٩٢ هـ .

(١) السيدة الملكة أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى ، نائب الصليحى بعدن ، توفى أبوها تحت أنقاض داره بعدن ، وهى إذ ذاك طفلة فكفلها الصليحى وربتها زوجته أسماء بنت شهاب سالفة الذكر ، ثم زوجها بابنه المكرم وأنجبت له ولدين ، ويقال إنه جعل صداقها (عدن) ، وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك . وقد انتقلت من صنعاء إلى مدينة (ذى جبلة) التى تبعد عن تعز ٨٠ ك . متراً فى جهة الشمال الشرقى ، هى وزوجها المكرم بعد أن أصيب بالفالج ، ووكل إليها أمر تدبير الملك ، وجعلت مدينة (ذى جبلة) مقراً لها ، وكانت أول خطوة تقوم بها هى قتل سعيد الأحول النجاحى الذى عاد لاحتلال (زبيد) بعد أن فر من وجه قوات المكرم إلى (دهلك) كما أسلفنا ، وذلك بأن أوعزت إلى أسعد بن شهاب بأن يكاتبه ويخادعه ويستدعيه ، وكان أسعد محبوبا عند النجاحيين لما قام به من حسن الإدارة والعدل عند ما كان عاملا على زبيد للصليحى وابنه المكرم .

لقد أخذ أسعد فى مراسلته لسعيد الأحول مظهراً رغبة الصليحيين فى الاستعانة به ضد مناوئيهم من العرب حتى استماله وأطمعه فى ملك آل الصليحى فخرج من زبيد فى عسكره سنة ٤٨١ هـ متجهاً نحو الشعر ، وكانت السيدة قد جهزت قوات ضعف قوات سعيد الأحول من مختلف الجهات وأمرت قوادها بالإحاطة بهم وقتلهم عن آخرهم ، وكانت معركة حامية الوطيس قتل فيها سعيد وطائفة من عسكره وأسرت زوجته أم المعارك وسيقت إلى (ذى جبلة) حيث أنزلتها السيدة بدارها الشهيرة بدار =

= العز – وهى دار بنتها السيدة وقد تهدمت ولم يبق الآن إلا موضعها المعروف بـ (حافة الدار) – ، كما حمل رأس سعيد على طرف رمح ونصب أمام طاقة (أم المعارك) قضاء لما فعله سعيد الأحول من نصب رأس الصليحى أمام طاقة زوجته أسماء بنت شهاب بزبيد وهى أسيرة .

ثم أصدرت السيدة أوامرها إلى أبيها أسعد بن شهاب – وكان بصنعاء – تأمره بالزحف إلى زبيد ، فاتجه فوراً ودخلها دون حرب لخلوها من الحرس بعد أن فر جياش إلى البحر كما تقدم .

ويمكن القول أن السيدة الملكة أروى قد حكمت معظم البلاد اليمنية بعد أن شاركت زوجها المكرم فى تدبير شئون الدولة منذ قيامه حتى مات وقبضت على أزمة البلاد بيد من حديد من سنة ٤٨٤ حتى سنة ٥٣٢ هـ ، أى ما يقرب من نصف قرن ، ضربت فيه أروع الأمثال من الحزم والثبات والحكمة والعدل ، وكانت إلى جانب هذا على مكان عال من الفضل والأدب والمعرفة والدهاء وسمو التفكير وسداد الرأى ، ولها محاسن فى اليمن كثيرة وأعمال خيرية جليلة ، منها بناء جامع (ذى جبلة) وعمارة الجناح الشرقى للجامع الكبير بصنعاء وتبليط المدينة بالقضاض والأحجار ، وغير ذلك من المساجد والمحاسن ومعاهد العلم والوقفيات الكبيرة والصدقات ورواتب العلماء والمرشدين والمدرسين ، وقد جعلت إقامتها فى الصيف بحصن التعكر المطل على (ذى جبلة) وكان به ذخائر الصليحيين وتحفهم وما يعز عليهم من الأموال .

وكان من وزرائها ورجال دولتها سبأ بن أحمد الصليحى السالف الذكر ، والمفضل بن أبى البركات ، وابنه منصور ، وسبأ بن أبى السعود بن زريع ، وعلى ابن إبراهيم ابن نجيب الدولة المصرى المرسل من الخليفة العباسى بمصر سنة ٥١٣ هـ .

ويذكر الجندى أن ابن نجيب الدولة كان حافظاً لدار العز بـ (ذى جبلة) ، وكان على اتصال دائم بالسيدة فى كلما يتعلق بأمور الدولة ، ثم ولته على الجند فخرج عن طاعتها فجهزت عليه جيشاً قوامه نيف وعشرون ألفاً ما بين مشاة وفرسان وسيق إليها طائعاً مستغفراً ، وهو الذى أرسل عليه الخليفة بمصر مائة فارس بسبب تهمة وجهت ضده من حاسديه حول السكة النقدية فامتنعت السيدة عن تسليمه =

= فلم يتركها أعداء ابن نجيب الدولة بل عظموا عليها خلاف الخليفة فدعت الرسول وأحلفته أنه لا يعرض لابن نجيب الدولة بسوء ثم سلمته إليه وكتبت معه كتابا إلى الخليفة تستعطفه فيه .

ومن رجال دولتها أيضاً أسعد بن أبي الفتوح الحميرى وغيره من الهمدانيين ، ولهؤلاء عدة مآثر جليلة فى الجند وإب وتعز وصبر ، كانوا يقيمونها عن أمر السيدة ، منها إيصال المياه من (خنوة) إلى مدينة (الجند) على يد منصور بن المفضل المتقدم ذكره ، وقد أنفق فى ذلك أموالا طائلة من شق الجبال وإقامة الأعمدة والكظائم ، وإلى ذلك أشار مادح ابن المفضل من قصيدة طويلة :

وأقل مكرمة له وفضيلة — اجراؤه للغيل فى (الأجناد)
شق الجبال الشامخات فأصبحت — فكأنما كانت بغير وهاد

وللشعراء المعاصرين لها عدة مدائح فيها ، منها قصيدة بليغة للشاعر الحسين بن على القم نذكر منها ما يلى :

لو كان يعبد للجلالة فى الورى — بشر لكانت ذلك المعبودا
أو كان فى أثوابها (بلقيس) ما — هابت سليماناً ولا داؤودا
وإذا الوفود تأخرت وفدت عطا — ياها فكانت للوفود وفودا

وفى مدحها يقول الخطاب بن الحسن الحجورى :

كوحيدة الزمن الذى أضحى التقى — وشعارها من محضه ودثارها
رضى الأئمة سعيها فتوطدت — فى الأرض دولتها وقر قرارها
وتواصلت بركاتها ممدودة — منها حبائل ما استمر مغارها

وقد توفيت السيدة أروى رحمها الله بمدينة (ذى جبلة) سنة ٥٣٢ هـ ودفنت بجامعها الشهير بعد أن أسندت وصيتها إلى آل الزريع حيث تولى الأمر سبأ بن أبى السعود بن زريع الملقب بالداعى .

(دولة بنى زُرَيْع)

٤٧٠ — ٥٦٩ هـ

١٠٧٨ — ١١٧٤ م

كانت (عدن) وما حولها من المقاطعات ضمن الأراضى التى انتزعها على بن محمد الصليحى من عمال بنى يعفر عند قيامه بالدعوة ، وقد ولّى عليها من قبله أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى والد السيدة أروى وبقى بها حتى مات فى حادثة انهدام منزله عليه كما تقدم .

وقد أسلفنا أن الصليحى منح (عدن) للسيدة كصداق لها عند ما زُفّت إلى والده المكرم ، وأمر على محمد بن مَعْن عامله على عدن أن يسوق إليها مائة ألف دينار فى كل عام ، وقد استمر بن مَعْن على ذلك ثم من بعده ولده مَعْن ابن على إلى بعد وفاة الصّليحى بتسع سنوات أى إلى عام ٤٦٧ هـ ، عند ما خرج معن عن طاعة المكرّم وأعلن نفسه سلطاناً مستقلاً على (عدن) .

وفى سنة ٤٧٠ هـ غزى المكرّمُ بنى مَعن وطردهم من (عدن) وولّى عليها العباس والمسعود بنى المكرم اليامى الهمدانى المعروفين بابنى الزُّريع ، وجعل للعباسى حصن التَّعْكَرْ ومايأتى من البر وللمسعود حصن الخضراء ومايليه من البحر ، واستحلفهما للسيدة أن يسوق كل منهما إليها خمسين ألف دينار فى كل عام ، وقد استمرا على ذلك كما استمر من جاء بعدهما من أولادهما إلى وفاة السيدة أروى ، مع تخلف بعضهم عن الدفع فى بعض السنين وكانت السيدة تبعث من جهتها من يحاسبهم ، كما كانت تخفف عنهم وتتسامح معهم فى كثير من السنين .

وفى عام ٥٤٧ هـ عندما استولى ابن مهدى على البلاد صالحه محمد بن سبأ

بمبلغ ضخم يدفعه إليه كل عام ثم من بعده ابنه عمران ثم مولاها جوهر المعظّمى حتى خروج تُوران شاه سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤م) وقضائه على كل ذى سلطان فى اليمن بأسرها حسبما يأتى تفصيله فى بابه انشاء الله .

وفيما يلى قائمة السلاطين من آل الزريع ومدد حكمهم على كلٍ من حصنى التعكر والخضراء بعدن .

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — العباس بن المكرم (١)	٤٧٠ — ٤٧٧	١٠٧٨ — ١٠٨٥
٢ — المسعود بن المكرم (٢)	٤٧٠ — ٤٨٠	١٠٧٨ — ١٠٨٨
٣ — زُريع بن العباس (٣)	٤٧٧ — ٤٨٠	١٠٨٥ — ١٠٨٨
٤ — أبو الغارات بن المسعود	٤٨٠ — ٤٨٥	١٠٨٨ — ١٠٩٣
٥ — أبو السُّعود بن زريع	٤٨٠ — ٤٩٤	١٠٨٨ — ١٠٩٨
٦ — محمد أبى بن الغارات	٤٨٥ — ٤٨٨	١٠٩٣ — ١٠٩٥
٧ — ابنه على بن محمد (٤)	٤٨٨ — ٤٨٩	١٠٩٤ — ١٠٩٥

---

(١) ولاه المكرم حصن التعكر وما يليه من البر وتعاقب على ذلك أولاده كما سبق فى الأصل .

(٢) ولاه المكرم حصن الخضراء وما يليه من البحر ومدينة عدن وتعاقب على ذلك أولاده وقد سبق له وللعباس أن اشتركا فى حملة المكرم على بنى نجاح بزبيد لإنقاذ أمه أسماء بنت شهاب من الأسر .

(٣) قاتل مع المفضل بن أبى البركات قائد جيش المكرم ومعه عمه المسعود ابن المكرم بن زريع فى غزو (زبيد) وقتلا فى المعركة سنة ٨٤٠ هـ .

(٤) هو آخر أولاد المسعود بن المكرم الزريعى وقد اختط مدينة (الزعازع) بلحج .

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
٨ — الداعى سبأ بن أبى السعود[١]	٤٨٩ — ٥٣٣	١٠٩٤ — ١١٥٩
٩ — محمد بن سبأ	٥٣٣ — ٥٥٠	١٠٥٩ — ١١٥٦
١٠ — عمران بن محمد بن سبأ[٢]	٥٥٠ — ٥٦٠	١١٥٦ — ١١٦٥
١١ — أبو الدُّر جَوهر المُعظّمى	٥٦٠ — ٥٦٩	١١٦٥ — ١١٧٤

---

(١) تحارب مع ابن عمه على بن محمد بن أبى الغارات قرابة عامين وانتهت الحرب بانتصار سبأ واستيلائه على كامل المنطقة ، وقد قلده الخليفة الفاطمى بمصر الدعوة وسمى بالداعى سبأ المعظم ، وقد أحاط بمن بقى من أبناء على بن أبى الغارات وقتلهم جميعاً ، وقال عماره إن مكارم سبأ أكثر من أن تحصى وقد توفى على السيرة المرضية بحصن الدملوه سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) لقب بالمكرم وكان ذا كرم فياض ويقول الجندى أن مكارمه أكثر من أن تحصى ، ومن آثاره الباقية المنبر بجامع عدن وإسمه مكتوب عليه ، وقد توفى عن ثلاثة أولاد كلهم صغار ، هم : محمد وأبو السعود ومنصور . كفلهم الأستاذ أبو الدر جوهر المعظمى القائم بحصن الدملوه حيث دفن عمران وأبيه محمد بن سبأ ، وقد بقى هذا الحصن بيد جوهر حتى باعه من السلطان شمس الدولة توران شاه الأيوبى .

(دولة بني حاتم)

٤٩٢ — ٥٦٩ هـ

١٠٩٩ — ١١٧٤ م

بعد موت سبأ بن أحمد الصليحى سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٩ م) ـ وهو السلطان الثالث من سلاطين آل الصليحى ـ تغلب حاتم بن على المغلّسى الهمدانى على (صنعاء) وما جاورها ، وأطاعته قبائل همدان ، وبقيت المنطقة كذلك فى أيدى بنى حاتم حتى استولى عليها الإمام المتوكل أحمدى سليمان سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨م) فى أيام السلطان حاتم بن أحمد بن عِمران بن المفضل اليامى الهمدانى ، وكان جده القاضى عمران من أقطاب الدولة الصليحية ، وقد عينه المكرم بن على الصليحى والياً على (صنعاء) ، وكان شاعراً بليغاً وله فى المكرم وأبيه عدة مدائح ، وقد قتل فى وقعة الكضائم التى دارت بين قوات سبأ بن أحمد الصليحى وجياش ابن نجاح على أبواب زبيد (سنة ٤٨٤ هـ) .

وقد دخل حاتم تحت حكم الإمام أحمد بن سليمان وبايع له حسبما جاء فى كتب التاريخ ، وحاتم أول من أحيى منتزه الروضة شمال صنعاء ولا تزال تسمى إلى الآن باسمه فيقال (روضة حاتم) وكانت قبل ذلك تسمى بـ(المَنْظَر).

أما قصة دخوله تحت حكم الإمام أحمد بن سليمان فهى كما يذكرها صاحب أنباء الزمن أن الإمام توجه فى سنة ٥٤٥ هـ إلى الجوف واستقر بالخارد ، وفى خلال ذلك سعى السلطان حاتم بن أحمد فى قتل محمد بن عِليّان أحد أنصار الإمام على يد رجل من يام فقتل فى سوق (بَهْمان) بنهم ، وتقدم لحرب الإمام فحال بينه وبين الوصول إليه أهل تلك البلاد المتوسطة بينهما .

ثم وصل إلى الإمام كثير من القبائل يطلبون منه التقدم إلى جهة (صنعاء) فسار حتى وصل (بيت بَوس) واستقر بها ، وأقبل إليه بنو شهاب وأهل حضور جميعاً وكثر الوافدون إليه ، وفى ذات يوم احتاج إلى وَرَقٍ وصابون فأرسل رسوله خفية إلى صنعاء ليشترى له ذلك ، فعلم السلطان حاتم بن أحمد فاستدعاه وسأله عن الإمام أحمد وسلّمه كتاباً إليه فيه هذان البيتان :

أبى الوَرَقِ الطلحيِ تأخذُ أرضنا ... ولم تَشتجر تحت العجاج رماحُ
وتأخذُ (صنعاء) وهى كرسيُّ ملكنا ... ونحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وقف الإمام على ذلك قال : نعم نأخذها إن شاء الله ، ثم نهض من ساعته لمناجزة حاتم القتال ووقع بينهما حرب شديد حول صنعاء ومال إلى السَّرار[1] من صنعاء إلى جانب الإمام فأثاروا الفتنة على (همدان) ، ودخلت خيل ورجال من أصحاب الإمام إلى الميدان لحيل بينهم وبين أصحابهم فقاتلوا قتالًا شديداً واحتلوا ناحية من صنعاء ، وكان هناك رجل من أهل (صنعاء) قد أعطاه الإمام رايةً ليقاتل بها فدنا من الدرب وسلمها رجلًا من أصحاب حاتم فنصبها فى أعلى الدّرب وأعلن الطاعة للإمام كما أعلن غيره من المحاصرين ذلك وطلبوا تأمينهم ، ولما بلغ الإمام ذلك وكان فى (بيت بَوْس) لم يسعه إلا إصدار الأوامر بتأمين القوم .

ولما عرف السلطان حاتم عجزه عن المقاومة وطلب الأمان لنفسه وأنشد يقول وكان بليغاً :

غلبنا بنى حواء بأساً وشدةً ... ولكننا لم نستطع غَلَب الدهر
فلا لوم فيما لا يُطاق ، وإنما ... يُلام الفتى فيما يُطاق من الأمر

ثم خرج إلى الإمام مع جماعة من أصحاب الإمام الأشراف حيث أعلن طاعته ، وانصرف بعد ذلك إلى المنظر (الروضة) ، ثم جرى بينه وبين الإمام بعد ذلك بعض وقائع سنذكرها فى الهامش .

---

(١) حارة السرار وسط صنعاء وكانت تشمل حارة داؤود والفليحى والأبهر .

(قائمة سلاطين بنى حاتم)

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
حاتم بن على الهمدانى	٤٩٢ ـ ٥٠٢	١٠٩٩ ـ ١١٠٩
ابنه عبد الله بن حاتم	٥٠٢ ـ ٥٠٥	١١٠٩ ـ ١١١١
معن بن حاتم (١)	٥٠٥ ـ ٥١٠	١١١١ ـ ١١١٦
هشام بن القُتَيب	٥١٠ ـ ٥١٨	١١١٦ ـ ١١٢٤
حمّاس بن القُتَيب	٥١٨ ـ ٥٢٧	١١٢٤ ـ ١١٣٢
حاتم بن أحمد بن عمر اليامى (٢)	٥٣٣ ـ ٥٥٦	١١٣٩ ـ ١١٦٢

---

(١) خلعه أحمد بن عمران بن المفضل اليامى بعد أن جمع قبائل همدان فى محل يدعى (مصب الدروع) بهمدان ، وجعل الامارة فى بنى القتيب وهما هشام وحماس فتقدما إلى صنعاء وحاصرا معن بن حاتم فى الدرب الذى كان يعرف بـ : (درب القطيع) بأعلا صنعاء ـ ويشمل حارة صلاح الدين وموسى والمدرسة ـ حتى خرج على يد القاضى أحمد بن عمران إلى حصن براش . وكان حماس أميراً مطاعاً وفارساً شجاعاً ، وهو الذى غزى بلاد جنب بذمار فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما حضرته الوفاة جمع إخوته وهم أبو الغارات بن أبى الفتوح وعامر ومحمد ، وحثهم على الألفة وجمع الكلمة ، وأوصاهم بأن يجعلوا أميرهم أبا الغارات ، وأن يعاهدوه على الطاعة فخانوا ذلك وتفرقوا واختلفوا فيما بينهم حتى عزلهم أهل صنعاء . اهـ : أنباء الزمن .

(٢) أقامه أهل همدان سلطاناً بعد موت حماس بن القتيب بست سنوات وبقى بصنعاء حتى جاء الإمام أحمد بن سليمان فغادرها إلى الروضة ، ثم سعى بعض المغرضين بالشقاق بينه وبين الإمام حتى بدأ الخلاف من جديد وناصرته همدان فى معركة الرحبة ـ شمالى صنعاء ـ التى دارت بينه وبين أصحاب الإمام ودخل حاتم صنعاء وكان =

مـــدة الحــــكم

	(هـ)	(م)
علي بن حاتم بن أحمد (١)	٥٥٦ — ٥٦٩	١١٦٢ — ١١٧٤

= الإمام غائباً بذمار فأسرع بالعودة ، ثم كانت بعدهامعركة (القليس) في صنعاء أسفرت عن هزيمة الإمام لتصدع حدث في صفوف جيشه ، ومنها توجه إلى صعدة سنة ٥٤٦ هـ ، ثم عاد في سنة ٥٥٠ وتمكن من احتلال (صنعاء) بعد معارك عظيمة بينه وبين حاتم بن أحمد في (نجد الشرزة) و (نجد شيعان) بهمدان أسفرت عن هزيمة حاتم وأصحابه إلى براش — وهو حصن جنوب شرقي صنعاء — وما جاوره من الحصون ، ودخل الإمام صنعاء وأمر بهدم الدرب الذي كان حاتم قـــد بناه في (غمدان) .

(١) بايعته همدان بعد والده وأقام بحصنه (ضهر) ، ثم ثارت ضـــده بعض القبائل من (همدان) بزعامة رجل من آل القتيب يدعى علي بن محمد بن حماس بصنعاء فاتجه إليهم ومعه جمع كبير من القبائل فأخمد ثورتهم وسيطر على الدرب ، وكان أخوه (عمران) ــ وهو غلام صغير ــ يطارد بقايا الثوار في شوارع صنعاء فأصابه سهم مات منه ، فخافت همدان من بطش علي بن حاتم ، ولكنه قابلهم بالصفح ووهب لهم دم أخيه وعفى عنهم تأليفاً لهم وتسكيناً لجزعهم ، وفي سنة ٥٦٩ هـ نهض إلى اليمن الأسفل لقمع حركة عبد النبي بن مهدي الذي كان قد دوخ تلك المقاطعة وأذل سلاطينها آل زريع بعـــد أن قدم إليه بـ (صنعاء) السلطان حاتم بن علي ابن سبأ الزريعي صاحب (عدن) يستنجده ، فتمكن بقوة وحزم من احتلال جميع مواقع عبد النبي في الجند واب وتعز وقتل من جنده مقتلة عظيمة وهزمهم أقبح هزيمة ، واضطر عبد النبي إلى الفرار إلى زبيد ، وفي هـــذا أنشأ عبد النبي متمثلا بقول الشاعر :

واعلم بني بأن كل قبيـــلة   ستذل أن نهضت لها قحطان

وفي سنة ٥٧٠ هـ كان السلطان توران شاه قد وصل إلى ذمار وأوقع بقبيلة (جنب) وقتل من رجالها ما يقرب من تسعمائة شخص ، ورأى السلطان علي بن حاتم أنه لا طاقة له بالمقاومة فشحن معداته وذخائره إلى حصن (براش) وانتقل إليه =

= بعد أن هدم سور صنعاء كما انتقل أخوه بشر بن حاتم إلى حصن (عزان) فى مرهبه ودخل توران صنعاء فى نفس العام، ثم إن على بن حاتم أغار على (صنعاء) واحتلها بعد مغادرة توران اليمن إلى (مصر) ، ثم خرج منها سنة ٥٨٣ ﻫ عند ماعلم بقدوم طغطكين بن أيوب وكتب إليه لصالحه على ثمانين ألف دينار حاتمية يدفعها فى كل عام ولكن هذا الصلح لم يدم ونهض طغطكين بعد لمحاصرة على ابن حاتم فى (ذى مرمر) ودام الحصار أربع سنوات حتى مل طغطكين وجنح إلى الصلح ، وأخيراً دخل على بن حاتم فى طاعة الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وأصبح فى مقدمة أعوانه ومناصريه .

(دولة بنى مهدى)

٥٥٣ — ٥٦٩ هـ

١١٥٨ — ١١٧٤ م

تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها على بن مهدى ين محمد بن على بن داؤود بن محمد الرعينى الحميرى ، وكان والده زاهداً متبتّلاً يسكن قرية (العَنْبَرَه) بوادى سهام ، وقد نشأ على بن مهدى على طريقة والده ، وجعل يسافر إلى مكة حاجاً ، كما جعل يتردد إلى زبيد محاولاً احتلالها وتحريرها من حكم آل نجاح ، وكان عالماً متصوّفاً وخطيباً مصقعاً ، وكثيراً ما حذّر فى خطاباته ورسائله من خدمة الملوك والاقتراب منهم ، وقد لمع اسمه سنه ٥٣١ هـ واشتهر فى جبال تهامه بالزهد وكثرة العبادة ، وكان حكيماً إلى درجة أنه تمكن من كسب ثقة الملكة (أم فاتك) النجاحى واستدرار عطفها .

وفى سنة ٥٣٨ هـ توجه على رأس قوة قوامها أربعون ألفاً من مشاةٍ وفرسان وغزاىهم مدينة (الـكَدْرَا) بوادى رِمَع فواجهه صاحبها القائد اسحق فهزمهم وقتل عدداً منهم فعاد منهزماً إلى المنطقة الجبلية ، ثم أخذ فى مكاتبة الملكة (أم فاتك) وتمكن من اقناعها بالتوسط فى عوده إلى قريته وتم له ذلك .

ولما سمع بموتها سنة ٥٤٦ هـ توجه إلى مدينة (القُضَيب) فى أطراف (زبيد) واستدعى عدداً من قومه والقى فيهم خطاباً حثهم فيه على الثورة ضد الأحباش آل نجاح وكان مما قاله :

« والله ما جعل الله فناء الحبشة إلى بى وبكم ، وعما قليل إنشاء الله سوف تعلمون ، والله العظيم رب محمد وموسى وإبراهيم أنى عليهم ريح عاد وصيحة ثمود، وإنى أحدثكم فلا أكذبكم وأعدكم فلا أخلفكم ، ولئن كنتم الآن قليلاً لتكثرُنّ

أوضعافاً لتشرفُن أو اذلاء لتعزُّنّ حتى تصيروا حديثاً فى العرب والعجم ، ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذى أحسنوا بالحسنى ، فالأناة الأناة ، فوحق الله العظيم على كل موحِّدٍ مؤمن لأُخدمنَّكم بنات الحبشة واخوانهم ولأخولنَّكم أموالهم وأولادهم ، ثم تلا قوله تعالى « وعـد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليُبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً » .

ثم صعد إلى حصن يقال له (الشّرف) لبطنٍ من خولان وسّماهم بالأنصار كما سمى الذين جاؤا معه المهاجرين وجعل للمهاجرين نقيباً وللأنصار نقيباً وسماها شيخى الإسلام وكان لايدخل عليه فى الغالب غيرهما لشدة احتراسه وسوء ظنّه ببعض أصحابه .

وقد أمر بتجهيز عدة حملات على (زبيد) بصورةٍ متواليه ، واستمر فى حصارها حتى اشتد البلاء على أهلها فهاجر الكثير من سادتها وعلمائها إلى المدن والجبال .

وفى ١٤ رجب من نفس العام تم له فتح (زبيد) ودخلها على رأس قوةٍ ضخمة بعد معارك كثيرة قتل فيها عدد من جنود النجاحيين .

وفى شوال مات على بن مهدى ودفن بموضع يقال (عتبة) خارج مدينة (زبيد) وبنى ولده مهدى عليه مسجداً لتصلى فيه الجمعة .

وقد خلفه إبنه مهدى وهو لا يقل حزماً وقوةً من أبيه ، وحكى الكثير من المؤرخين أنه كان يفوق أباه شجاعةً وإقداماً وحرصاً على تنفيذ مبادئه ومعتقداته ؛ ومع كونه من أتباع أبى حنيفة فكان يكفرّ بالمعاصى ويقتل بها كما يقتل من خالفه فى معتقداته ويستبيح ماله ووطْىء نسائه ويجعل داره دار حرب ، وبهذا قتل جماعة من الفقهاء وربما قتل بعض قرابته ، مستدلاً بقوله تعالى (لا تجد قوماً ...) الآية ، إلى آخر ما أورده الجندى فى تاريخه ، ثم قال « وبالجملة فكان ممن سعى فى الأرض الفساد » .

وقد غزا تعزواب والجند والمعافر ، وصالحه الداعى عمران بن محمد بن سبأ

عن عدن والدملوه بمال يسوقه إليه فى كل عام ؛ وقتل فى حملاته خلقاً كثيراً ، وعند ما وصل إلى الجند سنة ٥٥٨ أمر بهدم الجامع فهدم فى الحال .

وفى نفس السنة حُمل إلى (زبيد) متأثراً بالسُم وقيل بالاحتراق الجلدى وهنالك مات ودفن إلى جنب والده .

وبعد موته خلفه أخواه عبد النبى بن مهدى عبد الله ولهما وقائع مشهوره فى لحج وأبين ، وكانت دولة بنى مهدى ١٥ عاماً وثلاثة شهور وثمانية أيام ، وقد سقطت دولتهم بعد خروج السلطان تُوران شاه إلى زبيد .

وفيما يلى قائمة سلاطين بنى مهدى ومدد حكمهم :

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ ـ على بن مهدى	٥٥٣ — ٥٥٣	١١٥٨ — ١١٥٨
٢ ـ إبنهُ مهدى بن على	٥٥٣ — ٥٥٨	١١٥٨ — ١١٦٣
٣ ـ عبد النبى بن على[1] ٤ ـ عبد الله بن على	٥٥٨ — ٥٦٩	١١٦٣ — ١١٧٤

(١) أمر السلطان توران شاه بقتله سنة ٧٥٠ هـ ومعه أخواه أحمد ويحيي وشنقوا على باب مدينة زبيد .

(دولة بنى أيوب[1])

٥٦٩ — ٦٢٦ هـ

١١٧٤ — ١٢٢٩ م

لما توالت غارات على بن مهدى الرعينى على مدينة (زبيد) خلال دولة فاتك ابن محمد بن فاتك النجاحى ـ وكان سلطانه ضعيفاً كما أسلفنا ـ

---

(١) كان صلاح الدين بن نجم الدين أبو الشكر أيوب (مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر) وزيراً للفاطميين فى مصر وكانت دولتهم وشيكة الانتهاء أيام الخليفة العاضد ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ (١١٦٠ — ١١٧١ م) وهو آخر خليفة فاطمى ، وكانت سياسة صلاح الدين تتركز على مبدئين أحدهما إحلال السنة فى مصر بدلا عن الشيعة ، والآخر إشعال الحرب ضد الافرنج . وقد حفزه ما رأى من ضعف الدولة الفاطمية على الثورة ضد حكمهم وإدخال (مصر) تحت حكم الخليفة المستضىء العباسى المتوفى سنة ٥٧٥ هـ (١١٨٠ م) ، وتمكن بعد ذلك من تفويض حكم إسمعيل بن نور الدين ابن محمود بن زنكى فى سوريا) سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) وفى هذا الوقت بالذات انتشر نفوذه إلى الحجاز واليمن بقيادة أخيه توران شاه كما انتشر نفوذه أيضاً إلى العراق عام ٥٨٢ هـ (١١٨٤ م) .

وقد تم له تنفيذ سياسته الأولى وهى إحلال السنة بدلا عن الشيعة وذلك بادخال مصر تحت حكم الدولة العباسية . وفى سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٧ م) بدأ يوجه ضرباته ضد الصليبيين فى الشام وقهرهم فى عدة وقائع شهيرة ، منها وقعة (حطين) فى هذا العام بالقرب من طبرية أسر فيها ملك أورشليم ، وافتتح بعد ثمانية أيام منها مدينة (القدس) ورفرف عليها الهلال بدلا عن الصليب ثم قاد سلسلة حملات عسكرية ضد الصليبيين الذين جاؤا من أقطار غربية متفرقة بقيادة ملوكها ومن جملتهم ريتشارد (قلب الأسد) ملك بريطانيا وملك فرنسا ولم يحظوا بغير الخيبة والهزيمة .

وتابع عمليات الفتح حتى (اللاذقية) ، وعلى الجملة فكان صلاح الدين من أنصار الإسلام ، وله مآثر عظيمة ومفاخر خالدة ، منها بناء مدرسة الأزهر الشريف لتدريس المذاهب الأربعة كما قام بأحياء العلم فى أرجاء البلاد . اهـ . تاريخ العرب =

استنجد أعيان (زبيد) بالإمام أحمد بن سليمان ، وقد بادر إلى نجدتهم ووصل زبيداً سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) على رأس قوةٍ كبيرة ومكث بها ثمانية أيام قضى خلالها على نشاط آل مهدى ثم غادرها بعد ذلك إلى ذمار ، وبعد مغادرته استأنف آل مهدى هجماتهم ، لا على زبيد وحدها فحسب ، بل وعلى جميع المدن والقرى التهامية ، وآل الأمر أخيراً إلى أن استنجد الشريف قاسم بن يحيى – وهو من كبار أعيان المخلاف السليمانى ، وكان أخوه غانم قد قتل فى غارة شعواء شنّها عليهم عبد النبى بن مهدى بالخليفة العاضد الفاطمى بمصر فما كان من العاضد إلا أن أمر وزيره صلاح الدين الأيوبى وكان حينذاك وزيراً للفاطميين – يأمره بنجدته ونصرته ، فبعث صلاح الدين أخاه تُوران شاه الملقب شمس الدين إلى اليمن ومعه قوة كبيرة ، ووصل زبيداً فى ٩ شوال سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) وأسر عبد النبى وجماعة من قومه ، وسار

= لفليب حتى مع بعض تصرف . وللدولة الأيوبية فى مصر عشر سلاطين وقد انتهت دولتهم فى عام ٦٥٠ هـ (١٢٥١ م) ، حيث قامت على إثرها دولة المماليك ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م) حيث بدأت بشجر الدر . وفيما يلى قائمة السلاطين الأيوبيين فى مصر :

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — صلاح الدين الأيوبى	٥٦٤ — ٥٨٩	١١٦٩ — ١١٩٣
٢ — العزيز عماد الدين	٥٨٩ — ٥٩٥	١١٩٣ — ١١٩٨
٣ — المنصور محمد	٥٩٥ — ٥٩٥	١١٩٨ — ١١٩٩
٤ — العادل الأول سيف الدين	٥٩٦ — ٦١٥	١١٩٩ — ١٢١٨
٥ — الكامل محمد	٦١٥ — ٦٣٥	١٢١٨ — ١٢٣٨
٦ — العادل الثانى	٦٣٥ — ٦٣٧	١٢٣٨ — ١٢٤٠
٧ — الصالح نجم الدين	٦٣٧ — ٦٤٧	١٢٤٠ — ١٢٤٩
٨ — المعظم توران شاه	٦٤٧ — ٦٤٨	١٢٤٩ — ١٢٥٠
٩ — الأشرف موسى	٦٤٨ — ٦٥٠	١٢٥٠ — ١٢٥٠

١٠ — شجر الدر عزله أيبك ولكن اسمه ظل يذكر فى الخطبة حتى سنة ٦٥٢ هـ .

إلى عدن حيث قضى على دولة بنى زُريع ثم غادرها إلى إبْ وذى جبله حيث أنهى حكم من تبقى من الصليحيين كما توجه إلى صنعا وقضى على دولة بنى حاتم وهكذا انتهت بالأيوبيين كل دولة فى اليمن .

ولم يلبث تُوران فى اليمن أكثر من عام حتى كتب إلى أخيه السلطان صلاح الدين مبدياً شوقه إليه ورغوبه فى العودة إلى مصر ، وشفع الكتاب بقصيدة مطلعُها:

الشوق أولع بالقلوب وأوجع   فعلامَ أدفع منه مالا يُدفعُ ؟

وَحَمَلت من وَجْد الأحبة والنوى   ماليس يحمله الأحبـة أجمع

وإلى صلاح الدين أشكو ! إننى   مضنّى إليه ، مستهامٌ ، موجع

ومنها :

جزعاً لبعد الدار منه ، ولم أكن   لولا هواه لبعد دارٍ أجزع

فلأركبنّ إليه متن عزائمى   ويُخِدُّبى ركب الغرام ويوضِع (١)

فأجاب عليه صلاح الدين بالأبيات التالية :

مولاى ، شمس الدولة الملك الذى   شمس السعادة من سناهُ تطلع

مالى سواك من الحوادث ملجأٌ   مالى سواك من النوائب مفزع

ولأنت شمس الدين فخرى فى الورى   وملاذ آمالى وركنى الأمنع

النصر إن أقبلت نحوى مقبلٌ   واليمن إن أسرعت نحوى مسرع

وفى سنة ٧٥٠ هـ عاد توران شاه إلى مصر وأناب على زبيد الأمير أبا الميمون المبارك الكنانى المشهور بسيف الدولة ــ وهو بانى مسجد المناخ بزبيد ــ بعد أن أمر بقتل عبد النبى بن مهدى وأخويه أحمد ويحيى وشنقوا على باب (زبيد) ، كما أناب على (تعز) ياقوت التعزّى ، وعلى (الجند) مظفر الدين ، وعلى (عدن) عثمان الزِّنْجبلى .

---

(١) من الإيضاع وهو السير الخفيف ، وفى الحديث (ليس الحج بالإيضاع) .

ويقول الجَنَدى أنّ صلاح الدين لم يبعث أحداً إلى اليمن بعد ذلك لمدة تسع سنوات فكان ذلك سبب خروج الكثير من هؤلاء النواب عن الطاعة للسلطان صلاح الدين ، وأنه لما علم بذلك بادر إلى إرسال أخيه طُغْطَكين ابن أيوب سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٤ م) فاستعاد الكثير من المقاطعات فى جنوب اليمن ، عدن وتعز وإبْ والجند ، كما استعاد المقاطعات التى كان بنو حاتم قد أعادوا احتلالها كحصن (كَوكَبان)[١] (والعَرُوس)[٢] و (ذِى مَرْمَرْ)[٣] .

وكان طغطكين عالماً يحب العلماء والفضلاء ويحترمهم ويبالغ فى إكرامهم ، وهو الذى اختط مدينة (المنصوره) التى تبعد ١٢ كيلو متراً عن الجند شمالاً ، ولا يوجد الآن إلا آثارها ، وابتنى بها قصراً .

ويقول المؤرخون أنه فى آخر أيامه دعته نفسه إلى امتلاك الأراضى فى البلاد بصورةٍ عامة وتدوينها فى سجلات الدولة ، وشرع يبث المثمنين فى أرجاء البلاد لتثمينها وشرائها قهراً ، وبينما كان المثمنون قد بدأوا فى تنفيذ الأمر إذْ شاع الخبر بموت طغطكين فهربوا ، ولم يعتمد ذلك أحد ممن جاء بعده من السلاطين ، وقيل أنه مات مسموماً من قبل الشيخ على بن محمد المعروف بـ (ابن المعلم) وكان مقرباً منه ، وقد نقل جثمانه ولدُه المسعود إلى تعز حيث دفنه وعمر بجانبه مدرسه .

وفيما يلى قائمة أسماء سلاطين بنى أيوب ومدد حكمهم مع التعليق على المهم من أخبارهم .

---

(١) من أهم الحصون اليمنية وهو مطل على مدينة شبام التى تبعد عن صنعاء ٩٠ كيلو متراً غرباً .

(٢) فى حضور الواقعة فى الجنوب الغربى من صنعاء .

(٣) حصن منيع فى الشمال الشرقى من صنعاء .

(قائمة سلاطين بنى أيوب)

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ ــ السلطان المعظم تُوان شاه بن أيوب	٥٦٩ — ٥٧٠	١١٧٤ — ١١٧٥
٢ ــ أخوه السلطان العزيز طغطكين[١]	٥٧٩ — ٥٩٠	١١٨٤ — ١١٩٤
٣ ــ المعز إسماعيل بن طَغطكين[٢]	٥٩٤ — ٥٩٩	١١٩٤ — ١٢٠٤
٤ ــ الناصر بن طُغطكين[٣]	٥٩٩ — ٦١١	١٢٠٣ — ١٢١٥
٥ ــ المسعود يوسف بن الكامل[٤]	٦١٢ — ٦٢٦	١٢١٦ — ١٢٢٩

---

(١) سكن (صنعاء) أولا وبنى سورها وإليه ينسب (بستان السلطان) ثم انتقل إلى (تعز) وجعلها عاصمة له ، وانتشر نفوذه إلى (حضرموت) و (عدن) وبنى مدينة (المنصورة) بالجند ، ومات بها حسبما بيناه بالأصل .

(٢) بنى مدرسة الميلين بزبيد ومدرسة بتعز على قبر والده ووقف لها واد بالضباب ــ وهو من أخصب الوديان ويبعد عن تعز ١٢ كيلو متراً بجهة الجنوب الغربى ــ وقد التزم مذهب التشيع ، ويقول المؤرخون أنه لم ينهج نهج والده من العدل وحسن السيرة ، وطال ظلمه للجند ، ولذلك ثار عليه الأكراد الذين كانوا يحرسونه عندما كان فى جولة بضواحى (زبيد) ، ثم عادوا بعد ذلك لانتهاب المدينة وأقاموا بها عاما كاملا ، وقبره شرقى زبيد فى قبة تعرف بـ : (قبة الخليفة). وفى سنة ٥٨٣ هـ ظهرت دعوة الإمام عبد الله بن حمزة واستولى على (صعدة) ثم سار إلى (ميتك) بهمدان وأخرج منها عسكر السلطان على بن حاتم واستقر بحصن (جزع).

(٣) تحارب مع المنصور عبد الله بن حمزة ، وقتل مسموماً من قبل أحد عماله على (الجند) يدعى غازى بن جبريل ، ونقل جثمانه إلى (تعز) بعد وصول المسعود من (زبيد) ودفن شمالى المدينة وأقيمت عليه قبة .

(٤) توفى بمصر ، وفى أيامه ظهر الثائر مرغم الصوفى بجبل سحمّر من بنى مسلم وصاب العالى .

(دولة بني رسول)

٦٢٦ — ٨٥٨ هـ

١٢٢٩ — ١٤٥٤ م

ينتهى نسب آل الرسول إلى محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبيين بمصر ؛ ويقول الخزرجى أن نسب محمد بن هارون يرجع إلى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان فى الشام[1] والذين ينتهى نسبهم إلى زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر ؛ وكان له حظوة عند الخليفة العباسى ، وكان قد أرسله إلى مصر والشام فى عدة مناسبات وبهذا أطلق عليه اسم (رسول)[2] .

وأول سلطان للرسوليين باليمن هو المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول مؤسس الدولة الرسولية بتعز ، وقد أنابه المسعود الأيوبى المتقدم الذكر على السكّة والخطبة عندما توجه إلى مصر سنة ٦١٥ هـ .

وقد بدأ المنصور فى العمل على تمهيد الملك لنفسه بأن عيَّن فى الحصون والأماكن الحساسة فى البلاد الأشخاص الذين يرتضيهم ويركن عليهم تمهيداً لنشر نفوذه ، ولما بلغه خبر وفاة المسعود بمصر سنة ٦٢٦ هـ استقل بالأمر لنفسه وضرب السكة باسمه وأمر الخطباء بذكره وأعلن سلطانه على البلاد وتلقب بالمنصور ، بعد أن استمد النيابة من الخليفة الظاهر بن الناصر العباسى رأساً ، وخضعت له بلاد تعز وإب وصنعاء وبعض المقاطعات الشمالية ، وتحارب طويلاً مع الإمام المهدى أحمد بن الحسين (أبو طيْر) المعروف بصاحب ذيبين ، كما تحارب

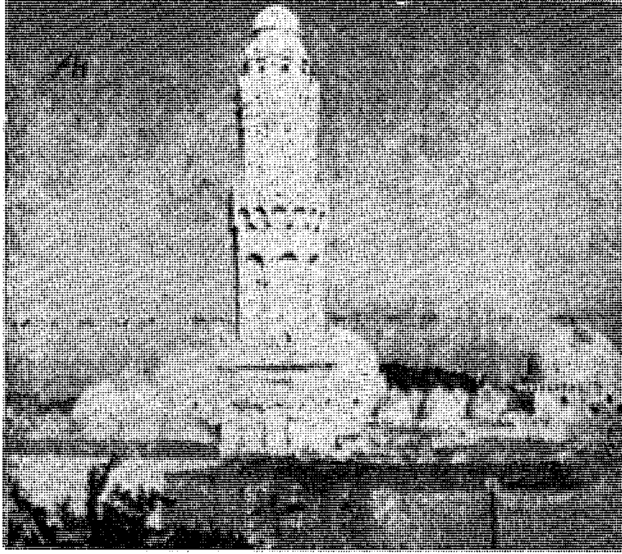
---

(١) راجع كلامنا عن دولة الغساسنة فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٢) العقود اللؤلؤية للخزرجى صحيفة ٦٢ جزء (١) .

معه أيضاً ولد المظفّر ، استمرت الحروب بين سلاطين بنى رسول وبين أئمة الشمال من مبدأ دولة السلاطين إلى منتهاها تقريباً ، وسنذكر المهم من هذه الوقائع فى تراجم السلاطين وتراجم الأئمة بعد هذا .

وكان المظفر كما قال المؤرخ الجندى من أهل الحزم والعزم ، دانت له البلاد والعباد ، وأدرك فى نفسه المراد ، وانتشر نفوذه إلى مكة ، وقام بضبط الحرمين الشريفين ضبطاً مرضياً ، وله بهما آثار جليلة ومحاسن عظيمة .



صورة رقم (٣٩)

جامع المظفر المعروف بـ (عدينة) بمدينة تعز ، وقد بناه الملك المظفر الرسولى فى القرن السابع للهجرة

ومن محاسنه فى اليمن مدرستان بمغربة (تعز) هما (الوزيرية) و (العِزابية) وثلاث مدارس بزبيد ، ومدرسة بالجند وأخرى بعدن ، كما ابتنى فى كل قريةٍ من قرى تهامة مسجداً وأوقف عليه وقفاً جيداً ، وكان عدد المدارس التى بناها ثمان مدارس ، وأما المساجد فلا تـكاد تحصى .

ولم يُنقم عليه فى سيرته غير ما أحدثه من الضريبة على كل بلد غير الخراج وسماه بالمعونة .

وقد مات غيلةً بالجَنَد على يدِ بنى ناجى أهل (المخادر) فى ثورةٍ قاموا بها ضد حكمه واحتلوا بعدها (زبيد) .

وفيما يلى قائمة بأسماء سلاطين بنى رسول ومدد حكمهم مع تعليقنا على المهم من أخبارهم .

(قائمة عمال بنى رسول)

	مدة الحكم (هـ)	(م)
١ ـ المنصور عمر بن على رسول	٦٢٦ ـ ٦٤٧	١٢٢٩ ـ ١٢٤٩
٢ ـ المظفر يوسف بن عمر (١)	٦٤٧ ـ ٦٩٤	١٢٤٩ ـ ١٢٩٥

---

(١) كان المظفر عند وفاة أبيه المنصور بالمهجم بتهامة ، وقد اتجه إلى (زبيد) حيث قضى على أسرة بنى ناجى الثائرين على أبيه ، ولم يزل يستفتح البلاد حتى استقل بولاية اليمن أجمع بعد حروب طويلة ، وكان له وزير يدعى الشيخ مخلص الدين الخولانى وكان من الرجال الأكفاء ، وفى سنة ٦٤٩ هـ قدم عماه بدر الدين وفخر الدين من مصر وأودعهما سجن (دار الأدب) بتعز ، وحين أدخلوا باب الحصن قال بدر الدين « قبحك الله قلعة ، خرجنا منك مقيدين وعدناك مقيدين » وكان قد فر منها فى أيام المنصور عمر ، ثم تمثل يقول :

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملا لا يطيق

سأصبر ، والأمور لها اتساع ... كما أن الأمور لها مضيق

فإما أن أموت أو المكارى ... وإما تنقضى عنى الطريق

وقد قام بمعارضته عمه أسد الدين بن رسول صاحب واقعة (شعوب) الشهيرة مع الأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة ، فظفر به المظفر واعتقله بدار الأدب بتعز فلبث بها مدة طويلة ، ثم أطاعه وحسنت سيرته ، فنسخ كتباً ومصاحف ومقدمات ، ووقف منها فى مدارسه ، منها مدرسته التى أنشأها فى قرية الخبالى بضاحية (تعز) حيث كان مسكنه وفيها قبره وقبور غالب ذريته ، ومدرسة فى (إب) . وكانت وفاته سنة ٦٧٧ هـ . وكان المظفر من أخيار الملوك ، ومن مناقبه قطع المعونة التى كان قد أحدثها والده على المزارعين علاوة على الخراج ، وفى سنة ٦٥٨ هـ ثارت قبائل خدير بنى سلمة فأوقع بهم المظفر بعد أن نهبوا سوق السبت وقافلة وصلت من عدن . وقد تحارب مع الإمام المهدى أحمد بن الحسين صاحب =

= الغراس ثم مع الإمام يحيى بن محمد السراجى ، وفى سنة ٦٧٤ هـ ظفر بالإمام إبراهيم بن تاج الدين فى قرية تسمى (بيت حنبص) من قرى ذمار واعتقله بتعز حتى مات ، ثم واصل الفتح حتى بلغت جيوشه ظفار حضرموت ، ولما بلغه أن ملك الصين حرم على المسلمين فى بلده الختانة وتعبوا من ذلك كتب إليه وأرفق بالكتاب هدية مناسبة فكان لذلك أثره ، وقد قبر فى مدرسته بمغربة تعز ، وللمظفر جامع بالمهجم وجامع (عدينة) بتعز ، ولا زال قائماً حتى اليوم تصلى فيه الجمعة ، ومدرسته بظفار وغير ذلك من المآثر الجليلة . انتهى باختصار من تاريخ الجندى . ومن أهم رجال المظفر سنجر الشعبي وكان على مكان من الفضل والنسك والصلاح وقد ولاه المظفر (صنعاء) ، ومحمد بن حاتم الهمدانى مؤلف كتاب (السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن) ، توجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية وهو مجلد ضخم يشتمل على ٣٠٥ صحيفة من القطع المتوسط تعرض فيه لذكر سلاطين بنى أيوب ، كما تكلم بإسهاب عن سيرة الملك المظفر الرسولى وولده الأشرف ومناقبهما فى اليمن .

	مدة الحكم (هـ)	(م)
٣ ـ الأشرف الأول عمر بن يوسف[1]	٦٩٤ ـ ٦٩٦	١٢٩٥ ـ ١٢٩٧
٤ ـ المؤيد داؤود بن يوسف[2]	٦٩٦ ـ ٧٢١	١٢٩٧ ـ ١٣٢١
٥ ـ المجاهد على بن المؤيد	٧٢١ ـ ٧٦٤	١٣٢١ ـ ١٣٦٣
٦ ـ الأفضل العباس بن المجاهد	٧٦٤ ـ ٧٧٨	١٣٦٣ ـ ١٣٧٧
٧ ـ الأشرف الثانى اسمعيل بن العباس	٧٧٨ ـ ٨٠٣	١٣٧٧ ـ ١٤٠١
٨ ـ الناصر أحمد بن الأشرف إسمعيل الثانى	٨٠٣ ـ ٨٢٩	١٤٠١ ـ ١٤٢٦
٩ ـ المنصور بن الناصر أحمد	٨٢٩ ـ ٨٣٠	١٤٢٦ ـ ١٤٢٧
١٠ ـ الأشرف الثالث إسمعيل بن المنصور	٨٣٠ ـ ٨٤٢	١٤٢٧ ـ ١٤٤٩
١١ ـ الظاهر يحيى بن الأشرف الثالث	٨٤٢ ـ ٨٥٠	١٤٣٩ ـ ١٤٤٧
١٢ ـ المسعود أبو القاسم بن الأشرف الثالث	٨٥٠ ـ ٨٥٨	١٤٤٧ ـ ١٤٥٤

(١) عارضه أخوه المؤيد الذى كان والياً لأبيه على (الشحر) ، وله مدرسة بمغربة تعز ، وكان عالماً ناسكا وله كتاب (طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب) ويوجد نسخة خطية منه بمكتبة الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ولم تطل مدته فى الحكم أكثر من عامين .

(٢) أحيي منتزه (ثعبات) بتعز وبنى به قصراً سمى قصر المؤيد .

(٣) فى أيامه احتل ابن الدويدار عدن بمساعدة أهل يافع وسيطر المماليك على (زبيد) . كما سيطر الظاهر عبيد الله على حصن الدملوه ووجه جنوداً بقيادة حسن ابن الأسد لمنازلة المجاهد قيصر ولكنها صدت على أعقابها ورجعت إلى الجند فتلقاها عامل المجاهد بن قيصر فقتل منها عدداً كبيراً .

وفى سنة ٧٢٢ هـ قام المنصور أبو الشكر أيوب بن يوسف المظفر بالثورة ضد المجاهد وتمكن من القبض عليه وأودعه دار الأمارة ثم قام أنصار المجاهد بالثورة ضد المنصور بعد ثلاثة شهور وألقوا عليه القبض فجأة بعد أن أفرجوا عن المجاهد ووضعوا المنصور مكانه .

(دولة بنى طاهر)

٨٥٨ — ٩٣٣ هـ

١٤٥٤ — ١٥٢٦ م

كان على بن طاهر بن تاج الدين بن مُعوضة الأموى القرشى وأخوه عامر ابن طاهر والِيَيْن على (عدن) من قبل السلاطين آل رسول ، وكانت لهم مكانة مرموقة بين الناس ومركزاً قوياً فى جنوب اليمن أطمعهم فى مناهضة الدولة الرسولية ، وكانت فى عهـد آخر سلاطينهم الملك المسعود أبو القاسم ابن الأشرف قد ضعف أمرها ووهنت قوتها ، الأمر الذى مكنهم من الاستيلاء على (زبيد) بعد سفر المسعود إلى الديار المصرية للمرة الأخيرة .

وكان السبب الوحيد الذى مهّد لهم بسط نفوذهم على تهامة هو اشتداد وطأة العبيد من موالى بنى رسول على أهل زبيد وما جاورها بعد سفرالمسعود ، فشكى بعض أعيان (زبيد) إلى المجاهد عامر بن طاهر عسف العبيد وظلمهم ، فنهض إليها سنة ٨٥٩ هـ وتمكن من دخول (زبيد) دون قتال بمساعدة الأمير جيّاش بن سليمان السُنْبُلى أحد موالى بنى زبيد ، وبعض أعيان قبيلة القراشيين (١) .

ولبث المجاهد عامين بزبيد عاد بعدها إلى عدن لمواجهة حملة السلطان محمد ابن سعيد بن فارس أبُو دجانة صاحب الشحر الذى وصل بمراكبه البحرية محاولًا احتلال عدن ، وانتهى الأمر بأسره على يد أنصار المجاهد وتجهيز قوة بقيادة جياش السنبلى لاحتلال بلاده .

وفى سنة ٨٦٥ وبعد أن تم للمجاهد بسط نفوذه على جميع المناطق الجنوبية

---

(١) إحدى القبائل المجاورة لزبيد وكانت من أعظم قبائل تهامة وأكثرها عدداً وأعظمها بأساً ونجده كما كانت فى طليعة قبائل تهامة المناصرة للمجاهد الطاهرى وأخيه الظافر .

كان الإمام المنصور الناصر بن محمد الذى يتمركز بذمار قد قام بعدة محاولات لغزو بلاد بنى طاهر ووقعت عدة معارك فى رَدَاع والمِقْرَانه وجُبَنْ كان النصر فيها حليف قوات المجاهد وانهزم الناصر بقواته إلى ذمار .

وحاول المجاهد أن يتخلص من عدوه الألدّ الناصر وأن يقضى على تحركاته قضاء مبرماً ، فبعث بجيش جرار بقيادة أخيه الظّافر وأمره بمطاردته وقَتْله . وهناك توجَّه الظافر قاصداً ذمار وتمكن من دخولها واحتلالها بدون قتال ، لأن الناصر كان قد فرَّ منها إلى (هِرّان[1]) ثم إلى (صنعاء) .

ولما كان الظافر يتأهب للمسير إلى صنعاء إذْ جاءه الخبر بخروج أهل الشّحر عن الطاعة ، فعهد إلى الأمير المطهر بن محمد بن سليمان وكان بكوكبان ، وإلى الأمير على بن محمد بن حسن زعيم (همدان) بتعقُّب الناصر ومطاردته ، ثم قفل راجعاً إلى الشحر حيث قام بقمع حركة المتمردين هناك .

أما الناصر فإنه لما علم بمغادرة الظافر لذمار ، وأن بقاءه بصنعاء يعرضه للخطر من قبل همدان بعد أن تم لهم احتلال حصن (ذى مَرْمَرْ) وما جاور صنعاء من الحصون عاد إلى ذمار وتمكن من دخولها بمساعدة بعض أصدقاء له فيها كآل المقْمحى والجراجيش بعد فرار عامل الظافر منها .

وفى آخر عام ٨٦٦ هـ نهض السلطان الظافر بجيش كموج البحر الزاخر كما يقول صاحب (أبناء الزمن) متجهاً إلى (ذمار) لحرب الناصر وما كاد يصلها حتى فرَّ الناصر إلى حصن (هِرّان) .

وأفسح المجال للظافر لدخولها حيث أمَّن أهلها ، كما أمر بهدم القصر بذمار ودور آل المَقْمَحِى والجَرَاجِيشْ .

ولم يلبث الناصر بهِرّان إلا أياماً قلائل حتى تحرك نحو (صنعاء) بعد أن

(١) جبل فى شمالى ذمار .

عرض على الظافر إخلاء حصن (هرّان) على أن يكون له أى للناصر ما وراء (نقيل يِسْلِح[1]) إلى صنعاء ، وللظافر ما عداه فلم يجبه الظافر إلى ذلك .

وقد بدا للناصر وهو فى طريقه إلى صنعاء أن يسلك مع أقلية من أصحابه طريق (عَرْقَبْ[2]) بينما سلك بقيتهم طريق الجادّة ، فلما وصل (عَرْقَبْ) تظاهر له أهلها بالإخلاص وأضافوه بحصنهم (هدّاد) ، وهنالك ألقوا عليه وعلى أصحابه القبض ووجهوا إليهم أنواع الإهانة والفحش وبعثوا بالناصر مكبلاً بالأغلال إلى محمد بن المطهر بن محمد بن سليمان حيث اعتقله بحصن (العَرُوس) بحضور حتى مات فى سنة ٨٦٨ هـ ، كما أرسلوا أصحابه إلى الظافر بذمار .

ولما علم محمد بن الناصر باعتقال أبيه كتب إلى الظافر وبذل له تسليم صنعاء مقابل خمسين ألف دينار ، فوافقه الظافر على ذلك ، وبعث من جهته ابن عمه حاتم بن إبراهيم على رأس مائتى فارس إلى صنعاء ، فدخلها وخطب على منبر الجامع الكبير للظافر ، ثم أتبعه بعبد الوهاب بن داؤود بن طاهر ، ومن هنا عظمت دولتهم وانتشر نفوذهم فى معظم الجهات اليمنية .

وفى سنة ٨٦٧ هـ تحرك الظافر نحو صنعاء على رأس ألف فارس وجند كثير وتلقاه قبائل همدان وأعيان صنعاء ودخلها دخول الأبطال ، وأخذ فى نشر الأمن وإرساء قواعد الحكم .

ولم يمض على محمد بن الناصر عام واحد حتى قام بتحركات سرية بصنعاء ضد حكم آل طاهر ، وفطن لذلك الظافر — وكان بالمقرانة — فأبلغ نائبه على صنعاء محمد بن عيسى البعدانى أن يشخصه إليه عند أن يظفر به ؛ وما أن أُبلغ

---

(١) فى طرف قاع جهزان شمالا .

(٢) جبل فى منطقة جهران .

محمد بن الناصر بذلك حتى أوعز إلى صديقه ونائب أبيه على حصن ذى (مَرْمَرْ) محمد بن عيسى شارِب الأسدى أن يبادر لإنقاذه .

وانتهز شارب تغيب البعدانى يومئذٍ عن صنعاء ، وعندها انقضّ من (ذى مَرْمَرْ) ودخل صنعاء ليلًا وتمكن من الاستيلاء على مراكزها الحربية وأعلن مع فجر اليوم الثانى حكم محمد بن الناصر .

أما الظافر فما أن علم بهذا النبأ حتى بادر على رأس قوة ضخمة ، وأخذ فى محاصرة صنعاء أكثر من شهر ، كما قام بهدم ماحولها من البساتين والقرى ومن جملتها المكان الأثرى المسمى (شبام سِخَيْمْ) المشهور بآثاره الحميرية[1] .

وجاء عيد الأضحى فرجح الظافر السفر إلى (المِقرانة) على أن يعود بعد انتهاء العيد ، وفى خلال هذه الفترة قام محمد بن الناصر بمساعدة شارب بإعداد العدّة لعودة الظافر والتأهب لقتاله .

وما كاد يظل شهر المحرم من سنة ٨٧٠ حتى وصل الظافر إلى صنعاء لاستئناف محاصرتها ، وأمر فور وصوله بقطع الأنهار التى تصل إليها كغيل آلاف وغيل البَرْمكى ، كما أمر بقطع أشجار (حَدَّه) وتغوير أنهارها ، وجاءه محمد بن المطهر بن محمد بن سليمان من كوكبان بجيش كثيف لمناصرته .

---

(١) قال عنها صاحب (أبناء الزمن) ما لفظه : «كانت قرية عامرة مستقيمة وفيها المآثر القديمة ، وهى التى ذكرها الهمدانى فى الجزؤ الثانى من كتاب (الاكليل) فقال « شبام سخيم على نصف يوم من صنعاء فيها من المصانع الحميرية ما فيه عبرة لمن اعتبر » ، وهى كما ذكر فإنه يوجد منها إلى زماننا هذا أحجار عظيمة ووجد فى أساسها بدن إنسان من نحاس بساعد وكف وأصابع ولعلها من صنم كان فى زمن الجاهلية والله أعلم بغيبه » . اهـ ص ٢٥٥ نسخة الجامع الكبير بصنعاء .

وهنا يذكر صاحب (أنباء الزمن) حادثةً جرت لأهل ثِلاء[1] ، وهى أن زعيماً لهم يدعى محمد بن صلاح الضريَوْه أطمعته نفسه بالاستيلاء على كوكبان باسم محمد بن الناصر لما رأى خلوّه من المحاربين إلا من الإمام المطهر بن محمد وعدد قليل من أنصاره فصعد إلى الحصن ومعه أهل ثلاء ، ولما دنا من بابه أشرف عليه المطهر من السور وحذّره الفتنة فأغلظ محمد بن صلاح القول على المطهر واقتحم مع جماعته الحصن ، ودار القتال بين الفريقين بعض النهار حتى وصل عدد كبير من أهل الأهجر والعروس وهمدان كان المطهر قد بعث إليهم بالوصول لنجدته ، فقتلوا أهل ثلاء عن آخرهم ، ومنهم من تردَّى من الشواهق كما أخربت مدينة ثلاء بعد ذلك على يد محمد بن المطهر .

أما الظافر فبعد أن لبث ثلاثة وعشرين يوماً محاصراً لصنعاء ، ولم يتم له فتحها توجه إلى مأرب ثم منها إلى المقرانة ثم عاد فجأةً لحصار صنعاء ولكنه ما لبث أن عاد إلى عدن ، وفى شوال سنة ٨٧٠ وصلته بعض الرسائل من أناس من صنعاء يستدعونه للوصول ، فنهض لا يلوى على شىء قاصداً صنعاء فوصلها فى ستة أيام وكان محمد بن عيسى شارب متغيباً بحضور[2] ، وما كاد يسمع بوصول الظافر حتى بادر إلى صنعاء وتمكن من دخولها بعد مغامرةٍ وقتلٍ فى أصحابه ، وكان عدد جيش الظافر المحاصر لصنعاء يزيد على عشرة آلاف من المشاة والفرسان ، وعدد من المنجنيقات ، وجعل مخيمه قريباً من باب السَّبْحَه[3] .

---

(١) مدينة تبعد عن صنعاء حوالى ٩٠ كيلو متراً فى الشمال الغربى .

(٢) منطقة جبلية فى الجنوب الغربى من صنعاء واسمها فى الأصل (أحضُر) أى افنية الآلهة كما جاء فى النصوص القديمة . راجع كتابنا (من تراثنا : آثار معين وسبأ) .

(٣) إحدى الحارات الرئيسية فى (صنعاء) .

أما الأمير محمد بن عيسى شارب ـ وكان فارساً مقداماً ـ فقد أخذ فور وصوله فى تعبئة قواته من أهل صنعاء ومبايعتهم على الموت ، ثم أمر بفتح باب السّبْحَة والتحم الجيشان فى معركة حامية الوطيس قتل فيها خلق كثير كان الظافر إحدى ضحاياها ، بعد أن ثبت ثباتاً مدهشاً ، و بقتله تفرقت جيوشه وولت مهزومة بينما أضحت قواتهم وعتادهم وذخائرهم غنيمةً لأهل (صنعاء) ، واستولى محمد بن الناصر بعد ذلك كإمامٍ على صنعاء وما جاورها ، أما الجهة القبلية فكانت تحت حكم الهادى بن الحسين بن القاسم الحمزى ، كما استولى على ذمار المطهر بن محمد بن سليمان السالف الذكر ، أما المجاهد الطّاهرى فإنه ظل يتنقل بين تعز وزبيد وعدن حتى ألم به المرض فى شهر ربيع الأول سنة ، فنقل إلى (جُبَنْ) وبها توفى بعد أن عهد بأمر الدولة إلى ابن أخيه الشيخ عبد الوهاب بن طاهر الذى تلقب بالمنصور .

ولم يكن للمنصور عبد الوهاب ماالسلفيه من الطموح وحب التوسع بل ظل مكتفياً حتى نهاية حكمه بما تحت يده من المقاطعات ، إلا أن ابن عمه يوسف بن عامر قد قام بثورة ضده فى (زبيد) سنة ٨٨٣ هـ ، فحمل عليه المنصور من المقرانة بقوة كبيرة فلاذ يوسف بالفرار إلى حصن (قوارير) من حصون وصاب السافل ، ثم اعتذر إلى المنصور وطلب منه الأمان فأمنه .

ويحكى بعض المؤرخين أن المنصور قد تمكن من احتلال ذمار ودخولها عنوةً سنة ٨٨٩ هـ وظلت تحت حكمه حتى مات سنة ٨٩٤ بـ (جُبَنْ) .

الظافر عامر عبد الوهاب :

هو آخر سلاطين آل طاهر [١] وأشدهم بأساً وأطولهم فى الحكم مدة

---

(١) كانت الدولة قد تمزقت بعد قتل عامر عبد الوهاب وتفرق من بقى من آل طاهر فى عدة بقاع من اليمن ، وممن ثبت منهم وكافح عامر بن داؤود الطاهرى وعامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب .

حيث استمر ٢٨ عاماً ، وقد نجح فى إعادة كيان الدولة الطاهرية وتثبيت قواعدها من جديد ، وله مواقف مشهورة ضد ثورات قبيلةالمغازبة (الزَّرَانيْق) بتهامة ، وضد قوات الإمام السِّراجى فى ذمار وصنعاء ، ثم ضـد القوات الغورية[1] التى بدأت تتدفق على السواحل اليمنية منذ عام ٩١٩ ﻫ ، والتى استمر فى منازلتها ومناضلتها بكل بسالةٍ وعزم حتى قتل فى آخر معركةٍ دارها معهم فى (قاع صنعاء) حسبما يأتى تفصيله .

لقد كانت أول حملةٍ يقوم بها عامر عبد الوهاب سنة قيامه بالحكم بعد والده هى الحملة التى قادها ضد أبناء عمه عبد الله ومحمد وعمر ، وقد نهض إليهم من (تعز) فى عشرين ألف مقاتل ، بعد أن بلغه استيلاءهم على مقره بُجبن وانتهاب خزائنه واخراب بعض القصور فيها ، فحاصرهم حصاراً شديداً حتى أذعنوا لحكمه بواسطة بعض المشايخ ، ثم تبع ذلك قيام أبناء عمه الأخرين وهم عبدالوهاب بن عامر وعبدالباقى بن محمد بثورة أخرى سنة ٨٩٥ ﻫ ،سيطروا فيها على (الرباعِيَّتين) من ناحية (جُبنْ) ، فكان النصر حليف قواة عامر بعد قتالٍ شديد ، ثم توجه بعد ذلك إلى ذمار بعد أن بلغه تمرد أهلها بتأثير محمد ابن على الوشلى السراجى الذى كان قد أرشدهم ببناء سورٍ عظيم على المدينة تمهيداً لتمركزه فيها عند ما يدعى الإمامة .

وفى سنة ٨٩٦ كانت ثورة المعازبة (الزَّرانيْق) بتهامة ، فتوجه إليهم عامر وقتل منهم جماعة كبيرة وأحرق قراهم بعد حرب ضروس ، ثم عاد عليهم سنة ٨٩٩ لقيامهم بثورتهم الثانية ، وفى هذه الحملة قضى على تمردهم قضاءً مبرماً وعاد بعد ذلك إلى تعز .

---

(١) تسمى القوات الغورية نسبة إلى قانصوه الغورى سلطان مصر حينذاك ويعرفون فى اليمن بالجراكسة .

وما كاد عامر ينتهى من إقرار الأحوال فى المقاطعات الجنوبية من اليمن حتى تحرك نحو (صنعاء) بصفتها عاصمة اليمن وقلعتها المنيعة التى لا يتم له حكم المقاطعات الشمالية إلا بعد فتحها والاستيلاء عليها ، وكانت تحت حكم الإمام السراجى والأمير محمد بن حسين الحمزى ، وقد وصلها فى شهر المحرم سنة ٩٠٨ ونصب مخيماته فى (آكام الزَّبِيبْ [١]) ، وحصلت مناوشات بين قواته بقيادة الأمير محمد بن على البعدانى ، وبين قوات الوشلى بقيادة الحمزى اسفرت عن هزيمة البعدانى ، ثم عاد عامر إلى (المِقْرانة) حيث أخذ فى إعداد جيش ضخم قدَّره بعض المؤرخين بمائة وسبعين ألفاً واتجه به نحو صنعاء فى شهر صفر سنة ٩١٠ حيث أقام مخيماته فى (حَدَّيْنْ [٢]) ، وأخذ فى محاصرة (صنعاء) ما يقرب من ستة شهور كما رماها بالمنجنيقات ، حتى ضاق الحال بأهلها وانقطع عنهم القوت وخرجوا مستسلمين ، وفى مقدمتهم اثنـان من أولاد الناصر وعبد الله بن المطهر بن سليمان ومحمد بن عيسى شارب [٣] الذى خرج حاملاً للمصحف على رأسه والـكفن على عنقه ، أما الإمام الوشلى فانه لما علم بقدوم السلطان عامر ــ وكان خارج صنعاء ــ أقبل محاولاً التسلل إليها فتصدت له قوات عامر وقادته أسيراً مع أصحابه إلى عامر ، وقد أودع سجن (صنعاء) ومات به فى نفس العام .

---

(١) تبعد عن صنعاء ٤ كيلومترات إلى الجنوب الشرقى .

(٢) تبعد عن صنعاء ٤ كيلومترات إلى الجنوب الغربى .

(٣) هو قاتل السلطان الظافر عامر بن طاهر فى معركة صنعاء السالفة الذكر وقد عفى عنه السلطان عامر بن عبد الوهاب ثم أمر باعتقاله بتعز بعد ذلك لتحركات قام بها ، وبقى بالسجن حتى مات .

وفى ٧ شوال دخل السلطان عامر (صنعاء) ، واتسع نفوذه بعد ذلك حتى شمل اليمن بأسرها تقريباً وتم له تنفيذ مآربه من إقرار الأمن وتثبيت السلطان بواسطة عامله الأمير البعدانى .

وقد أشاد بعض المؤرخين اليمنيين ومنهم عبدالرحمن بن على الدّيبع الزبيدى فى تاريخه المسمى (الفضل المزيد فى أخبار زبيد) على سيرة السلطان عامر عبد الوهاب فقال عنه ما لفظه :

« كان السلطان عامر عبد الوهاب الملك الظافر على جانب عظيم من الدين والتقوى ، نشأ فى طاعة الله لم يعلم له صبوة ، وكان ملازماً للتلاوة والأذكار ، كثير الصدقات له مآثر عظيمة من مساجد ومدارس وخيرات ، وله مشاهد من الحروب معدودة محمودة على أيدى الغزاة الجراكسة » ويعتقد الدّيبع أن أسباب نكبته هو تعرضه للاوقاف وإضافة نصف حاصلاتها سنة ٩١٨ إلى ميزانية الديوان .

الجراكسة يغزون اليمن :

كان السلطان قَانْصُوةَ الغُورى (أحد ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام حكم سنة ٩٠٤ هـ) قد أرسل عدة كتائب من الجند المصرى الذى كان يطلق عليهم المؤرخون فى اليمن اسم (الغَزّ) لمطاردة البرتغاليين الذين كانوا يعيثون فى سواحل البحر الأحمر ويحاولون احتلالها بغية السيطرة على الطرق التجارية التى تمشى عبر المحيط الهندى والخليج العربى ، وكان الأمير حسين الكُردى أحد أولئك القواد الذين عُنوا بتتبع القوات البرتغالية فى سواحل اليمن ، وكانت قد هاجمت (عدن) وقصفت مبانيها بالمدافع ، كما احتلت جزيرة (كَمَرَان) وقتلت عاملها من قبل السلطان عامر الشريف محمد بن عبد العزيز بن سفيان وعدداً من أصحابه .

وقد وصل الكُردى إلى جزيرة (كَمَرَان) فى شهر جمادى الأول سنة ٩٢١ هـ ، ويذكر المؤرخون عدة أسباب لتسرب هذه القوات إلى داخل اليمن ، نذكر منها السبب الأول والمهم ؛ وهو أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين — انظر قائمة الأئمة بعد هذا — لما علم بقدوم الأمير الكردى إلى (كمران) — وكان على خلاف دائم مع السلطان عامر عبد الوهاب الذى كان يعتبره حجرة عثره فى سبيل نشر دعوته إماماً على البلاد وجعل نفوذه محصوراً فى بلاد دائرةٍ ضيقة من الجهة الغربية من اليمن — بعث برسالة إلى الأمير حسين يطلب منه الإعانة على حرب السلطان عامر فأجاب عليه الأمير بإجابةٍ شافية ، ثم شرع فى العمل على دخول اليمن ، والسبب الثانى فهو أن ثلاثاً من السفن المشحونة بالطعام كانت قد وصلت مرسى الحديدة فى طريقها إلى (كَمَرَان) فأمر محمد بن نوح نائب عامر عبد الوهاب على الحديدة بحجزها عملاً بما أمره به عامر ، فكتب إليه الأمير حسين مبدياً حاجته مع جنده للطعام وانقطاعهم فى الجزيرة عن الأقوات ، وطلب منه إطلاق السفن فكان جواب محمد بن نوح بالرفض ، وعند ذلك توجه الأمير حسين بجنده إلى مرسى الحديدة ورماها بالمدافع حتى أخربها وأمر بنقل أحجار البندر وأخشابه إلى جزيرة (كمران) حيث بنى بها حصناً عظيماً وجبانة صلى فيها مع أصحابه عيد الأضحى [١] .

أما السبب الثالث ، فإن الأمير حسين الكردى كان قد بعث برسالةٍ إلى السلطان عامر يستمد منه الإعانة على حرب البرتغاليين وتطهير سواحل الجزيرة العربية من قواتهم ، وأن السلطان عامر لما وصلته الرسالة استشار وزيره على محمد البعدانى فأشار عليه بعكس ما أشار به غيره من مستشاريه من مناصرته

---

(١) صحيفة ٢٧٥ — ٢٧٦ أنباء الزمن نسخة الجامع الكبير بصنعاء .

وإعانته ، ويقال أن البعدانى قد تولى الإجابة على الأمير حسين بأن استدعى الرسول إليه وأغلظ له فى القول وردّه خائباً ؛ وبهذا ثارت حفيظة الأمير حسين وجعله يوجه قواته لمحاربة السلطان عامر ، ونشبت بين الجانبين عدة معارك أهمها معركة (الرَّحَبْ [1]) ، ومعركة باب النخل خارج زبيد فى جمادى الأولى سنة ٩٢٢ ، وكان على رأس قوة السلطان عامر أخوه عبد الملك وابن أخيه عبد الوهاب بن عامر ، وانتهت المعركة بفرارهما إلى (تعز) واستيلاء الأمير حسين على (زبيد) .

وفى شهر شوال من نفس السنة قدم السلطان عامر من (المقرانة) بجيش جرار والتقى مع الجراكسة بقيادة الأمير (برش باى) واقتتل الفريقان ثلاثة أيام متوالية تولى فيها السلطان قيادة جيشه بنفسه ، ولكنه منى بالهزيمة بعد أن انتهبت قوات الأمير حسين مخيمة وقتلت من أجناده عدداً كبيراً ، ثم بعد ذلك انسحب إلى (تعز) ، ولكن القوات لحقته إليها فانتقل إلى المقرانة حيث حمل بعض أمواله إلى (صنعاء) .

وهكذا ما انفككت كتائب الإسكندر بن محمد تطارد عامر عبد الوهاب وتحتل جميع مواقعة فى إب ، ورداع ، وذمار ، حتى وصلت أبوابه صنعاء حيث دارت المعركة الأخيرة والفاصلة المشهورة بمعركة (الصَّافية) ، والتى قتل فيها عبد الملك بن عبد الوهاب بعد أن ثبت ثباتاً عظيماً ، ووقف الأمير على محمد البعدانى فى المعركة موقفاً بطلاً وقتل من الأجناد الجركسية واليمنية عدد غير قليل .

---

(١) فى ضواحى زبيد .

أما السلطان عامر فإنه لاذ بالفرار ولا سيما بعد أن رأى أخاه عبد الملك وكبار أنصاره قد فتكت بهم نيران البنادق المصرية والتي كان لها مفعولها في إنزال الذعر والهلع في نفوس جيشه الذي لا يملك بيده غير السلاح الأبيض، الأمر الذي جعل عامراً ينجو بنفسه ويلجأ إلى الفرار طائش اللب فاقد العزيمة، ولكن أجله المقدر ومنيته المحتومة جعلته يقع أسيراً في يد رجل من أهالي (سَعْوان) يُدعى بابن الزَّلاَّبيّا عند ما كان قد وصل إلى (آكام الزَّبيب) بالقرب من صنعاء قاصداً معتقله المنيع حصن (ذي مرمر) ثم يقتاده إلى محطة قيادة الإسكندرية حيث أحتُز رأسه وعلق على رأس رمح بجانب رؤوس الأبطال من قومه وعشيرته، كما تُرك جسده ملقىً على الرغام تطأه الأقدام وتتخطفه الطير، وذلك في يوم ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ.

هكذا كُتب لهذه الشخصية الفذة أن تكون في طليعة العظماء من أبطال اليمن السعيدة الذين كتبوا تاريخهم بدمائهم، وصافحوا الموت في بسالةٍ نادرة وبذلوا نفوسهم رخيصةً في سبيل هذا الوطن العزيز والذود عن حياضه.

ويُعتبر عامر عبد الوهاب أول زعيم إسلامي في اليمن يناضل حتى النفَس الأخير من حياته ضد الغزو الخارجي، ذلك الغزو الذي قدر له بعد أن يتخلص من عامر احتلال صنعاء وما جاورها ثم يبعث بقواته لمحاصرة الإمام شرف الدين بثلاً.

وكان لابد لهذه القوات الكثيفة بما تملكه من معدات نارية لم تكن تعرف باليمن أن ينتشر نفوذها إلى سائر المقاطعات اليمنية، لولا ما حدث لها من التصدع والانهيار بسقوط (مصر) في أيدي القوات العثمانية في نفس العام بعد أن قتل آخر حاكم للجراكسة في معركة دارت بحلب، الأمر الذي اضطر القائد الإسكندر بن محمد إلى الانسحاب بقواته إلى (زبيد)؛

ولـكنه لم يخلص منها إلا بعد صعوبات قاساها فى الطريق ، بسبب حرب العصابات اليمنية التى قامت بها القبائل بزعامة على بن داؤود وغيره من بقايا الأسرة الطاهرية التى ظلت متمركزةً ، فى جنوب اليمن حتى سنة ٩٤٥ هعندما بدأ الغزو العثمانى حسبما يأتى تفصيله فى الفصل التاسع من هذا الـكتاب .

هذا وقد قيلت فى رثاء السلطان عامر عبدالوهاب عدة قصائد ، منها قصيدة المؤرخ عبد الرحمن بن على الدّبيع الزبيدى مطلعها :

أخلاّى ضاع الدين من بعد (عامرٍ) وبعد أخيه أعدل الناس بالناس
فمذْ فقدا والله إننا عن الصبر والسلوان فى غاية اليأس

ومنها :

تهدم من ركن الصلاح مشيده وقُوض من بنيانه كل عامر
فما من صلاح فيه بعد صلاحه ولا عامر والله من بعد (عامر)

وللسلاطين آل طاهر عدة مآثر من مدارس ومساجد فى عدن وثغر وحيس وزبيد ورداع وجُبن ، وهم أول من بنى مدينة (المقرانه) برداع وكان السلطان الظافر على بن طاهر قد شيد فيها عدة مبانٍ فائقة ، وحدائق جميلة ، وفى مدينة (رداع) مسجد جامع يتـكون من طبقتين الأولى للعبادة والثانية لتدريس العلم ومنازل للطلبة والمدرسين وتسمى بـ « العامريَّه » ، وهى فى غاية من الزخرفة والإتقان وتنبىء عن مهارة فى فن الهندسة والبناء ، وقد أمر ببنائها السلطان الظافر الثانى عامر عبد الوهاب ، واشترك فى بنائها وزخرفتها عدد من الفنانين والصناع المهرة من اليمنيين وغيرهم ، ولا تزال قائمة حتى اليوم ، وتعتبر رمزاً حضارياً يُفتخر به وتراثاً إسلامياً من جملة التراث الذى تعتز به أرضنـا السعيدة.

(قائمة سلاطين آل طاهر ومدد حكمهم)

	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
١ — الظافر الأول عامر بن طاهر	٨٥٨ — ٨٧٠	١٤٥٤ — ١٤٦٦
٢ — المجاهد على بن طاهر	٨٧٠ — ٨٨٣	١٤٦٦ — ١٤٧٩
٣ — المنصور عبد الوهاب بن طاهر	٨٨٣ — ٨٩٤	١٤٧٩ — ١٤٨٩
٤ — الظافر الثانى عامر عبدالوهاب	٨٩٤ — ٩٢٣	١٤٨٩ — ١٥١٧
٥ — عامر بن داؤود	٩٢٣ — ٩٣٣	١٥١٧ — ١٥٢٦

(الإمامة فى اليمن)

يعتبر الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم[1] أول إمام فى اليمن ، وقد استدعاه بعض أهل اليمن فى الشمال — وكان حينذاك بالمدينة المنورة — ووصل صعده فى سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٨ م) حيث بويع إماماً وجعل مستقره بها[2] ، وكانت اليمن حينذاك قد انفصلت من الحكم العباسى تقريباً إلاّ من السكّة والخطبة التى كان يقيمها عامل المأمون ابنُ زياد على تهامه كما أسلفنا فى أوائل هذا الفصل .

وقد دارت بين الهادى وبين آل يعفُر ، وآل الضحاك ، وآل طريف ، والدعّام ، والأُكيليين ، ما يزيد على الثمانين معركة ، جاء ذكر تفاصيلها فى المطولات من كتب التاريخ ، وقد أشرنا إلى المهم منها فى كلامنا عن دولة بنى يعفُر ، ورُوى أنه غزى على بن الفضل إلى (المذيخره) وأخرجه منها مرتين .

ومعظم أئمة اليمن من أولاده ، وعددهم تسعة وخمسون إماماً وهم الذين يسمّون بالحسنيين ، أما الباقون فينتسب خمسة منهم إلى الحسن بن زيد بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، واثنان إلى الحسين بن على وهم الحسينيون ، حسبما يأتى بيان ذلك فى تعليقنا على قائمة أسمائهم المشفوعة بمدد حكمهم مع نبذةٍ من حياة كل إمام وأهم ما جرى من الحوادث فى أيامه .

ولم نذكر فى القائمة غير الأئمة الذين اشتهروا فى الحكم ، أمّا الدعاة منهم والمحتسبون فهم كثيرون لا يتسع المجال لذكرهم هنا .

---

(١) بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ ونشأ على طلب العلم والعبادة والتقوى والورع ومناقبته أشهر من نار على علم ، وله من المؤلفات (الأحكام) وقد نهج فيه نهج الإمام مالك فى (الموطأ) ، وكذا (المنتخب) و (الفنون) فى الفقه .

(٢) كان الهادى قد خرج إلى اليمن فى سنة ٢٨٠ هـ بعد أن وصل إليه وفد من أعيان (صعدة) ثم عاد إلى الحجاز حيث لم يجد النصرة الكافية من أهل اليمن ، ثم عاد إليه وفد آخر وبذلوا له العهد على المناصرة فخرج للمرة سنة ٢٨٤ هـ .

وقد بقى سلطان الأئمة محصوراً فى الجهة الشمالية من اليمن إلى أوائل القرن الحادى عشر للهجرة إلا فى فترات قصيرة ومتقطعة ، بسبب معارضة الدول اليمنية الأخرى لهم ومناهضة سلاطينها لحكمهم .

والمعروف أنه قد تمكن بعض الأئمة قبل ذلك أى خلال القرنين الثامن والتاسع من بسط نفوذهم على (صنعاء) و (ذمار) ، وذلك فى أيام المتوكل المطهر بن يحيى وولده المهدى ومن جاء بعدهما إلى آخر أيام محمد بن الناصر[1] ، على أنه وإن كان هذا النفوذ قد ظل مضطرباً ومزعزعاً فى معظم فتراته بسبب المناوشات والحروب التى كانت تنشب بينهم وبين سلاطين آل رسول ثم من بعدهم آل طاهر كما سبق الإشارة إلى المهم من ذلك فى أبحاثنا المتقدمة ، فإن الحكم الإمامى قد تمكن فعلاً من تثبيت اقدامه بصنعاء وتدعيم كيانه فيها خلال الشطر الأول من حكم الإمام شرف الدين وولده المطهر ، لولا مامنى به من الغزو الخارجى من جراكسة وأتراك ، ذلك الغزو الذى أخرج الإمام شرف الدين وابنه من صنعاء وجعلهما يتقهقران عنها ويلجآن إلى رؤوس الجبال ، وبالرغم من ذلك فقد ظل المطهر يقاوم هذا الغزو الكثيف ويحارب فيالق الجيش التركى بصورةٍ أثارت إعجاب المؤرخين ودهشتهم كما استمر بعده الإمام المنصور القاسم ثم ولده المؤيد الذى اتيح له جلاء الأتراك نهايةً من الأراضى اليمنية .

ويمكننا القول بأن دولة الأئمة قد ظلت راسخة الأقدام فى المنطقة الشمالية من اليمن منذ قيام الهادى حتى ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ أى ما يقرب من ألف ومائة عام ، ويرجع ذلك إلى سبب واحد وهو وجود العدد الكافى من الهاشميين الذى كانوا يحتمون على أنفسهم وجوب القيام بالإمامة بمجرد إحساس أحدهم بشىء من الأفضلية على آخر ، ومع هذا فإنه لم يحدث فى الغالب

---

(١) راجع قائمة الأئمة بعد هذا .

ـ وخصوصاً فما بعد القرن العاشر الهجرى ـ أن مات إمام ولم يعقبه قيـام إمامين وأكثر ، كل منهم يرى أنه حقيق بالإمامة ، وهذه الرغبة هى التى ساعدت هذه الدولة على الاستمرار والبقاء طيلة هذه القرون ، بغضّ النظر عمّا كانت تجره من التطاحن والانقسامات التى لا يتسع لذكرها غير المجلدات الضخمة ، ثم ما خلفته من ضغائن وأحقاد بين القبائل جعلتهم يعيشون فى صراع مستمر وفوض مستحكمة .

أما مناطق اليمن الأخرى وهى إب ، وتعز ، وحضرموت ، وتهامة ، فقد ظلت حتى التاريخ المشار إليه موصدةً أمام نفوذ الأئمة ، بالرغم مما بذلوه من جُهدٍ وطاقة فى سبيل سياستهم التوسعية ، على أنا إذا استثنينا بضع سنوات من عصر الإمام شرف الدين سيطرت فيها قواته على تعز وإب من سنة ٩٤١ إلى سنة ٩٤٥ بقيادة ولده المطهر ووصلت إلى عدن جنوباً وإلى أبواب زبيد غرباً ، فإن ذلك يرجع إلى بطش المطهر وإلى ما اتخذه فى حربه مع آل طاهر[1] من وسائل هى غاية

---

(١) فى سنة ٩٢٤ هـ كانت ثورة عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن طاهر ضد الإمام شرف الدين وإغارته على ذمار ورداع ، فتوجه إليه المطهر وأخمد ثورته بعد معارك شهدتها المدينتان ، وفى سنة ٩٤٠ وعند ما كان المطهر بصعدة قام عامر ابن طاهر يسانده الشريف يحيى السراجى وعلى محمد البعدانى بالاستيلاء على رداع ، فقصدهم المطهر عابراً طريق الجوف ووقعت المعركة الشهيرة بمعركة (موكل) فى مخلاف صياح برداع ، قتل فيها من قوات عامر ثلاثمائة رجل وأسر ألفان ، وقد أمر المطهر بضرب أعناق ألف من الأسرى حتى غمرت دماؤهم حوافر بغلته التى كان راكباً عليها كما روى بعضهم ، وأمر بإرسال الألف الباقين إلى والده بصنعاء حاملين رؤوس أصحابهم القتلى ومنها أرسلوا إلى معتقل صعدة ، ثم واصل المطهر سيره إلى تعز حيث استولى عليها وبنى سورها سنة ٩٤١ .

فى العنف والقسوة ، إلى جانب ما كان قد اشتهر به قبل ذلك من المبالغة فى الفتك بمناوئيه وإبادتهم مع أسراهم ، كما فعل فى قمعه لحركة أشراف سنة ٩٢٧ هـ وسنة ٩٢٩[1] ، وفى إخماده لثورة خولان سنة ٩٣٤[2] ، وقتاله مع الأشراف آل حمزة سنة ٩٤٠[3] ، إلى غير ذلك من الوقائع التى أنزلت الرعب فى قلوب مناوئيه ومهدت له اكتساح البلاد قهراً بالسيف وإدخالها تحت حكم والده خلال فترة قصيرة .

ولكن المؤرخين — وعليهم العهدة فيما كتبوه — رووا أن الإمام

---

(١) بدأت ثورة الأشراف آل عزا سنة ٩٢٧ فخرج إليهم المطهر وحاصرهم فى (عمران) حتى استسلموا ، ثم فى سنة ٩٤٠ حيث أغاروا على مدينة (حوث) فخرج إليهم الإمام شرف الدين وولده المطهر فاوقعا بهم وقتلا عدداً منهم .

(٢) يقول المؤرخون أن المطهر عندما بلغه خبر تمرد قبيلة (خولان) كتب إليهم يحذرهم عاقبة فعلهم ، وهددهم بقتل رهائنهم الموجودين بقصر صنعاء إن هم لجوا فى تمردهم ، فلم يأبهوا لذلك ، فأمر برهائنهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وكانوا ثمانين رهينة ثم خرج إليهم بجيش كبير ، ونال أهل خولان أنواعاً من التقتيل والتنكيل وهدم البيوت وقطع الأعناب مع العقوبات المالية .

(٣) وقعت ثورة الأشراف آل حمزة عند ما كان الإمام شرف الدين بصعدة ، وانضم إليهم من الثوار ما يزيد على ١٥ ألف مقاتل ، معظمهم من قبائل آل عمار والعمالشة وآل سالم ويام ووائله ونجران ووادعة الشام ، فخرج إليهم المطهر بجيشه والتحم القتال فى موضع شمال صعدة يسمى (الحسينيات) ، واسفرت المعركة عن عدد من القتلى والجرحى فى الأشراف واتباعهم ، وقدرهم بعض المؤرخين بألف قتيل وستمائة أسير ، وقد أمر المطهر بضرب أعناق الأسرى حال وصولهم إلى صعدة . وتعرف هذه الوقعة بوقعة (المخلاف) .

شرف الدين قد أنكر على ولده المطهر هذه الإجراءات وتبرأ من أعماله بقوله (اللهم إنى أبرأ إليك من أعمال المطهر) ، كما حمله ذلك أخيراً على التخلى عن الإمامة ومغادرة (صنعاء) إلى (كوكبان) ، ثم منها إلى مدينة (الظفير) بحجة حيث هاجر فيها إلى أن مات سنة ٩٦٥ هـ بعد أن كُفّ بصره .

هذا ولم تلبث قوات المطهر أن داهمتها قوات الغزو العثمانى وأرغمتها على الانسحاب إلى الجهة الشمالية ، وهكذا عادت الإمامة إلى مناطقها الأولى التى بدأت منها ، لتستعيد قواها وتستأنف نضالها من جديد ، واتخذ المطهر حصن (ثلأ) محطاً لرحاله ومركزاً لنضاله ، وله مع القوات التركية مواقف لها شهرتها الكبرى فى تاريخ اليمن ، وسنورد المهم منها فى الفصل القادم إنشاء الله .

ومنذ أوائل القرن الحادى عشر للهجرة بدأ نفوذ الأئمة ينتشر فى جنوب اليمن وتهامة حتى وصل إلى (حضرموت) فى أيام المتوكل إسماعيل وأولاده ومن جاء بعدهم من أسرة آل القاسم ، لخلوّ هذه المقاطعات من الفئات المناوئة لهم بعد جلاء الأتراك من اليمن للمرة الثانية حسبما يأتى بيانه فى الفصل القادم .

وهذا بغض النظر عما كان يجرى من الانتفاضات القبائلية وحوادث التمرُّد والثورات الداخلية ، كثورة (همدان) و (بنى حشيش) و (بنى الحارث) سنة ١١٠٢ هـ وكلها ضد المهدى صاحب المواهب ، وثورة أرحب سنة ١١٣٨ هـ ضد المتوكل القاسم بن حسين ، وثورة حاشد سنة ١١٣٩ ضد المنصور الحسين ابن القاسم ، وثورة همدان سنة ١٢٥٦ هـ ضد الناصر عبد الله بن الحسن ، وثورة صنعاء سنة ١٢٦٠ هـ ضد المتوكل محمد بن يحيى ، وغيرها من الثورات التى كانت نتيجةً للمنازعات والاصطدامات التى طالما نشبت بين أسرة آل القاسم أنفسهم ، والتى دامت حوالى ١٨٠ عاماً أى إلى عام ١٢٦٩ هـ عند ما خرجت الإمامة منهم بقيام الإمام المنصور محمد بن عبد الله الوزير .

وإنّا عند ما نتصفح كتب التاريخ فى هذا الوقت بالذات نجد أن اليمن قد عاش حوالى قرنين من الزمن كلها فوضى وكلها قلاقل وكلها فتن ، وأن القبائل

اليمنية قد سئمت هذا الوضع الذى أصبح فيه معظم الأئمة من آل القاسم يتكالبون على الحكم ويتناحرون على كرسى الإمامة ، تاركين وراءهم رعاية الأمة والعمل على نشر العدل وإقرار الأمن فى البلاد ، كما نجد أن البلاد قد تفرقت إلى شيع وأحزاب نتيجةً لقيام عدة أئمة فى آن واحد كلٌ منهم يقود الحملات ضد صاحبه ويؤلب عليه القبائل ثم يناجزه الحرب ، كما حدث مثلًا بين المهدى صاحب المواهب وبين ابن عمه المنصور الحسين بن القاسم من جهة ، وبين المهدى وبين المتوكل القاسم بن حسين من جهة أخرى ، وكما حدث أيضاً أن قام خمسة أئمة خلال خمس سنوات فقط ، الأمر الذى لم يكن سبباً فى إضعاف البلاد وتأخرها فحسب ، بل سبب أيضاً فى عود الأتراك لاحتلال اليمن من جديد فى سنة ١٢٥٢ هـ بعد أن أجلاهم المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٤٥ هـ ، كما أتاح للإنكليز مهاجمة (عدن) فى سنة ١٢٥٣ هـ ، واحتلالها حتى اليوم نتيجةً لتلك الفوضى والجشع .

ويؤكد ذلك ما رواه المؤرخ الجندارى فى كتابه (الجامع الوجيز) فى حوادث سنة ١٠٨٧ هـ حيث قال : « وبعد موت المتوكل اسمعيل قامت القيامة على اغتنام الإمامة ، فقد قام أحمد بن الحسن صاحب (الغراس) وتلقب بالمهدى ، وتعقب هذه الدعوة ظهور دعوة القاسم بن محمد بشهاره وأجابته الاهنوم ، وظهور دعوة السيد الحسين بن الحسن بعمران وتلقب بالواثق ، ثم دعوة السيد محمد بن على الغربانى ببرط ، والسيد أحمد إبراهيم المؤيد بثلاً ، والسيد على بن أحمد بصعده وتلقب بالمنصور فكان السابع ، وبالجملة قامت القيامة على اغتنام الإمامة ، واتفق استيلاء أولاد السيد عبد الله بن الإمام على قصر ذمار وانتهاب ما فيه ، وانتهب أصحاب على بن المتوكل سوق جبلة ، ووقعت فتنة بين أصحاب الحسن المؤيدى والسيد جعفر الجرموزى بضوران ، كما قامت فتنة أخرى بصعده » .

وفى موضع آخر من الكتاب يصف الجندارى حالة اليمن فى أواخر القرن الحادى عشر فيقول :

« وبعد موت المؤيد محمد بن المتوكل إسمعيل افترق آل الإمام فِرَقا ،

وملىء بعضهم من بعض فَرَقا ، فطمع الكل فى الإمامة وكادت تقوم القيامة ، وكان المؤيد قد أوصى بالإمامة إلى ابنه يوسف لأنه أحسن إخوته ، فدعى يوسف بضوران ، ودعَى الحسين بن عبد القادر بكوكبان ، والحسن بن محمد بعمران ، وعلى بن أحمد بصعده ، والحسين بن الحسن برداع ، وصارت الأرض جيفة ، وفى كل قريةٍ خليفة ، ودعى محمد بن أحمد بالمنصورة وسمى بصاحب المواهب ، وهو الذى غلب ، وصال عليهم ووثب ، وما ظفروا بغير اللقب ، إلى غير ذلك مما ذكره من الحروب الطويلة والفتن المتواصلة التى كانت تجرى ولاسيما فى أيام صاحب المواهب الذى يقول فيه مادحُ ابنهِ عبد الله :

أقام على الملوك بكل وادٍ قيــامات بقائمةٍ بيــاض

هذا وأمثاله مما نقله المؤرخون فى أسفارهم والأدباء فى أقوالهم وأشعارهم ، ليعطينا صورةً صادقةً عن حالة اليمن التى كانت تعيشها خلال هذه الفترة .

هذا ولم تلبث الإمامة التى كانت قد خرجت من أيدى آل القاسم أن عادت إليهم سنة ١٣٠٧هـ عند ماتولاها الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين بالأهنوم .

أما الاحتلال التركى فقد دام خمسة وثمانين عاماً ، أى إلى بعد الحرب العالمية الأولى حينما قوض أطنابه من اليمن سنة ١٣٣٧ ، وبعدها تمكن المتوكل يحيى بن محمد من بسط نفوذة المطلق على كامل أجزاء اليمن .

هذا وسوف نستعرض فى فصولنا القادمة مراحل الثورة اليمنية وما سبقها من الأحداث السياسية والانتفاضات القبلية بصورة مجردةٍ تماماً عن كل ميل ، خاليةٍ من أى مؤثر ، هادفةٍ إلى أداء الأمانة بكل إخلاص ، وخدمة التاريخ لا خدمة الأشخاص ، فإن التاريخ — كما يقال — لا يعى إلا منطق الحق ولا يظلم أحداً .

سائلين الله تعالى أن يوفقنا إلى تحقيق هذا القصد وأن يجعل الأعمال خالصةً لوجهه الكريم .

(قائمة الأئمة ومدد حكمهم)

		مـــدة الحكم	
	(محل الوفاة)	(هـ)	(م)
١ــ الهادى يحيى بن الحسين	(صعدة)	٢٨٤ــ٢٩٨	٨٩٨ ــ٩١١
٢ــ المرتضى محمد بن الهادى[1]	(«)	٢٩٨ــ٣٠١	٩١١ ــ٩١٣
٣ــ الناصر أحمد بن الهادى[2]	(«)	٣٠١ــ٣٢٥	٩١٣ ــ٩٣٤
٤ــ المنصور يحيى بن الناصر	(ريدة)	٣٢٥ــ٣٦٦	٩٣٤ ــ٩٧٦
٥ــ ابنه الدعى يوسف[3]	(صعدة)	٣٦٦ــ٤٠٣	٩٧٧ ــ١٠١٢
٦ــ المنصور القاسم بن على العيانى[4]	(عيان)	٣٨٩ــ٣٩٣	٩٩٩ ــ١٠٠٣
٧ــ المهدى الحسين بن القاسم[5]	(ريدة)	٣٩٣ــ٤٠٣	١٠٠٣ــ١٠١٢

---

(١) قام بالإمامة بعد أبيه (الهادى) ثم تنحى عنها لأخيه الناصر بعد ثلاث سنوات .

(٢) صاحب وقعة (نغاش) بجبل يزيد التى قضى فيها على تحركات الداعية منصور بن حسين واتباعه ، وهى إحدى وقائعه فى قتاله مع الباطنيه .

(٣) له عدة حروب مع السلاطين آل الضحاك بصنعاء ، منها معركة (الرحبة) مع أسعد بن أبى الفتوح سنة ٣٥٨ هـ .

(٤) تنازع مع الداعى يوسف لخلاف جرى بينهما ، وهو الذى أمر بحفر غيل آلاف المعروف جنوبى (صنعاء) .

(٥) قتل فى آخر معركة له مع آل الضحاك بـ (ريدة) ، وكان زعيمهم السلطان أحمد بن قيس الضحاك .

		مـــدة الحـكم	
	(محل الوفاة)	(هـ)	(م)
٨ — أبو هاشم الحسن بن الرحمن	(ناعط)	٤٢٦—٤٣١	١٠٣٥—١٠٤٠
٩ — أبو الفتح الديلمى[١]	(عنس)	٤٣٧—٤٤٤	١٠٤٦—١٠٥٣
١٠— المتوكل أحمد بن سليمان[٢]	(حيدان)	٥٣٢—٥٦٦	١١٣٨—١١٧١
١١— المنصور عبد الله بن حمزة[٣]	(ظفار)	٥٨٣—٦١٤	١١٨٥—١٢١٧
١٢— المعتضد يحيي بن المحسّن[٤]	(ساقين)	٦١٤—٦٣٦	١٢١٧—١٢٣٩

---

(١) قتل فى معركة (فيد) بعنس فى حروبه مع على محمد الصليحى .

(٢) تحارب مع السلطان حاتم بن أحمد حسبما سبق تفصيله فى كلامنا عن دولة بنى حاتم ، واستنجد به أهل زبيد لدفع أذى على بن مهدى عنهم وأنجدهم بنفسه سنة ٥٥٣ هـ ؛ وقد عاصره القاضى نشوان بن سعيد الحميرى وكان أحد أنصاره ، وله عدة مؤلفات ، منها كتاب (أصول الأحكام) ويشتمل على ثلاثة آلاف وثلثمائة حديث ، و (المدخل) فى أصول الفقه ، و (الحـكمة الدرية) فى أصول الدين ، وله كتاب سيرة خاصة به جمعها أحد أصحابه سليمان بن يحيي الثقفى .

(٣) ينتهى نسبه إلى عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسى أخ الهادى . إشتبك مع السلطان طغطـكين بن أيوب فى عدة معارك فى (صنعاء) وما حولها ، كما اشتبك أولاده مع المعز ومن جاء بعده . وله عدة مؤلفات وفتاوى ، ومن مؤلفاته كتاب (الشافى) الذى يضم خمسين ألف حديث .

(٤) هو جد بنى الشامى المقيمين بمسور وصنعاء وخولان وله ، كتاب (المقنع) فى الفقه .

	(محل الوفاة)	مـــدة الحـكم (هـ)	(م)
١٣ــ المهدى أحمد بن الحسين[١]	(شوابه)	٦٤٦ــ ٦٥٦	١٢٤٩ــ ١٢٥٨
١٤ــ يحيى بن محمد السراجى[٢]	(صنعاء)	٦٥٦ــ ٦٦٠	١٢٦١ــ ١٢٦٢
١٥ــ المنصور الحسن بن بدر الدين[٣]	(رغافه)	٦٦١ــ ٦٧٠	١٢٦٢ــ ١٢٧٢
١٦ــ المهدى إبراهيم بن تاج الدين[٤]	(تعــز)	٦٧٠ــ ٦٧٤	١٢٧٢ــ ١٢٧٦

(١) نسبه إلى محمد بن القاسم الرسى عم الهادى ، ويكنى (أبو طير) وقد تحارب طويلا مع الملك المظفر الرسولى فى عدة أماكن من اليمن أهمها : معركة (الحصبات) فى الهجر ومعركة (شوابة) التى قتل فيها ودفن بذيبين ، وقد ترجم له المؤرخ الخزرجى فى كتابه (طراز أعلام الزمن فى طبقات أعلام اليمن) فقال: « كان إماماً فاضلا سيداً كاملا حسن السيرة آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر حليما كريماً جواداً أمثل الأئمة فى عصره إجابه بعد عودته كثير من الناس ، ومدحه الكثير من الشعراء بجملة من القصائد » إلى آخره .

(٢) ينتهى نسبه إلى الحسن بن زيد بن على رضى الله عنه . سمله سنجر الشعبى عامل المظفر الرسولى وعاش مكفوف البصر إلى أن مات ودفن بجانب مسجد الوشلى بـ (صعناء) .

(٣) هو أخ الأمير الحسن بن بدر الدين مؤلف (الشفاء) فى الحديث .

(٤) جرت بينه وبين جيوش المظفر الرسولى حروب كثيرة من أهمها : معركة (سناع) بضواحى صنعاء الجنوبية كان النصر حليفه فيها . ثم توجه إلى (ذمار) وكانت معركة (أفق) بعنس ، وفيها وقع أسيراً فى أيدى قوات المظفر فى محل يدعى (بيت حنبص) ، بعد أن خذله أصحابه ، وقد مات بسجن المظفر ودفن فى (الأجينات) غربى مدينة (تعز) سنة ٦٨٣ هـ (١٢٧٦ م) .

مـــدة الحكم

	(محل الوفاة)	(هـ)	(م)
١٧ــ المتوكل المطهر بن يحيي[1]	(ذروان حجه)	٦٧٦ــ٦٩٧	١٢٧٨ــ١٢٩٨
١٨ــ المهدى محمد بن المطهر[2]	(صــنعاء)	٦٩٧ــ٧٢٨	١٢٩٨ــ١٣٢٧
١٩ــ المؤيد يحيي بن حمزة[3]	(ذمار)	٧٢٩ــ٧٤٩	١٣٢٨ــ١٣٤٩
٢٠ــ الواثق المطهر بن محمد	(صــنعاء)	٧٣٠ــ٧٥٠	١٣٣٠ــ١٣٥٠
٢١ــ المهدى على بن صلاح	(الشــودة)	٧٣٠ــ٧٣٠	١٣٣٠ــ١٣٣٠
٢٢ــ الداعى أحمد بن على الفتحى	(رغافــه)	٧٣٠ــ٧٥٠	١٣٣٠ــ١٣٥٠
٢٣ــ المهدى على بن محمد	(صــعدة)	٧٥٠ــ٧٧٣	١٣٥٠ــ١٣٧٣

---

(١) أخذ فى محاربة المظفر الرسولى وولديه المؤيد والأشرف فى عدة أماكن من اليمن .

(٢) استولى على (صنعاء) و (لحج) و (عدن) بعد حروب عديدة بينه وبين المجاهد الرسولى ، وتمكن من حصر الدولة الرسولية فى منطقة تعز وما جاورها ، وله مؤلفات عديدة منها : (المنهاج الجلى) شرح مجموع الإمام زيد بن على و (عقود العقيان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن) وغيرها .

(٣) ينتهى نسبه إلى زين العابدين على بن الحسين ، ومن مؤلفاته (الطراز) فى علم المعانى والبيان والبديع و (الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) و (الشامل) فى علم الكلام و (نهاية الوصول فى علم الأصول) و (الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين) توفى فى بهران ونقل جثمانه إلى (ذمار) .

	(محل الوفاة)	مـــدة الحـــكم (هـ)	(م)
٢٤—الناصر صلاح الدين بن المهدى	(صنعاء)	٧٧٣—٧٩٣	١٣٧٣—١٣٩٣
٢٥—المنصور على بن صلاح الدين	(«)	٧٩٣—٨٤٠	١٣٩٣—١٤٣٦
٢٦—المهدى أحمد بن يحيي المرتضى[1]	(الظفير)	٧٩٣—٧٩٣	١٣٩٣—١٣٩٤
٢٧— الهادى على بن المؤيد	(فلله)	٧٩٦— ٨٣٠	١٣٩٦—١٤٢٧
٢٨—المتوكل المطهر بن محمد الحمزى	(ذمار)	٨٤٠—٨٧٩	١٤٣٧—١٤٧٥
٢٩—المهدى صلاح بن على	(صنعاء)	٨٤٠—٨٤٩	١٤٣٧—١٤٤٦

---

(١) بايعه كثير من علماء (صعدة) بعد موت الناصر صلاح الدين ، ولـكن المنصور بن الناصر قام بمعارضته ومطاردته ، وانتهى به الأمر بأسره فى معركة (جهران) ، ثم اعتقل بحبس (صنعاء) وألف كتابه (الأزهار) فى الفقة ، وله مؤلفات أخرى من أهمها : (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وقد طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٥م مع تخريج للقاضى محمد بن يحيي بهران ، ولـكن مع الأسف لم تطبع معه مقدمته التى تشتمل على فنون كثيرة من العلم والعرفان ، و(منهاج الأصول شرح معيار العقول) فى الأصول ، وكتاب (الملل والنحل) مع شرحه (المنية والأمل) وقد طبع بالهند سنة ١٣١٦هـ ، وفى بيروت سنة ١٩٦١م بعنوان: (طبقات الزيدية) ، و (التكملة) فى الأحكام مع شرحه ، وبعض هذه المؤلفات شرح لمقدمة البحر ، وغيرها من جلائل الـكتب التى كان لها شهرتها فى العالم الإسلامى ، وقد سردها المؤرخ (الواسعى) فى تاريخه وتزيد على ثلاثين مؤلفاً كتب معظمها وهو بسجن على بن صلاح ، ويعتبر فى مقدمة أئمة اليمن الذى حازوا درجة الاجتهاد كما نعته القاضى صالح بن مهدى المقبلى فى غير موضع من كتابيه (المنار) و (العلم الشامخ) .

	(محل الوفاة)	مـدة الحكم (هـ)	(م)
٣٠—المنصور الناصر بن محمد	(صنعاء)	٨٤٠—٨٦٦	١٤٣٧—١٤٦٢
٣١—المؤيد محمد بن الناصر[1]	(«)	٨٦٦—٩٠٨	١٤٦٢—١٥٠٣
٣٢—الهادى عز الدين بن الحسن	(رغافه)	٨٧٩—٩٠٠	١٤٧٥—١٤٩٥
٣٣—الناصر الحسن بن عز الدين	(فلله)	٩٠٠—٩٢٩	١٤٩٥—١٥٢٣
٣٤—محمد بن على الوشلى[2]	(صنعاء)	٨٨٠—٩١٠	١٤٧٦—١٥٠٥
٣٥—المتوكل يحيى شرف الدين ابن المهدى أحمد بن يحيى[3]	(الظفير)	٩١٢—٩٦٥	١٥٠٧—١٥٥٨
٣٦—المطهر بن شرف الدين[4]	(ثلأ)	٩٦٥—٩٨٠	١٥٥٨—١٥٧٣

---

(١) تعارض مع السلطان الظافر عامر عبد الوهاب وجرت بينهما عدة وقائع سبق الإشارة إلى المهم منها فى كلامنا عن السلطان الظافر راجع دولة بنى طاهر قبل هذا .

(٢) اعتقله السلطان عامرعبد الوهاب الطاهرى فى حصاره لصنعاء سنة ٩٠٨ هـ وبقى بسجن صنعاء حتى مات سنة ٩١٠ .

(٣) دام حكمه أربعين عاماً ثم اعتزل الإمامة فى آخر أيامه وهاجر إلى الظفير بحجة وبقى بها حتى مات ، وفى أيامه غزت الجراكسة اليمن ثم من بعدها الأتراك ، ومن مؤلفاته (الأثمار) فى الفقه .

(٤) قام بالحكم بعد اعتزال والده وله مع القوات التركية عدة وقائع سيأتى الكلام عنها فى الفصل القادم .

	(محل الوفاة)	مــدة الحكم (هـ)	(م)
٣٧ — الحسن بن على داؤود[1]	(الإستانة)	٩٨٦ — ٩٩٣	١٥٧٩ — ١٥٨٥
٣٨ — المنصور القاسم بن محمد[2]	(شهاره)	١٠٠٦ — ١٠٢٩	١٥٩٨ — ١٦٢٠
٣٩ — المؤيد محمد بن القاسم[3]	(«)	١٠٠٩ — ١٠٥٤	١٦٢٠ — ١٦٤٤
٤٠ — المتوكل إسماعيل بن القاسم[4]	(ضوران)	١٠٥٤ — ١٠٨٧	١٦٤٤ — ١٦٧٦
٤١ — المهدى أحمد بن الحسين ابن القاسم	(الغراس)	١٠٨٧ — ١٠٩٢	١٦٧٦ — ١٦٨١
٤٢ — المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل	(ضوران)	١٠٩٢ — ١٠٩٧	١٦٨١ — ١٦٨٦

---

(١) أخذ فى محاربة الأتراك بعد وفاة المطهر عند ما عادوا للمرة الثانية ، واستمر على ذلك سبع سنوات ثم تمكنوا من القاء القبض عليه ونفيه إلى (الإستانة) وبها مات مع غيره من المنفيين من أولاد المطهر .

(٢) مؤسس الدولة القاسمية ، وقد تمكن من قهر الأتراك وحصرهم فى مناطق معينة من اليمن ، ومن مؤلفاته (الأساس) فى علم الكلام و (الإرشاد فى تيسير الاجتهاد) و (الإعتصام) فى الحديث .

(٣) توسع فى عصره نفوذ الدولة القاسمية ، وله مع الأتراك معارك حامية منها واقعة (الحفاء) بصافية صنعاء ، وفى أيامه تم جلاء الأتراك عن اليمن للمرة الثانية بعد حروب طويلة ، وقد ناصره أخواه الحسن والحسين مناصرة فعالة .

(٤) يقول المؤرخون أنه تمكن من بسط نفوذه على جميع أجزاء اليمن ومن جملتها حضرموت .

	(محل الوفاة)	مدة الحكم (هـ)	(م)
٤٣ — المهدى محمد أحمد بن الحسن ابن القاسم[1]	(المواهب)	١٠٩٨ — ١١٣٠	١٦٨٧ — ١٧١٨
٤٤ — المنصور الحسين بن القاسم ابن المؤيد	(شهاره)	١١٢٧ — ١١٣١	١٧١٦ — ١٧٢٠
٤٥ — المتوكل القاسم بن حسين[2]	(صنعاء)	١١٢٨ — ١١٣٩	١٧١٦ — ١٧٢٧
٤٦ — الناصر محمد بن إسحق	(«)	١١٣٥ — ١١٣٥	١٧٢٣ — ١٧٢٣
٤٧ — المنصور الحسين بن القاسم	(«)	١١٣٩ — ١١٦١	١٧٢٧ — ١٧٤٨
٤٨ — ابنُه المهدى عباس	(«)	١١٦١ — ١١٨٩	١٧٤٨ — ١٧٧٥
٤٩ — ابنُه المنصور على	(«)	١١٨٩ — ١٢٢٤	١٧٧٥ — ١٨٠٩
٥٠ — ابنُه المتوكل أحمد	(«)	١٢٢٤ — ١٢٣١	١٨٠٩ — ١٨١٦
٥١ — ابنُه المهدى عبد الله	(«)	١٢٣١ — ١٢٥١	١٨١٦ — ١٨٣٥
٥٢ — الهادى أحمد بن على السراجى	(«)	١٢٤٧ — ١٢٤٧	١٨٣١ — ١٨٣١

---

(١) يسمى بصاحب المواهب نسبة إلى قرية (المواهب) شرقى ذمار لأنه البانى لها ، وقد دعى من حصن المنصورة بالصلو وأخمد فتنة الساحر المحطورى فى بلاد الشرف ، ثم تغلب على مدينة « الخضراء » ٢ كيلو متر ، جنوبى (رداع) وقد عارضه ابن عمه المنصور حسين ثم ابنه المتوكل على .

(٢) تمرد عليه بعض رجال أرحب بصنعاء فى سنة ١١٣٨ هـ . وتمكن من قمع تمردهم .

(٣) بانى قبة المهدى (بصنعاء) .

	(محل الوفاة)	مـــدة الحـكم (هـ)	(م)
٥٣—المنصور على بن المهدى[1]	(صنعاء)	١٢٥١—١٢٥٢	١٨٣٥—١٨٣٦
٥٤—الناصر عبد الله بن الحسن[2] ابن أحمد بن المهدى	(«)	١٢٥٢—١٣٥٥	١٨٣٦—١٨٤٠
٥٥—الهادى محمد بن المتوكل أحمد	(«)	١٢٥٦—١٢٥٩	١٨٤٠—١٨٤٣
٥٦—المتوكل محمـــد بن يحيى ابن المنصور[3]	(«)	١٢٦٠—١٢٦٥	١٨٤٤—١٨٤٩
٥٧—المنصور أحمد بن هاشم	(«)	١٢٦٤—١٢٦٥	١٨٤٨—١٨٩٤
٥٨—المؤيد العباس بن عبد الرحمن	(«)	١٢٦٦—١٢٦٦	١٨٥٠—١٨٥٠
٥٩—الهادى غالب بن المتوكل محمد	(«)	١٢٦٧—١٢٦٨	١٨٥١—١٨٥٢
٦٠—المنصور محمد بن عبد الله الوزير	(السِّر)	١٢٦٩—١٣٠٧	١٨٥٣—١٨٩٠
٦١—المتوكل الحسن بن أحمد	(حوث)	١٢٧١—١٢٩٥	١٨٥٥—١٨٧٨
٦٢—المنصور حسين بن محمد بن الهادى	(صنعاء)	١٢٧٥—١٢٧٩	١٨٥٩—١٨٦٣

---

(١) فى أيامه بدأ الأتراك يغزون (تهامة) ويستولون على بعض مناطق فيها ، وقد مات بسجن الناصر عبد الله بن الحسن .

(٢) احتل الإنـكليز فى أيامه (عدن) فى ٣ شوال سنة ١٢٥٣ هـ — ١٩ يناير سنة ١٨٣٩ م حسبما تقدم فى الفصل الثالث ، وقد قتل فى ثورة همدان سنة ١٢٥٦ هـ .

(٣) كان السبب فى دخول الأتراك (صنعاء) ، ولهذا اعتقله أهلها وخلعوه سنة ١٢٦٥ هـ فى قصة سيأتى ذكرها فى الفصل التاسع .

	(محل الوفاة)	مدة الحكم (هـ)	مدة الحكم (م)
٦٣ ـ الهادى شرف الدين بن محمد	(المدان)	١٢٩٦ ـ ١٣٠٧	١٨٧٦ ـ ١٨٩٠
٦٤ ـ المنصور محمد بن يحيي حميد الدين	(القفله)	١٣٠٧ ـ ١٣٢٢	١٨٩٠ ـ ١٩٠٤
٦٥ ـ ابنُه المتوكل يحيي[1]	(صنعاء)	١٣٢٢ ـ ١٣٦٧	١٩٠٤ ـ ١٩٤٨
٦٦ ـ ابنُه الناصر أحمد[2]	(«)	١٣٦٧ ـ ١٣٨٢	١٩٤٨ ـ ١٩٦٢

(١و٢) اقرأ الفصل (العاشر والحادى عشر) من هذا الكتاب .

الفصل التاسع

(الغزو العثمانى)

فى عام ٩٤٥ ه (١٥٣٨ م) كانت الأمبراطورية العثمانية[1] بزعامة السلطان سليمان بن سليم القانونى قد بلغت الذروة فى قوتها وتوسع نفوذها ، وخضع لها الكثير من أقطار الشرق الأوسط وأفريقيا وبعض البلدان فى شرق أوروبا ؛ وكانت اليمن إحدى أمنيات السلطان سليمان وغاية مايصبو إليه ، نظراً لأهميتها من

(١) قامت الدولة العثمانية بعد الدولة السلجوقية فى (الأناضول) سنة ٧٢٧ ه (١٣٢٦ م) وجعلت عاصمتها (بروسا) ، وفى سنة ٧٦٧ ه (١٣٥٤ م) انتقلت إلى (أدرنة) ثم إلى (القسطنطينية) سنة ٨٥٧ ه — ١٤٥٣ م ، وفيها عضمت شوكة الدولة وقوى جانبها حتى بلغت الذروة فى أيام محمد الفاتح الثانى بن مراد الثانى، وهو الذى قضى على دولة المماليك فى مصر فى أواخر القرن الرابع عشر الميلاد . وفى سنة ٩٢٤ ه (١٥١٨ م) بدأ نفوذها ينتشر فى أفريقيا حيث بدأت باحتلال الجزائر ثم بعدها طرابلس وتونس .

وأنشأت الدولة العثمانية أسطولا قوياً لغزو بقية بلدان الشرق الأوسط حيث بدأت باحتلال بعض شمال الجزيرة العربية مركزة سياستها حول تأييد الدين الإسلامى ومحاربة النصارى ، وانتشرت راياة لها فى شرقى أوروبا أيام السلطان سليمان القانونى حتى بلغت أبواب (ڤينا) عاصمة النمسا Austria ، ودفعت لها الجزية من هولنده والدانمارك وكان عدد سلاطين آل عثمان ٣٦ سلطاناً .

أما بدء ضعف هذه الدولة الكبرى فيرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد عندما استقل السلطان محمد على بحكم مصر وسوريا سنة ١٢٥٦ ه (١٨٤٠ م) ، وقيام ثورة الاكليروس المارونى ضد العثمانيين بلبنان سنة ١٢٧٣ ه (١٨٥٧ م) ، فكان ذلك سبباً لاحتلال فرنسا للبنان ، ثم نهوض دول أوروبا واكتساحها لمستعمرات الأتراك ، فاحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٢٩٧ ه (١٨٨١ م) كما استعمرت إيطاليا طرابلس سنة ١٣٣١ ه (١٩١٢ م) ، وانتزعت فرنسا مراكش فى نفس العام ، وأخذت أسبانيا ما يليها من الشرق فيها ، وذلك بعد حروب البلقان =

الناحية العسكرية والموقع الاستراتيجى المهيمن على شواطىء البحرين العربى والأحمر بحيث يمكنه من غزو منطقة الشرق الأقصى بما فيها (الهند) طبق خطّةٍ مدروسة .

لهذا أمر السلطان سليمان بتجهيز قوةٍ ضخمة بقيادة الأمير سليمان باشا الأرناؤطى ، أبحرت من ميناء السويس فى ٢٧ يونيو ، باسم القضاء على البرتغاليين الذين كانوا يعيثون فى موانىء البحر الأحمر والعربى ، وكان الغرض الكامن هو احتلال اليمن .

لقد كانت هذه الحملة التركية بدء سلسلة حملاتها العسكرية على اليمن ، عادت على البلاد بالبؤس والشقاء ، كما عادت على الحكومة التركية نفسها بالخسارة الفادحة فى قوتها المالية والعسكرية ، وتشمل هذه الحملات ثلاث مراحل :

= ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) . ثم دخلت الحرب العالمية الأولى (الحرب الأوربية) سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) وباشرت بريطانيا وفرنسا ضرب (الدردنيل) ، مما زاد تركيا تدهوراً وضعفاً وحطم من مركبها فى البحر الأبيض ما يزيد على ٧٦٠ مركباً .

ثم انتهت الحرب العالمية الأولى بعقد معاهدة ڤيرسيللز (Versailles) فى فرنسا فى ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ ، وتنص مادتها الثانيه والعشرون من البند الأول على تخلى ألمانيا وتركيا عن مستعمراتهما جميعاً وتوضع تحت إشراف عصبة الأمم «Mandate of The League of Nations» .

وكان لهذه الاتفاقية مفعولها فى وضع حد لتحركات ألمانيا وحليفتها تركيا اللتين كانتا تتوقعان أن تسيطرا على العالم بأسره خلال القرن العشرين الذى سوف يدعى (العصر الألمانى) على حد زعم الألمان والذى سيحول ألمانيا الأوروبية إلى ألمانيا العالمية كما نطقت بذلك صحيفة الحكومة الرسمية فى (برلين) ، إستناداً لما كانت قد بلغت فيه ألمانيا من التفوق الصناعى والتجارى ، بالإضافة إلى أن جيشها كان أعظم جيش على وجه البسيطة . انتهى مترجماً باختصار من دائرة المعارف الأمريكية «The Enc. Americana 28/259» .

المرحلة الأولى :

لأول مرةٍ وطأت القوات التركية أرض اليمن بقيادة سليمان باشا الإرناؤطى فى ٣ أغسطس سنة ١٥٣٨ ومعها أسلحتها النارية ومعدات الحرب الفتاكة فأحدثت الذعر والخوف فى قلوب السكان العزّل الذين كانوا لا يعرفون غير السلاح الأبيض ، مما جعل الناس بادىء الأمر يحجمون عن كل مقاومة .

وكان عامر بن داؤود – وهو آخر زعماء بنى داؤود بعدن – قد انتهز فرصة وصول القوات التركية فطلب منها النجدة والعون على محاربة الإمام شرف الدين ، وكتب بهذا إلى سليمان باشا قبل نزوله من السفينة إلى مرسى (عدن) ، أملاً منه فى استعادة كيان الدولة الطاهرية ، كما سبق للإمام شرف الدين أن عمل مع قائد الجراكسة حسين الكردى حسبما أسلفنا ، وقد بعث الكتاب مع وفدٍ يحمل هديةً للباشا ، فردّ عليه الباشا رداً مقابلاً ، كما دعاه لزيارته بالسفينة ، وقد تردد عامر فى تلبية هذه الدعوة بادىء الأمر وأخيراً قرر الموافقة بعد أن استشار أصحابه ، ولكن الباشا قلب له ظهر المجن ، فقد أمر بالقبض عليه وهو يغادر السفينة عائداً إلى (عدن) ولم يكتف بذلك بل أمر بإعدامه وشنقه على عمودٍ فى السفينة ، ثم دخل الباشا (عدن) وأمر بقتل من بقى من أسرة آل طاهر ومصادرة ممتلكاتهم ، بحُجة أنهم حاولوا تسليم (عدن) للبرتغاليين ، وقد قال بعض المؤرخين أن هذا لم يكن .

ثم توجه سليمان باشا مع أسطوله إلى الهند بعد أن حصّن (عدن) تحصيناً محكماً ، وفى سنة ٩٥٤ هـ (١٥٤٧ م) زحفت القوات التركية بقيادة إزدمر باشا نحو (صنعاء) ، وواجهتها قوات الإمام شرف الدين ، وحصلت عدة معارك استخدم فيها الجيش التركى أبشع وسائل العنف من القتل والتخريب والإرهاب .

وتمكنت القوات التركية من دخول (صنعاء) فى ١٣ ربيع آخر سنة ٩٥٤ (١٥٤٧ م) بعد معارك عنيفة أهمها معركة (الصّافيه) ومعركة (باب المنْجل) بضواحى صنعاء .

وأمعن الأتراك إثر وصولهم صنعاء فى النهب والسلب ، وكان الإمام شرف الدين قد غادرها إلى (كوكبان) وفوض إلى ولده المطهر مهمة تعبئة القوات اليمنية وترتيب خطط الدفاع ، وكان المطهر بدوره أيضاً قد انسحب إلى (ثلاً) وتمركز فى قلعتها المنيعة ، ومنها ظل يشن على الأتراك الغارات ويثير ضدهم أهل اليمن من كل جانب بصورةٍ زعزعتهم وأقضت مضاجعهم مما اضطر إزدمر فى نفس السنة إلى الخروج بنفسه وبكامل قواته ومعداته لمحاربة المطهر بثلاً ، ووقعت بينهما معارك دامت أكثر من أربعين يوماً انتصر فيها المطهر وتمكن من ردّ إزدمر وجيشه الجرار على أعقابهم .

وهكذا استمر إزدمر ، ثم من بعده رضوان باشا ومراد باشا ، يغزون المطهر فى وقائع تزيد على الثمانين كما أوردها المؤرخون فى مطولاتهم ، حتى كانت معركة (شعُوب) على أبواب صنعاء سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ م) هى المعركة الفاصلة وقد انتصرت فيها قوات المطهر انتصاراً رائعاً وحوصر الأتراك بـ (صنعاء) عدة أيام بعد أن قتل قائدهم مراد باشا ، وبعدها كان جلاء الأتراك من أرض اليمن ، ووصل المطهر بنفسه إلى (تعز) و (عدن) وتسلم جميع المناطق اليمنية ماعدا مدينة (زبيد) كما سيأتى .

المرحلة الثانية :

كانت (زبيد) هى المنطقة الوحيدة التى احتفظ بها الأتراك كخطّ للرجعة ، وكان المطهر قد وجّه عدة حملاتٍ بقيادة على بن محمد الشّويع لاحتلالها ولكنها باءت بالفشل .

وفى آخر سنة ٩٧٦ ﻫ (١٥٦٩ م) وبينما كان المطهر يتأهب للمسير بنفسه إلى (زبيد) إذ جاءه الخبر بقدوم جيش تركى جرار بقيادة الوزير سنان وانضمت إليه معظم القوات التركية التى كانت ترابط فى (مصر)، وقد واصلت زحفها إثر وصولها زبيد وجرت بينها وبين قوات المطهر التى بعثها لصد الهجوم التركى حروب لم يسبق لها مثيل فى تأريخ اليمن، وتعرضت المدن والقرى لأنواعٍ من الهدم والتنكيل على أيدى الأتراك، وأخذ الوزير سنان يتقدم نحو صنعاء لاحتلالها وتمكن من دخولها فى شهر صفر سنة ٩٧٧ ﻫ (١٥٧٠ م) بعد أن غادرها المطهر إلى حصن (ثلاً) إشفاقاً على أهل صنعاء من معاناة أهوال الحرب والحصار.

ولم يلبث الوزير سنان أن عبّأ قواته وجنده وخرج بهم قاصداً (ثلاً)، وكان على يقينٍ من النصر وعلى ثقةٍ من الغلبة لكثرة جيشه وضخامة مدفعيته، ولكن أمله خاب عندما رأى أبطال الشعب اليمنى يصمدون بكل بسالةٍ فى وجه تلك القوات وينزلون بها خسارةً كبرى وهزيمة نكرا مما اضطره إلى الانسحاب إلى (صنعاء).

ورأى الوزير سنان أنه لن يتمكن من حكم اليمن فعليّاً إلا بالقضاء على المطهر، فأخذ يوالى حشد قواته ولكن دون جدوى، ثم جاء بعده سنان باشا وبهرام باشا ودامت الحرب ما يقرب من عامين إنتهيا بموت المطهر فى مدينة (ثلاً) سنة ٩٨٠ ﻫ (١٥٧٣ م) متأثراً بالتيفوء.

لقد كانت وفاة المطهر بالنسبة للأتراك نصراً عظيماً وبشرى سعيدة أتاحت لهم المزيد من السيطرة وبسط النفوذ والتنكيل بأعيان البلاد ونفى بعضهم إلى (الإستانة) كالإمام الحسن بن داؤود، ولطف الله بن المطهر، وأخويه على وغوث الدين، والأمير محمد بن الهادى، والشيخ وهان العذرى فى سنة ٩٩٤ ﻫ (١٥٨٦ م)

وبدأ بعد ذلك نفوذ القوات التركية يقوى وتوسعهم فى إخضاع البلاد يزداد ، ولم تقم أية حركةٍ تحررية تُذكر حتى عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨م) ، وفيها دعى الإمام المنصور القاسم بن محمد واستجابت لدعوته معظم قبائل الشمال ، وأخذ يحشد القبائل لمحاربتهم ، وخاض معهم عدة معارك ، من أهمها معركة (شهاره) ومعركة (الشقّاب) بصعده وكذا معركة (عَرَّة الأشمور) ، وكان آخرها معركة (غارب أُثله) بالقفله سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) انتصرت فيها القوات اليمنية وانهزم الأتراك إلى صنعاء ، مما اضطر جعفر باشا بعد ذلك إلى أن يعقد صلحاً مع الإمام القاسم ، ولكن الصلح لم يدم أكثر من عام حتى أُعيدت الحرب من جديد وكانت الغلبة فيها لقوات القاسم بقيادة ولديه الحسن والحسين ، وتم لهما فتح غالب الجهات الشمالية .

الجلاء الثانى للأتراك :

بعد وفاة الإمام القاسم قام بالإمامة ابنُه المؤيد محمد بن القاسم ، وقد نهج خطة والده فى محاربة الأتراك واستنفار أهل اليمن لإجلائهم كما عمل على إرساء قواعد الدولة القاسمية ، وفى أيامه بدأ نفوذ الأتراك ينزوى وظلهم يتقلص ، وأصبحت حركة المؤيد تهددهم بأسوأ العواقب ، ولم يمض وقت قصير حتى وصلت قواته سنة ١٠٤٥ هـ (١٦٣٦م) إلى أبواب صنعاء وأخذت فى محاصرة القوات التركية بقيادة أخيه الحسن ، وهنا أمر القائد التركى بفتح الأبواب ونشبت معركة (الصّافية) وهى من أشهر المعارك التى دارت بين أهل اليمن والأتراك ، وقد قتل فيها عدد كبير من الأتراك بينما استسلم الباقون إلى أيدى قوات المؤيد ومنها رحلوا إلى تركيا بعد أن تسلم الحسن منهم جميع المدن بما فيها (زبيد) ثم جزيرة (كمران) وجزائر (فرسان) ، وانتهت بذلك المرحلة الثانية من الغزو العثمانى .

المرحلة الثالثة والأخيرة :

ظل اليمن قرابة مائتين وعشرين عاماً محتفظاً بسيادته بعد جلاء القوات التركية للمرة الثانية ، حتى كانت سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وفيها أعاد الأتراك الكرة ، وانتهز السلطان عبدالمجيد بن محمود فرصة خلاف طفيف نشب فى تهامة ، ويقال إن أحد أعيانها كان قد كتب إلى السلطان يستنجده فما كان منه إلا أن أمر نائبه فى (جد) توفيق باشا بالتوجه إلى اليمن ومعه أمير (مكة) الشريف محمد بن عون على رأس قوة ضاربة أبحرت من ميناء (جدة) ووصلت إلى (الحديده) فى ٢٢ جمادى الآخرة ، ومنها واصلت زحفها إلى (صنعاء) دون أن تلق أية مقاومة ، لأن الإمام المتوكل محمد بن يحيى كان قد توجه إلى الحديده إثر سماعه الخبر بوصول توفيق باشا ، واتفق معه دون مشاورة لأعيان البلاد أن يصحبه إلى صنعاء ليستعين بما لديه من قوات فى إخماد بعض القلاقل الداخلية ، وقدم إلى (صنعاء) مصطحباً (ضيف الاحتلال) الباشا وكتائبه حيث أنزلهم بـ(قصر غمدان) ؛ وهنا أنكر عليه أهل صنعاء أشد الإنكار وأشعلوها ثورةً فى الحال ، وتمكنوا — بمساعدة أهل الحواز — من إرغام الأتراك على العودة من حيث أتوا ، ثم ألقوا القبض على المتوكل وأودعوه الحبس ، ونصبوا على بن المهدى إماماً .

بعد هذه الحوادث أمضى اليمن حوالى ربع قرن كانت الخلافات فيها على أشدها ، وأهمها الصراع الذى نجم بين الإمام على بن المهدى بصنعاء وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة ، وبين المؤيد العباس بن عبد الرحمن القائم بعد المهدى وبين المنصور ، ثم بين الإمام أحمد بن هاشم وبين المتوكل المحسن بن أحمد صاحب الأهنوم ، وتفرع من هذا الصراع خلافات قبائلية ، كاد اليمن أن تتمزق أوصاله ، وكان الباشا أحمد مختار قائد القوات التركية المرابطة بعسير يرقب حالة اليمن عن كثب ، ويتحين الفرص للوثوب على البلاد ؛ وفى هذا الوقت بالذات

رأى أن الوقت قد حان ، فزحف بجيشه عن طريق الساحل سنة ١٢٨٩ ﻫ (١٨٧٢ م) ، وتمكن من الوصول إلى (صنعاء) والقضاء على الخلافات الناشبة فيها وما حولها ، ولكنه أخفق فى بسط نفوذه على الجهة الشمالية فقد بقيت تحت حكم المتوكل المحسن بن أحمد إلى أن توفى سنة ١٢٩٥ ﻫ (١٨٧٨ م) ، فخلفه الإمام الهادى شرف الدين بن محمد .

وفى سنة ١٢٩٠ ﻫ (١٨٧٣ م) عينت الحكومة التركية الباشا مصطفى خلفاً لأحمد مختار ، وقد اتخذ مصطفى سياسةً جديدةً فيها المزيد من العنف والقسوة ، من ذلك أن أمر باعتقال عدد من كبار علماء صنعاء ثم إرسالهم إلى حبس (الحديده) وفيهم رئيس العلماء أحمد محمد الكبسى ، ومحمد بن قاسم الحوثى ، ومحمد بن إسمعيل ، وعلى الجديرى ، ومحمد المطاع ، ومحمد بن يحيى حميد الدين ، وقد مهّد هذا لثورةٍ عارمة قام بها محمداً بن يحيى المعدود آخراً كما سيأتى .

وبعد وفاة الهادى شرف الدين فى سنة ١٣٠٧ ﻫ (١٨٩٠ م) أجمع أهل الاهنوم على مبايعة محمد بن يحيى حميد الدين الآنف الذكر — وكان قد نجى من سجن الحديده وفر إلى الاهنوم — وقد تمكن الإمام الجديد من تأليف جيش قبائلى جرار ودارت بينه وبين الباشا أحمد فيضى ، ثم من بعده حسين حلمى وعبد الله باشا حروب عديدة منها حرب (عَصُر) غربى صنعاء فى ٢ محرم سنة ١٣٠٩ ﻫ ، وبعدها حرب (نُقُم) و (الجرداء) و (الجِراف) ـ وكلها بضواحى صنعاء ـ كما دارت حروب أخرى فى جهات (حجه) و (الشرفين) و (آنس) و (المحويت) مما اضطر الحكومة التركية إلى إعادة الباشا أحمد فيضى — وكان قائداً حربياً

حازماً — فوصل إلى اليمن فى نفس العام تصحبه قوات كبيرة تمكنت من فك الحصار عن صنعاء ودخولها بعد أن غادرها المنصور إلى (حاشد) .

ثم أخذ أحمد فيضى يوالى إرسال القوات إلى (حاشد) ، وأخيراً خرج بنفسه ولكنه عاد بخفى حنين بسبب المقاومة الضارية من قبائل الشمال ، واستمرت الحالة هكذا حتى توفى المنصور بالشُّودة فى ٢٩ ربيع آخر سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) .

الفصل العاشر

(الإمام يحيى وجلاء الأتراك الأخير)

بعد وفاة الإمام المنصور بويع ولده يحيى بالإمامة وأعلن لقبه بالمتوكل ، واتخذ (قفلة عذر) عاصمةً مؤقتة له ، وقد قامت حكومة الإمام يحيى فى وقت كانت القوات التركية فى غايةٍ من الاستعداد والقوة ، وكان القائد التركى بصنعاء فى مزيدٍ من التحمس فى القضاء على الحكم الإمامى واحتلال مدينة (القفلة) ، وقد بادر إثر سماعه نبأ وفاة المنصور بإرسال قوةٍ لمناهضة حامية المتوكل المرابطة فى الشمال أراد أن يعجم بها عود الإمام الجديد ، وجرت بين القوتين بعض المناوشات عادت بعدها القوات التركية مهزومةً إلى (صنعاء) .

وبعد هذه الهزيمة تضافرت القوى الوطنية من قبائل (همدان) و (حاشد) و (الأهنوم) وغيرها من القبائل التى كانت قد سئمت الوضع القائم الذى لا توجد فيه سلطة وطنية معينة تعنى بالمحافظة على الأمن وإدارة البلاد إدارةً صحيحة ، وتمكنت من تعقب الحاميات التركية وحصرها فى (صنعاء) ثم إرغامها على الاستسلام ، ودخل الإمام (صنعاء) فى ٢٣ محرم سنة ١٣٢٣ ﻫ (١٩٠٥ م) بعد أن فر القائد التركى إلى (زبيد) .

وما كاد يصل هذا النبأ إلى أسماع الحكومة التركية بالإستانة حتى بادرت إلى إرسال الباشا أحمد فيضى مرةً ثالثة مزوداً بأحدث المعدات من مدفعية ثقيلة وبنادق ومؤن ، واستطاع بهذه القوات مواصلة تقدمه إلى صنعاء إثر وصوله ميناء (الحديده) ، ودخلها فى شهر رجب بعد أن غادرها الإمام إلى (شهاره) .

ولم يلبث أحمد فيضى غير بضعة أيام بصنعاء حتى تحرك قاصداً الإمام بشهاره بقوةٍ تتألف من عشرة طوابير بكامل معداتها ، وكان فى غايةٍ من الإعجاب

بما عنده من جندٍ وقوة ، وعلى يقين من الغلَبة والنجاح فى القضاء على قبائل اليمن العُزَّل .

وأخذ يسير ويتوغل فى البلاد ، وأطمعه فى التوغل ما رأى من عدم المقاومة ، ولم يفطن إلى أن إخلاء السبيل كان خدعةً حربيةً من أحرار اليمن الذين حنكتهم التجارب وضرستهم الحروب ، ولكنه ما كاد يبلغ شهاره حتى أحدقت به وبطوابيره فرق من القبائل اليمنية الباسلة ، وجاءته جنود لا قبل له بها ، وهنا حلّت الكارثة الكبرى وقتل من جيش الأتراك وقوادهم عدد كثير ، وفر أحمد فيضى مع من بقى من جنوده لا يلوون على شىء ، تاركين ما بأيديهم من عُدد وذخائر غنيمةً لأهل اليمن ، وكانت معركة (شهاره) هذه من أعظم المعارك التى دارت بين الشعب اليمنى والأتراك ، كما كانت نقطة تحول فى مجرى التاريخ اليمنى ومعركة حاسمة فى مراحل الاحتلال العثمانى ، وقد سُميت اليمن بعدها بـ (مقبرة الأناضول) .

اتفاقية دعان :

وما إن بلغ (الإستانة) ـ وكانت على إثر قيام الحكومة الاتحادية فيها ـ مانزل بجيوشها من البلاء على أيدى قبائل عُزّل حتى أيقنت بأنّه لا قدرة لها على استعمار اليمن وإخضاع أهله ، سيما وقد أصبح فى أيديهم السلاح الحديث والمعدات التى غنموها فى معركة (شهاره) ، كما عرفت أيضاً خطورة موقف جيوشها فى (صنعاء) والمدن الأخرى من إمكان قيام الأهلين بتحركات جديدة ، ولهذا قررت أنه لا يخلّص جيوشها ويريحها من العناء الذى لم تصل فيه إلى نهاية إلاّ مفاوضة الإمام يحيى ، فأرسلت من فورها المشير عزت باشا الألبانى مندوباً مفوضاً فى عقد صلح معه .

وما أن وصل عزت باشا إلى صنعاء فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) حتى كتب من فوره إلى الإمام وكان بشهاره بالغرض من مهمته وعرض عليه رغبة حكومته فى عقد صلح يُرِيح الجانبين من الحروب والفتن ، وطلب منه الاجتماع فى أى محل يريده .

وفى شهر القعدة جاءت الموافقة من الإمام على أن يكون الاجتماع فى (دَعَّان) ـ وهى قرية غربى مدينة عمران ـ وحضر الإمام بنفسه للتفاوض مع المشير الذى قدم مع عدد من شخصيات (صنعاء) ، وانتهت المفاوضة بعقد اتفاقية تتضمن قيام الإمام بالإشراف على شؤون القضاء والأوقاف وتعيين الحكّام والمرشدين ، وتشكيل هيئة شرعية فى البلاد (محكمة استئناف) ، وأن تكون جباية الواجبات على الطريقة الشرعية .

هذا ولم تمض ثلاث سنوات حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، وبعدها غادرت القوات التركية اليمن كما سيأتى .

ولا غرو فإن الشعب اليمنى قد ضرب أروع الأمثال وأنبل البطولات فى كفاحه المرير ضد الاحتلال التركى ، وأبى على نفسه حياة الضيم والعبودية والرضوخ لحكم المستعمر الغاصب .

الأدارسة فى المخلاف السليمانى :

ينتمى السادة الأدارسة إلى أحمد بن إدريس المغربى ، وقد ولد بالقيروان وتلقى علوم الصوفية هناك على يد بعض أقطابها فى المغرب كالتبازى والمجيدرى ، وفى سنة ١٢١٤ ﻫ انتقل إلى مكة حيث تفرغ للعبادة ودراسة علوم القرآن والسنة ، وقد لمع اسمه من خلال ماقام به من مناظرات مع علماء (مكة) ، وكان يسلك فيها مسلك الشاذلية كما أشار إلى ذلك أمين الريحانى فى كتابه (ملوك العرب) تحت عنوان : (أحمد بن إدريس والتصوف)[1] .

وفى سنة ١٢٤٤ ﻫ توجه إلى تهامة اليمن ماراً بطريق اللّيث وجازان فالحديدة فزبيد حيث تلقاه علماؤها — وفى مقدمتهم السادة آل الأهدل — بمنتهى الحفاوة والتكريم ، وبقى فيها متجرداً للوعظ والإرشاد .

وفى سنة ١٢٤٥ ﻫ انتقل إلى مدينة (صبيا) فى المخلاف السليمانى وبقى بها إلى أن مات سنة ١٢٥٣ بعد أن أصبح الزعيم الدينى فى البلد .

وقام بالزعامة بعد وفاته ولده الأكبر السيد محمد بن أحمد الإدريسى المتوفى سنة ١٢٩٦ ﻫ ثم ابنه على المتوفى سنة ١٣٢٤ ﻫ وكانت زعامة هؤلاء مجرد زعامة دينية تقوم على أساس الفتوى والوعظ ونشر التصوف .

وبعد موت على بن محمد قام ولده محمد بن على ، وقد تلقّى العلم بالأزهر الشريف وأجازه كثير من علماء (مصر) و (المغرب) ، وعاد بعد سماعه خبر وفاة والده إلى صبيا ، وقد ترجم له الوشلى فى كتابه (نشر الثناء الحسن) حيث قال : « ولما استقر بصبيا قام يدعو الناس إلى الله وإقامة الشريعة فانجذبت إليه

---

(١) صحيفة ٢٧٨ .

قلوب الخلق من كل بلد ، وكانت البلاد قد ملئت جوراً وظلماً ، وكان يرد إليه كل يومٍ نحو أربعة أو خمسة آلاف شخص ، ثم إذا صلوا معه المغرب والعشاء قعد معهم فى محلٍّ واسع ، فأخذ يعظهم ويذكرهم ويعلمهم الأمور الدينية إلى أن يمضى من الليل أكثره » .

وكان خلال إقامته بمصر على اتصالٍ دائم بالحكومة الإيطالية على يد بعض موظفى سفارتها بالقاهرة ، كما كان على اتصالٍ ببعض المسئولين الإيطاليين فى مستعمرة إريتريا أيضاً . ووصفه بعض معاصريه بأنه كان يحمل طموحًا ملتهبًا ، وكان عداءه الشديد للأتراك هو الذى حمله على الاستعانة بالحكومة الإيطالية التى وعدته بالوقوف إلى جانبه عند ما يتهيأ له الأخذ بزمام الموقف فى (صبيا) كإمامٍ شرعىٍّ معترف به عند الأهالى .

ولهذا فقد بقى متحيناً الفرص التى يتمكن فيها من إثبات مكانته كزعيمٍ على البلاد حتى كانت الحرب بين قبيلتى (صبيا) و(الجعافرة) سنة ١٣٢٠ ﻫ ، وفيها بذل وساطته ، وتمكن من إخماد الحرب بين القبيلتين بطريقة الصلح والتفويض ، وبعدها بُويع إماماً على المخلاف ، وقد تمكن من إخضاع من تخلف عن البيعة من زعماء القبائل وإدخالهم تحت نفوذه بالقوة ، كالهودانى صاحب (ضمد) وأحمد شريف الخواجى صاحب (صبيا) ، وانتشرت صولته إلى (جيزان) و(النضير) و(شِدا) و(ضيعة بن غافان) مما يلى (رازح) ، ثم إلى حدود (فلله) حيث قصدها بنفسه واحتلها على رأس حملةٍ قبائلية .

وأقلقت تحركات الإدريسى هذه بال الإمام يحيى — وكان على إثر توقيع اتفاقية (دعّان) — فأصدر أمره إلى نائبه بصعدة (ناظرة الشام) محمد بن الهادى (أبو نيب) بتجهيز قوةٍ للقضاء على تحركات الإدريسى ، كما أمده بقوةٍ أخرى من (القفلة) بقيادة أحمد بن قاسم حميد الدين ، وتلتها كتيبة تركية من صنعاء

بقيادة القومندان (على روحى) ، واستمرت المناوشات إلى سنة ١٣٣٢ هـ ، وفيها احتلت القوات اليمنية (جبل حُرُم) وقلعة (رازح) وقلعة (غَمَار) التى كانت ترابط فيها قوات الإدريسى ، كما استولت على عددٍ كبيرٍ من السلاح والذخيرة الإيطالية .

إيطاليا تدخل المعركة :

أمّا من ناحية تهامة فقد ظلّت قوات الأتراك فى قتالها مع الإدريسى حتى سنة ١٣٢٩ هـ ، وفيها أمرت الحكومة التركية متصرفها فى (الحديدة) القاضى محمد راغب بالقيام بتجهيز حملةٍ على الإدريسى أبحرت من ميناء (الحديدة) إلى ميناء (جيزان) ، كما توجهت قواتٌ أخرى من جهة الساحل بقيادة سعيد باشا ثم قوات تركية ثالثة من (أبها) بقيادة متصرف (عسير) ، وتلتها قوات الشريف حسين بن عون من جهة الحجاز بقيادة ولده فيصل ، وقد منيت القوات الإدريسية بالهزيمة من جهة الشمال والغرب ، بينما أحرزت بعض التقدم فى جهة عبس وحرض بمساندة زعيم القبيلة (يحيى بن ثواب) ومساعدة الأسطول الإيطالى من البحر ، الذى قام بضرب المواقع التركية فى (اللحيّة) و(ميدى) وجعل قواتها تتراجع إلى منطقة الجبال ، ثم أخلت المجال لقوات الإدريسى لاحتلال عبس إلى جانب ميدى وحرض وجزيرة فرسان .

وهكذا استمرت الحرب بين قوات الإدريسى تساندها إيطاليا ، وبين قوات الأتراك حتى جاءت الحرب العالمية الأولى ، وفيها أعلن الإدريسى انضمامه إلى صفّ الحلفاء ضد الأتراك .

الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا للحديدة :

كانت الحكومة التركية قد أرسلت إلى اليمن فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ — أى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى (الحرب الأوربية) — باخرةً تحمل الكثير من الأسلحة والذخائر والأرزاق ، كما أبلغت الوالى محمود نديم بصنعاء بحشد قوةٍ كبيرة لاحتلال (عدن) ضمن خطةٍ عسكرية دبّرتها مع حليفتها الألمان للسيطرة على مضيق عدن ، كما رتبت خطةً أخرى لمهاجمة (السويس) ، ولكن بريطانيا أحسّت بالموقف فسبقت تركيا بعد حصارها للدردنيل إلى ضرب الحديدة وبعض الموانىء الأخرى ، كالصليف واللحيّة والمخاء وأصلتها ناراً حامية بمدافع أسطولها البحرى ، ثم احتلت ميناء الحديدة وأمدت الإدريسى بكمياتٍ من الأسلحة والمال وأشارت إليه بالزحف برّاً لاحتلال هذه الموانىء ، وبهذا تم له الاستيلاء عليها بدون كبير عناء .

ورأت بريطانيا تدعيماً لمركزها ضرورة الاتصال بالإمام يحيى واستجلاب مودّته فأرسلت وفداً إلى (صنعاء) برئاسة الكولونيل جيكب ومعه كتاب من ملك بريطانيا ، ولما كان فى (باجل) أحدقت به قبيلة (القُحرى) ولم تطلقه إلا بعد أشهر كما روى الواسعى ، بالرغم من تهديد السلطات البريطانية فى الحديدة لها ، وبالرغم من إرسال الإمام يحيى لبعض الجنود مع الوالى محمود نديم لهذا الغرض ، وأخيراً أرجعت أعضاءها إلى الحديدة مخفورين بألفين من رجالها ؛ وكان غرض القبيلة من ذلك هو الحيلولة بين الوفد وبين الإمام من توقيع أىّ اتفاقٍ قد يعود على البلاد بالسوء والضرر .

لقد كان الهدف من احتلال بريطانيا للحديدة هو السّيطرة على منطقةٍ أخرى من اليمن تكون مستعمرة لها تابعةً لعدن ، ولكن سكان (الحديدة)

مع القبائل المجاورة قاموا بأحداث بعض القلاقل ضد قوات الإنكليز أدّت إلى زعزعتهم ، وقد بذلت الحكومة البريطانية كلّما في وسعها لاسترضاء الأهالى فلم يتم لها ذلك ، وأخيراً قررت تسليم (الحديدة) للإدريسى بصفته أحد أتباعها ، على أن يبقى تحت (الحماية) ، وألقت على عاتقه مهمة حفظ الموانى اليمنية ، كما عقدت معه معاهدةً فى إبريل سنة ١٩١٥ تتضمن التزام الإدريسى بشنّ الحرب ضد الأتراك ومضايقتهم بأقصى قوته ، والعمل على توسيع رقعة إمارته ، كما مكنته من احتلال (عسير) إثر الجلاء التركى ، وهى أمنية طالما داعبت أحلامه ، ولكن آل عايض من سكان (عسير) قاموا بمقاومة الإدريسى لإبعاده عن المنطقة ، وحصلت بعض الحروب بينه وبين آل عايض بزعامة حسن بن محمد بن عايض إنتهت بانسحاب جنود الإدريسى من أبهاً إلى (الشّعبين) .

وكان الشريف حسين بن عون شريف مكة يقف إلى جانب آل عايض ويمدهم بالمال والسلاح ضد الإدريسى الذى كان يعتبره منافسه الثانى فى المنطقة بعد آل سعود .

وعند ذلك لم يمنع الإدريسى من الاتصال بسلطان نجد الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل السعودى طالباً منه مد يد العون والمساعدة لإخضاع شوكة آل عايض فى (عسير) ، فصادف ذلك هوىً فى نفس عبد العزيز وقام من حينه بتجهيز قوةٍ كبيرة ، ثم تلتها قوات أخرى بقيادة ولده فيصل تمكنت أخيراً من احتلال (أبهاً) بعد أن فر آل عايض إلى (مكة) طالبين العون من الشريف حسين فأمدهم ببعض المال والقوة ، وقام آل عايض بمحاولاتٍ لأستعادة أبهاً ولكنها كانت فاشلة .

محاولات الأتراك لاحتلال عدن :

كانت القوات التركية المرابطة فى جنوب اليمن قد رتبت خطّةً لغزو (عدن) التى تسيطر عليها القوات البريطانية واحتلالها طبق الخطة التى سبق أن تكلمنا عنها ، وكان اللواء التركى سعيد باشا قائد حامية (تعز) حينذاك قد حاول الزحف من قبله صوب (عدن) ولكنه فشل فى خطته بسبب رفض سلطان لحج على ابن أحمد بن عبد الكريم الإشتراك معه فى الحملة ، وأخيراً حاول الزحف بمن معه من قبائل تعز ، والعدين ، وإب ، والقماعرة ، وتمكن من احتلال (الحوطة) مقر سلطان لحج بعد أن فر السلطان متجهاً إلى (عدن) ومعه بعض جنوده ، ولكنه ما كاد يصل أبواب عدن حتى أطلق عليهم النار من قبل حرس الحامية البريطانية ظانّين أنهم طلائع قوات سعيد باشا الذى كانوا يترقبون هجومه بين آونةٍ وأخرى ، وقد أصيب السلطان بجراحٍ قاتلة مات على إثرها بعدن .

جلاء الأتراك الأخير :

وبينما كان سعيد باشا يُعِدُّ العدة لمهاجمة (عدن) إذْ جاءه الخبر بعقد اتفاقية ڤيرسيلز « Versailles » بفرنسا سنة ١٩١٩ م بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين تركيا وألمانيا من جهة أخرى ، وكانت الإتفاقية تنصُّ على تخلى تركيا عن مناطقها فى آسيا وأفريقيا ، وبموجب هذه الإتفاقية أبرق حاكم (عدن) الجنرال ستيورات إلى الوالى التركى محمود نديم — وكان بصنعاء — يطلب منه تطبيق هذه المعاهدة ، ثم تلى ذلك صدور الأوامر من الإستانة بمغادرة القوات التركية إلى بلادها بطريق (عدن) ، وانتهى بذلك عصر الإحتلال التركى وتخلصت اليمن من عناء دام حقبةً من الدهر .

إجلاء الأدارسة من تهامة :

لم يكن الجنوب اليمنى حينذاك هو المنطقة الوحيدة الواقعة تحت الإحتلال البريطانى فحسب ، بل كانت الحديدة أيضاً مع بعض المناطق المتصلة بمدينة باجل واللحية والصّليف ، فقد استمرت تحت وطأة الأدارسة كمقاطعة تابعة للمحميات بموجب المعاهدة المتفق عليها مع الإدريسى كما أسلفنا ، وكانت دولتهم حينذاك قد تفككت بعد موت السيد محمد بن على الإدريس ، فقسم تحت وطأة ولده على بن محمد وقسم تحت وطأة أخيه الحسن بن على ، بعد أن دبّ بين الأسرة داء الفرقة والاختلاف ، وكان بقاء هذه المناطق تحت سيطرة الأدارسة المربوطين بمعاهدة (حماية) مع الإنكليز كسياج يحول بين اليمن وبين مرافقه البحرية وفيها ميناؤه الأكبر (الحديدة) الذى تقوم عليه حياة اليمن التجارية والاقتصادية ، مما جعل الحكومة اليمنية تعدّ العدة لأسترجاع هذه الثغور مهما كلّف الأمر ومهما كان الثمن .

وكان لليمن قوات ترابط فى سفوح تهامة من باجل إلى حجور ، وقد زحفت هذه القوات إثر إعطائها الأوامر فى سنة ١٣٤٣ هـ على جميع تلك المناطق واحتلتها فجأةً ، وفرّ الأدارسة إلى صبيا ؛ ولم تقف القوات عند هذا الحد بل زحفت إلى الشمال لأحتلال (عسير) وتم لها احتلال بعض المواقع فى الجنوب كصامدة وأبى عريش ، مما اضطر السيد الحسن بن على الإدريسى إلى اللجوء إلى الملك عبد العزيز — وكان على إثر استيلائه على الحجاز — ، واتفق معه على توقيع معاهدة (مكة) ، فى ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦) ، وتتضمن دخول إمارة الأدارسة فى صبيا وأبى عريش تحت الحماية السعودية ، وقد أرسل عبد العزيز نسخةً من هذه المعاهدة إلى الإمام يحيى

للتصديق عليها ، فأجابه ببرقية تتضمن الموافقه[1] وفيما يلي نص المعاهدة حرفياً :

« رغبةً في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للرابطة بين أمراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن على الإدريسى على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام الحسن بن على الإدريسى بأن الحدود القديمة الموضّحة فى اتفاقية ١٠ صفر عام ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن على الإدريسى والتى كانت خاضعةً للأدارسة فى ذلك التاريخ ، هى تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لإمام عسير أن يدخل فى مفاوضات سياسية مع أى حكومة ، وكذا لا يجوز أن يمنح أى امتياز اقتصادى إلاّ بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب وإبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

---

(١) يستشف من مخابرات الإمام يحيى التى دارت بينه وبين عبد العزيز وبين وفوده التى وصلت إلى صنعاء فى أزمان متفرقة أن الإمام كان غير راض فى قرارة نفسه بانضمام (عسير) إلى المملكة العربية السعودية ، بصفتها — كما يعلم وكما يعلم كل يمنى — تابعة لأمها اليمن منذ أعماق أعماق التاريخ ، وأنه ندم على هذه الموافقة الارتجالية المدفوعة بدافع الاستخذاء والمجاملة لعبد العزيز والاستهانة بوطنه ، لأنه — كما سترى — ظل مصمماً على المطالبة بإعادة (عسير) إلى اليمن حتى سنة ١٣٥٤ هـ عند ما وقعت معاهدة (الطائف) الآتية الذكر إثر النزاع اليمنى السعودى تلك المعاهدة التى لم تلحق (عسير) وحدها بالأراضى السعودية فحسب ، بل ألحقت معها مقاطعة (نجران) اليمنية أيضاً ، نتيجة لموقف الإمام المتخبط وسياسته المزعزعة .

المادة الرابعة : لا يجوز لإمام عسير التنازل عن أى جزء من أراضى عسير المبّينة فى المادة الأولى .

المـادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحا كمية إمام عسير الحالى على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته ومَن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل الحلّ والعقد التابعين لإمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر فى شئون عشائرها من نصبٍ وعزلٍ وغير ذلك من الشئون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تـكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحـكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بدفع كل تعدٍّ داخلى أو خارجى يقع على أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى ، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تـكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المـادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية فى صورتين تحفظ كل صورةٍ لدى فريق من الحـكومتين المتعاقدتين .

المـادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة (مكة) المـكرمة .

وقعت هـذه المعاهدة فى تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ م » .

إمام عسير	ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
الحسن بن على الادريسى	عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل السعود

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خادم الإسلام

أحمد الشريف السنوسى

(بدء الإحتلال السعودى لعسير ونجران)

خلّفت قضية الأدارسة المتقدم ذكرها بعض مشاكل بين بلدين حبيبين شقيقين هما (اليمن) و (شعب الحجاز ونجد) وتطورت هذه المشاكل أخيراً بسبب سوء تصرفات الحكام وجشعهم فى توسيع النفوذ إلى النزاع الحادّ بين الحكومتين ثم إلى الحرب ، وقد أسلفنا تفصيل التجاء الأدارسة بالسعودى ودخولهم تحت حمايته بموجب معاهدة (مكه) الزائفة الموقعة بينه وبين الإدريسى .

وقد رأى بعد ذلك أن الإمام يحيى لم تطب نفسه بهذه المعاهده ، فأخذ يبعث البعوث ويوالى إرسال الوفود إلى صنعاء طمعاً فى نيل رضاء الإمام واستمالته إلى الدخول فى مفاوضاتٍ لوضع حدود بين البلدين ، على أساس أن تكون مقاطعة (عسير) داخلةً ضمن الأراضى السعودية .

وكان أول وفد يصل (صنعاء) فى ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٥ ، ويتكون من تركى بن ماضى ، وسعيد بن مشيط ، وعبد الوهاب بن محمد ملحه .

ثم تبعه وفد آخر فى شهر جمادى الثانى سنة ١٣٤٦ ويتكون من تركى بن ماضى ومحمد بن دليم ، وقد رفض ممثل اليمن الدخول فى مفاوضات حول تخطيط الحدود مهما كانت مقاطعة (عسير) لم تدخل ضمن الأراضى اليمنية ، وأخيراً أجاب على الوفد بأنه سيُرسل وفد إلى الملك للتفاهم معه رأساً .

وفى شهر شعبان سنة ١٣٤٦ الموافق مايو سنة ١٩٢٨ بعث الإمام وفداً إلى (مكه) يتكون من قاسم بن حسين العزى ، ومحمد بن محمد بن يحيى زباره ، والشيخ عبد الله بن على منّاع للتفاهم حول قضية (عسير) وقضية الحجاج اليمانيين

الذين سبق أن هاجمهم أصحاب ابن سعود فى حادثة (تنومه) سنة ١٣٤٠[1] ، ولم يجد الوفد تجاوباً صادقاً فى الموضوع فعاد إلى صنعاء .

وظلت القضية مفتوحة لم يُبتّ فيها بشيء ، فى حين كانت المشاكل فى الحدود تتجدد ، وأهمها حادثة جبل (عَرْوْ) فى أطراف (عسير) ، فقد احتلت القوات اليمنية الجبل سنة ١٣٥٠ بعد أن طلبت القبيلة الإنضمام إلى أمها اليمن ، فأبرق ابن سعود إلى الإمام مستنكراً الحادث فأجاب عليه الإمام بأن الرعايا هم الذين طلبوا ذلك من ذات أنفسهم بقصد تعليمهم أمور الدين ، وطال الأخذ والردّ ثم انتهى بسكوت ابن سعود عن هـذه القضية ، ثم قامت حوادث أخرى أوجبت استئناف المخابرات بين الحاكمين واتفقا أخيراً على تعيين لجنةٍ من الطرفين لمعالجة المشاكل القائمة ، فأرسل الإمام فى نفس السنة القاضى عبد الله ابن أحمد العرشى ومعه الشيخ عبد الله بن على منّاع إلى مكة ، كما عين ابن سعود من جهته عبد الله بن محمد بن معمّر ، وفهد بن زُعير ، وعبد الوهاب بن محمد ملحه ومحمد بن دليم ، وبعد مزيدٍ من الاجتماعات توصل الأعضاء إلى عقد اتفاقية (مكه) ، وتشتمل على ثمان مواد من ضمنها المحافظة على الصداقة وحسن الجوار ، وتبادل

---

(١) قال الشيخ عبد الواسع الوسعى فى كتابه (تاريخ اليمن) فى حوادث سنة ١٣٤٠ مايلى :

« وفى هذه السنة وقعت الرزيه العظيمه والمحنه الفخيمه لحجاج اليمن حين دخولهم للحج فلما وصلوا إلى (تنومه) إعترضهم أصحاب الملك بن سعود فقتلوهم وهم آمنون وليس معهم سلاح ولا مستعدون لقتال ، وكان حجاج اليمن اللذين أتوا من هذه الطريق — طريق البر — ثلاثة آلاف رجل وأخذوا دوابهم وأمتعتهم ولم يسلم من هذا العدد إلا خمسة أشخاص فقط كانوا فى طرفى القافلة ، نجوا بأنفسهم هرباً » .

المجرمين السياسيين وعدم قبول الفارّين ؛ وليس فيها مايشير إلى تعيين الحدود بين البلدين .

ثورة الأدارسة ضد الحكم السعودى :

وفى سنة ١٣٥١ هـ قامت ثورة داخلية فى (عسير) ضد الحكومة السعودية يقودها الحزب الشريفى أو ما يسمى بـ (حزب الدَّباغين) وكانت جذور هذا الحزب قد امتدت إلى شمال الحجاز حيث قامت ثورة ابن رفاده ، وتزعم حركته فى الجنوب شخص يُدعى (محمد عبد الهادى رجب) ، وتمكن من استمالة الحسن ابن على الإدريسى إلى الدخول فى صفِّه بواسطة بعض المقربين منه كأخيه عبد الوهاب ، والأمين الشنقيطى ، ومكى بن يحيى زكرى وآخرين ، وكان الغرض من هذه الحركة هو فصل (عسير) وما يليها من الموانى عن الحكم السعودى ، وما إن علم المندوب السعودى فهد بن زعير — وكان يقيم بجيزان — حتى أبرق لابن سعود بما يرى ويسمع عن التحزبات فكان جوابه عليه أن يبعث الملحق السياسى وبعض أمراء الملحقات إلى (صبيا) للتفاهم مع الإدريسى ، ولكنهم ما كادوا يدخلونها حتى أمر الإدريسى باعتقالهم وإعلان الحركة وذلك فى ١ جمادى الأولى ، وبعدها توجه الإدريسى مع حشوده قاصداً (جيزان) للقبض على فهد بن زعير ولكن الأخير سبقه إلى تحصين المدينة بمساعدة جماعةٍ من الزرانيق كانوا قد لجؤا إلى (جيزان) إثر احتلال القوات اليمنية لتهامه ومعهم رئيسهم أحمد فتينى ، ثم إنّ القوات الإدريسية تمكنت من محاصرة (جيزان) واحتلالها بقيادة عبد الوهاب الإدريسى ومكّى بن يحيى زكرى ، الأمين الشنقيطى وهما من كبار مؤيدى الحركة الإدريسية ، ثم تبعهم فى اليوم الثانى دخول الحسن الإدريسى وبقى فهد بن زعير متحصناً فى قلعته ، وبعد ثلاثة أيام جاءت الإمدادات العسكرية السعودية من البر والبحر ، وواصلت مهاجمتها للإدريسى ومن معه حتى أرغمتهم على الإنسحاب إلى (صبيا) .

ووقعت بعد ذلك عدة معارك منها معركة (الحفائر) و (وسوادة) كان النصر فيها حليف القوات السعودية التى واصلت زحفها نحو (صبيا) مما اضطر الإدريسى للفرار منها إلى قرية (الضبيه) ومنها أخذ يستأنف مهاجمته لاستعادة (صبيا) حتى أحاط بها وتمكن من دخولها فى ٢٣ جمادى الأولى بعد فرار فهد ابن زعير وقومه عائدين إلى (جيزان) .

وبعد ذلك وجّه ابن سعود حملةً كبيرة من (عسير) بقيادة (عبد الوهاب ملحة) متجهةً إلى (صبيا) ولما علم الإدريسى بذلك رأى أنه لا طاقة له على المقاومة وأن الفرار خير وسيلةٍ لإنقاذ حياته ، واستقل سيارته فى الحال متّجهاً إلى (حرض) يرافقه أعوانه وأفراد أسرته .

واتصل الإدريسى بالإمام يحيى من حرض طالباً اعتباره لاجئاً سياسياً فأجاره الإمام ومن معه وأمر بإبقائهم فى (زهب حجر) بمقاطعة (حرض) .

أما ابن سعود فقد قام إثر فرار الإدريسى بإصدار بلاغ يتضمن إلغاء إمارتى صبيا وأبى عريش وضمّهما إلى المملكة السعودية ، كما أبرق إلى الإمام طالباً منه إعادة الأدارسة ، عملا بما نصَّت عليه بنود اتفاقية (مكة) ، فأجاب عليه الإمام بأنهم طلبوا منه الأمان على أرواحهم واستجاروا به ولم يكن له غرض فى ذلك غير تأمين حياتهم ثم المراجعة مع الحكومة السعودية فى شأنهم .

وفى ٢٨ جمادى الأولى بعث ابن سعود كتاباً إلى الإمام مع مبعوثٍ خاص يتضمن بعض المقترحات وأهمها عقد دفاعٍ مشترك بين الحكومتين يقوم على أساس المساندة والتعاضد وأشار فيه إلى ضرر تحديد الحدود بين البلدين ، فأجابه الإمام مبدياً رغبته فى ذلك ، ولكنه قال إن أمر تحديد الحدود على أساس دخول (عسير) ضمن الأراضى السعودية أمرٌ فى النفس منه شىء ، وطالبه بإعادة النظر مقترحاً تعيين وفدٍ من كلا الجانبين للتفاوض فى هذه الصّدد .

فما كان جواب ابن سعود إلّا أن أرسل وفده المؤلف من تركى بن ماضى، وأحمد السليمان، وخالد بن الوليد إلى صنعاء ماراً بطريق جيزان فميدى فالحديدة .

وفى هذه الآونة نشبت بعض الحوادث فى (نجران) فبعث نائبُ صعدة أحد رجاله إلى (نجران) لضبط المنطقة وإخماد الحوادث ، بصفتها إحدى المقاطعات اليمنية ؛ ولم يكد يصل الوفد السعودى إلى صنعاء فى ربيع أول سنة ١٣٥٢ ، حتى جاءته الأوامر من حكومته بإقامة احتجاج شديد اللهجة حول (نجران) بحُجّة أن المنطقة تابعة للأراضى السعودية .

واجتمع الوفدان بصنعاء فى ٧ ربيع أول سنة ١٣٥٢ ، ومثّل حكومة اليمن القاضى عبد الله بن حسين العمرى ، والقاضى عبد الكريم بن أحمد مطهر ، وبينما بدأ الوفد اليمنى يتلو مذكرته حول منطقة (عسير) إذْ أبدى الوفد السعودى تمسكه بمعاهدة (الطائف) المؤرخة شعبان سنة ١٣٥٠ ، كما طالب برفع القوات اليمنية من (نجران) أيضاً ، زاعماً أنها ضمن المملكة السعودية ، فكان ردّ الوفد اليمنى عن معاهدة (الطائف) أنها لم تكن معاهدة شرعية صحيحة ، لأنّه لم يوقّع عليها من قبل الحكومة اليمنية التى لا تزال تطالب بإعادة (عسير) ، بصفتها جزء من اليمن الأم ، كما أبدى استنكاره الشديد حول ادّعاء الوفد السعودى لنجران ، وصرّح بعدم استعداده للدخول فى أيّة مفاوضة أو اتفاق حول تحديد الحدود إلّا على أساس شمول اليمن لجميع أراضيه ، وبهذا فشلت المحادثة وعاد الوفد إلى (مكة) غاضباً .

حرب نجران :

ما كاد ابن سعود يسمع خبر وصول الجنود اليمنيين إلى (نجران) ثم عودة وفده من صنعاء خائباً حتى أمر بحشد قواته على طول الحدود السعودية اليمنية ، وألقى إلى ولده سعود أمر قيادتها ، وما إن بلغ الإمام يحيى أخبار هذا الحشد

حتى أبرق إليه يستفسره عن أسبابه ، فأجاب عليه بوجود بعض أمور تدعو إلى الريبة ، وطالب برفع القوات اليمنية عن (نجران) وتسليم الأدارسة ، وتعيين لجنة لتحديد الحدود ، واستمرت المخابرات بينهما ، وكانت آخر برقية من الإمام فيها المطالبة بإيقاف القوات السعودية عند حدودها قبل أن يحصل ما يصعب تلافيه ، وفى النهاية اتفقا على أن يجتمع وفد من الجانبين فى (أبها) لتسوية المشاكل المتعلقة بالنقاط الثلاث .

وتوجه وفد اليمن من (صنعاء) فى أواخر شوال سنة ١٣٥٢ برئاسة عبد الله الوزير ، حيث اجتمع بالوفد السعودى فى (أبها) ، وكان برئاسة فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية ، وعُقد أول مؤتمر فى ٢ ذى القعدة ، ثم تبعه عدة اجتماعات ، ولم يتوصل الطرفان إلى حلّ لتمسك كلٍّ منهما بمطالبه ، وفى آخر الحجة عاد الوفد إلى صنعاء .

عند ذلك عمد ابن سعود إلى اتخاذ أساليب أخرى لاحتلال (نجران) ، فأصدر أوامره إلى ولى عهده سعود بالزحف عليها وكان فيها قوات من الحرس اليمنى ، والتحم الجيشان ودارت بها معركة عنيفة ، كما دارت معارك أخرى فى جهة (باقم) و(باب الحديد) بجُماعة كانت الغلبة فيها للقوات اليمنية ، ومن أهمها معركة (شيحاط) قرب (باقم) قتل فيها عدد كبير من رجال الجيش السعودى ، ثم انقضّت القوات اليمنية على مخيمات الجيش السعودى فانتهبتها وأنزلت برجالها هزيمةً كبرى .

أمّا فى جهة (حرض) فكانت لابن سعود قوات ترابط فى الحدود بقيادة أحمد الشويعر ، ثم عززها بقواتٍ أخرى بقيادة ابنه فيصل ، وبعد تجمع هذه القوات قامت بمهاجمة مركز (حرض) ليلًا ودخلته على غرّةٍ من عاملها السيانى الذى صمد فى قلعته أمام القوات السعودية الكثيفة ، وبقى مع عددٍ قليلٍ من أصحابه مسيطراً على القلعة إثنى عشر يوماً حتى نفد ما عنده من زادٍ وعتاد ، وبعدها غادر القلعة متسللًا إلى الجبال . وبعد سيطرة القوات السعودية على (حرض) أخذت توالى زحفها على(ميدى) ولم يشعر عاملها القاضى عبد الله العرشى

إلّا باحتلال الجيش السعودى لـ (المخازن) ، وهى قرية بالقرب من (ميدى) وحاول الاتصال بأحد المراكز الأخرى ، ولكن القوات السعودية سبقته إلى قطع خطوط التلغراف ، كما حاول عبثاً المقاومة إلا أن تدفق الجيش السعودى المزود بالمدافع الثقيلة جعله يفكر ثانيةً فى الحالة ، وأخيراً رأى أن الفرار أنجع وسيلةٍ لإنقاذ حياته ، فسارع إلى ذلك مع أصحابه ، سالكين طريق الساحل المؤدية إلى الحديدة ولكن المصفحات العسكرية السعودية تمكنت من اللحاق بهم ثم أسرهم بعد معركةٍ دامت حوالى ثلاث ساعات فى الصحراء ؛ وقد أرسلوا بعد ذلك إلى (جيزان) وسجنوا بها حتى أبرمت معاهدة الطائف الآتى ذكرها .

الاحتلال السعودى للحديدة :

ثم أخذت القوات السعودية تتجه نحو (الحديدة) ، وساعدها على ذلك السيد هادى هيج زعيم قبيلة (الواعظات) ، وأحمد فتينى زعيم قبيلة (الزرانيق) ، وإبراهيم السبهان زعيم (الضِّحِى) حيث انضم هؤلاء مع قبائلهم إلى الجيش السعودى الذى تمكن من احتلال (الحديدة) بعد أن عززتها قوات من البحر. وقد أصدرت وزارة الخارجية السعودية عدة بيانات عن هـذا الانتصار (العدوانى) ، ثم نشرتها بعد ذلك فى كتابٍ سمته (الكتاب الأخضر) .

وقد قامت الحكومة السعودية بعد ذلك بإرسال وزير المالية عبد الله السليمان وبعض الموظفين للقيام بتنظيم شؤون مالية الحديدة ودوائرها .

أما حركة المقاومة من جانب القوات اليمنية فإنها شُلت تماماً بسبب ما نجم من خلافٍ بين الإمام يحيى وبين ابنه أحمد الذى كان حينذاك كقائدٍ للجبهة بصعدة ، وأدّى هذا الخلاف إلى توقف القوات اليمنية عن الدفاع ، لا فى المنطقة الشمالية فحسب ، بل وفى المنطقة الغربية التى كانت قد سقطت فعلًا فى أيدى القوات السعودية بعد احتلالها لأهم مركزٍ فيها وهو (الحديدة) .

وجاء أن الإمام يحيى قد اكتفى بإرسال برقيةٍ إلى المجلس الإسلامى الأعلى المنعقد حينذاك فى « فلسطين » ، طالباً إرسال وفدٍ للقيام بما يجبر الصدع ويزيل

الخلاف ـ على حد قول الإمام ـ وقد بادر المجلس إلى إرسال وفدٍ يتألف من أربعة أشخاص كالتالى :

١ — الحاج أمين الحسينى عن (فلسطين) .

٢ — هاشم الأتاسى عن (سوريا) .

٣ — محمد على علوبة عن (مصر) .

٤ — شكيب أرسلان عن (لبنان) .

وغادر الوفد القاهرة فى يوم ١٠ أبريل سنة ١٩٣٤ عن طريق قناة السويس لجدة ، ثم الطائف .

كما بعث الإمام يحيى من جهته عبد الله بن أحمد الوزير إلى الطائف فى ١٩ أبريل للمفاوضة مع وفد السعودية برئاسة خالد بن عبد العزيز ، وتوصل الفريقان ـ دون تخويل لهم من الشعب اليمنى ـ إلى عقد المعاهدة المخزية الموسومة بمعاهدة « الطائف » .

والمعاهدة فى حد ذاتها مجرد تضليل للرأى العام وإضفاء صبغةٍ شكلية على ادعاءات هزيلة ومزاعم أوهى من بيت العنكبوت ، ليس القصد من ورائها غير توسيع دائرة النفوذ السعودى ، وإضافة الألقاب والشعارات الزائفة على حساب تمزيق وحدة الوطن الواحد وامتهان كرامته واستقلاله .

وقد أوردنا هذه المعاهدة بنصّها الحرفى ليكون المطلع على علمٍ تام بمحتوياتها ونصوصها المفروضة تحت تأثير الضغط والقرصنة السعودية ، مستغلة فى ذلك موقف الرجعية السلبى فى اليمن وتسامح حكامها الذين كانوا لا يهتمون بحقٍّ من حقوق البلاد إلا بمقدار ما يكفل لهم الاستمرار على عرش الحكم وطول البقاء ، بالإضافة إلى ما ارتكبوه مع عمالهم من ظلم واستغلال وبثٍّ للروح الطائفيّة والمذهبية والطبقية ... ونحو ذلك مما كان مدعاةً للسخط والتبرم ، الأمر الذى جعل الأهالى ـ ولاسيما أهل الأطراف منهم ـ يفضّلون الانضواء إلى أىّ بلد مجاور مهما كان ذلك سيكفل لهم حريةً أكثر وحياةً أفضل وصونًا فى الأموال والأعراض .

(معاهدة الطائف)

« حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية من جهة ، وحضرة صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود من جهة أخرى .

رغبةً منهما فى إنهاء الحرب التى كانت قائمةً لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ، ورغبةً فى جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها ، ونظراً لضرورة تأسيس علاقاتٍ وديّة ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة ، وحبًّا فى تثبيت الحدود بين بلديهما ، وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلديهما وشعبيهما ، ورغبةً فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمّات المفاجئة ، وبنياناً متراصًّا للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية ، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما ، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما : عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوزراء .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة اليمنية حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير .

وقد منح جلالة الملكين مندوبيهما الآنفَى الذكر ، الصلاحيّة التامّة والتفويض المطلق ، وبعد أن اطّلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التى بيد كل منهما فوجداها موافقةً للأصول ، قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

المادة (١) : تنتهى حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة ، وتنشأ بين جلالة الملكين وبلديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربيــة دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعاً أو بعضها ، ويتعهد الفريقان المتعاقدان بأن يَحُلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التى قد تقع بينهما ، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامى العربى فى سائر المواقف والحالات ، ويُشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة فى الوفاق والاتفاق سرًّا وعلناً ، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما، وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التى فيها رضاء الخالق وعزّ قومهما ودينها .

المادة (٢) : يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كلٍّ من المملكتين استقلالًا تاماً مطلقاً وبملكيته عليها ؛ فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ملك المملكة اليمنية المتوكلية لحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية ، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ملك المملكة المتوكلية اليمنية ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة المتوكلية اليمنية استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على المملكة المتوكلية اليمنية ، ويُسقط كل منهما أىّ حق يدعيه فى قسم أو أقسام من بلاد الأخر خارج الحدود اليمنية فى صلب هذه المعاهدة ، وإن جلالة الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أىّ حقٍّ يدعيه من ضمانة حمايةٍ أو احتلال أو غيرهما فى البلاد التى هى بموجب هــــذه المعاهدة

تابعةٌ لليمن من البلاد التى بيد الأدارسة وغيرها ، كما أن جلالة الإمام يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أىّ حق يدعيه باسم الوحده اليمنية أو غيرها فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعةٌ للمملكة العربية السعودية من البلاد التى كانت بإسم الأدارسة وآل عايض أو فى (نجران) و بلاد (يام) .

المادة (٣) يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التى تكون بها الصِّلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيّهما ، على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريقٍ ثالث ، ولا يوجب هذا على أىٍّ الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

المادة (٤) : خط الحدود الذى يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافى فيما يلى ، ويعتبر هذا الحد حدّاً فاصلاً بين البلاد التى تخضع لكل منهما :

يبدأ خط الحدود بين المملكتين إعتباراً من النقطة الفاصلة بين (ميدى) و (الموسَّم) على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة فى الجهة الشرقية ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية التى بين بنى (جماعة) ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهى إلى ما بين (نقطة) و (وعار) التابعتين لقبيلة وائله وبين حدود (يام (، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق (مروان) وعقبه (رفاده) ، ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهى من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا (يام) من (همدان) بن زيد ووائلى وغيره وبين (يام) ، فكلما بُعد عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر إلى منتهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمنية ، وكلما هو عن يسار الخط المذكور

فهو من المملكة العربية السعودية ، فما هو من جهة اليمين المذكورة فهو (ميدى) و (حرض) وبعض قبيلة (الحارث) و (الميد) وجبال (الظاهر) و (شدا) و (الضيعة) وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال (رازح) و (مينا) مع (عرو آل الشيخ) وجميع بلاد وجبالى (بنى جماعة) و (سحار الشام) وما يليها ومحل (مريضه) من (سحار الشام) وعموم (سحار) و (نقعة) و (وعار) وعموم (وائله) وكذا (الفرع) مع (عقبة نهوقة) وعموم من عدا (يام) و (وادعه طهران) من (همدان) بن زيد ، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو مبين الجهات المذكوره وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً إرتباطاً فعليًّا أو تحت ثبوت المملكة اليمنية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك ، هو فى جهة اليمين فهو من المملكة اليمنية ، وما هو من جهة اليسار وهو (الموسَّم) و (وعلات) وأكثر (الحارث) و الخوبه) و (الجابرى) وأكثر العبادل وجميع (فيفا) و (بنى مالك) و (بنى حريص) و (آل تليد) و (قحطان) و (ظهران وادعة) وجميع (وادعة ظهران) مع مضيق (مروان) وعقبة (رفادة) وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من (يام) و (نجران) و(الحصن) و (زوردادعه) وسائر من هو من (نجران) ومن (وائله) وكلما هو تحت عقبة (نهوقه) إلى أطراف (نجران) و (يام) من جهة الشرق ، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو مبين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر أسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت المملكة اليمنية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك من جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، وماذكر من (يام) و (نجران) و (الحصن) و (زوروادعه) وسائر من هو فى (نجران) من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز فى (يام) والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية ، وحيث أن

(الحصن) و (زوروادعه) وهو من (وائله) في (نجران) هم من (وائله) ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم (وائلة) من التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به ، ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا (يام) من (همدان بن زيد) وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمنية كل الأطراف والبلاد اليمنية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات ، والمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها في جميع الجهات وكلما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة ، وكثيراً ما يميل لتداخلٍ مّا إلى كلٍّ من المملكتين . أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عددٍ متساوٍ من الفريقين بصورة وديّة أخوية بدون حيف بحسب العرف والعبادة الثابتة عند القبائل .

المادة (٥) : نظراً لرغبة كلٍّ من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصَّن في مسافة خمسة كيلو مترات في كلّ جانب من جانبي الحدود في كل المواقع على طول خط الحدود .

المادة (٦) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعةً للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند من كلّ ضرر .

المادة (٧) : يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالى مملكته من كل ضرر وعدوان على أهالى المملكة الأخرى فى كل جهةٍ وطريق ، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادى من الطرفين ، ويرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعى من بعد إبرام هذه المعاهدة ، وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من خيانة قتلٍ أو جرحٍ ، وبالعقوبة الحاسمة على مَن ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر .

المادة (٨) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما كلما يمكن لإزالة ما ينشأ بينهما من الإختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ما نشأ عن أى سببٍ آخر بالمراجعات الودية ، وفى حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذى ستوضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة ، ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ الذى لهذه المعاهدة ، ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها .

المادة (٩) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية إستعمال بلاده قاعدةً ومركزاً لأىّ عمل عدوانى أو شروعٍ فيه أو استعدادٍ له ضد الفريق الآخر ، كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلبٍ خطىٍّ من حكومة الفريق الآخر وهى :

١ — إنْ كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير ، فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذى يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله .

٢ — وإنْ كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة إتخاذ

التدابير فإنه يلقى عليه القبض فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة ، وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفى الأحوال التى يتمكن فيها الشخص المطلوب فى الفرار فإن الحكومة التى فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرةً أخرى ، وإن تمكن من العودة إليها يلقى عليه القبض ويسلم إلى حكومته .

٣ — وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتى يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقّيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعدِّه شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع العودة إليها فى المستقبل .

المادة (١٠) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته ، كبيراً كان أو صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعّاله من إداريةٍ وعسكريةٍ وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده فإن تمكن أحدهم أو كلهم من إجتياز خط الحدود بالدخول فى أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها ، وفى حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التى يتبعها .

المادة (١١) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والموظفين والعمال التابعين له من المداخلة بأى وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدبير التى تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة .

المادة : (١٢) يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهةٍ من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعيةَ لذلك الفريق ، ويتعهد كل منهما بعدم قبول أى شخص أو أشخاص رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين فى بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية .

المادة (١٣) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين إعلان العفو الشامل الكامل عن كافة الإجرام والأعمال العدائية التى يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين فى بلاده (أى فى بلاد الفريق الذى صدر منه إصدار العفو) ، كما أنّه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأى شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوه منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودتهم كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح بإجراء أى نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الإلتجاء أو الإنحياز أو الشكل الذى انضموا بموجبه ، وإذا حصل ريب عند أى الفريقين بوقوع شىء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل إحتجاج المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر كامل الصلاحية وإطلاع على تلك النواحى ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أى حيف ولا نزاع ، وما يقرر المندبان يكون نافذاً .

المادة (١٤) : يتعهد كل الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم ، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز

أى شئ من الحقوق أو الأملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده ولا يعرقل استثمارها بأى نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها .

المادة (١٥) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم جماعة أم هيئة أم حكومة والاتفاق معه على أى أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر بمصلحة بلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض مناعتها ومصالحها وكيانها للأخطار .

المادة (١٦) : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتيهما أمة واحده وأنهما لا يريدان بأحدٍ شراً وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتيهما فى ظل الطمأنينة والسكون ، وأن يبذلا وسعهما فى سائر المواقف لما فيه خير بلديهما وامتيهما غير قاصدين بهذا أى عدوان على أية أمة .

المادة (١٧) : فى حالة حصول إعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

١ — الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

٢ — المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

٣ — الشروع فى المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجح الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف فى موقفٍ لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدى الخارجى .

المادة (١٨) : فى حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتى :

١ — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الإستفادة من أراضيه .

٢ — منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا كما هو موضح فى المادة ٩ و ١٠ أعلاه .

٣ — منع رعاياه من الإشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

٤ — منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين والثائرين .

المادة (١٩) : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الإتصال بين بلديهما وتسهيل تبادل السلع ، الحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وفى إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد إتفاق جمركى يصون مصالح بلديهما الإقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلدين أو بنظام خاص بصورة كاملة لصالح الطرفين ؛ وليس فى هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين السياسيين المتعاقدين فى شىء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه .

المادة (٢٠) : يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندبيه فى الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أى شىء وفى أى وقت ، والمفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل من الفريقين فى مكان واحد فأنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلدين التى هى كلمة واحدة ، والمفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأى صورةٍ كانت بأى حق له .

كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

المادة (٢١) : يلغى ما تضمنته الإتفاقية الموقع عليها فى ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ على كل حال تمهيداً من تاريخ إبرام هذه المعاهده :

المادة (٢٢) : تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل وثائق إبرامها ، مع استثناء مانُص عليه فى المادة الأولى بإنها حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة أشهر التى تسبق تاريخ انتها مفعولها فإن لم تجدد أو تعدل فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته فى التعديل .

المادة (٢٣) : تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة (الطائف) ، وقد حررت من نسختين باللغة العربية . الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة .

وإشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه ، وكتب فى مدينة جدّة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ١٣٥٣ هـ » .

(ويتبع هذه المعاهدة عهد التحكيم بين المملكتين)

ويتعلق بالمادة الثامنة فى هذه المعاهدة ونصه كما يلى :

« بما أن حضرة صاحبى الجلالة الإمامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والإمام يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة (الطائف) والموقع عليها فى السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم فى أى نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودّية عن حلّه ، فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة فى المواد الآتية .

المادة (١) : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبلا بإحالة

القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه .

المـادة (٢) : يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من المحـكّمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكَم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين ، وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين المرشح الذى يقدمه الفريق الآخرى فيصبح وازعاً وإن لم يكن الإتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم أن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين وتجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الإتفاق على ذلك .

المادة (٣) : يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم بقبوله لطرف الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحـكمين فى المـكان الذى يتم الإتفاق عليه فى مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة ، وعلى هيئة المحـكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للإجتماع كما هو مبين أعلاه . ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحـكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صـدوره وتبليغه ، ولـكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

المادة (٤) : أجور محكمى كل فريق عليه وأجور رئيس التحكيم مناصفةً بينهما ، وكذلك الحـكم فى نفقات التحكيم الأخرى .

المادة (٥) : يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة (الطائف) الموقع عليها فى

مثل هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلثمائة والألف ، ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة ، وإقراراً بذلك جرى توقيعه فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلثمائة والألف » .

وبهذه المعاهدة وعهد التحكيم انتهى النزاع بين اليمن والسعودية ، وجرى إخلاء منطقة (نجران) من القوات اليمنية إلى وراء الخطوط المبينة فى المعاهدة ، كما أخلت السعودية منطقة تهامة ، ثم كان تسليم الأدارسة إلى السلطات السعودية حيث تم نقلهم إلى (مكة) .

ولقد كان لهذا التصرف من قبَل الإمام أثره السيء فى قلب كل يمنى يعز عليه فقدان شبر واحد من أرض الوطن فبالأولى سلخ مقاطعتين هما من أهم المقاطعات اليمنية التى عاشت زماناً طويلاً ضمن الوطن الأم مشاركةً له أفراحه وأتراحه على مرّ السنين ، وهذه هى ثانى غلطة ارتكبها الإمام يحيى فى حق الوطن بعد معاهدة سنة ١٩٣٤ مع بريطانيا كما سيأتى بعد فى بابه إنشاء الله .

الفصل الحادى عشر

(اليمن بعد جلاء الأتراك)

فى المجال الإدارى والاقتصادى :

قام الإمام يحيى بعد جلاء الأتراك الأخير سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) بوضع أسس جديدة لحكومته فى (صنعاء) التى كان قد انتقل إليها إثر توقيع اتفاقية (دعّان) كما تقدم ، وأعلن حكومته بـ (المملكة المتوكلية) ، كما بدأ — مستعيناً ببعض الأخصّائيين االأتراك الذين اختاروا لأنفسهم البقاء فى اليمن — فى وضع نظام للماليات وجباية الواجبات بما يتمشى مع الطريقة الشرعية ، وتشكيل جيش نظامى سمّاه الجيش (المتوكلى) ، وإنشاء مدرسة حربية تضم نخبة من شباب اليمن ، وفتح مدرسة (دار العلوم) بصنعاء ، وكانت المصدر الوحيد فى تخرج رجال الدولة والحكام المرشدين ، وتشكيل ديوان له برئاسة القاضى عبد الله بن حسين العمرى ، وآخر للمحاسبة برئاسة الشيخ على عثمان .

أما فى الميدان الأقتصادى والثقافى فكانت هناك عدة برامج تقدم بها بعض الإخصائيين وتهدف إلى إنعاش البلاد جوهرياً كفتح المصانع وإنشاء المدارس وإرسال البعثات وتعبيد الطرقات وغيرها ، وقد وافق عليها الإمام مجاملاً وبدأ بإرسال بعثتين لدراسة الطيران والطب بإيطاليا ، وبعثتين أخريين إحداهماعسكرية والأخرى ثقافية بالعراق ، كما أمر باستجلاب بعض الفنيين والزراعيين والصناعيين من (مصر) و (سوريا) و (ألمانيا) . وهكذا بدأت الأحوال تتحسن فى اليمن كما أصبحت البوادر تبشر بخير ، ولكن — ومع مزيد الأسف — سرعان ما تلاشى ذلك السراب وتحطمت تلك الآمال بتراجع الإمام عن تلك الخطوات وتنكبه عن منهاج التقدم والإصلاح الذى كان

ينتظره الشعب اليمني ، هذا الشعب الذي بذل الغالي والنفيس في سبيل سيادته واستقلاله من الاحتلال التركي كي يتيح لنفسه الحياة الفاضلة ، وإذا به يدخل في إطار أبشع من الانعزالية والتخلف والركود .

وكان من أهم الأسباب التي دفعت الإمام يحيي إلى ذلك إيمانه العميق بأن دوام حكمه مرهون ببقاء البلاد على وضعها الأصلي ، وقد حمله ذلك على التنكر لبعض أصحابه من أهل الرأي وعدم قبول نصحهم في وضع نظام دستوري عادل يكفل للبلاد أمنها ونظامها ، ثم ركونه إلى حفنةٍ من النفعيين والطامعين الذين عملوا على إفساد الأمور وتحويل وجهة السير ، وحصروا تفكيرهم في مخططاتٍ شخصية تتركز على الاستغلال والانتهازية والتنافس في الثراء وجمع المال بكافة الطرق وبشتى الأساليب .

هذه هي سياسة الإمام يحيي التي ضاعفت من عوامل التخلف الاجتماعي والصحي والثقافي ، وساقت البلاد إلى النهاية التي يحتمها كل حكم فردي يستمد سلطته من وحي نفسه ومن رسالة إرادته ، ألا وهي الفقر وانتشار الفوضى والبطالة التي أدَّت أحياناً إلى إيجاد جوٍ من الصراع الطبقي والطائفي والعقائدي ، ونسيان المثل العليا والأخلاق القومية الهادفة إلى خير الأمة وصالح المجتمع .

في المجال السياسي :

أما في المجال السياسي فقد رأى الإمام يحيي أن أحسن خطةٍ تكفل له النفوذ المطلق ولحكمه الاطراد والبقاء هو إعلان الحياد كوسيلةٍ أولى لعزل البلاد وإقفالها في وجوه الأجانب إقفالاً محكماً حتى من السواح والمستشرقين ورواد الآثار والرحالة العرب .

وكان والى إريتريا السنيور الإيطالي قاسبريني أول شخصٍ أجنبي يستطيع التأثير على الإمام ويتمكن من إقناعه في عقد معاهدة صداقة وتجارة مع

الحكومة الإيطالية ، وقد وصل إلى صنعاء فى شهر صفر سنة ١٣٤٥ هـ (أغسطس سنة ١٩٢٦ م) حاملاً الكثير من التحف والهدايا ، أوفدت إيطاليا بموجب هذه الإتفاقية عدداً من الأطباء والمهندسين ومعهم بعض المعدات الزراعية والآلات الطبية ، وبعدها وجهت حكومة إيطاليا دعوةً للأمير محمد بن الإمام يحيى لزيارة إيطاليا ، وقد زارها مع وفد يمنى يتكون من عبد الله بن إبراهيم وعلى بن حسين العمرى ومحمد راغب بك وعباس بن على بن إسحٰق .

وفيما يلى نص المعاهدة وقد نشرتها جريدة (الإيمان) التى كانت تصدر فى (صنعاء) فى أول أعدادها يوم الخميس ٢٤ صفر سنة ١٣٤٥ هـ (٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م) .

المادة الأولى : تعترف حكومة جلالة ملك إيطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الإمام يحيى الاستقلال الكامل المطلق ، ومع هذا فلا تتدخل حكومة إيطاليا المشار إليها فى مملكة جلالة ملك اليمن الإمام بأى أمر من الأمور .

المادة الثانية : تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل التجارى بين بلديهما .

المادة الثالثة : حكومة صاحب الجلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب فى استجلاب طلباتها من إيطاليا وذلك فى الأشياء والآلات الفنية التى تساعد على جلب الفائدة فى نمو الاقتصاد باليمن ونفعه وكذلك الأشخاص والفنيين ، والحكومة الإيطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير إرسال الأشخاص والآلات الفنية والأشياء بأنسب وجه فى الأنواع والأثمان والرواتب .

المادة الرابعة : ما ذكر فى المادتين ٢ و ٣ لا يمنع حرية الطرفين فى التجارة والمطلوبات .

المادة الخامسة : ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب أو يتجر فى شىء مما

تمنعه إحدى الدولتين فى بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب إلى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار .

المادة السادسة : هذه المعاهدة لا يكون معمولًا بها إلا بعد أن تصل إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيي مصدقةً من جلالة ملك إيطاليا .

المادة السابعة : تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولًا بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما فى المادة السادسة ، وقبل انقضاء هذه المعاهدة بستة أشهر إذا أراد الطرفان تعديلها بغيرها أو تجديدها كانت المذاكرة بذلك .

المادة الثامنة : ولما حرر فى المواد لجلالة ملك اليمن الإمام يحيي وسعادة الكوالير قاسبرينى بالوكالة عن جلالة ملك إيطاليا قد أمضيا على هذه المعاهدة المحررة من نسختين متطابقتين باللغة العربية والإيطالية ، ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الإيطالية معرفةً تامة لدى جلالة الإمام باليمن ، ولأن المفاوضة التى تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية ، ولأن سعادة الكوالير قاسبرينى قد تأكد تماماً أن النص العربى هو مطابق للنص الإيطالى تماماً ، لذلك اتفقا بأنه إذا نشأت شكوك أو خلاف فى تفسير النصّين فالطرفان يعتمدان النص العربى وتفسيره بأصول اللغة العربية[1] واعتبار هذا شرطاً ، وحرر بصنعاء يوم الخميس ٢٤ صفر سنة ١٣٤٥ ﻫ (٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م) .

---

(١) جددت هذه المعاهدة فى ١٨ جمادى الثانى سنة ١٣٥٦ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ بعد وصول قاسبرينى لهذا الصدد من روما ، وكان قد نقل إلى مجلس الشيوخ فى الحكومة الإيطالية بعد إحتلال بريطانيا للحبشة ، ووقع المعاهدة بالنيابة عن الإمام يحيي القاضى عبد الله بن حسين العمرى رئيس الوزراء وعلى بن أحمد بن إبراهيم أمير الجيش والقاضى عبد الكريم بن أحمد مطهر عضو ديوان الإمام .

وسوف نستعرض فيما يلى علاقات اليمن السياسية وأهم اتفاقياتها مع الدول العربية والأجنبية خلال الأربعين عاماً من حكم الإمام يحيى .

حلف بغداد العربى :

كانت ثانى خطوةٍ تخطوها حكومة الإمام يحيى فى المضمار الدولى هى توقيع اتفاقية صداقة مع الحكومة العراقية سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) فى صنعاء وقعها القاضى عبد الله بن حسين العمرى من قبل الحكومة المتوكلية اليمنية وطه الهاشمى من قبل الحكومة العراقية ، وتبع ذلك دخول اليمن فى معاهدة حلف بغداد العربى المنعقدة فى شهر محرم سنة ١٣٥٥ هـ (٢ إبريل سنة ١٩٣٦ م) إثر وصول وفد عراقى إلى صنعاء برئاسة جميل المدفعى وعضوية الحاج سعيد ثابت ومحمد مهدى كُبّة ، وهو ميثاق تحالف بين اليمن والسعودية والعراق .

وقد صدر في صنعاء بلاغ مشترك إثر التوقيع يتضمن عشر مواد تنص على ضرورة هذا الحلف تنفيذاً للأغراض المختصة بالروابط الإسلامية والتضامن العربى وحسم الخلافات العربية بطريقة التفاوض ، والتضامن الجماعى ، والتبادل الثقافى .

معاهدة سنة ١٩٣٤ مع بريطانيا الآتية الذكر .

وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ (١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧) عقدت معاهدة صداقة وتجارة بين اليمن والاتحاد السوفيتى فى (صنعاء) .

وفى ٢ يناير سنة ١٩٣٩ (١٣ رمضان سنة ١٣٥٨) اشتركت اليمن فى أول إجتماع لوفود الدول العربية فى القاهرة لبحث قضية فلسطين وكان وفدها برئاسة سيف الإسلام الحسين وعضوية حسين بن محمد الكبسى (١) والقاضى على بن حسين

---

(١) كان مندوباً لحكومة الإمام يحيى فى الخارج ، قد قام بعدة مهام سياسية فى المجال السياسى وكان إلى جانب حنكته السياسيه عالماً مبرزاً فى الفقة والمنطق =

العمرى والقاضى محمد راغب[1] والقاضى محمد بن عبد الله الشامى ، كما حضر الوفد مؤتمر لندن المنعقد فى فبراير من هذه السنة لبحث قضية فلسطين بالاشتراك مع وفود الدول العربية .

وفى نفس السنة كانت اليمن ضمن الدول العربية التى اشتركت فى المباحثات الدائرة المستديرة بالقاهرة حول إنشاء الوحدة العربية ، وأوفد الإمام يحيى حسين ابن محمد الكبسى إلى مصر لنفس الغرض .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٥ (صفر سنة ١٣٦٥) انضمت اليمن إلى عضوية الجامعة العربية ومثّل اليمن فى دورتها الثانية على بن اسمعيل المؤيد والقاضى محمد ابن عبد الله العمرى .

وفى شهر يونيو سنة ١٩٤٦ (جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥) اشترك الوفد المذكور فى مؤتمر (بلودان) بسوريا لمعالجة قضية فلسطين .

وفى فبراير سنة ١٩٤٦ (ربيع أول سنة ١٣٦٥) عقدت معاهدة صداقة فى صنعاء بين اليمن والولايات المتحدة الأمريكية وكانت أول خطوة فى علاقات اليمن مع الولايات المتحدة .

وفى إبريل سنة ١٩٤٦ (جمادى أول سنة ١٣٦٥) عقدت الحكومة اليمنية معاهدة صداقة مع الحكومة المصرية فى القاهرة وتولى توقيعها من جانب اليمن سيف الإسلام عبد الله كما تولى توقيعها من الجانب المصرى الأستاذ لطفى السيد .

وفى يوليو سنة ١٩٤٧ (رجب سنة ١٣٦٧) أنشئت أول مفوضية يمنية

= وعلوم العربية ، وفى سنة ١٩٤٨ م أمر أحمد باعدامه لاشتراكه فى ثورة عبد الله الوزير .

(١) أحد رجال الأتراك الذين تأخروا باليمن بعد جلاء القوات التركية ، وقد اختاره الإمام يحيى كمستشار فى الشئون السياسية واستمر على ذلك حتى مات =

فى واشنطن تولى إنشاءها القاضى محمد بن عبد الله العمرى[1] .

وفى نفس الشهر انضمت اليمن إلى عضوية الأمم المتحدة .

= فى سنة ١٣٧٩هـ ، وكان قد قام بعدة مهام للدولة العثمانية فى السلك السياسى والإدارى حيث عين مستشاراً فى السفارة العثمانية لدى حكومة فرنسا ثم نقل إلى المانيا ، وأخيراً عين متصرفاً عاماً للعثمانيين بالحديدة وبقى بها إلى نهاية الإحتلال التركى لليمن .

(١) عينه الإمام يحيى عضواً للهيئة السياسية فى الخارج سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣م) إثر تخرجه من مدرسة دار العلوم بصنعاء ، وقد زار الكثير من البلدان العربية واوربا وأميركا فى أغراض سياسية .

وفى صفر سنة ١٣٦٥ هـ (نوفمبر سنة ١٩٤٥) كان أحد الوفدين اللذين مثلا اليمن فى حضور الدورة الثانية لجامعة الدول العربية فى مؤتمر بلودان لمعالجة قضية فلسطين الذى عقد فى نفس السنة .

وفى سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) تولى إنشاء أول مفوضيه يمنية بواشنطن بعد أن زار الولايات المتحدة رسميا ضمن الوفد اليمنى برئاسة الأمير عبد الله الذى حضر الأمم المتحدة إثر انضمام اليمن إلى عضويتها .

وفى صفر سنة ١٣٧٠ هـ (يونيو سنة ١٩٥٠) كان أحد وفدى اليمن اللذين حضرا مفاوضات الصداقة بين اليمن وبريطانيا فى لندن حسبما يأتى تفصيله فى الفصل الثانى عشر من هذا الكتاب .

وقد عاد بعد ذلك إلى اليمن حيث قام بأعمال وزارة الخارجية بالوكالة .

وفى سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) عين وزيراً للدولة . وبقى على منصبه الأخير حتى مات فى ١٨ صفر سنه ١٣٨٠ هـ (١١ أغسطس سنة ١٩٦٠ م) فى حادث سقوط الطائرة الروسية التى كان يقلها مع أعضاء الوفد الاقتصادى اليمنى إثر مغادرته موسكو فى طريقه إلى بكين لإجراء محادثات اقتصادية مع حكومة الصين الشعبية وكان يضم الوفد نخبة من رجال اليمن وهم : القاضى محمد بن أحمد الحجرى المؤرخ والنسابة اليمنى ورئيس ديوان المحاسبة سابقاً ، والدكتور عبد الرؤوف عبد الحميد خريج جامعة بلونيا فى الإقتصاد ، والشيخ أحمد حسين الوجيه ممثل اليمن التجارى فى الخارج ، وأحمد بن حسين الشامى أحد خريجى كلية الطيران بايطاليا

حوادث داخلية :

لم يحدث فى اليمن خلال حكم الإمام يحيي من الحوادث الداخلية مما يستوجب ذكره هنا غير خمس حوادث :

الأولى : تمرد قبائل المشرق سنة١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وقد جهز الإمام يحيي قوةً بقيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير لإخماد تمردهم وإرجاعهم إلى الطاعة .

الثانية : حركة الأدارسة وقد سبق الكلام عنها فيما تقدم .

الثالثة : تمرد قبيلة الزرانيق بتهامة سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وكان الإيطاليون الذين يسيطرون على إريتريا حينذاك قد ساعدوا رئيس قبيلة الزرانيق الشيخ أحمد فتينى على الثورة ومدّوه بالمال والسلاح ، فجهز الإمام جيشاً كبيراً بقيادة ولده أحمد لإخضاعهم ودامت الحرب قرابة سنتين دارت فيها معارك عنيفة من أشهرها معركة القوقر والطائف وضواحى بيت الفقيه ثم انتهت باستيلاء جيش الإمام على مناطق المتمردين وأهمها الجاح والقصره وبيت الفقيه كما تم القبض على رؤساء الزرانيق حيث أرسلوا إلى معتقل حجه وبقوا به حتى ماتوا ، ودخل من بقى تحت حكم الإمام .

الرابعة : حركة السيد محمد الدباغ بالبيضاء سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) ، وكانت بريطانيا قد مدته بالمال والسلاح تمهيداً لتوسيع دائرة نفوذها فى المناطق المجاورة للمحميات الغربية ، كما يطلق عليها الاستعمار ، وقد بعث الإمام من صنعاء قوة بقيادة الشريف عبد الله الضمين ، ولم تنشب بينها وبين قوات الدباغ غير معركتين أو ثلاث أسفرت عن استيلائها على قواعد الدباغ ومعداته بعد فراره وأتباعه إلى (عدن) .

الخامسة : أما الخامسة والأخيرة فهى ثورة ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٨ م) التى أطاحت بحكم الإمام يحيي حسبما يأتى بيانه فى الفصل القادم .

توسع الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن :

كانت معاهدة الصداقة التي عقدها الإمام يحيى مع الحكومة الايطالية بمثابة رد فعل لدى الحكومة البريطانية فى وقت كان الصراع الدولى حول مناطق النفوذ قائم على أشده بين دول الغرب وفى مقدمتها بريطانيا من جهة وبين ايطاليا الفاشستيه وحليفتها المانيا النازيه من جهةٍ أخرى ، وفى وقتٍ كانت بريطانيا تبذل قصارى جهدها فى تطبيق سياستها التوسعية فى المناطق التى تقع تحت اغتصابها ومن الجملة جنوب الجزيرة العربية التى يتركز عليها مستقبل ملاحتها وسوقها التجارية ، علاوةً على أهميتها من الناحية الاستراتيجية .

ولهذا فقد بادرت بريطانيا إثر توقيع الإتفاقية إلى ايفاد السيرجابرت كليتن — وهو موظف بوزارة المستعمرات — على رأس وفدٍ إلى صنعاء بغية التوصل إلى مفاوضاتٍ مع الإمام حول بعض المناطق فى الجنوب ولكنه عاد إلى لندن بعد خمسة وعشرين يوماً دون أن يصل إلى نتيجة .

والمعروف أن بريطانيا كانت قد أوفدت قبل هذا التاريخ أى فى سنة ١٣٤٠ ه (١٩٢١ م) وفداً برئاسة الكولونيل جيكب ومعه بعض الهدايا أملاً فى عقد اتفاقية صداقة مع الإمام .

أول عدوان على اليمن :

ولما رأت بريطانيا أنه لاجدوى من إرسال الوفود عمدت إلى وسيلةٍ أخرى علّها تنجح فى السيطره على كامل المنطقة وهى اتخاذ سياسة الارهاب والقرصنة ، مختبرةً بذلك أعصاب الإمام ، فاوعزت إلى والى عدن (كيت ستيورات) باثارة بعض القلاقل فى منطقة (الضالع) بالقرب من قعطبه بواسطة بعض الأذناب حيث قاموا بمهاجمة مبنى الحكومة با لضالع وحصل اطلاق النار بينهم وبين

حرس الحكومة ثم فروا إلى عدن معلنين التجاءهم بالحكومة البريطانية ، وعندما قامت السلطات البريطانية فى (عدن) بتوجيه انذاراتها ونثرها بالطائرات فى كثير من المناطق اليمنيه وتتضمن المطالبة بتخلية منطقة الضالع بصفتها – كما تقول – إحدى المناطق التى تشملها (الحماية) ، ثم اردفتها بانذارات أخرى فى ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ إلى الأهالى بمغادرة مدينة قعطبه وما جاورها لئلا يبقوا عرضةً للغارات الجوية التى سوف تشنها الطائرات البريطانية على مراكز القوات اليمنية :

وبعد يومين قام سرب من قاذفات القنابل بقصف مدينتى قعطبه والضالع ، كما قام سرب آخر بالقاء القنابل على كل من مدينة تعز واب وماوية ويريم وذمار ، وانزلت بالسكان الآمنين خسائر فادحة فى الأموال والأرواح ، ويعتبر هذا العدوان الوحشى بدء سلسلةٍ من الاعتداءات البريطانية على اليمن ، كما كان موضع إستنكار الرأى العالمى حتى فى بريطانيا نفسها ، إذْ لم يكن له أية مبرر غير الضغط على اليمن للدخول فى مفاوضات لا ترتضيها .

أما الإمام يحيى فإنه لم يكد يسمع بخبر العدوان حتى أمر على الفور باخلاء جميع المراكز العسكرية فى مدينة الضالع وما جوارها ، ومن هنا توقفت حركة المقاومة من قبل الحكومة المتوكلية عن المناطق التى ظل الاستعمار البريطانى يفصلها الواحدة تلو الأخرى عن الوطن الام تحت اسم (الحماية) .

ويقول الأب انستان الكرملى فى شرحه لبلوغ المرام للعرشى أن الإمام يحيى كان قد عرض على بريطانيا بصورة غير رسمية الدخول معها فى مفاوضات حول الجنوب مستدلاً بما نشره نزيه مؤيد العظم فى رحلته عن تقرير للقومندان البريطانى (كروفرد) رفعه إلى حكومته ، وكان قد وصل إلى صنعاء للتفاوض مع المسئولين حول إنشاء بعض العلاقات التجارية والذى نوهت باسمه جريدة (الايمان) فى عددها (٣١) شهر صفر سنة ١٣٤٦ .

وقد جاء فى هذا التقرير ما يلى :

« إننى فى (صنعاء) أسعى للحصول على اتفاقية تجارية مع الإمام يحيى ، وقد أجابنى أن مسئلتك سهله ويمكن الاتفاق عليها بصورة مرضية متى تمكّنا من حل القضية السياسية ؛ وبناء على ذلك أقدم هذا التقرير غير الرسمى متوسطاً فى حل هذه القضية » .

« قضيت فى (عدن) نحو خمسة عشر عاماً ، أى منذ سنة ١٩١٢ ومضى علىّ خلال هـذه المدة شهور طويلة ، لم أشاهد فيها رجلاً بريطانياً واحداً ، فمن البديهى إذاً أن يكون لى من الخبرة التامة بشئون (مقاطعة عدن المحمية) أكثر مما لأى رجل بريطانى حىّ لم تسمح له الصدف أن يأتى إلى هذه البلاد ويعيش فيها بعيداً عن البريطانيين ، وانني لااتقن العربية مع أنه من الضرورى لى أن أعرفها معرفةً جيده كى أتمكن من إتمام مقاصدى » .

« وإننى أعتقد بفائدة المقابلات الشخصية وأراها أفضل وسيلةٍ للتفاهم وها أنذا أجنى نتيجة مقابلتى الشخصية مع الإمام فى كتابة هذا التقرير وأنى أشعر أنه يختلف كثيراً عن التقارير السياسية الرسمية » .

« إن الفريقين الداخلين فى هذا التقرير هما :

١ — البريطانيون فى عدن وهم يمثلون الحكومة البريطانية .

٢ — عرب اليمن وبعض العرب فى (مقاطعة عدن المحمية) ويمثلهم إمام اليمن الذى ينتمى إلى أصل معروف منذ ألف سنة » .

« وقبل أن نبتّ فى النزاع القائم بين الفريقين يجدر بنا أن نعود إلى التاريخ ، فنرى أن البريطانيين شعب طموح يميل إلى التوسع فإذا وجدوا بقعةً من الأرض كثيرة الخيرات ، مالوا بكليتهم إلى الاستيلاء عليها منتحلين لأنفسهم

الأسباب الواهية ، لانتزاع ملكيتها من أصحابها الشرعيين ، وبديهى أن البريطانيين يدعون أنهم محقون فى أعمالهم ، وأنهم يحافظون على حقوقهم ، وهم أبداً مستعدون لأن يستعملوا جميع قواهم لتأييد حقوقهم الوهمية ، ولاشك أن سلوكهم القديم غير المرضى ، فى الصين ، والهند ، وافريقيا ، ومعظم المستعمرات العربية قد أدى فى الوقت الحاضر إلى الاضطرابات فى هذه البلاد ، وهذه الاضطرابات تدفعنى إلى بيان الحقائق عن البلاد العربية ، التى كثيراً ماينخدع المرء بظواهر الأمور منها ، إذ يخيل للباحث أن العرب لا يفقهون معنى الوطنية ، وأنهم يحاربون بعضهم بعضاً حرباً دائمة ، ولكن إذا أنعمنا النظر فى حقيقتهم ، نرى أن جميع العرب فى هذه الدنيا ، يميلون إلى غاية وطنية واحدة ، هى أن جزيرة العرب للعرب ، وهى فى نظرهم مقدسة كل التقديس» .

« وكانت (مقاطعة عدن المحمية) قديماً تابعة لبلاد اليمن ، ولم يعترف أحد من أئمة اليمن للترك بملكيتهم لها أو لعدن ، ولم تكن عدن من أملاك الحكومة التركية ، فتهبها لمن تشاء ، ولذلك كان الإمام ينتظر بفارغ الصبر إعادة المقاطعة الجنوبية له ، ولكنه لما خاب ظنه فى الحكومة البريطانية فى عام ١٩٢٠ إحتل بعض أجزاء المقاطعة ، وظن أنه سينال مطالبه بصورة عادلة ، ولما جاءته بعثة كليتون كان يرجو أن تزول الخلافات بطرق ودية ، إلى أن أفهمته هذه البعثة أن البريطانيين يريدون موقعاً حربياً فى (الضالع) ، فتيقن الإمام من هذا الطلب أنهم متى حصلوا على موقع حربى يمكنهم أن يحصنوه وينتقلوا منه لغيره ، فيحتلوا ما يريدون من بلاده ، فاضطرب لهذا النبأ وعبثاً حاول أن يرضى البريطانيين ، وفى النهاية فشلت بعثة كليتون » .

« ولما وصلت إلى هنا (صنعاء) ظن الإمام فى أول الأمر أننى موظف ، ولكنه غيّر هذا الظن عند ما أكدت له أنى لست مأموراً ولا موظفاً ، بل تاجراً يبتغى قضاء بعض المصالح التجارية فوسطنى لاسعى لإبلاغ رغائبه

إلى حكومتى ، وقال انه سيعطينى مذكرةً ، يبين فيها طلباته . وقد صرح لى تصريحاً غير رسمى ، أنه لا يرى فائدةً من محاربة الحكومة البريطانية ، ولكنه يطلب العدالة البريطانية ، وهو لا يرى فى وضع شروطٍ مُرْضِية بشأن جعل الضالع مركزاً عسكرياً بريطانياً ، ويبين أنه بصفته حاكماً عربياً وإماماً ، لا يمكنه أن يسحب جميع قواته من (مقاطعة عدن المحمية) ، ولكنه ، إذا أعطى الوقت الكافى ليحافظ فيه على عظمته يمكنه عندئذٍ أن يسحب قواته بالتدريج ، هذا إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وقد قال لى هذه الأقوال شفاهاً ، ولكنه كان قبلاً مستعداً أن يكتبها على الورق ، وقد سرنى أنه لم يفعل ذلك إذ لا فائدة من إحراج الإنسان ، وقد كتبت هذا التقرير قبل أن أحصل على مذكرة الإمام غير الرسمية أو على ترجمتها » .

« حاشية » تلقيت مذكرةً من إمام اليمن أملاها جلالته على أمين سره الخاص ، ولأسبابٍ بديهية لم يمضها ، وقد كلفنى شفاهاً أن أهتم بها اهتماماً كثيراً وأن أقدمها مع الشروح الكافية إلى حكومة صاحب الجلالة ، وها أنذا أقدم شروحى مصحوبةً بالمذكرة ، وترجمتها المعنوية لا الحرفية ، وفى إمكانكم أن تحصلوا ترجمةٍ صحيحة لها فى دائرتكم » .

معاهدة سنة ١٩٣٤ :

وتظاهرت بريطانيا بعد ذلك بالندم على ما فرطت فى جانب اليمن من العدوان على مدنه الآمنة الوادعة ، ذلك العدوان الذى لم تجد له أى مبرر أمام استياء الرأى العام العالمى وتذمر بعض الأحزاب فى بريطانيا من تلك الجريمة ، فبدأت أولاً بعزل والى عدن بصفته المجرم الأول على حد زعمها .

ثم أخذت فى إرسال مندوبيها إلى (صنعاء) بغية استرضاء الإمام ، وكان

آخر وفد هو الذى وصل فى شهر شوال سنة ١٣٥٢ (فبراير سنة ١٩٣٣) برئاسة الكولونيل برنارد روادون ، وقد عرض على الإمام رغبة حكومته فى عقد معاهدة صداقة بين البلدين لا تمت إلى تحديد الحدود فى شىء ، ولكنها تنص ضمناً على اعتراف الإمام ببريطانيا فى الجنوب وإقراره لها بتمييع قضية الوحدة على أساس من الانفصالية والتجزئة فحسب ، وهذا هو غاية ما تهدف إليه وتستقتل من أجله ، وفيما يلى نص المعاهدة بالحرف الواحد :

« بما أن لحضرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية وملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من الجهة الأخرى رغبةً فى الوصول إلى معاهدة تعطى أساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين ، فقد قررا عقد المعاهدة وعينا المندوبين المفوضين :

عن جلالة ملك اليمن حضرة الإمام صاحب السعادة القاضى محمد راغب رفيق ،

عن جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار ، وقيصر الهند وايرلندا الشمالية حضرة صاحب السعادة اللفتننت كولونيل برنارد راودون رايلى . س . ى المحترم ، اللذين أوفدا لتبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتى :

المادة الثانية : يعترف جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً فى جميع الأمور مهما كان نوعها .

المادة الثانية : يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من جميع الوجوه .

المادة الثالثة : يؤجل البت فى مسألة الحدود اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة كما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه

بصورة وباتفاق كامل بدون احداث أى منازعة أو مخالفة ، وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها فى الفقرة السابقة الذكر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود فى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكلما لديهما من الوسائل أى تعدّ من قواتهما فى الحدود المذكورة وأى تدخل بين اتباعهما أو من جانبهما فى تلك الحدود فى شؤون الأهالى القاطنين فى الجانب الآخر من الحدود المذكورة .

المادة الرابعة : سيعقد الفريقان المتعاهدان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور الاقتصادية والتجارية على أساس المبادىء الدولية العامّة مع التراضى والموافقة بينهما .

المادة الخامسة : ١ — رعايا كل من الفريقين الساميين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التى يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعايةً .

٢ — كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها تتمتع فى موانىء الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعايةً ، وتعامل ركاب تلك السفن وشحناتها فى موانىء بلاد الفريق الآخر بنفس يعامل به من كان تابعاً لسفن الدولة الأكثر رعايةً .

٣ — الغرض بهذه المادة يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية وراء البحار وقيصر الهند .

(ا) لفظة « بلاد » ينبغى أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته بالبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته فى المملكة المتحدة .

(ب) لفظة « رعايا » ينبغى أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالى البلاد التى تحت حماية جلالته ، وكذلك جميع الشركات المؤسسة فى أى بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته .

(ح) لفظة « سفن » ينبغى أن يعد معناها جميع السفن التجارية مسجلةً من أى بلد من اتحاد الشعوب البريطانية .

المادة السادسة : هذه المعاهدة تكون أساساً لكلما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين الساميين حالاً واستقبالاً فى معنى تقوية الوداد والصداقة ويتعهد الفريقان الساميان المتعاهدان بعدم إعطاء المساعدة والمسامحة لأى حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصحيح بينهما .

المادة السابعة : يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع ، وتبادل حجج التصديق فى صنعاء ، ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولاً بها لمدة أربعين سنة ، وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما إمضاءهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليها ، وقد تضمنت هذه المعاهدة نسختين باللغة الإنكليزية والعربية وإذا نشأت شكوك فى تفسير شىء من هذه المواد فالفريقان الساميان المتعاهدان يعتمدان النص العربى ، وحررت فى صنعاء اليمن فى يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ للهجرة يقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد .

الفصل الثانى عشر

(مراحل الثورة اليمنية ضد حكم آل حميد الدين)

المرحلة الأولى ثورة سبتمبر سنة ١٩٤٨ ضد حكم الإمام يحيى :

فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٨ قامت ثورة أولى من نوعها فى اليمن ترمى إلى قلب الأوضاع والإطاحة بعرش الإمام يحيى ، ذلك الحاكم المطلق والدكتاتور الصلب الذى ظل يحكم اليمن أربعين عاماً طبق سياسة غريبة انتهجها لنفسه قهراً وافترضها على غيره افتراضاً ، قابضاً عليها بيدٍ من حديد ، وتمكن ـ بمساعدة الظروف من تنفيذها ببالغ الحزم ومنتهى الصرامة وبصورةٍ لا تسمح بحالٍ من الأحوال اعتراض معترض أو منازعة منازع .

لقد كانت سياسة الإمام يحيى تتركز على شيئين أساسيين هما :

١ ـــ خلق اتجاهات معادية لحتمية التطور إجمالاً ، واحتقار الآراء التقدمية أياً كان نوعها ، كنتيجةٍ لنقصانه ـ كما اعتقد ـ من الثقافة السياسية وخطئه فى تفسير مفاهيم النهوض والتقدم ، فنتج من ذلك عداءه الشديد لهذه المفاهيم واشمئزازه منها ، فصرف جهوده فى كبت الأفكار المتحررة ، وعزل البلاد عزلاً باتاً عن العالم الخارجى بصورةٍ صيرت منها مثلاً رائجاً للانعزالية والتأخر

٢ ـــ كنز حاصلات البلاد التى كان يقوم معظمها على إرهاق الشعب وتجويعه دون استغلالها فى أى مصلحةٍ من المصالح التى يعود إليها تأمين مستقبل البلاد الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، فى حين أنه كان فى إمكانه الكشف عن موارد أخرى للثروة واستغلال إمكانيات البلاد التى لا حدود لها .

وبالرغم مما اتخذه الإمام من الحزم فإن الوعى القومى ـ وبالأخص لدى الطبقة المثقفة ـ كان يزداد عمقاً وانتشاراً وتغلغلاً فى النفوس ، كلما أمعن الإمام فى

إخماد هذا الوعى ، مما أدّى أخيراً إلى تـكتل القوى الوطنية ثم إلى قيام ثورة عارمة للقضاء على هذا الحـكم الغريب والسلطة المطلقة التى عاشت أربعين عاماً لم تستفد فيها البلاد من الرخاء والتقدم شيئاً يذكر .

وكان أمل الأحرار فى أن هذه الثورة ستـكون المرحلة الأولى والأخيرة ، وأنه بالقضاء على الإمام سينتهى حكم آل حميد الدين وتولّى به أيامهم ولـكنه لم يكتب لها من النجاح أكثر ممـا كتب لها أن تتسم بالمرحلة الثورية الأولى من مراحل ثلاث خاضها الشعب اليمنى خلال أربعة عشر عاماً أخرى ، أوقفت انطلاقة اليمن فى مضمار النهضة والبناء .

ولم تـكن هذه الثورة ثورة عسكرية بحتة ، بل كانت مزيجاً من العسكريين والمدنيين ، بل إنها ثورة الشعب بكامله أيضاً وذلك نتيجة لمـا قاساه طوال الأربعين عاماً من جوع وحرمان ، ولـكن عدم نجاحها يتركز على النتيجة الأخيرة للثورة ، تلك النتيجة التى لم يتح لها الحظ المرغوب من تغيير الأوضاع تغييراً جذرياً تطمئن إليه نفوس الأغلبية الساحقة من القوى الشعبية ، فإن اعتلاء أسرة آل الوزير ـ الهاشميين نسباً ـ كان يعنى إعادة الإمامة إلى كرسى الحـكم من جديد ، وهذا يعيد إلى أذهان النـاس ذكريات الماضى وحكمه القاسى ، مما جعلهم أخيراً وبعد ٢٥ يوماً من قيام الثورة يتنـكرون لها ويتقاعسون عنها ثم يعلنون ولاءهم للإمام أحمد ولى العهد والمطالب بدم أبيه والذى عرفوه فاتـكاً جريئاً ، إلى جانب ما كانوا يؤملونه فيه ـ عبثاً ـ من عزم صادق وأفـكار تقدميّة سوف تسمو بالبلاد إلى الهدف المقصود والغاية المرجوة .

اغتيال الإمام يحيى من مخططات الثورة :

لقد كان اغتيال الإمام يحيى فى يوم ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ نتيجة مؤامرةٍ دبّرها السيد عبدالله بن أحمد الوزير عضو ديوان الإمام وأحد كبار مقادمة جيوشه التى جهزها إلى الأطراف إبّان مباشرته لحكم البلاد بعد جلاء الأتراك ، فكان قائد جيشه فى تهامة لجلاء الأدارسة سنة ١٣٤٥ هـ ، حيث قلده الإمام بعد ذلك منصب إمارة لواء الحديدة ، كما كان قبل ذلك قائداً عاماً لجيوش الإمام التى جهزها لفتح المشرق ، كحريب ومأرب والجوفين وبرط سنة ١٣٤٣ هـ . وفى سنة ١٣٤٩ هـ نقل إلى صنعاء حيث عمل كعضوٍ بارزٍ فى ديوان الإمام حتى سنة ١٣٦٧ هـ عند ماتزعم حركته الثورية التى نحن بصددها الآن .

هذا ولا بد لنا من ذكر أهم الأسباب والدوافع التى حملته على القيام بثورته هذه ، فأهمها ــ وهو ما كان مفهوماً عند الناس حينذاك ــ ما كان يضمره من الكراهية لشخص الإمام والعداء لحكمه ، ثم إن مركزه المرموق الذى كان يتمتع به حينذاك نظراً لما كان يتحلى به من التقوى والصلاح وسرعة الفصل فيما كان يعهد إليه الإمام من مسائل الخصومات ، جعله يغتر بنفسه ويعتقد أولويته للإمامة وجدارته بها من الإمام الذى كان قد ناهز القبضة من عمره ، ومن إبنه أحمد الذى كان قد عرف بعنفه ، والذى كان يُتوقع انتقاله من مقر إمارته إلى صنعاء ليتسلم مقاليد الحكم بصفته ولى العهد الشرعى والمبايَع له بالخلافة سنة ١٣٥٧هـ وهذا هو ماحثّه على سرعة تدبير المؤامرة ، ثم ما كان يحس به من صدور أمر الامام بإجراء محاسبته على ماتولى صرفه من صناديق الحكومة أيام فتح البلاد وأيام توليه مقاطعة ذمار ، وهو ما كان يحتمل

أن يكون ، مع ما أضيف إلى ذلك من رواسب حقدٍ قديمة من بعد عزل ابن عمه علي بن عبد الله الوزير ـ وهو ثاني شخصية مرموقة في آل الوزير وكان قد ولاه الإمام إمارة لواء تعز حيث لبث بها ما يقرب من خمسة عشر عاماً ثم نحاه عنها في سنة ١٣٥٧ وأسند إمارتها إلى ولده ولي العهد ، وكان عليٌّ هذا بدوره ناقداً للوضع من جهة وحاقداً على الامام وولي العهد من جهة أخرى لما ذكر .

وكان يقف إلى جانب عبد الله الوزير عدد من الشخصيات المتحررة ممن كان لها ضلع كبير في تدبير المؤامرة بقصد تحرير البلاد من الحكم الرجعي وإقامة حكم صحيح عادل ، ونذكر منهم حسين بن محمد الكبسي معتمد الامام ومبعوثه السياسي الخاص إلى دول الخارج كما أسلفنا ، وزيد بن علي الموشكي حاكم تعز ، والضابط المدفعي جمال جميل . وكان قد وصل من العراق سنة ١٣٦٣ هـ ضمن البعثة العسكرية التي أوفدتها الحكومة برئاسة العقيد إسماعيل صفوت ـ ، وقد عمل كمدرب في سلاح المدفعية ثم أبقاه الامام بعد انتهاء مدة البعثة وسفرها بناء على رغبته في التأخر باليمن لما كان يخشى من محاكمته بصفته متهماً بالاشتراك في ثورة بكر صدقي بالعراق سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ، والفضيل الورتلاني عضو جمعية الاخوان المسلمين ، وهو تاجر مغربي كان قد قدم إلى اليمن من القاهرة قبل بضعة شهور لإنشاء مؤسسة تجارية في صنعاء ، والأستاذ محمد محمود الزبيري ، والأستاذ أحمد محمد نعمان ، وعدد من رجال اليمن الأحرار الذين كانوا ينتمون إلى (الجمعية اليمنية) في عدن بزعامة سيف الحق إبراهيم .

وقبل قيام الثورة ببضعة أيام كانت جريدة (صوت اليمن) الناطقة بلسان الجمعية في عدن قد نشرت مقالاً أشارت فيه إلى نشوب ثورة في صنعاء قتل فيها الامام يحيي وبويع عبد الله الوزير إماماً على اليمن ، ويروى أن الامام قد استدعى عبد الله الوزير إثر تصفحه للجريدة واستفسره في الموضوع فأظهر استنكاره الشديد لهذا النبأ الذي وصفه بأنه مليء بالافك والبهتان ، وأكد

ذلك بالايمان المغلظة بعدم علمه ، ثم كتب من فوره مقالاً نشرته جريدة الإيمان التى تصدر بصنعاء فنّد فيه مزاعم (صوت اليمن) ، واستطرد إلى وصف ولائه للإمام بقوله « ذلك الولاء الذى لا تزعزعه العواصف » وقال « إن الأمير أحمد هو ولى العهد الشرعى الذى سبق أن بايعته بالخلافة القلوب قبل الأكف » ، واختتم المقال مستشهداً بالآية الكريمة (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًّا عزيزاً » .

وقد اطمأن الإمام يحيى إلى ذلك ، وبهذا المقال هدأت البلابل والإشاعات فى صنعاء بعض الشىء ، أما عبد الله الوزير فإنه أخذ من فوره يوالى اجتماعاته بأعضاء الثورة ويحثهم على سرعة لتنفيذ الخطة المبرمة فى أقرب وقت ممكن ، وهى القضاء على حياة الإمام بصنعاء وعلى ولى العهد بتعز ، وكانت آخر جلسة هى التى عُقدت فى دار عبد الله بن على الوزير أمسية يوم الحادث ، وفيها تم تعيين الأشخاص الذين سيقومون بتنفيذ المهمة الأولى وهى اغتيال الإمام غداة اليوم التالى ، بعد أن عهدوا إلى من سينبئهم بوجهة حركته ذلك اليوم ، إذ كانت عادته من كل يوم بعد المواجهة[1] القيام بجولة قصيرة فى بعض الجهات من ضواحى صنعاء .

تنفيذ الخطة :

وفى صبيحة اليوم التالى كانت العصابة المعنيّة بالتنفيذ على أهبة الاستعداد ، وكان من أعضائها الشيخ على صالح القردعى المرادى ، ومحمد قائد الحسينى من رجام ، وعلى العتمى ومحمد ريحان من صنعاء ، وما إن أبلغوا بالمحل الذى قصده

---

(١) المواجهة هى المقابلة العامة للناس التى حرص الإمام يحيى على المحافظة عليها مدة خلافته حيث كان يجلس للناس فى باب داره من الصباح الباكر حتى قبل الظهيرة من كل يوم .

الإمام ـ وكان قد اتجه صوب (حزيز) ، وهى قرية تبعد عن صنعاء عشرة كيلومترات جنوباً ـ حتى تحركوا فى سيارة لورى مغطاة ، حيث كمنوا للإمام فى بعض المنعرجات التى سيعود منها بعد أن قاموا بردم الطريق بالأحجار إمعاناً فى إحكام الخطة ، وما إن وصلت سيارة الإمام حتى أطلقوا عليها نيران رشاشاتهم فأردوه قتيلاً ومعه رئيس وزرائه القاضى عبد الله بن حسين العمرى وحفيد الإمام وهو طفل فى الخامسة من عمره ، كما قتل سائق السيارة وخادم الإمام الخاص ، ثم عادوا بسيارتهم بعد أن تأكدوا من موت الإمام ومن معه متجهين إلى عبد الله الوزير لإبلاغه نجاحهم فى تنفيذ الخطة .

وكان أول عمل قام به عبد الله الوزير هو الانتقال إلى قصر صنعاء حيث توجد فيه خزائن الدولة من حبوب وذخيرة وعتاد ، وأخذ يستدعى إليه الشخصيات والأعيان وقادات الجيش ويحثهم على مبايعته إماماً ، كما أمر بفتح مخازن السلاح والذخيرة وخزائن النقد والتوزيع منها لكل من أعطى البيعة من أعيان البلاد وأتباعهم من الأفراد ، وما إن سمع الناس بهذا حتى تواردوا من كل صوب طمعاً فى المال والسلاح .

وكان الأمير أحمد قد تحرك من (تعز) مقر إمارته متجهاً إلى (حجة) معقله المنيع إثر تسلمه خبر اغتيال والده ، وكانت بتعز عصابة سرية من الأحرار يتزعمها الشيخ حسن بن صالح الشائف أحد أعيان قبيلة (برط) تتحين الفرص لاغتيال الأمير أحمد طبق خطةٍ مرسومة من عبد الله الوزير وأخرى بالحديدة ، ولكن محاولة كل من العصابتين باءت بالفشل ، وتمكن من وصوله (حجة) سالماً فى صبيحة اليوم الثانى حيث أخذ يحشد القوات ويؤلب القبائل للزحف على (صنعاء) .

وما إن بلغ عبد الله الوزير نبأ وصول الأمير أحمد إلى (حجة) حتى أرسل

من جهته كتيبةً بقيادة ابن عمه السيد محمد الوزير حاكم مقام صنعاء لمنازلته القتال ولكن قوات الأمير أحمد المرابطة بالطويلة تمكنت من الإحاطة بها ، وأخذ السيد محمد أسير إلى حجة ، كما أسر ، أيضاً السيد على بن عبد الله الوزير وكان أميراً للواء المحويت إثر قيامه بتحركات ضد القوات الزاحفة إلى صنعاء .

فشل الثورة وقيام حكم الإمام أحمد :

وأخذت قوات الأمير أحمد بقيادة السيد على بن حمود الكوكبانى تتجه نحو (صنعاء) مكتسحةً أمامها قوات الوزير التى وجهها إلى (عمران) و (مناخة) و (المحويت) و (شبام) وغيرها ، وتمكنت من الوصول إلى أبواب صنعاء ومحاصرتها ثلاثة أيام ، وانتهى الأمر بالتسليم وأخذ عبد الله الوزير ومن معه من الأحرار إلى حجة حيث أمر بإعدام بعضهم فوراً كما أمر باعتقال البعض الآخر ، وعاد فى الوقت إلى تعز حيث أعلن إمامته وتلقب بالإمام الناصر لدين الله واتخذ (تعز) عاصمةً ثانية .

أما مدينة (صنعاء) فقد وكل أمرها إلى أخوته الحسن والعباس وعلى وإسماعيل الذين كان من بعضهم الايعاز إلى القبائل بنهب بعض البيوت وهدمها كمكافأةٍ لموقفهم معهم ومناصرتهم لهم ، وعلى مرأى ومسمع من هؤلاء الأمراء المفسدين والطغاة المستبدين نهبت أسواق صنعاء جميعها مع كثير من البيوت ومساكن الأبرياء ، كما روعت النساء والأطفال وانتهكت الأعراض وجرى على الأهالى من الظلم والطغيان ما يندى له الجبين ولا يقره أى دين .

أما الأحرار الذين أمر الإمام أحمد بإعدامهم بعد آل الوزير فهم : من العسكريين الرئيس محمد السعيدى والرئيس جمال جميل العراقى . ومن المدنيين الأستاذ محيي الدين العنسى والأستاذ أحمد الحورش والسيد حسين محمد الكبسى

والأستاذ أحمد البراق والأستاذ محمد صالح المسمرى والسيد زيد الموشكى والسيد أحمد المطاع والشيخ على القردعى والنقيب عبد الله بن حسن أبو رأس والشيخ حسن بن صالح الشائف وأخيه محمد بن حسن .

وتمكن بعض رجال الثورة من الفرار ومنهم الأستاذ محمد محمود الزبيرى وعبد الله بن على الوزير والفضيل الورتلانى .

وأما الذين زجوا فى السجون فهم من العسكريين : العقيد عبد الله السلال ـ قائد ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ورئيس الجمهورية اليمنية ـ والمقدم أحمد الثلائى قائد ثورة مارس سنة ١٩٥٥ والزعيم حمود الجائفى أحد أعضاء ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ والمقدم محمد حسن غالب وأخوه المقدم مجاهد والعقيد الشرعى والعقيد حسن العمرى والعقيد محمد عبد الواسع نعمان والرائد حسين عنبه والرائد عبد الرحمن باكر ، ومن المدنيين : القاضى عبد الرحمن بن يحيى الاريانى والأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى عبد الكريم العنسى والأستاذ على ناصر العنسى والقاضى إبراهيم الحضرانى والقاضى محمد بن إسماعيل الربيع والأستاذ إسماعيل الربيع والأستاذ أحمد محمد محبوب والسيد على عقبات والسيد حسين الحوثى والسيد محمد عبد القادر والسيد أحمد المرونى والأستاذ محمد الحلبى والشيخ جازم الحروى والشيخ على حسن باشا والقاضى محمد الأكوع والقاضى أحمد بن قاسم العنسى وأخيه على والقاضى عبد الله عبد الإله الاغبرى والشيخ صالح المقالح والسيد محمد بن أحمد المطاع والشيخ أمين عبد الواسع نعمان وعلى حمود السمه والقاضى أحمد الجبرى والقاضى عبد السلام صبره والقاضى عبد الله الشماحى وغيرهم .

صور من حكم الإمام أحمد :

لما كان حكم الإمام أحمد الذى استمر حوالى خمسة عشر عاماً ، وهو كما أعتقد الوقت الذى كان فى إمكان اليمن أن تسير فيه سيراً حثيثاً إلى الأمام لوجود

الفرص الكثيرة والمؤاتية لبعثه والنهوض به إلى مستوى رفيع فى مجالى التنظيم والبناء ، فقد رأيت أن من واجبى إيضاح بعض صورٍ من حكم هذا الإمام كى يجد القارىء فى ذلك مايبرر تخلف هذا البلد الذى عمته البلوى وتقاذفته المحن.

وأيم الله أنه لم يدفعنى إلى إيضاحها كراهية أو حقد . ولا حب أو رضاء بل أداءٌ لقدسية الحق وواجب التاريخ .

لقد بدأ الإمام أحمد منذ تربعه عرش البلاد فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨ (٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧) يعمل بنشاط كبير متظاهراً بنشر العدل وتشكيل الوزارات ، كما مضى يرعد ويبرق ويوالى إصدار البلاغات لاستعادة الجنوب . وظن الناس بادىء الأمر أن الإمام الجديد سوف يقوم بعد ذلك بإصلاحات جذرية ووضع أنظمة جديدة فى الجهاز الحكومى تهدف إلى تصحيح الأوضاع وفتح مشاريع تضمن للبلاد تقدمها وإزدهارها وانتعاش حياتها الاقتصادية والزراعية والثقافية ، وفتح آفاقٍ جديدة لتبديد ما خيم على البلاد من العزلة والركود والتخلف .

ومضت الشهور تلو الشهور والأعوام تلو الأعوام والشعب ينتظر تحقيق هذه الأمانى بكل حلم وصبر ، ولكن الإمام اغتر كثيراً بما رأى من الهدوء والاستقرار واعتقد أن ما قد قام به من الشكليات والترتيب الصورى للوزارات هو كلما يجب عليه ، وليته أعطى لكل وزارة من هذه الوزارات صلاحيتها فى إدارة شؤونها وتسيير أعمالها أو على الأقل وضع أنظمة تكفل لها سيرها وتقدمها لكنها ويا للأسف ما كانت إلا إسماً ، أما الوزراء وموظفو الوزارات فكانوا لا يدرون ما يعملون لأن كل شىء مايزال بيد الإمام وأزمة الأمور بحذافيرها من التافه اليسير إلى الأمر الخطير فى قبضته وليس لأحد من الناس أياً كان مركزه البت فى أمر من الأمور إلا بعد مراجعته ، وقد يصرف من وقته الأيام والشهور وهو لا يتمكن من الوصول إليه لاعتذاره وكثرة احتجابه من الناس

أياماً وشهوراً حتى صارت له عادة فى الاحتجاب سواء لعذر أو لغير عذر ، إلا من بعض الأشخاص الانتهازيين وخدام المصالح الذين لا هم لهم إلا التضليل على الناس والعمل على استنزاف مالية الدولة فيما لا يعود منها للشعب ولا البلاد بأية فائدة، مستخدمين فى ذلك أنواعاً من أساليب التحايل والخداع ، بل لقد كان الناجح عند الإمام والمخلص فى نظره من هؤلاء هو الذى يتقرب إليه بالنفاق والدسّ وإيذاء الأبرياء والنيل من كرامة الأتقياء ولاسيما المخلصون منهم للأمة والبلاد .

واشتغل الإمام كثيراً بأمور نفسه وخاصته ، وقد جرّ هذا إلى تأخر البلاد وتخلفها فى كل الميادين ولا سيما فى الميدان الاقتصادى والثقافى ، فقد عطلت الحقول من زراعها والأسواق من تجارها والمدارس من طلابها ، وهاجر الناس بالآلاف إلى الخارج بغية طلب الرزق وهرباً من الظلم والعسف والرشوة وتضاعف الضرائب وتراكم البدلات[1] . كما خلى الجو للانتهازيين وذوى الأطماع وأهل الأغراض وأصبحت الأحكام لا تنال إلا بالرشوة ، والحقوق لا تؤخذ إلا بالمادة ، وأضحت الوظائف والرتب بحسب القربى والتزلف والمحسوبيات لا بحسب المقدرات والكفاءات ، وانتشرت الفوضى وساءت الأحوال وشاع الخوف والجزع عند المفكرين على مستقبل البلاد ، وأصبح السواد الأعظم من الناس ما بين متذمر من الحكم وناقدٍ للأوضاع ، كما أصبحت الحالة الاقتصادية تهدد اليمن بأسوأ العواقب حتى كادت العملة أن تنفد من البلاد نتيجة لاستمرار تسربها إلى الخارج ، وقد أخبرنى بعض من أثق به أن كثيراً من الأهالى ولا سيما البعيدون

---

(١) كان النظام الشائع فى جباية الزكوات فى الماضى ، وهو أن يرغم الزارع بدفع أكبر كمية سنوية دفعها فى الأعوام السابقة . سواء أثمرت الأرض أم لم تثمر وأمطرت السماء أم لم تمطر . وهـذا من أعظم الأسباب التى اضطرت الكثير من السكان إلى الهجرة إلى الخارج ابتغاء لقمة العيش . وقد أعلنت حكومة الثورة قانون إلغاء هذا النظام الجائر على الفور وردّ الزكاة إلى أمانة الزارع .

منهم عن العاصمة أصبحوا يتقايضون بينهم بالحبوب لعدم وجود الريال ، أما فى الأسواق فقد بدأت أسعار السلع وأثمان الحاجيات فى الانخفاض نتيجة لارتفاع سعر الريال فى أسواق (عدن) فى حين أن الإمام أحمد وأعوانه ينفقون الملايين فى الشهوات والملذات .

وإنى لا أرى أدق تمثيلاً فى وصف تلك الحالة وتصويرها مما قاله الشاعر اليمنى عبد الله البردّونى فى قصيدتيه المعروفتين بعنوان (تحدى) و (نحن والحاكمون) ، وكما يراها المطالع صورةً تعكس لنا ذلك الماضى بما كان يحمله من أحزانٍ ومآسى :

تحدى

هدّدونا بالقيد أو بالسلاح   واهدروا بالزئير أو بالنباح
وكلوا جوعنا وسيروا على أشـ   ـلائنا الحمر كالخيول الجماحِ
واقرعوا فوقنا الطبول وغطوا   خزيكم بالتصنّع الفضّاح
هددونا ، لن ينثنى الزحف حتى   يزحف الفجر من جميع النواحى

* * *

قسمًا لن نعود حتى ترانا   راية « البعث » فى النهار الضّاحِى
خوفونا بالموت ، إنا استهنّا   فى الصراع الكريم بالأرواح
قد ألفنا الردَى كما تألف الغا   بات عصف الخريف بالأدواح
واحتقرنا قطع الرؤس وأدمنَّـ   ـا المنايا فى حانة السّفّاح
فاحفروا دربنا قبوراً فإنا   سوف نمشى للدفن أو للنجاح

* * *

نحن شعب أعيَ خيال المنايا   وتحدّى يد الزمان الماحِىْ

كلما أدمت الطغاة جناحًا منه أدمى نحورها بجناح
أتعب السجن والقيود ولم يتــعَبْ وأغفى سجانه وهو صاحى
ساهرٌ كالنجوم يستولد الفجــر ويومى إليــه بالأجراح

* * *

أيها العابثون بالشعب زيدوا ليلنا وامأوه بالأشباح
لغّموا دربنا ومُدُّوا دُجانا واطفؤا الشهب وانتظار الصباح
سوف نمشى على الجراحات حتى نشعل الفجر من لهيب الجراح
واستبيحوا دماءنا تتوردْ وجنة الصبح بالدم المستباح
إنما تنبت الكرامات أرض سمّدت تربها عظام الأضاحى
ودماء الشهيد أنظر غارٍ فى جبين البطولة اللمّاح
وجراحاتنا على الأفق أبهى شفقٍ لامعٍ وأزهى وشاح
قد أجبنا صوت المروءات لمّا عربد الظالم العنيد الإباحى
وابتنى القصر من ضلوع الملايين وجوع الأجير والفلاّح
نخلعنا عن صدره قلب (شمسون) وعن وجهه قناع (سَجاح)
نحن سرنا على الدماء إليه وعلى النار والقنا والصِفاح
وانطلقنا على المنايا كأنّا نتمنى الحتوف فى كل ساح
لم ترنح مصباحنا أى ريحٍ دمُنا الزيت فى فم المصباح

* * *

نحن شعب خُضنا إلى الفجر هولاً فاغراً فى الطريق كالتمساح
وعَبَرنا ليلًا كألسنة الحيّاتِ ، والدرب عاصفٌ بالتلاحى
وتفشّت دماؤنا فى الروابى السُّمر كالعطر فى مهبّ الرياح

بيننــا والمرام خطوة عزمٍ واثب كالضُّحَى شباب الطماح
قسمًا لم نقف عن السـير حتَّى نظفر الغار فى جبين الـكفاح

نحن والحياة

أخى صحوُنا كلــه مأتمٌ وإغفــاؤنا ألمٌ أبــكمُ
فهــل تلك النور أحلامنا ؟ كما يلد الزهرةَ الــبرعم
وهــل تنبت الـكَرمُ وديانا ؟ ويخضرُّ فى كـرمنا الموسم
وهــل يلتقى الرِّىُّ والظامئــون ويعتنق الـكأسُ والمبسم ؟
لنــا موعد نحن نسعى إليــه ويعتاقنا جرحنـا المؤلم
فنمشى على دمنــا والطريق يضيعنــا والدُّجَى معتم
فمنّا على كل سـيرٍ نجيع تقبِّـلُه الشمس والأنجم

* * *

سل الدرب كيف التقت حولنا ذئاب من النـاس لا ترحم
وتهنـا وحكامنا فى المتـاه سباع ، على خطونا حوّم
يعيثون فيهـا كجيش المغول وأدنى إذا لوّح المغنم
فهم يقتنون ألوف الألوف ويعطيهم الرشــوة المعــدم
ويبنون دوراً بأنقــاض ما أبادوا من الشعب أو هدموا

* * *

أخى إن أضاءت قصور الأمـير فقــل تلك أكبادنا تضرم
وسل كيف لِنَّا لعُنف الطغاة فعــاثوا هنا ، وهنـا أجرموا
فلا نحن نقوى على كفهم ولاهم كرامٌ فمن ألوم ؟
إذا نحن كنا كرام القـلوب فمن شرف الحـكم أن يكرموا
وإن ظلمونا ازدراءا بنــا فأدنى الدناءات أن يظلموا

وإن أدمنوا دمنا فالوحو ش تعبُّ النجيع ولا تسأم
وإن فخرُوا بانتصار اللئام فخذلاننا شرف مرغم
وسائلُنَا فوق غاياتهم وأسمى ، وغايتنا أعظم
فنحن نعفُّ ، وهم إن رأوا لأدناسهم فرصةً أقدموا
وإن صعدوا سلّماً للعرو ش فأخزى المخازى هو السلّم
وما حكمهم ؟ جاهلٌ الهوى تقهقه من سخفه الأيِّم
وأسطورة من ليال « جديسٍ » رواها إلى « تغلب » « جُرهم »
ومطعمهم رشوةٌ ، والذئا ب أكول إذا خبُثَ المطعم
رأوا هدءة الشعب فاستذأبوا على ساحة البغى واستضخموا
وكل جبانٍ شجاع الفؤاد عليك ، إذا أنت تستسلم
وإذعانُنا جرّء المفسدين علينا وأغراهم المأثم

* * *

أخى ، نحن شعب أفاقت مناهُ وأفكاره فى الكرى تحلُمُ
ودولتنا كلما عندها يدٌ تجتنى وحشًى يهضم
وغيد بغايا لبسْنَ النضا ر كما يشتهى الجيد والمعصم
وسيف أثيم يحز الرؤس وقيد ، ومعتقل مظلم
وطغيانها يلتوى فى الخداع كما يلتوى فى الدجى الأرقم
وكم تدعى عفةً ، والوجود بأصناف جِنَّتها مُفعَم
وآثامها لم تسعها اللغات ولم يحوِ تصويرها ماهم
أنا ، لم أقل كل أوزارها تنزّه قولى وعف الفم
تراها تصول على ضعفنا وفوق مآتمنا تبسم
وتُشعرنا بهدير الطبول على أنها لم تزل تحكم
وتظلم شعبًا على علمه ويغضبها أنه يعلمُ

وهل تختفى عنـــه وهى التى بأكباد أمتـــــه تؤلمُ
وأشرف أشرافهـــا سارق وأفضلهم قاتل مجـــــرم
عبيد الهوى يحكمون البـــلاد ويحكمهم كلهـــــم درهم
وتقتـــادهم شهوة لا تنا م وهم فى جهالتهـــم نوم
ففى كل ناحيــــة ظالم غبي يسلطه أظـــــلم
أيامَن شبعتم على جوعنـــا وجوع بنينا ، ألم تتخمـوا ؟
ألم تفهمـــوا غضبة الـكادحـــين على الظلم ، لابد أن تفهموا

هذا من ناحية حالة اليمن الداخلية ، أما من ناحية سياسة اليمن الخارجية فلم تكن لحكومة الإمام سياسة مركزة على هدفٍ معين ، بل كانت تقوم على أساس المحافظة على مركز الدولة ودعم كيانها وعلى ما يضمن لها البقاء واستقرار الحكم فقط ، لا على ما تقتضيه مصلحة الأمة وما يتطلبه البلد من الإصلاح والنهضة ، وناهيك بموقف الإمام إزاء قضية الجنوب اليمنى المحتل ووقوفه موقف المتسامح والمجامل للسلطات الاستعمارية فى عدن ، ما دامت هذه السلطات ستفى له بإخماد القلاقل على الحدود المصطنعة وتسكيت راديو عدن وصحفها من نقد الأوضاع فى اليمن وترد إليه الأحرار الفارين إلى عدن من وجه الظلم والإرهاب .

أما بالنسبة لموقف الإمام من الشقيقات العرب فقد رأى أن أحسن وسيلة لصرف الأنظار عن الأوضاع الفاسدة فى البلاد وتسكيت من ينادى بتغييرها هو اتخاذ سياسة التظاهر بالإصلاح والوقوف فى طليعة زعماء العرب ورواد القومية العربية ، فما يكد يسمع بأى حلف يعقد أو اتحاد يبرم أو ميثاق يقترح إزاء توحيد الصف العربى ولم شعث العروبة إلا ويبادر بإرسال وفوده معلناً التأييد والانضمام ؛ ويُعتبر انضمامه إلى الاتحاد العربى مع الجمهورية العربية المتحدة المتقدم ذكره ضرباً من هذا التظاهر واللعب بين الصفوف .

هذا وليس فى اليمن أية إصلاحات جوهرية يجدر بنا ذكرها هنا غير ثلاثة

مشاريع أنشئت فى البلاد وبعضها على جهة القرض ، وأهمها ميناء الحديدة الذى تم إنجازه على يد الخبراء الروس فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٨ (٣ شعبان ١٣٧٧) ويعتبر من أحدث الموانى فى البحر الأحمر ، إلا أنه لم يتح له القيام بمهمته من التصدير والاستيراد كما يرام ، وكذا طريق الحديدة — صنعاء ، وقد تم بناؤها على يد الخبراء الصينيين فى ١٣ يناير سنة ١٩٦٢ (٥ شعبان ١٣٨١) ، وطريق (المخاء ـ تعز ـ صنعاء) وقد بدىء العمل فيها قبل عامين على يد خبراء شركة التعاون الدولية ولا يزال العمل فيها سارى المفعول .

وهناك بعض شركات أهلية قامت على أكتاف بعض رجال الأعمال فى اليمن كشركة المحروقات ، وشركات الكهرباء فى المدن الرئيسية ، وشركة الخطوط البرية والجوية ، والمؤسسة الزراعية ، وقد روعى فى تشكيلها مصلحة الفرد العادى الذى يتمكن من المساهمة ولو بخمسة ريالات يمنية ، أى ما يعادل جنيه استرلينى وخمسة شلنات .

أما من ناحية استخراج المعادن فإنه لم يقدر لليمن استثمار كنوزها فى العهود الماضية لقيام بعض العوائق والعراقيل التى كان يقيمها الاستعمار بالتعاون مع بعض الأذناب داخل اليمن . وقبل سنتين اتفقت الحكومة مع شركة ميكوم الأمريكية (American Mecom Co.) وقد باشرت حفر أول بئر للبترول فى منطقة الصليف وأخرى بالقرب من الزيدية وتبشر الحفريات بنتائج حسنة .

علاقات دولية :

فيما يلى سوف نستعرض علاقات اليمن مع الدول الأخرى والمنظمات العالمية خلال حكم الإمام أحمد :

كانت أول خطوة تخطوها حكومة الإمام أحمد هى الانضمام إلى هيئة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة فى سنة ١٩٥٤ م (١٣٧٤ هـ) .

الحلف الثلاثى :

وفى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٦ (٢٢ رمضان سنة ١٣٧٥) تم عقد الحلف الثلاثى بين اليمن والجمهورية العربيــة المتحدة والمملــكة العربية السعودية ، والمعروف بميثاق جدة الموقع من فخامة الرئيس جمال عبد الناصر عن الجمهورية العربية المتحدة والإمام أحمد من جانب حكومة اليمن والملك سعود بن عبد العزيز من قبل الحــكومة السعودية كخطوة أولى للم شعث البلدان العربية وسياج لدفاعها المشترك ضد حلف بغداد الاستعمارى المنعقد بين بريطانيا وتركيا والعراق .

ويشتمل الحلف على اثنتى عشرة مادة وملخصها كما يلى :

المادة الأولى : تؤكد الدول المتعاقدة حرصها على دوام الأمن والسلام واستقرارهما ، وعزمهما على فض جميع منازعاتها بالطريقة السلمية .

المادة الثانية : تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح على أية دولة منها اعتداءً عليها ، وتلتزم باتخاذ التدابير اللازمة على الفور وتستخدم جميع ما لديها من وسائل لإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

المادة الثالثة : تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية لاتخاذ التدابير الوقائية .

المادة الرابعة : تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التى تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ عند وقوع أى اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات إحدى الدول المتعاقدة .

المادة الخامسة : تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدول المشتركة إنشاء مجلس حربى موحد وقيادة مشتركة .

المادة السادسة : على هذا المجلس تنظيم القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها وإصدار القرارات والتوصيات .

من المادة السابعة إلى العاشرة : نظام تكوين المجالس والوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها واختصاصات القائد العام وإعداد تنفيذ الخطط الدفاعية وميزانية القيادة المشتركة .

المادة الحادية عشرة : ليس مما قد يترتب على كلٍّ من الدول فى أحكام هـــذه المعاهدة ما يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو المتعاقدة بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة والمسئوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على الأمن والسلام الدولى .

المادة الثانية عشرة : مدة المعاهدة خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا ، ولأية دولة من الدول أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولتين كتابةً برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدة المذكورة سابقاً .

حررت هـــذه الاتفاقية فى جدة فى ٢١ أبريل سنة ١٩٥٦ (٢٣ رمضان سنة ١٣٧٥) .

اتفاقية تعاون مع الاتحاد السوفيتى :

وفى ١١ يوليو سنة ١٩٥٦ (١٢ شوال سنة ١٣٧٥) غادر تعز إلى موسكو وفد يمنى برئاسة الأمير البدر تلبيةً لدعوة الاتحاد السوفيتى ، ويتكون من حسن بن على إبراهيم وزير الخارجية سابقاً ، والقاضى محمد بن عبد الله العمرى والقاضى محمد بن عبد الله الشامى ، والقاضى عبد الرحمن السياغى حيث قام بزيارة مدن الاتحاد السوفيتى ، ثم عاد من موسكو فأجرى محادثات مع المسئولين السوفييت انتهت بعقد اتفاقية تعاون تتضمن تبادل البلدين لوجهات النظر حول شئون العلاقات اليمنية السوفيتية وحول بعض القضايا الدولية التى تهم الجانبين وهى العلاقات التى أقرها مؤتمر باندونق من المبادىء ، واحترام الكيان

الإقليمى ، والسيادة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، وتبادل التمثيل السياسى بين البلدين ، وتبادل المنتجات بموجب الاتفاق التجارى القائم ، كما رسمت الاتفاقية سبيل التعاون الأساسية بغية مساعدة اليمن فيما تنشده من تطور اقتصادى وأن يمنح الاتحاد السوفيتى اليمن تسهيلات فى كلما يتعلق بالطلبات التى تتقدم بها ، والاستمرار فى المستقبل على انتهاج سياسة السلام والتعاون الودى بين الشعوب وسياسة عدم الاشتراك فى الأحلاف العسكرية العدائية ، ومؤازرة حق الشعوب فى الحرية والاستقلال وفقاً لمنظمة الأمم المتحدة فى مؤازرة حق الشعوب فى الحرية والاستقلال وفقاً لمنظمة الأمم المتحدة فى مؤتمر باندونق .

وفى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٦ (٢٥ شوال سـنة ١٣٧٥) غادر الوفد إلى تشيكوسلوفاكيا حيث أجرى مع المسئولين مباحثات سياسية انتهت بتوقيع اتفاقية صداقة وتجارة ، وبعدها توجه إلى ألمانيا الشرقية .

وفى ٣ يناير سنة ١٩٥٨ (١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧) غادر الوفد إلى بكين وبدأ عقد الاجتماعات مع رجال الحكومة انتهت بتوقيع معاهدة صداقة لمدة عشر سنوات تقوم على أساس الاحترام المتبادل والسيادة الكاملة بين الحكومتين ، مع عدة اتفاقيات أخرى تجارية وفنية وعلمية وثقافية تتضمن قبول الصين الشعبية تدريب اليمنيين فى مختلف الصناعات وإنشاء مصانع فى اليمن لإنتاج السكر والزجاج والمنسوجات وتعليب الأسماك والفواكه . وبناء طريق بين صنعاء والحديدة ، وبعد تسعة أيام توجه الوفد إلى اليمن ماراً فى طريقه بروما حيث قام بزيارتها رسمياً حسب دعوةٍ من الحكومة الإيطالية .

الإمام يتحد مع الجمهورية العربية المتحدة :

ما كاد الإمام أحمد يسمع بقيام الوحدة بين مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة فى ١ فبراير سنة ١٩٥٨ (١٠ رجب سنة ١٣٧٧) حتى بادر إلى إرسال ولده البدر ومعه حسن بن على إبراهيم والقاضى محمد عبدالله الشامى والقاضى

عبد الرحمن السياغى وأحمد بن محمد الشامى القائم بأعمال المفوضية اليمنية بالقاهرة حينذاك ، واجتمع البدر إثر وصوله دمشق بالرئيس جمال عبد الناصر ثم تتابعت اجتماعات أسفرت عن تشكيل لجان لوضع مشروع الاتحاد انتهت من وضعه فى ١٧ فبراير سنة ١٩٥٨ ، وبعد ذلك توجه الوفد إلى تعز لعرضه على الإمام .

وفى ٢٧ فبراير غادر الوفد تعز عائداً إلى دمشق حاملاً تفويض الإمام فى توقيع الميثاق مع الرئيس جمال عبد الناصر حيث جرى التوقيع فى ٨ مارس سنة ١٩٥٨ (١٦ شعبان سنة ١٣٧٧) .

وفى ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ (٥ محرم سنة ١٣٧٨) أنشىء فى القاهرة مجلس اتحاد الدول العربية على أن تكون رئاسة المجلس بالتناوب السنوى بأن ترشح كل دولةٍ عند أن يحل دورها أحد وزرائها لينتخبه المجلس .

أما وزراء الاتحاد فقد عينوا من الجانبين كالتالى :

(من الجانب اليمنى)	(من جانب الجمهورية العربية المتحدة)
١ ـ محمد بن محمد المنصور	١ ـ إحسان الله الجابرى
٢ ـ عبد الرحمن عبد الصمد	٢ ـ الشيخ عبد الرحمن تاج
٣ ـ أحمد محمد باشا	٣ ـ الدكتور حسن خلاف
٤ ـ حسين بن على الويسى	٤ ـ رياض الميدانى
٥ ـ محمد على عثمان	٥ ـ عدنان الأزهرى
٦ ـ أحمد محمد الشامى	٦ ـ أحمد أنور

وفى ١٢ مايو سنة ١٩٥٩ (٢٥ شعبان سنة ١٣٥٨) ألغى التمثيل السياسى بين البلدين وعين السيد على الدسوقى نائباً للرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن كما عين السيد حسن إبراهيم نائباً للإمام فى القاهرة .

ميثاق الاتحاد :

(الباب الأول (الاتحاد)

مادة (١) : ينشأ اتحاد يسمى الدول العربية المتحدة يتكون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التي تقبل الانضمام إلى هذا الاتحاد .

مادة (٢) : تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها .

مادة (٣) : مواطنوا الاتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة .

مادة (٤) : لكل مواطن في الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة في حدود القانون .

مادة (٥) : حرية التنقل في الاتحاد مكفولة في حدود القانون .

مادة (٦) : تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الاتحاد .

مادة (٧) : يتولى التمثيل السياسي والقنصلي للاتحاد في الخارج هيئة واحدة في الأحوال التي يقرر فيها الاتحاد ذلك .

مادة (٨) يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة .

مادة (٩) : تنظم الشئون الاقتصادية للاتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادي .

مادة (١٠) : ينظم القانون شؤون النقد في الاتحاد .

مادة (١١) : ينشأ بين البلاد المتحدة اتحاد جمركي وذلك بالشروط والأوضاع التي يحددها القانون .

مادة (١٢) : ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة فى الاتحاد

الباب الثانى (السلطات)

مادة (١٣) : يشرف على شؤون الاتحاد مجلس يسمى المجلس الأعلى ويشكل من رؤساء الدول الأعضاء .

مادة (١٤) : يعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الاتحاد .

مادة (١٥) : تشكيل مجلس الاتحاد من عددٍ متساوٍ من ممثلى الدول الأعضاء ويبين القانون عدد أعضاء المجلس ومدة عضويتهم والأحكام الخاصة بهم .

مادة (١٦) : تكون رئاسة مجلس الاتحاد سنوياً بالتناوب بين الدول الأعضاء وترشح الدولة التى تحل نوبتها من يتولى الرئاسة على أن يكون للرئاسة نائب أو نواب من الدولة أو الدول الأعضاء فى الاتحاد .

مادة (١٧) : يختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للاتحاد فى المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية واصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحديد الاختصاصات ، وتصدر قرارات المجلس بالإجماع.

مادة (١٨) : يصدر المجلس الأعلى القوانين الاتحادية التى يختص بإصدارها وفقاً لأحكام هذا الميثاق وذلك بعد موافقة السلطات المختصة فى كل دولة .

مادة (١٩) : يعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد .

مادة (٢٠) : تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الأعلى ويعين القانون موادها والحصة التى تؤديها كل دولة من الدول الأعضاء

مادة (٢١) : مجلس الاتحاد هو الهيئة الدائمة للاتحاد . ويتولى النظر فى الشئون السياسية ويضع البرنامج السنوى المتضمن النظم والتدابير المؤدية إلى تحقيق الوحدة .

مادة (٢٢) : تعرض قرارات مجلس الاتحاد والبرنامج السنوى الذى يضعه على المجلس الأعلى للاتحاد للتصديق عليها ، ويبت المجلس الأعلى فى القرارات التى أصدرها مجلس الاتحاد أو اعترضت عليها إحدى الدولتين أو الدول .

مادة (٢٣) تتبع مجلس الاتحاد الهيئات الآتية .

(ا) مجلس الدفاع . (ب) المجلس الإقتصادى . (حـ) المجلس الثقافى ،

وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الاتحاد للتصديق عليها .

مادة (٢٤) : يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الاتحاد واختصاصها .

الباب الثالث (أحكام عامة واقتصادية)

مادة (٢٥) : يصدر تعيين المقر الدائم لاتحاد الدول العربية وحدوده حسب قرار من المجلس الأعلى للاتحاد ، ويعقد مجلس الاتحاد والهيئات التابعة له جلساته فى المدينة التى يحدد بصفةٍ دوريه .

ماد (٢٦) : يبين القانون القواعد التى تسرى على اقليم المقر الدائم للاتحاد

ماد (٢٧) : تكون للقوانين الاتحادية قوة الزامية فى البلاد المتحدة ويعمل بها بعد خمسة عشر يوماً من تاريخ نشرها فى الجريدة الرسمية للاتحاد مالم ينص القانون على غير ذلك .

مادة (٢٨) : يعين رئيس كل دولة وزيراً لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالإشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد فى الاقليم الذى يتبعه .

مادة (٢٩) : يعين رئيس كل دولة وزيراً نائباً عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الأخرى ويكون له صفة الوزراء المحليين .

مادة (٣٠) : يلغى التمثيل السياسى بين الدول أعضاء الاتحاد .

مادة (٣١) : تسرى القواعد الجمركية المعمول بها فى الدول أعضاء الاتحاد إلى أن ينظم الاتحاد الجمركى بينها ، وفى خلال ذلك يجوز أن يضع نظاماً جمركياً خاصاً للعمل به بين الدول الأعضاء .

مادة (٣٢) : يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك إلى حين وضع النظام الدائم للاتحاد .

دمشق فى ١٦ شعبان سنة ١٣٧٧ الموافق ٨ مارس (آزار) سنة ١٩٥٨ .

عن ملك المملكة المتوكلية اليمنية	رئيس الجمهورية العربية المتحدة
ولى العهد محمد البدر	جمال عبد الناصر

وقد تبع هذا الميثاق قرارين آخرين أصدرهما المجلس الأعلى لاتحاد الدول العربية مع ستة قوانين ونص الجميع كما يلى :

مجلس الاتحاد :

مادة (١) : يشكل مجلس الاتحاد من اثنى عشر عضواً ويمثل كلاً من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ستة أعضاء يختارون وفقاً للقواعد المعمول بها فى كلٍ من الدولتين لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

مادة (٢) : يكون لوزير كل دولة لدى الاتحاد حق حضور جلسات

مجلس الاتحاد دون أن يكون له صوت معدود فى المداولات .

مادة (٣) : يتمتع أعضاء مجلس الاتحاد بالحصانات والضمانات التى يتمتع بها الممثلون السياسيون وفقاً لقواعد القوانين الدولية .

مادة (٤) : يتقاضى كل من أعضاء مجلس الاتحاد من ميزانية الاتحاد مرتباً مساوياً لمرتب الوزير .

مادة (٥) : تسرى على أعضاء المجلس الأحكام الخاصة بالوزراء .

مادة (٦) : يعمل بهذا القانون من تاريخ العمل بالميثاق .

ميزانية عامة :

مادة (١) : يكون للدول العربية المتحدة ميزانية عامة تتضمن الايرادات والمصروفات .

مادة (٢) : تتكون ايرادات الميزانية من الحصص التى تلتزم الدول الأعضاء بأدائها للاتحاد .

مادة (٣) : تؤدى المملكة المتوكلية اليمنية ٣ ٪ من ايرادات الميزانية العامة للاتحاد ، وتؤدى الباقى الجمهورية العربية المتحدة .

مادة (٤) يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

مؤسسة يمنية للنقد :

مادة (١) : يقوم البنك المركزى للجمهورية العربية المتحدة بإنشاء مؤسسةٍ يمنية للنقد فى المملكة المتوكلية اليمنية تسمى (المؤسسة النقدية المركزية) ويكون لها وحدها امتياز اصدار أوراق النقد اليمنى ، وذلك وفقاً للأسس وبالطريقة التى يضعها المجلس الإقتصادى .

مادة (٢) : تتولى المؤسسة النقدية تنظيم السياسة الائتمانية والمصرفية للمملكة اليمنية والاشراف على تنفيذها وفقاً للخطط العامة التى يرسمها الاتحاد وبما يساعد على دعم الاقتصاد واستقرار النقد اليمنى وعلى تنفيذ الوحدة الاقتصادية بين الدولتين واستكمالها .

مادة (٣) : للمؤسسة النقدية ـ فى سبيل أداء أغراضها ـ أن تتخذ الوسائل الآتية :

(ا) : توجيه الائتمان بما يكفل مقابلة الحاجات الحقيقية لنواحى النشاط التجارى والزراعى والصناعى فى المملكة المتوكلية اليمنية .

(ب) : مراقبة المؤسسات النقدية الأخرى بما يكفل الاهداف السابقة وسلامة المركز المالى لهذه المؤسسة .

(ح) : إدارة احتياجات الدولة من الذهب والعملات الأجنبية .

(ى) : اتخاذ التدابير المناسبة لمكافحة الاضطرابات الاقتصادية والمالية والمحلية .

(ه) الاشراف على عمليات الاستيراد والتصدير وعلى عمليات الصرف .

عملة يمنية جديدة :

مادة (١) : تقوم المؤسسة النقدية فى المملكة اليمنية باصدار أوراق النقد اليمنى وسك عمله فضية يمنية جديدة تسمى الريال اليمنى تكون لها نفس القيمة الاسمية التى للريال ماريا تريزا ، وتحدد المؤسسة موعد التعامل بالعملة الجديدة .

مادة (٢) : يكون لأوراق النقد التى تصدرها المؤسسة النقدية قوة ابراد غير محدودة .

مادة (٣) : الوحدة القياسية للعملة فى المملكة المتوكلية اليمنية هى الجنيه

اليمنى ، ويثبت صرف الجنيه اليمنى بالجنيه المصرى على أساس التساوى .

مادة (٤) : تحدد العلاقة بين الريال اليمنى والجنيه اليمنى على أن يكون الريال جزءاً صحيحاً للعملة الورقية وفقاً للأساس الذى تضعه المؤسسة .

مادة (٥) : يحدد غطاء النقد اليمنى ، بما يضمن تقوية العلاقات بينه وبين نقد الجمهورية العربية المتحدة ، وفى سبيل ذلك يتكون الغطاء فى جزء كبير منه ، من أذونات على خزانة الجمهورية العربية المتحدة .

مادة (٦) : يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

النظام الدفاعى :

مادة (١) : يتكون جهاز النظام الدفاعى لاتحاد الدول العربية من الهيئات الآتية :

١ — المجلس الأعلى للاتحاد .

٢ — مجلس الدفاع .

٣ — القيادة العامة للقوات المسلحة .

مادة (٢) : المجلس الأعلى للاتحاد هو الهيئات العليا للدفاع .

مادة (٣) : يتكون مجلس الدفاع من وزراء الدفاع فى بلدى الاتحاد وعضوين من مجلس الاتحاد ، ويحضر الاجتماعات مندوب عن القيادة العامة لقوات الاتحاد ، للاستشارة وتولى أعمال السكرتارية .

مادة (٤) : يختص مجلس الدفاع بالنظر فى التوصيات التى تقدمها له القيادة العامة لقوات الاتحاد بشأن الموضوعات الآتية :

(ا) : السياسة الدفاعية بما يحقق أمن وسلامة الدول أعضاء الاتحاد وتأمين مصالحها المشتركة .

(ب) السياسة التى تتبع فى اعداد قوات الاتحاد من حيث تنظيمها وتسليحها وتدريبها وإنشاء صناعتها وقواعدها .

(ح) : تعيين الحالات التى تستخدم فيها قوات الاتحاد بأوامر مباشرة من القائد العام للقوات المسلحة .

(ى) : السياسة التى تتبع بشأن التعبئة العامة والدفاع المدنى عند نشوب الحرب .

اختصاصات القائد العام :

مادة (٥) : يختص القائد العام للقوات المسلحة بما يأتى :

(ا) وضع وإصدار العمليات لتنفيذ السياسة الدفاعية المقررة من المجلس الأعلى للاتحاد وادارة عمليات قوات الاتحاد عند نشوب الحرب .

(ب) : تقدير حجم قوات الاتحاد برية وبحرية وجوية وما يلزمها من منشآت وقواعد ومواصلات ووضع البرامج اللازمة لتنفيذ ذلك .

(ح) : توزيع قوات الاتحاد على ضوء خطط العمليات الموضوعة .

(ى) : إصدار الأوامر والتعليمات التى يراها لازمة لامداد قوات الاتحاد للقيام بمسئولياتها بكفاءة تامة فى نواحى التنظيم والتسليح والتدريب والتجهيز ، لتوحيد النظم والمنشآت التدريبية .

(هـ) : تقديم المقترحات التى يراها بشأن توحيد النظم الإدارية والمالية لقوات الاتحاد وبشأن القوانين المنظمة لخدمة أفرادها .

وتصدر القيادة العامة للقوات المسلحة التوجيهات الخاصة بالموضوعات السابقة إلى رؤساء هيئة أركان الحرب لتنفيذها بعد موافقة مجلس الدفاع عليها .

مادة (٦) : تندب القيادة العامة من يمثلها لدى رئاسة أركان حرب جيش الاتحاد وتوفر له وسائل الاتصال بكافة أنواعها مع القيادة العامة .

رؤساء هيئة أركان الحرب :

مادة (٧) : يتولى رؤساء هيئة أركان حرب جيوش الدول الأعضاء تنفيذ التعليمات التى تصدرها القيادة العامة فى شأن تنظيم وتسليح وتوجيه وتدريب قوات الاتحاد والاشراف على تنفيذ القواعد وخطوط المواصلات اللازمة لهذه القوات والتى يتقرر إنشاؤها ، ويتولون كذلك إمداد قوات الاتحاد باحياجاتها من المعدات والأفراد وتنظيم الخدمات بما يحقق السياسية المشتركة التى وضعها المجلس الأعلى للاتحاد .

مادة (٨) : تتألف قوات الإتحاد فى الدول الأعضاء مما يخصص لها من القوات المسلحة وقواعد عملياتها ووحدات الانذار عن هذه القواعد ووحدات المواصلات والمنشآت والمخازن وورش الاصلاح .

مادة (٩) : تتنقل قوات الاتحاد بين أراضى الدول الأعضاء حسب ما يتطلبه الموقف العسكرى وضرورة العمليات الدفاعية وفقاً لما يقرره القائد العام لقوات الاتحاد على أن تكون القيادة للقائد المحلى .

مادة (١٠) : يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

المجلسان الثقافى والاقتصادى :

مادة (١) : يشكل كل من المجلس الثقافى والمجلس الاقتصادى التابعين لمجلس الاتحاد من عددٍ متساوٍ من ممثلى كل دولة من الدول أعضاء الاتحاد يختارهم رئيس كل دولة لمدة ٣ سنوات .

مادة (٢) : يتولى رئاسة كل من المجلسين سنوياً أحد ممثلى كل دولة يختاره أعضاء المجلس بالتناوب بين الدول أعضاء الاتحاد .

مادة (٣) : يختص المجلس الثقافى بالآتى :

(ا) رسم السياسة العامة للتعليم بما يكفل تحقيق أهداف الاتحاد ومايستتبع ذلك من تحديد المراحل ووضع الخطوط العامة للمناهج والكتب المدرسية .

(ب) : وضع نظام يكفل وحدة التعليم الفنى والمهنى فى الدول أعضاء الاتحاد .

(ح) : وضع نظم لتنقل الأساتذة والطلاب بين الدول أعضاء الاتحاد ووضع نظم الاختبارات .

(ى) : دراسة التراث الثقافى فى الدول أعضاء الاتحاد والعمل على تنميته وتقوية هذا التراث الثقافى وتنسيقه .

(هـ) : وضع نظم لكيفية إعداد المعلمين بما يكفل أن يؤدوا رسالتهم بما يحقق الغاية ، ويكون المجلس الثقافى حلقة الاتصال بين مجلس الاتحاد وهيئات الادارة الثقافية فى الدول أعضاء الاتحاد .

مادة (٤) : يختص المجلس الاقتصادى بما يأتى :

(ا) : رسم السياسة العامة للشؤون الاقتصادية بما يكفل تحقيق أهداف الاتحاد وتنسيق أوجه النشاط الاقتصادى فى الدول أعضاء الاتحاد .

(ب) : وضع الخطط لاستغلال الموارد الطبيعية والبشرية وانعاش التجارة وتنظيم انتقال رؤوس الأموال بين الدول أعضاء الاتحاد .

(ح) : تنظيم التجارة الخارجية للاتحاد ، ويكون المجلس الاقتصادى حلقة الاتصال بين مجلس الاتحاد وهيئة الادارة الاقتصادية فى الدول أعضاء الاتحاد .

موقف الامام السلبي من الاتحاد :

لقد كان انضمام الامام إلى الاتحاد خطوة جريئة غير مترقبة منه ولهـذا قوبلت بادىء الأمر بالإعجاب والتقدير من كل عربي يؤمن بضرورة التكتل العربي ووحدته ، ولـكنه لم يمض على توقيع الميثاق برهة من الزمن حتى انـكشفت دخيلة الامام وسياسته التي كانت تهدف إلى كم الأفواه التي أخذت أصواتها ترتفع منادية بتغيير النظام الرجعي وتصحيح الأوضاع ؛ واستغلال « الاتحاد » في إخماد جذوة السخط والنقمة التي كان يذكيها الأحرار خارج البلاد ، وقد اتضح ذلك من موقف الإمام السلبي من الاتحاد بل تجميده بكل وسيلة .

أما الجمهورية العربية المتحدة فقد ظلت متمسكةً بالاتحاد بصفته النواة الصالحة لتـكوين الوحدة العربية وخطوة مبـاركة ستحققها الأيام إن لم يحققها الإمام .

وبينما استمرت الجمهورية العربية المتحدة في مطالبة الامام محاولةً إقناعه بضرورة تنفيذ الميثاق وإخراجه إلى حيز العمل ، ما برحت تتحمل مسئولية الاتفاق على الوزراء اليمنيين دون أن يسدد الامام منها شيئاً .

وكان آخر عمل تقوم به الجمهورية العربية هو إيفاد رئيس مجلس الاتحاد السيد إحسان الله الجابري إلى الامام ، وقد وصل إلى تعز في ١٨ ربيع أول سنة ١٣٨١ إثر تجديد الاتحاد في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦١ ، وحاول أن يتفاهم مع الامام ولـكنه لم يجد إلا المغالطة والمواعيد ، وعاد إلى القاهرة دون نتيجة .

وأحسّ الامام أخيراً بموقفه الحرج من استنكار الرأى العـام بالنسبة لتجميد الاتحاد بعد أن أخذت الصحف العربية في القاهرة وبيروت وعدن توجه حملاتها وتشن غاراتها على الامام وعلى سياسته الخداعية .

من ذلك ما نشرته مجلة (القومية) التى تصدر فى بيروت فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦١ حيث قالت :

« ولقد أوضحنا أكثر من مرة رأينا فى هذا « الاتحاد » العجيب بين دولةٍ تنتمى فى واقعها وعقلية حكامها ونظامها إلى ما هو أكثر تخلفاً من القرون الوسطى ، وبين دولة تسير فى دروب الاشتراكية والمجتمع التقدمى . والذى يدفعنا الآن إلى العودة للحديث عن « الاتحاد » العجيب هو كون الامام طلب مؤخراً تجديد الاتحاد بعد أن انتهت مدته الأولى وهى ثلاث سنوات وقف فيها الامام حائلاً دون تنفيذ أى بند من بنود الاتحاد الثقافى لأن التنفيذ معناه أن يتسرب العلم وتتسرب الثقافة إلى المملكة « السعيدة » وليس أخطر على الامام من أن يتسرب العلم والثقافة إلى البلاد التى حرص هو وآباؤه على إغراقها فى الجهل » .

وفى أوائل شهر رجب سنة ١٣٨١ وعندما كان الخلاف على أشده بين الجمهورية العربية المتحدة من جهة وبين الحكومتين السعودية والأردنية من جهةٍ أخرى ، رأى الامام أنَّ الوقت حان للظهور بالمظهر المعتاد والوقوف فى منصة المصلح بين العباد فأصدر أرجوزته التى لم يعقبها إلا حل الاتحاد .

هذا وقد رأيت لزاماً علىّ إيراد بعد التفاصيل عن هذه الارجوزة بحسب ما أعلمه عنها ، فهى لم تكن من نظم الامام بل كانت من نظم أحد شعراء اليمن الأحداث ، وقد استدعاه الامام إليه وطلب منه أن يجيز الشطر الأولى من مطلع القصيدة وهو (نصيحة تهدى إلى كل العرب) ، وأن ينشىء على ذلك أرجوزةً تتضمن النصحية إلى العرب بصورة إجمالية ، تدعوهم إلى الوحدة والائتلاف وعدم الاختلاف ، ولما فرغ الشاعر من نظم الارجوزة وكانت تتضمن ثلاثة وعشرين بيتاً طلب منه الامام أن يكملها أربعين ، على أن يتضمن هذا التكميل الاستنكار على

العرب فيما يجرى بين بعضهم من التنازع والشتم والسباب والحرب الاذاعية الخ .

ولما انتهى الشاعر من اكمالها إلى أربعين بيتاً أمره بأن يكملها إلى ستين بيتاً على أن ينظم هذا التكميل الأخير موضوعاً سياسياً آخر هو غرض الامام الوحيد وما يهدف إليه من أبيات القصيد ، ألا وهو مهاجمة الاشتراكية والتأميم اللذين أعلنتهما الجمهورية العربية فى مصر ، وقد اتخذ منهما الامام ذريعةً لمهاجمة الجمهورية العربية وصبّ جام غضبه عليها ، كما جعل منهما صورة بشعة تبدو وكأنها منافيةً لمبادىء الدين وأهداف الشريعة الإسلامية على حدّ زعم الإمام .

وتردد الشاعر فى هذا الأمر إذا كان عليه إما أن يرضخ لأمر الإمام سواء راضياً أم كارهاً وإمّا أن يرفضه ويتعرض لسخطه وغضبه وهذا ما كان الناس يحرصون كل الحرص على تجنبه .

ولما كان الشاعر يفهم الاشتراكية الإسلامية فهماً صحيحاً ويؤمن بها إيماناً راسخاً ، فقد تمكن بلباقةٍ من إقناع الإمام بعدم لزوم إيرادها فى الأرجوزة بصفتها كلمة عصرية ، لمفهومها أصل فى الشريعة الإسلامية برمز إلى نشر العدالة الاجتماعية والمساواة ، كما رأى أن يقتصر فى ذكر التأميم على خمسة أبيات فقط بدأها بقوله :

مِن أخذ ما للناس من أموال   وما تكسبوا من (الحلال)

وقد جعل قوله (من الحلال) شرطاً أساسياً لما يترتب عليه مفهوم بقية الأبيات الخمسة ، وهذا ما يصلح أن يكون ردًّا صريحاً على الإمام ، لأنه وسائر علماء المذهب الزيدى يقولون إن (الحرام ليس برزق) بالإضافة إلى أن المذهب الزيدى الذى يتزعمه الإمام ينص على مصادرة أموال الظلمة وردّها إلى ملكية الأمّة ، وهو ما يتناول التأميم منطوقاً ومفهوماً ، وهو أيضاً ما قامت بتطبيقه حكومة الرئيس جمال عبد الناصر فى مصر من تأميم تلك البنوك

والشركات الأجنبية التى ظلت تمتص ثروات البلاد وتعبث بمرافقها ومقدراتها زماناً طويلاً مع إيفائها برأس مالها ، وفى هذا منتهى العدل وغاية الإنصاف .

وقد رأيت من الضرورى إيراد هـذه الأرجوزة بكاملها هنا ليطلع عليها القارىء ثم يحكم فيها بما شاء .

(إلى العرب)

نصيحةٌ تهدى إلى كل العرب	ذوى البطولات العظام والحسب
نصيحة تحـــرك الضمائرا	وتوقظ القـلوب والمشـاعرا
وتستثير نخوة الأجـــداد	وشيم المـكارم الأمجـــاد
مَن شرّفوا ألسنهم عن الخنا	وللحمى والعرض كانوا أصونا
نصيحة أزفهـــا إليهمُ	عسى أرى قبـولهم لديهمُ
أن يذكروا ما جاء فى (القرآن)	من حـكيمِ معجزة البيـان
تدعوهم لألفة القـــلوب	ووحدة الصفوف فى الخطوب
وأن يكونوا كالبنا المرصوص	فيسلموا مـذمة النـــكوصِ
ويرفعوا فى قمة المجـد علمْ	وينصروا الحق إذا الخطب ادلهمْ
وينشروا مبـادىء الإسلام	والعـــدل والسلام فى الأنام
فقد أتى فى محـكم التنزيل	مالا مجـال فيـه للتأويل
كونوا على عدوِّكم أعوانا	ورحمـاء بينـــكم إخوانا
أعزة عنـد اشتداد البأس	لا يستلين عزمـكم لليأس
واتّبعوا ما أنزل الله لـكم	وأخلصوا لوجهه أعمالـكم
واعتصموا بحبـــله . جميعاً	واجتنبوا الفرقة والتشـنيعا
وكم أتى على لسان أحمـدِ	من الهدى إلى السبيل الأرشدِ
كم حثنا لوحـدة الصفوف	ونبذ كل مبـدء سخيف

وكم دعانا للاخاء والحبّ والبعد عن قول الخنا والعجب
هـذى التعاليم التى علمنـا خير رسولٍ جاء رحمـةً لنـا
فما دعاكم يا بنى العرب إلى هذا النزاع والخصام والقِلَى ؟
وما لـكم حدتم عن الطريق ؟ وعبثت فيـكم يد التمزيق
وأصبحت قـلوبكم أشـتاتاً ليست تعـير رشدها التفاتا
فأدرك العـدوّ منـكم أمـله وفت زندكم وحزّ مفصـله

* * *

مالى أراكم تملؤنا الأرضـا قولاً يُفيض حسداً وبغضاً
وتفعمـون الجوّ بالشـتائمُ وتصفعون جبهـة المـكارم
وتصرخون من فم المذياع بكل صوت ناشز الإيقاع
كم تشتمون بعضـكم بعضاً وكم هتـكتموا ياقوم جانب الُحرم
أقلقـتم مضاجـع الآباء ولم تصونوا ذمـة الوفاء
واستحيت الأمجاد منكم والشرف وسخرت منـكم عناوين الصحف
وابتسم العـدو بسـمة الظفر كأنمـا احتلّ حمـاكم وانتصر
نسيتمُ عـدونا المشـتركا وصرتم بعضاً لبعضٍ شَرَكا
شـننتم الحروب فيما بينـكم ودستم العهد الذى يصونـكم
ولم تراعـوا حرمة الإسـلام ولاشـعار القـادة العظام
فصرتم عاراً على الآباء ولعنـةً فى شـفة السماء
وصـيرتـكم شـهوة الأطماع سـفينةً تاهت بـلا شراع
فهل تعـودون إلى الرشـاد ؟ وتغسـلون دَرَن الأحقاد ؟
وتقطعـون ألسن السـباب وتغلقون عنـه كل باب ؟
وتنبذون الـكيد والخداعا ؟ والعجب والغرور والأطماعا ؟

متى تكفرون عن أخطائكم ؟ وتأخذون الدرس عن آبائكم
وتجمعون صفكم كى تضربوا أعداءكم وتعمروا ما خربوا ؟

* * *

هيَّا فقد آن الأوان وانتهت عصور ذل سيطرت واستحكمت
خضعتم فيها لأمر الأجنبى وذاب فيكم كل عرقٍ عربى
هيا بنا نبنى صروح الوحدةِ ونرتقى للمجد أعلى قمة
فينتشى تاريخنا افتخارا وتركع الدنيا لنا إكبارا

* * *

هيَّا بنا لوحدة مبنيَّهْ على أصول بيننا مرضيَّهْ
قانونها شريعة الإسلام قدسية الأوصاف والأحكام
ليس بها شائبةٌ من البدعْ تجيز ما الإسلام عنه قد منعْ
مِن أخذِ ما للناس من أموال وما تكسبوا من الحلال
بحجة التأميم والمعادله بين ذوى المال ومن لا مالَ لهْ
لأن هذا ماله دليلُ فى الدين أو تجيزه العقولُ
فأخذ مال الناس بالأرغام جريمة فى شرعة الإسلام
ولا يجوز أخذ مال الغير ألا بأنْ يرضى بدون ضير
والدين قد سنَّ الزكاة فينا طهارةً لما حوت أيدينا
يعيش منها العاجز المحروم ويسعد الحاكم والمحكوم
وليس فى مقدارها إجحاف ولا خلا من أمرها الانصاف
وممكنٌ إصلاح ما قد كانا ومحو ما قد غيَّر الأذهانا
وعودة الماء إلى مجراه فينعم الشعب بما يهواه
ويستتبُّ الأمن فى البلاد وينزل الخصب بكل وادى
وليس فى العود إلى الصواب مذمة لدى أولى الألباب

فالحسنات تقتـــل الآثاما وتذهب الأحقـــاد والأوهاما
والبغض قد يغـــدو إلى وئام إذا محـــوت الذنب بالإكرام
فإن وعيـــتم ياولاة الأمر نصحى أمنتم غائلات الدهـــر
وسدتم الدنيـــا بكل فخـــر وجئتم الأخـــرى بكل أجرِ
والله يهـــديكم إلى الرشادِ ويبسط الخـــير على العبـــاد

الجمهورية العربية المتحدة تعلن حل الاتحاد :

وفى ٢٧ديسمبر سنة ١٩٥١ (١٩ رجب ١٣٨١) أصدرت الجمهورية العربية المتحدة قراراً أعلنت فيه حل الاتحاد وضمنته موقف المسئولين فى اليمن خلال ثلاث سنوات ونصف من هذا الاتحاد ، وفيما يلى النص الكامل للقرار :

« قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تنهى أعمال اتحاد الدول العربية الذى كان يجمعها مع حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد حميد الدين إمام اليمن ، وترى حكومة الجمهورية العربية المتحدة وهى تتخذ هذا القرار أن تعلن للرأى العام العربى حقيقة الدوافع التى حدت بها إلى هذه الخطوة .

أولاً — أنه لا يوجد فى طبيعة أى من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد كأداةٍ سياسية فعالة ، قادرة على الإسهام الإيجابى فى تطوير النضال ، ومن هذا الاختلاف فى الطبيعة تختلف نظرة كل منهما للأمور ، ومع أن هذا حق ثابت لكل من الحكومتين ، إلا أنه من المتعين مواجهة هذا الاختلاف بعد سنوات حاسمة من التجربة ، خصوصاً وأن الجمهورية العربية المتحدة تشعر بالتزامها العميق أمام حركة الجماهير العربية سعياً للعدل الاجتماعى .

ثانياً — أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تجد لزاماً عليها أن تحدد موقفها من قضايا الوحدة والاتحاد فى جلاء لا يلابسه شك ، وموقف الجمهورية

العربية المتحدة من قضية الوحدة والاتحاد لا يمكن أن تقوم على أسس صحيحة ما لم يكن هناك توافق بينها وبين الأطراف التي يعنيها الأمر على حلول مشاكل التطور الاجتماعي، وإذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعتقد في إيمان راسخ بأن الاشتراكية هي الحل الصحيح لمشاكل الواقع العربي، فإنها في نفس الوقت — وبكل إيمانها الذي لا يتزعزع بحتمية الوحدة — ترى أن توافق النظرة الاجتماعية حيوي لإنجاح تجربة الوحدة ».

ثالثاً — أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة إقامة الاتحاد العربي تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة في خدمة الشعب اليمني وفي خدمة قضاياه العادلة، ولكن تجارب السنوات الماضية، أكدت بما لا يقبل مجالاً للشك أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة، وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وهي تقدم على هذه الخطوة تتمنى بإخلاص لو أدركت حكومة اليمن حقيقة الموقف الذي دعى إليها.

« على أن هذه الخطوة لا تؤثر إطلاقاً في تمسك الجمهورية العربية المتحدة بإمكانيات التعايش السلمي بين الدول التي تختلف نظراتها الاجتماعية ومناهجها ولسوف تحرص الجمهورية العربية المتحدة كل الحرص على علاقاتها مع حكومة اليمن، ولن تتردد في أن تقدم إلى هذه الحكومة أي مساعدات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية يمكن أن تكون لها فائدة بالنسبة لشعب اليمن الشقيق الذي يكن له شعب الجمهورية العربية المتحدة كل محبة صادقة وكل ودٍّ متين ».

الجنوب اليمني المحتل وموقف الإمام أحمد منه :

مما لا يستطيع أن ينكره المتتبع لسير الأحداث في الجنوب خلال الخمسة عشر عاماً الماضية وهي المدة التي حكم فيها الإمام أحمد اليمن، هو أن موقفه إزاء قضية

الجنوب كان موقفاً مائعاً بكلما تحمله الكلمة من معنى ، وأنه لا يقل سلبيةً عن موقف أبيه الإمام يحيى بل يزيد ، فكما أن الإمام يحيى قد أقر وجود الاستعمار البريطانى فى الجنوب بتوقيعه معاهدة الصداقة فى سنة ١٩٣٤ السالفة الذكر ، فإن الإمام أحمد قد عمل على ترسيخ أقدام الاستعمار وتمييع القضية من أول عام تربع فيه على عرش البلاد ، وهذا يتضح لنا من عدة وجوه أهمها :

أولاً — أنه لم يمض على حكمه عام واحد حتى كان قد اتفق مع السلطات الاستعمارية فى عدن على فتح مفاوضات تهدف إلى تحسين العلاقات ، وبناءً عليه فقد بعث إلى لنـــدن فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٠ (١٠ صفر سنة ١٣٧٠) وفداً يتكون من حسن بن على بن إبراهيم والقاضى محمد بن عبد الله العمرى ، حاملاً مذكرة الإمام المتضمنة رغبته فى إنشاء علاقاتٍ ودية وسياسية وتعاون بين اليمن وبريطانيا « المستعمرة » ، ولما أحست بريطانيا برغبة الإمام الشديدة فى ذلك أظهرت التصلب فى موقفها ، بأن امتنعت عن الدخول فى أية مفاوضاتٍ مهما كانت الحدود بين اليمن الحرة وما تسميه بريطانيا بـ (المحميات) لم تخطط ، واقترحت أولاً قيام هيئةٍ من الجانبين بتخطيط الحدود بموجب المعاهدة التركية البريطانية المعقودة بلندن سنة ١٩١٤ م .

ورد الوفد اليمنى بأن التخطيط أمر لن يكون ، وأن المعاهدة التركية — إن صح وقوعها — فإن الأتراك ليس لهم حق فى التصرف فى شىءٍ كانوا يعتبرون فيه غاصبين ، وبهذا فشلت المفاوضة وأرجئت إلى شهر أغسطس سنة ١٩٥٠ .

وفى الشهر المذكور عاد الوفد إلى لندن ، وافتُتح أول اجتماع فى ٢٩ منه حيث قدم الوفد اليمنى مذكرةً تحتوى على عشر مواد تتضمن رغبة الإمام فى تحسين العلاقات مع بريطانيا والتعاون معها اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً بشرط شمول السيادة اليمنية على جميع المناطق التى وضعتها بريطانيا تحت نفوذها .

وكان رد الوفد البريطانى هو التمسك بالاتفاقية التركية ، وطالب ثانيةً بضرورة تخطيط الحدود ، وبهذا كادت المحادثات أن تفشل ، وأخيراً وبعد عدة اجتماعات صدر بيان مشترك فى لندن فى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٥٠ (١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠) يتضمن عشر مواد ، كتجديدٍ لمعاهدة سنة ١٩٣٤ م، مع زيادة : الاتفاق على تبادل التمثيل السياسى ، والتعاون الاقتصادى ، وانتخاب لجنةٍ لتسوية النزاع فى أماكن مختلفة من مناطق الأطراف ، والمحافظة على العلاقات الودية دائماً ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع أية دعايةٍ يكون من شأنها التأثير فيها أو المس برئاسة الدولة أو العائلة المالكة .

ثانياً — أن عدم قيام الإمام بأية إصلاح فى اليمن وانصرافه عن تطويرها وتحسين الأوضاع فيها كان أكبر حافزٍ للتوسع الاستعمارى وامتداده فى الجنوب، كما كان أقوى عامل له فى إخماد الروح الوطنية فى المنطقة بالتعاون مع بعض الأحزاب الداخلية والفئات العميلة ، وخلق اتجاهات انفصالية وإقليمية تتناسب مع المخطط الاستعمارى .

وبالرغم من هذا فقد تمكنت بعض الفئات التحررية من تشكيل رابطةٍ قومية أطلق عليها (رابطة أبناء الجنوب) برئاسة السيد محمد بن على الجفرى ، وقد أحرزت بعض النجاح وتأييد الكثير من أحرار اليمن ، وبقيت تواصل نشاطها بواسطة مكتبٍ لها فى القاهرة يسمى (مكتب الجنوب العربى) حتى سنة ١٩٥٩ .

وكان موقف الإمام أحمد من الرابطة موقفاً عدائياً لايمكن تفسيره بأكثر من محاولة إماتة القضية وتجميدها ، ولهذا فقد أوعز إلى نائبه بالقاهرة حسن ابن على إبراهيم بأن يعمل بجد على تحطيم معنوية هذا المكتب والتحديد من نشاطه ، وبناءً عليه فقد قام النائب المشار إليه بمعارضة زعماء الرابطة والحيلولة دون نشاط ممثليها فى كثير من المواقف والمؤتمرات الدولية .

ونتيجةً لتطور الوعى القومى فى المنطقة فقد أنشئت جبهة وطنية شعبية فى (عدن) وعقد أول مؤتمر لها بساحة العمال فى مطلع عام ١٩٦٠ وصدر على إثره قرار نشرته بعض الصحف العدنية، ويقضى بإلغاء الرابطة وبعدم شرعية (المكتب العربى) الذى نعته بالانحراف واستغلال القضية فى مصلحة زعمائه الشخصية، كما اتهم السلطان على عبد الكريم والجفرى بعدم استجابتهما للشباب بمقاطعة انتخابات مجلس حكومة عدن التشريعى الذى يحرّم على أبناء الشمال حق الانتخابات، وحجب القضية الحقيقية فى المنطقة عن الجمهورية العربية المتحدة التى يثق الشعب العربى فى اليمن أنها نواة وحدته العربية الشاملة وكذا بالنسبة للصعيد العربى والعالمى فى المؤتمرات الدولية، واتهمها بالاستيلاء على المعونات التى اعتمدها اتحاد العمال العرب للمؤتمر العمالى وقدرها عشرة آلاف جنيه، وبمهادنة السلاطين المعروفين دائماً بتعاونهم مع الاستعمار، والتصرف على حساب الحركة الوطنية.

وقد سُرّ الإمام أحمد بإغلاق هذا المكتب الذى طالما كان نشاطه يشغل باله، ولكنه لم يلبث أن فوجىء بصدور الوثيقة الوطنية للمؤتمر الشعبى العمالى التى نشرها فى ٣ أبريل سنة ١٩٦١ والتى تنص على وجوب تحرير المنطقة بكاملها من الاستعمار والرجعية، بل بضرورة اتحاد الشعب العربى فى اتجاهه ونضاله وهدفه من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى، وقالت فى أحد بنودها إن الجمهورية العربية المتحدة هى نواة هذه الدولة الأصيلة للأمة العربية الواحدة؛ كما واجه الإمام بعد ذلك عدة حملات فى الصحف والبيانات التى كانت تصدرها الأمانة العامة للمؤتمر وتتضمن الهجوم العنيف على سياسة الإمام والتنديد بحكمه المستبد.

تجدد العدوان البريطانى على اليمن:

لما رأت بريطانيا عدم نجاحها مع وفد اليمن فى تخطيط الحدود سلكت طريقاً آخر فى تحقيق مآربها وهو طريق إثارة القلاقل والتحرشات على طول المناطق

الشرقية اليمنية ، محاولةً بذلك الضغط على اليمن فى الدخول فى مفاوضات حول هـذا الغرض ، واستمرت فى خطتها هذه إلى سنة ١٩٥٤ وفيها حدثت بعض الاشتباكات بين القوات اليمنية والقوات الإنكليزية فى عدة مناطق ، وانتهزت بريطانيا هذه الفرصة فجردت عدة غارات جوية وبرية على المدن والقرى اليمنية وأنزلت بها خسائر فادحة فى الأموال والأرواح كما أسفرت عن تدمير الكثير من المنازل فى مدينة (الصومعة) بالقرب من البيضاء ومنطقة حريب ومأرب .

وما إن أحيطت الجامعة العربية علماً بهذا العدوان الوحشى حتى أرسلت فى ١٠ أبريل سنة ١٩٥٤ (١٣ شوال سنة ١٣٧٤) وفداً برئاسة أمين الجامعة السيد عبد الخالق حسونة حيث قام بزيارة المناطق المعتدى عليها ووضع تقارير عن الحالة ، وبعد عود الوفد إلى القاهرة قدمت الجامعة احتجاجًا شديد اللهجة إلى الوفود العربية فى هيئة الأمم المتحـدة وإلى البعثات السياسية فى جميع الأقطار العربية .

ولكن بريطانيا لم تكُفّ عن مواصلة اعتداءاتها ، فقد استأنفت خطتها فى حشد الحشود وضرب مناطق أخرى من اليمن ، وقرر مجلس الجامعة العربية المنعقد فى مارس سنة ١٩٥٧ إرسال بعثة أخرى برئاسة السيد أحمد الشقيرى الأمين العام المساعد للجامعة ، ووصلت إلى تعز فى ٣ أبريل سنة ١٩٥٧ (٤ القعدة سنة ١٣٧٧) ، ثم واصلت سفرها إلى محل الحادث وشاهدت بنفسها إطلاق النيران من جانب القوات البريطانية فى منطقة حريب ، وقدمت بعد عودها تقريراً إلى الجامعة .

وفى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٧ أصدرت الجامعة بياناً تستنكر فيه إمعان السلطات البريطانية فى أساليب الإرهاب والعنف ومحاصرة القوات الاستعمارية لليمن من ثلاث جهات مما دعى بعض الفئات التحررية فى الجنوب إلى اللجوء

إلى اليمن ، كما ألح البيان بضرورة تقديم الإسعاف العاجل المنكوبين من جمعية الهلال والصليب الأحمر .

وقالت الجامعة فى بيانها أن فى الجنوب حركة قوية عارمة تهدف إلى التحرر من الاستعمار البريطانى والانضمام إلى الوطن الأم ، إيقاناً بوحدة اليمن شماله وجنوبه وإيماناً بالروابط القومية العربية .



صورة رقم (٤٠)
آثار العدوان البريطانى على مدينة الصومعة .

اتحاد إمارات الجنوب العربى :

وفى أوائل سنة ١٩٥٩ م كانت بريطانيا قد فرغت من ترتيب خطة جديدة تهدف إلى فصل الجنوب اليمنى نهائياً عن الوطن الأصلى وصهره فى قالب يمكنها من السيطرة المطلقة على كامل أجزاء المنطقة التى كانت قد مزقتها إلى عدة إمارات ومشيخات ، وساعدها فى تكوين هذا الاتحاد المزيف بعض العصابات الانفصالية

فى عدن والمناطق اليمنية المحتلة ومن ضمنها السلاطين الذين كانت بريطانيا قد استدعتهم إلى لندن حيث عقدت معهم عدة اجتماعات فى وزارة المستعمرات البريطانية وانتهت بإصدار بيان يتضمن موافقتهم على إنشاء حكومة الاتحاد المزعومة بين إمارات المقاطعات الغربية ثم تلاها دخول دولة الواحدى من المقاطعات الشرقية .

وكان لهذا البيان أثره السيىء لدى سكان الجنوب خاصةً وقامت على إثره عدة مظاهرات فى عدن والمقاطعات كما شاعت موجة من السخط والألم لدى سكان الشمال .

أما الحكومة اليمنية فقد وقفت إزاء هـذا الاتحاد موقف المتفرج ولم تقم بأية إجراءات تذكر غير إصدار بيان واحد يتضمن الاستنكار فقط .

معاهدة بين بريطانيا والاتحاد الفيدرالى :

وما أن فرغت بريطانيا من تكوين (الاتحاد) حتى قامت على الفور بوضع مشروع آخر يرمى إلى عقد معاهدة بينها وبين هذا (الاتحاد) كخطوة ثانية لتثبيت أقدامها فى الجنوب بصورةٍ تبدو أمام الرأى العام قانونية نتيجةً لتحقيق مآربها من تكوين (الاتحاد) ، كما يتجلى لنا ذلك بوضوح من نصوص هذه المعاهدة ، وقد نشرها وعلق عليها اتحاد القوميين العرب فى اليمن فى كتاب مستقل ، وقد رأينا إيرادها هنا ليكون القارىء على علم بمحتوياتها .

نص المعاهدة :

« المادة الأولى : سوف يكون هناك سلام وصداقة دائمان وتعاون كامل بين المملكة المتحدة والاتحاد .

المادة الثانية : ١ — سوف تشرف المملكة المتحدة ويكون لها المسئولية الكاملة بشأن علاقات الاتحاد مع الدول الأخرى وحكوماتها والهيئات الدولية ،

وسوف لا يدخل فى أية معاهدة أو اتفاقية أو مراسلات أو علاقات أخرى مع أية دولة أو حكومة أو هيئة بدون معرفة وقبول المملكة المتحدة .

٢ — سوف يبلغ الاتحاد على وجه السرعة المملكة المتحدة عن أى تدخل أو محاولة للتدخل فى شئون الاتحاد من قبل أية دولة أو حكومة أخرى .

٣ — سوف لا تدخل المملكة المتحدة فى أية معاهدة أو اتفاقية تنص على أى تغيير فى حدود الاتحاد أو تعترف بأى تغيير فى هذا الخصوص بدون موافقة الاتحاد .

المادة الثالثة : ١ — ستشمل حكومة صاحبة الجلالة الاتحاد برعايتها الكريمة وحمايتها .

٢ — إن الترتيبات المفصلة والمذكورة فى الملحق بشأن المساعدة والتعاون المشترك بالدفاع سوف يكون لها مفعولها كجزء من المعاهدة الحاضرة .

المادة الرابعة : ١ — سوف تقدم المملكة المتحدة إلى الاتحاد النصح والمساعدة المالية والفنية لكى تساعد الاتحاد فى تطوره الاقتصادى والسياسى ، وتأسيس وصيانة جيش الاتحاد والحرس الوطنى للاتحاد ، وسوف يقرر مقدار وشكل المساعدة المالية والفنية من وقت لآخر بواسطة المملكة المتحدة بعد التشاور مع الاتحاد ، آخذةً بعين الاعتبار كل العوامل الخاصة بالموضوع .

٢ — سوف يسلم إلى الاتحاد ويقدم جميع التسهيلات الضرورية للموظفين الاستشاريين والفنيين الذين تقدمهم المملكة المتحدة بموافقة الاتحاد لمساعدة الاتحاد .

المادة الخامسة : ١ — سوف يقبل الاتحاد ويعمل على إنجاز أى نصيحة تقدم من قبل المملكة المتحدة بشأن أى قضية معلقة بسياسة الاتحاد .

٢ — سوف يقدم الاتحاد إلى المملكة المتحدة نسخاً من الوثائق المتعلقة بإجراءات الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية للاتحاد كما ستطلبه المملكة المتحدة من وقت لآخر .

المادة السادسة : ١ — إن أية ولاية ليست ضمن الاتحاد حتى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة الحاضرة لن يسمح لها بالدخول فى الاتحاد دون موافقة المملكة المتحدة على ذلك .

٢ — عند دخول أية ولاية فى الاتحاد طبقاً لشروط دستور الاتحاد ، ولهذه المادة سيعتبران ـ المملكة المتحدة والاتحاد ـ هذه المعاهدة الخاصة منطبقة على تلك الولاية كجزء من الاتحاد .

المادة السابعة : طالما أن جميع المعاهدات والارتباطات والاتفاقيات الأخرى التى أبرمت من قبل بين المملكة المتحدة وحكام الولايات المشكلة للاتحاد غير متناقضة مع المعاهدة الحاضرة ، فإن تلك المعاهدات والاتفاقيات والارتباطات الأخرى ستستمر سارية المفعول .

المادة الثامنة : لأجل أغراض المعاهدة الحاضرة سوف تكون المراسلة بين المملكة المتحدة والاتحاد عن طريق الشخص الذى يشغل وظيفة الحاكم والقائد العام لمحمية عدن أو من ينوب عنه .

المادة التاسعة : سوف يسرى مفعول المعاهدة الحاضرة عند التوقيع عليها ويمكن إعادة النظر فيها فى أى وقت بالاتفاق المتبادل بين الموقعين عليها .
وإشهاداً على ذلك فقد وقع المذكورون أدناه على المعاهدة الحاضرة بصفتهم الأشخاص المفوضين من قبل الأطراف المتعاقدين .

حررت هذه المعاهدة من نسختين باللغة الإنجليزية .

(ملحق للمعاهدة)

الفصل الأول :

سوف تتخذ المملكة المتحدة الخطوات التى تراها ضرورية فى أى وقت للدفاع والأمن الداخلى للاتحاد .

الفصل الثانى :

١ — سيحتفظ الاتحاد بجيش اتحادى ، وسيتخذ الخطوات التى يراها ضرورية لصيانته ليكون فى حالةٍ من الكفاءة ، واستناداً إلى الالتزامات التى تعهدت بها المملكة المتحدة بخصوص الدفاع عن الاتحاد والمصلحة المشتركة للمملكة المتحدة والاتحاد فى تقديم الدفاع المتبادل ، وسوف يهيىء الاتحاد بناء على طلب المملكة المتحدة ذلك القسم من الجيش الاتحادى الذى تطلبه المملكة المتحدة كما تختار المملكة المتحدة .

٢ — إن الضابط الذى سيكون قائداً لجيش الاتحاد سوف يعين من قبل الاتحاد بموافقة المملكة المتحدة .

الفصل الثالث :

سوف يحتفظ الاتحاد بحرس وطنى لغرض صيانة الأمن الداخلى وحيث يكون ضرورياً للمساعدة فى الدفاع عن الحدود ، وسيتخذ الاتحاد الخطوات التى يراها ضرورية لصيانته ليكون فى حالةٍ من الكفاءة . وبناء على طلب الحاكم العام سيهيىء الاتحاد قسماً من الحرس الوطنى الذى يطلبه الحاكم العام للخدمة تحت إشرافه فى ذلك القسم من محمية عدن خارج الاتحاد .

الفصل الرابع :

بناء على التزامات المملكة المتحدة بمقتضى المادة الرابعة من معاهدة الصداقة والحماية بأن تقدم المساعدة المالية والفنية بخصوص تأسيس وصيانة جيش الاتحاد وحرس وطنى للاتحاد وسوف تقدم المملكة المتحدة ما يقرر بمقتضى تلك المادة .

(ا) الموظفين للمساعدة فى توظيف وإدارة وتدريب جيش الاتحاد والحرس الوطنى .

(ب) التسهيلات : وتشمل الدراسة العسكرية فى الخارج لتدريب أفراد وجيش الاتحاد والحرس الوطنى .

(ح) النصيحة والمساعدة من الخبراء فى الأمور الحربية والفنية .

(ى) المساعدة فى التزويد بالمعدات لجيش الاتحاد والحرس الوطنى .

(ه) الانتفاع بالتسهيلات الموجودة بمحطة مستعمرة عدن .

الفصل الخامس :

١ — سوف يسمح الاتحاد لقوات حكومة صاحبة الجلالة أو أى قوات أن تتمركز فى الاتحاد وأن تتحرك بحرية داخله وإليه ومنه مع معداتها ومخزوناتها وأن تحلق طائراتها فى سماء الاتحاد وأن تقوم بأية عمليات أخرى كلما تدعو الضرورة لذلك . وسوف يمنح الاتحاد لأى قوات تكون فى الاتحاد كل التسهيلات طبقاً لهذا الفصل ، وسيتخذ خطوات أخرى لمساعدتها كلما تدعو الضرورة .

٢ — ماعدا ماهو متفق عليه بين المملكة المتحدة والاتحاد فأية قضية خاصة أو قضية غير ذى صبغة شرعية بخصوص الإجراءات ضد أفراد تلك القوات والموظفين المذكورين فى فقرة (ا) من الفصل الرابع فى هذا الملحق .

وسوف تمارس هذه الأمور بواسطة محاكم وسلطات مؤسسة أو معترف بها من قبل المملكة المتحدة لهذا الغرض وسوف تتخذ المملكة المتحدة تلك الخطوات الضرورية والعملية لتضمن صيانة القانون والنظام بين القوات والأشخاص .

الفصل السادس :

١ — سوف يعين الاتحاد من وقت إلى آخر شخصين لا أكثر للعمل كأعضاء فى مجلس الدفاع الذى سيؤسس من قبل المملكة المتحدة لتقديم النصح إلى الحاكم العام فى الأمور المتعلقة بالدفاع عن محمية عدن .

٢ — سوف يستشير الاتحادمجلس الدفاع فى الأمور المتعلقة بالدفاع والأمن الداخلى للاتحاد ويشمل ذلك الإدارة والتدريب وعمليات قوات الاتحاد وعلى الاتحاد أن يطلع مجلس الدفاع بكل هذه الأمور .

الفصل السابع :

فى هذا الملحق فإن عبارة «الحاكم» إنما تعنى الشخص الذى يشغل منصب الحاكم والقائد العام لمحمية عدن أو من ينوب عنه .

محاولة بريطانيا دمج عدن بالاتحاد :

لقد وقف شعبنا العربى فى الجنوب إزاء هذه المعاهدة وقفته الأخيرة أمام السلطات الاستعمارية والحكام الأذناب الذين فرضوا إرادتهم على الشعب وخولوا لأنفسهم التحكم فى مصيره ، وقامت بعض الفئات المتحررة بتدمير بعض المنشآت البريطانية ونسف خزانات البترول فى البريقا والتواهى ، كما اجتاحت عدن مظاهرات شعبية منادية بسقوط الاستعمار وأذنابه ، وواجهتها القوى الاستعمارية الرهيبة بالقسوة والعنف .

وخوفاً من مستقبل النضال القومى التحررى ومن أن تقوى عاصفة النضال الثورى رأت بريطانيا ضرورة التعجيل بإبداء مخططها الثالث وهو ربط عدن

بالاتحاد المزيف ، محاولةً بذلك خلق وسيلة جديدة لتثبيت مركزها وفرض نفوذها وسيطرتها بشتى الأساليب التى طالما قاوم الشعب العربى أمثالها بأنواع الثورات العارمة والمعارك المتتابعة مؤمناً بحقه فى الاستقلال والحرية والوحدة ، كما تعرض فى هذا السبيل للعديد من التضحيات وقدم الكثير من الشهداء وتمكن من أن يحرز خطوات واسعة وانتصارات كثيرة .

لقد رأت بريطانيا أن تكوّن دولة عربية تضم عدن « المستعمرة » وما يسمى بـ « دولة الجنوب العربى » لتجعل من كيانها المصطنع وسيلةً لحماية مصالحها ونفوذها ، متحايلةً بذلك على القرار الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة المتعلق بوجوب تصفية الاستعمار فى العالم ، ومتظاهرةً بتسليم البلاد إلى أهلها على أساس أن تظل المنطقة مربوطة بعجلة الاستعمار رباطاً وثيقاً ولمدة أطول ، وهذا فى الحقيقة يعنى تشويه التاريخ اليمنى وإضعاف مقومات الأمة العربية ، فى وقتٍ بدأت فيه طلائع الوحدة العربية تبشر بقيام جمهورية عربية موحدة هدفها : الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة .

ولاغرو فإن شعبنا فى الجنوب مطالب بالوقوف فى وجه الاستعمار والحكام المجرمين أكثر من أى وقت مضى لا سيما بعد أن تحرر شعب الشمال من الحكم الرجعى ونفض غبار التخلف والتأخر بقيام جمهوريتنا الفتية بقيادة الضباط الأحرار الذين وقفوا موقفاً مشرفاً من قضية الجنوب منذ أول لحظة من قيام الثورة ، الأمر الذى أذكى جذوة النضال التحررى ودفع بإخواننا فى الجنوب وفى مقدمتهم الحزب الاشتراكى الشعبى بزعامة السيد عبد الله الأصنج[1] إلى مواصلة الكفاح والنضال من أجل تحرير البلاد وإنهاء الحكم الاستعمارى فيها.

---

(١) حكم عليه فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٢ (١٦ رجب سنة ١٣٨٢) بالسجن لمدة سنة لنشره كتاب (النهر الخالد) ، ومعه السيد إدريس أحمد حنبلة أحد أعضاء الحزب البارزين ، وعبد الله عبيد صاحب إحدى المكتبات بعدن.

الفصل الثالث عشر

(المرحلة الثانية من مراحل الثورة اليمنية)

ثورة ٢٥ مارس سنة ١٩٥٥ ضد حكم الإمام أحمد :

لقد تركت ثورة ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٨ التى أنهت حكم الإمام يحيى حسبما تقدم شرارةً لا زال أوارها يتأجج تارةً ويخبو تارةً أخرى ، ونستطيع أن نقول أن الإمام أحمد الذى قُدِّرَ له القضاء على الثورة واستعادة العرش من أيدى الثوار لم يُقَدَّر له إطفاء هذه الشرارة وإخماد أوارها المتأجج ، بل إننا عندما نستعرض حياته وأساليبه فى الحكم نرى أنه قد ساعد كثيراً على إذكاء هذه الشرارة حتى صير منها ضراماً ليس من السهل إطفاء نيرانه التى أصبح من المتوقع أن تندلع ما بين وقتٍ وآخر فتلتهم ما أمامها من مخلفات الحكم الفردى الذى غمر البلاد بالفوضى والانحلال والتدهور وجعلها تسير من سيئ إلى أسوء ، وكان هذا يعود إلى أسباب كثيرة تقدم الكلام عنها فى الفصل السابق ، وأهمها عدم تفكير الإمام فى سلوك طريق الإصلاح ، وإقامة حكم مبنى على النظام والعدل والمساواة ، وحرصه فى أن تظل البلاد سائرةً فى وضعها الأصلى ، وانصرافه الشديد عما يوجهه إليه المخلصون من الإرشاد والنصح ، الأمر الذى حملهم أخيراً على التبرم والنقد .

وكان الأمير عبد الله أخ أحمد أحد أولئك المتبرمين من الوضع الناقدين على الحكم ، وكان قد تقلد عدة مهام إدارية كما قام بجولات كثيرة فى العالم الخارجى وعاد إلى اليمن فى سنة ١٩٥٢ حاملاً أفكاراً جديدة مما دعاه إلى القيام بنشاطٍ فكرى معادٍ للوضع ، ثم انتهى به موخراً إلى النشاط الفعلى ، فقد أخذ

يتصل ببعض رجال الجيش وفى مقدمتهم المقدم أحمد يحيى الثلائى[1] وآخرين من الضباط وبعض المدنيين الذى كان الوضع القائم يقلقهم ويشغل بالهم .

تفاصيل عن الثورة :

وقد اتفق هؤلاء أخيراً على وجوب القيام بحركة تهدف إلى قلب نظام الحكم فى البلاد عند سنوح أول فرصة وإقامة حكم صحيح يضمن للبلاد تقدمها وازدهارها .

وفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٥ (١٤ شعبان سنة ١٣٧٤) كان بعض الجنود الذين لا يتجاوز عددهم الأربعة قد اختلفوا مع بعض رعايا قرية (النجدة) من قرى الحوبان شمالى مدينة تعز ، أدّى ذلك الخلاف إلى إطلاق النار من جانب عاقل القرية وأسفر عن قتل أحد الجنود وإصابة آخرَين بجراح .

وما إن بلغ نائب مقاطعة تعز الحادث حتى بادر بإرسال لجنةٍ تتألف من عضو مدنى وآخر عسكرى للتحقيق فى الحادث (وكان صاحب هذا الكتاب

---

(١) كان أحد زملاء المشير السلال فى البعثة العسكرية التى سافرت إلى العراق سنة ١٩٣٤ ، وكان إلى جانب سلوكه الحسن يحمل طموحاً عالياً وحماساً وطنياً وقد عين بعد عوده من العراق مدرباً لسلاح المشاة فى جيش الدفاع بصنعاء ثم فى تعز سنة ١٩٤١ . وفى سنة ١٩٤٦ عين أميراً لفوج النامونة بصعدة ، وبقى بها إلى تاريخ قيام ثورة سنة ١٩٤٨ حيث قام بدور فعال فى دعمها وتأييدها . وبعد فشل الثورة استدعاه الإمام أحمد إلى (حجه) بعد أن منحه الأمان ، ولكنه ما لبث أن زج به فى سجن (الرادع) بصنعاء لمدة عامين ، ثم أفرج عنه واستدعاه إلى مقامه بتعز وعينه مدرباً عاماً للجيش ، محاولا بذلك استرضاءه واجتذابه إلى صفه ، ولكن وطنيته الحقة وإخلاصه الصادق لبلاده أبيا عليه إلا مواصلة النضال والعمل لصالح الوطن . وما فتىء يواصل اجتماعاته سراً ببعض رجال الجيش بتعز كالمقدم عبد الرحمن باكر والملازم محسن الصعر وغيرهما لتنظيم مخططات الثورة ووضع تدابيرها حتى كانت حادثة (الحوبان) الآتى ذكرها .

هو العضو المدنى) ، أما الإمام فإنه لم يشعر بالقضية إلا فى المساء لأنه كان نائماً وقت الحادث .

لقد وجد المقدم أن الفرصة مؤاتية لتنفيذ الخطة المبرمة مع الأمير فقام — وكان يتمتع بمركز قوى عند أفراد الجيش بصفته مدربه العام — باستنفار الأفراد وإثارتهم للقيام بتأديب المعتدين من القبائل معلناً لهم أن الإمام أصبح غافلاً عما يجرى بين جنوده ورعاياه وفى نفس الوقت أصبح عاجزاً عن حكم البلاد .

لم يكن غرض المقدم من ذلك مقصوراً على تأديب القبائل فقط ، بل وإثارة حفائظ الجنود ليزداد اطمئناناً من السيطرة الكاملة عليهم ثم دفعهم للقيام بالخطة المرسومة ، وقد نجح فى هدفه هذا ، فإنه لما عاد إلى الشكنات فى المساء بعد تأديب القبائل تمكن من إقناع الجيش على القيام بالثورة وإرغام الإمام بالتنازل عن العرش لأخيه الأمير عبد الله الذى كان يقيم فى دار العرض بجوار قصر الإمام ، والذى أجرى معه فى نفس الوقت كما أجرى مع غيره من أعضاء الثورة عدة اتصالات تليفونية إيعازاً بالتأهب لتنفيذ الخطة .

وفى الساعة الواحدة من صباح اليوم الثانى وبعد أن أُعدت الترتيبات اللازمة بُدئت عملية إطلاق النار نحو قصر الإمام من قوات المشاة تساندها المدفعية والرشاش .

وفى الحال قام الأمير عبد الله بالاتصال تليفونياً بالإمام طالباً منه السماح له بالخروج إلى الشكنات للقيام بما يلزم من تهدئة الحالة والنظر فى مطالب الجيش ، على أن يصحبه بعض الموظفين فأذن له الإمام بذلك .

وانتهز المقدم الفرصة ، فما إن وصل الأمير إلى الشكنات ، حتى قام باستدعاء جميع رجال الدولة حيث أحضروا على الفور ، وهنالك عرض عليهم إعطاء البيعة للأمير ، لأن الإمام أصبح فى حالةٍ من العجز وتتابع الأمراض لا يستطيع معها

مزاولة أمور الدولة والنظر فى شؤون البلاد ، فأعطاها القليل منهم بينما امتنع الآخرون بحجة أن فى أعناقهم بيعة للإمام ، وأظهروا استعدادهم للبيعة إذا كان الإمام سيعلن تنازله عن الإمامة مختاراً .

وحصلت مناقشة صاخبة فى الموقف إنتهت بموافقة الجميع على أن يقوم وفد منهم بالاجتماع بالإمام لعرض الموقف عليه وابلاغه بمطلوب الجيش وهو التنازل عن العرش لأخيه عبد الله .

وتم الاجتماع بالإمام حالاً حيث عرض عليه ذلك ، فتردد بادىء الأمر ، ثم أخذ ورقة وكتب عليها ـ مراوغاً ـ تنازله فقط عن الأعمال ولكنه ما كان يعرض على الثوار حتى رفضوا قبول هذه الخدعة وطلبوا عود الوفد إلى الإمام ليعرض عليه تنازله الصريح ، وعاد الوفد مرةً ثانية حيث أوضح له بأن الحالة تستدعى تحرير التنازل الصريح الذى لا تتسرب إليه الشكوك ، كما بلغوه تحذير الجيش الأخير وهو نسف القصر بالمدافع إن لم يحصل منه ذلك .

الإمام أحمد يعلن تنازله عن العرش :

وهنالك حرر الإمام بيده تنازله الصريح عن العرش لأخيه الأمير عبد الله وحمّله حجة الله فى نصرة الحق والانصاف للمظلوم من الظالم ، كما ناشد فى آخره كل من كان قد خرج لمناصرته أن يعود إلى بيته . . . .

وخرج الوفد حاملاً تنازل الإمام حيث أُخذ فى طبعه وتوزيعه مع مبعوثين إلى كافة أنحاء اليمن والذين حُمِّلوا مسئولية تهدئة أفكار الناس وأخذ البيعة باسم الأمير عبد الله .

لقد اطمأن رجال الثورة إلى هذا التنازل من جانب الإمام وأخذوا فى الاشتغال بترتيب أعمال الحكومة الجديدة ولم يعيروه بعد أى اهتمام ،

أما الإمام فقد قلب لهم ظهر المجن وأخذ من فوره يبعث الرسُل سراً – بالرغم من الحراسة المشددة عليه – إلى مناصريه فى النواحى المجاورة لتعز ، كما أوعز إلى ولده البدر وكان بالحديدة بالانتقال إلى حجه لإعداد العدة وإثارة القبائل للمبادرة لنجدته وفك الحصار عنه–على حد قوله –وفى نفس الوقت أخذ فى التزود سراً بالمؤن والذخيرة استعداداً لفكّ الحصار عند وجود الفرصة ، ويقال إن المقدم قد أحسّ بموقف الإمام واتضح له مكره فقرر ضرورة القضاء عليه فوراً إلا أن الأمير عبد الله حال بينه وبين ذلك .

ولم تمض ثلاثة أيام من الثورة حتى كان الإمام قد تمكن من إدخال بعض مناصريه ومن ثبت معه من رجال حرسه إلى القصر ، وفرق عليهم كميات كبيرة من النقود كما أرسل كميات أخرى لبعض رجال المدفعية المرتبين ب« صبر » و« صالة » و « الجحملية » طالباً منهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد لقصف ثكنات الجيش بالعرضى وحدد لهم الوقت عند اشتعال النار على شرف القصر الذى كان يسيطر سيطرةً كاملة على الثكنات .

وفى الساعة الواحدة من أمسية الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٥٥ ما كادت تشتعل النار على الشرفات حتى أطلقت نيران البنادق والرشاش والمدفعية صوب الثكنات واستمر إطلاقها حوالى ٣٦ ساعة مما أعجز الثوار والجيش عن كل مقاومة ، وآل الأمر أخيراً إلى تفرقهم واستسلام الأمير ومن معه من كبار الموظفين الذين كانوا قد منعوا من مغادرة الثكنات .

أما المقدم فقد لجأ إلى الفرار متّجهًا إلى شرقى تعز ولكنه لم يكد يمضى قليلاً حتى أحاط به أصحاب الإمام فى إحدى ضواحى تعز وألقوا عليه القبض ثم جاؤا به إلى الإمام حيث أمر بقطع رأسه فى الحال ، كما أمر بقطع رؤوس الثوار الآخرين ومن جملتهم الأمير عبد الله والعباس دون أى محاكمة .



صورة رقم (٤١)
(المقدم أحمد يحي الثلائي زعيم ثورة سنة ١٩٥٥ فى ساحة الإعدام)

وممن أعدم أيضاً من الثوار القاضي يحيى السياغي حاكم تعز وأخوه حمود والمقدم عبد الرحمن باكر والملازم محسن الصعر وعلى حمود السمه والسيد محمد ابن حسين عبد القادر والشيخ صالح المطرى والقاضي عبد الله الشامى .

محاولة اغتيال الامام أحمد :

وفى أمسية الثلاثاء الموافق ٦ مارس سنة ١٩٦٠ (١٠ شوال سنة ١٣٨٠) جرت محاولة أخرى بالحديدة لاغتيال الامام أحمد ، قام بها الملازم محمد بن عبدالله العلفى ضابط مستشفى الحديدة والملازم عبد الله اللقيه والملازم محسن الهندوانه تمهيداً للثورة الأخيرة والمرتقبة .

ومما لا ريب فيه أن الحالة حينذاك كانت تنذر بقيام ثورةٍ شعبية جارفة تبدد تلك الفوضى وتقلب الأوضاع رأساً على عقب .

وقد بقيت أسرار هذه المحاولة غامضة إلى ما بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٣ ولم يظهر من أعضائها حينذاك إلا الذين اشتركوا مباشرة فى التنفيذ ولكن الأيام أخيراً كشفت أن أشخاصاً من العسكريين والمدنيين كانوا قد اشتركوا فى التدبير ، وفى مقدمة هؤلاء الزعيم عبدالله السلال[1] (قائد ثورة ٢٦ سبتمبر

---

(١) كان أحد أعضاء البعثة العسكرية التى بعثتها حكومة الإمام يحيى لأول مرة إلى (العراق) للتدريب العسكرى سنة ١٩٣٤ . وقد تخرج منها بعد عامين برتبة ملازم أول .

وفى سنة ١٩٣٨ أودع سجن (صنعاء) مع زمرة من الأحرار بتهمة القيام ببث الأفكار العصرية التى كان يطلق عليها فى حكم الإمام يحيى أفكار (هدامة). وبقى فى السجن عاماً كاملا .

ولم يلبث منذ خروجه من السجن للمرة الأولى سنة واحدة حتى أعيد إليه بتهمة قيامه ببث منشورات معادية لحكم الإمام يحيى .

وفى سنة ١٩٤٨ كان أحد أقطاب الثورة التى أطاحت بعرش الإمام يحيى ، وقد أمر الإمام أحمد بعد إخماده الثورة بإيداعه سجن (نافع) بحجة حيث مكث=

سنة ١٩٦٢) والرائد محمد الرعيني مدير مطار الحديدة ، والسيد حسين المقدمي مدير المستشفى ، وقد اعتقل الأخيران بسجن (وشحه) حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر.

ولعمري أن هذه الخطوة الجريئة كانت من أهم الأحداث التي هزت كيان الإمام وزعزعت أركان عرشه ، كما أنها أخطر محاولة تُوجّه إلى شخصه نظراً للاوضاع الرهيبة ، لولا أنها منيت بالفشل لأسباب تعود إلى عدم نجاح الخطة وما ذاك إلا لغاية قضتها إرادة الله سبحانه وتعالى وارتضتها مشيئته .

لقد قام ثلاثة هؤلاء متحدّين الأخطار بعد أن تعاهدوا على الموت وتبايعوا على الفداء ، وانتهزوا فرصة مجيء الامام تلك الليلة إلى المستشفى يحيط به حراسه الأشداء وعكفته [1] المدججين بالسلاح ، وكانت أول خطوة يقومون بها هي منع حرس الإمام من دخول المستشفى وإقفاله في وجوههم إثر ولوج الإمام الباب ، بحجة المحافظة على عدم إزعاج المرضى ، إلا من أقلية تمكنت من الدخول خلسةً ، وبينما كان الإمام وحاشيته يطوفون ببعض الأقسام إذْ أطفئت الأنوار

= سبع سنوات ونصف قاسى فيها أنواع الهوان والتعذيب . وبعدها أفرج عنه وعين قائداً لحرس الأمير البدر ليبقى تحت الرقابة بصفته شخصية خطيرة على (العرش) .

وفي سنة ١٩٥٩ عين أميراً لميناء (الحديدة) حيث قضى إلى سنة ١٩٦٠ ثم أبعد من (الحديدة) — حيث يقيم بها الإمام أحمد حينذاك — وأعيد إلى منصبه الأول بـ (صنعاء) . وذلك إثر المحاولة التي قام بها الملازم محمد العلفي والملازم عبد الله اللقية لاغتيال الإمام أحمد ، بصفته أحد المتهمين في تدبير المؤامرة حسبما سيأتي .

وقد بقي في منصبه هذا إلى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث قاد ثورة اليمن الكبرى والأخيرة ضد (البدر) حسبما يأتي بيانه .

(١) العكفة : حرس الإمام الخاص الذين كان يختارهم لنفسه من الجيش ومن القبائل ومعظمهم من القبائل ، والمفرد (عكفي) وهو مشتق من العكوف وملازمة الحراسة في كل وقت . وكان عددهم لا يقل عن ٥٠٠ نفر في جميع قصور الإمام تربطهم إدارة خاصة تتكون من أمير العكفة وكاتب أو كاتبين وكانت لهم ميزة خاصة من مرتبات وكسوه .

فجأة ، وأطلق الثلاثة من مسدساتهم مايزيد على عشرين عياراً نارياً أصيب الإمام منها باثنتى عشرة رصاصة ، ولـكنها كانت غير قاتلة ، وتمـكن من النجاة بحيلة عجيبة ، وهى الاستلقاء على الأرض متظاهراً بالوفاة ليهرب المباشرون .

وبعد ذلك تراجع بعض الحرس بعد أن قتل اثنان منهم ، ونقل الإمام إلى بعض الأقسام لإسعافه .

أما الثلاثة فقد تفرقوا معتقدين موت الإمام حيث تحصنوا فى بعض النقاط بغية إعلان الثورة ، ولـكن الحرس تمـكنوا من تعقبهم فى الحال وأخذوا فى محاصرتهم ثم إلقاء القبض عليهم ، وكان زعيمهم العلفى قد أطلق الرصاص على نفسه إثر علمه بسلامة الإمام ، أما الآخران فقد ألقى عليهما القبض ، وانتهى الأمر بإعدامهما بالسيف بعد أن نالهما الـكثير من التعذيب والجلد .



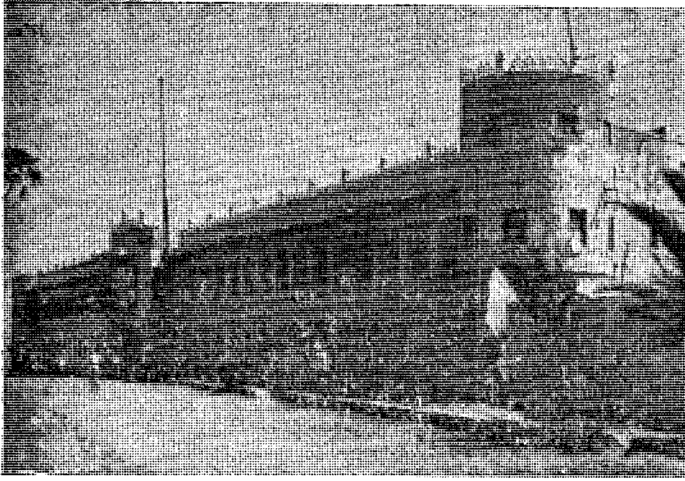
(الملازم أول محمد العلفى مدبر الاغتيال)
صورة رقم (٤٢)

هذا وقد نقل الإمام بعد ساعات إلى قصر (البونى) وبقى شهوراً رهن المعالجة وهنا تتبادر إلى الأذهان التساؤلات التالية :

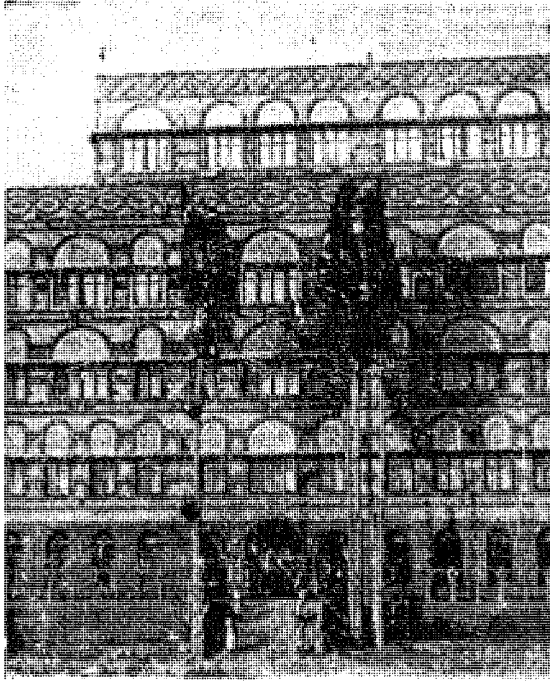
هل أفاق الإمام من غيبوبته وخفف من بطشه وإرهابيته ؟ .

وهل قام أو عهد إلى من يقوم بتصحيح الأوضاع التي كانت تنذر بالمزيد من الأخطار والقلاقل .

وهل وُفِّق رجال الدولة – ومنهم ولده البدر – في إقناع الإمام بضرورة القيام ولو ببعض الإصلاحات التي من شأنها إطفاء شرارة الثورة المتأججة أو التقليل من حدتها على الأقل ؟ .



صورة رقم (٤٣)
(بيت البونى بالحديدة . القصر الذى كان يحكم منه الإمام أحمد الشعب اليمنى)



صورة رقم (٤٤)
(دار اليمن أحد قصور الإمام أحمد فى (صنعاء) القصر الجمهورى حالياً)

ويمكننا الرد على ذلك بالإجابات التالية :

إن الإمام قد ظل طريح الفراش متأثراً بجراحه قرابة عام ونصف – أى إلى تاريخ وفاته – فترة مُنيت خلالها البلاد من الركود والتخلف بمقدار الضعف مما منيت به خلال أربعة أعوام خلت ، فمن إمام مزمّل قد أوغر صدره الحقد وأوحشته الريبة وحب الانتقام ، وتناهت به الحساسية وتطور المزاج نتيجةً لما يقاسيه من آلام الجراح أولاً ، ثم من الجزع على حياته ثانياً ، الأمر الذى أدّى إلى قيامه بعدة تصرفات تعتبر فى غايةٍ من الحمق والغرابة ، إلى زمرةٍ من الانتهازيين والمستغلين الذين وجدوا فى هذا الظرف الفرصة الذهبية للقيام بدورهم الأخير فى نهب خزائن الدولة وسحبها إلى الخارج ، إلى حفنةٍ من الدساسين والمغرضين قامت لتحسن للإمام الذى يعانى سكرات الموت ضرورة إشرافه على جميع شئون البلاد لعلمهم – وخصوصاً فى تلك الحالة – أنه سينقاد لهم كما يقاد الجمل المخزوم فى تنفيذ ما يهدفون إليه من العوث والتخريب وقتل الأبرياء .

وفى هذه الظروف كان الاقتصاد الوطنى يزداد انهياراً ، بينما كانت الماليات على وشك الإفلاس ، حتى أن مرتبات الموظفين فى صنعاء وغيرها من الألوية والقضوات كانت لاتصرف إلا فى رأس الشهرين والثلاثة ، لأن الخزانة المركزية بما فيها من حثالة النقد والتى كان مفتاحها دائماً بيد الإمام أصبحت مرهقةً بدفع المبالغ الباهضه باسم معالجة الإمام وجلب الأطباء والممرضين من أصقاع العالم .

أما من الناحية الإدارية فقد ظلت معظم الدوائر معطلةً تماماً ، لأن موظفيها الكبار – وهم صفوة الإمام والمقربون منه – أصبحوا فى شغل شاغل بتمريضه وتدبير معالجته من جانب ، ثم فى حجز الأمتعة ودفن الأموال وتهريبها استعداداً للرحيل فيما إذا مات من جانب آخر .

وهكذا بينما يمضى العالم فى طريق التقدم والإعمار والنهضة ، وبينما تسير

الأقطار العربية الشقيقة قدماً إلى الأمام ، وتعمل على فتح آفاق جديدة للعلم والتطور ، كانت اليمن (السعيدة) ـ ويا للأسف ـ تعيش فى حياة القرون الوسطى وترسف فى دياجير الظلم والظلام ، بل تعود مراحل إلى الوراء ، حتى أصبح البلد الوحيد المعروف بالجهل والفوضى والتخلف بين بلدان المعمورة ، فلا وزارات منظمة ولا جهاز إدارى منسق ولا أوضاع صحيحة ولا أمن قائم ولا ثقافة تقضى على الجهل ولا مدارس تساعد على محو الأمية ، بل ولا نظام يكفل بقاء الأوضاع على ما هى عليه على الأقل ريثما تأتى الفرصة المناسبة أو يحكم الله بما يشاء .

لهذا وأمثاله أصبح الشعب بجميع طبقاته يغلى كالمرجل ويتميز حقداً وبغضاً ويستشيط سخطاً وحنقاً لا على الإمام فحسب ، بل وعلى كل فردٍ من آل حميد الدين جميعاً وعلى محسوبيهم ، فلا ترى إلا ناقداً أو ناقماً ، أو حاقداً أو متبرماً .

وصار كل مواطن يفور كالبركان ، تارةً يرتجل الغضب والاستنكار ويصمم على القيام بثورة تقتلع هذا الوضع الفاسد من جذوره وتطوّح به من أعماقه ، ثم تنقصه الوسائل ويُوهى من عزمه ذلك التفكك والتفرق الذى أقامه العملاء باسم العنصرية والمذهبية والإقليمية سدًّا يحمى كيانهم ويدفع انتقام الشعب من حولهم ، ثم يعود تارةً أخرى مجدداً عزمه وشاحذاً إرادته فى وضع النظام الثورى ، تحثه تلك التجارب المريرة والذكريات القاسية التى عاش فيها زماناً طويلًا تحت كابوس الفقر والظلم والاستعباد ، تلك التجارب والذكريات التى ما يزال يمارسها ويرزح تحت نيرها ، ولن تزول إلا بما يملكه هو من قوة الإيمان وثبات العزم ، وبما يحمله بين جنبيه من استماتة وفداء .

الإمام يموت فجأة :

وتأتى إرادة الله سبحانه وتعالى بخلاف ما يُترقب وعلى عكس ما يخطر فى الحسبان ، ويأبى جل شأنه إلا أن يقرر مصير هذه الأمة بيده ويحل مشاكلها بحكمته ، وأن يُنهى ذلك العهد الذى رسفت فيه اليمن فى أغلال الذل والهوان وخيم فيه كابوس الفقر والحرمان خلال نصف قرن من الزمن .

ففى ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٣٨٢ (١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٣) حكم الله على الإمام أحمد وآخر إمام تربع على عرش اليمن خمسة عشر عاماً بالوفاة ، وانتهت بذلك صحيفته التى كتبها فى حياته بيده والتى سيتولى الله وحده محاسبته عليها ومجازاته بما يستحق ، فإنه تعالى لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، « ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا » .

البدر يعلن الإمامة :

ما كاد يصل خبر وفاة الإمام إلى ولده محمد البدر وكان بصنعاء ، حتى قام بإعلان إمامته بصفته الوارث الشرعى للعرش وأعلن لقبه بالمنصور بالله ، كما بدأ مراسيمه وبلاغاته إلى الداخل والخارج موضحاً أهدافه ومخططاته التى سينتهجها فى سبيل إنعاش البلاد ورفع مستواها السياسى والاقتصادى والثقافى.

لقد قوبل هـــذا الإعلان من قبل أغلبية الجيش والشعب بالامتعاض والسخرية للأسباب الآتية :

١ ـــ لما يعرفونه من عدم أهلية البدر وكفاءته وقدرته على النهوض بالبلاد والسير بها فى مضمار الإصلاح والتقدم والبلوغ بها إلى ما يتطلبه الوعى القومى وتقتضيه حتمية التطور ، وإعادة الحياة إلى جسم ميت كاد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

٢ — أن تلك المخططات والمواعيد التى قام بإعلانها ليست إلا من نوع مواعيد والده الخلابة التى كان ينتهجها عند الملمات ثم لاينفذ منها بعدُ شيئاً ، والتى أصبحت فى نظرهم مجرد خداع وتضليل .

٣ — أن الشعب اليمنى قد عاف الإمامة وسئم الحكم الفردى سواء كان البدر صالحاً لتولّى الحكم أم غير صالح ، وسواء كان على يقين من إنجاز مواعيده وتنفيذ مخططاته أم لا ، لأن الوعى القومى أصبح يتطلب قيام حكمٍ شعبى ديموقراطى يحقق التعويض العادل عن ذلك الحرمان الشامل المطلق الذى فرضه الحكم الفردى بحد السيف ، ويقضى على الإقطاع والرجعية وعلى الركائز البالية التى كان يستند إليها ذلك الوضع ، وتبديد سحابة من الأسى والمرارة طالما خيمت على نفوس المواطنين ومشاعرهم .

لهذا كان من المفروض بل من الضرورى أن يقوم الجيش بثورةٍ إصلاحية قوامها العدل والنظام وهدفها الوحيد القضاء على الأوضاع الفاسدة واستبدالها بأوضاع صالحة تكفل الأمن والرخاء وتنشر المحبّة والسلام فى ربوع اليمن .

الفصل الرابع عشر

(المرحلة الثالثة والأخيرة)

ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ضد الإمام البدر :

وفى هذا الوقت بالذات كان بعض الضباط قد عقدوا عدة اجتماعات سرية لدراسة الحالة وقرروا على إثرها أنه لا يصلح أمر البلاد ويستأصل شأفة الحكم الفاسد فيها إلا القيام بثورة تهدف إلى تقويض أركان الملكية ، وتحرير البلاد الفعلى من الحكم الفردى الجائر ، وإقامة حكم جمهورى ينبع من صميم الشعب ومن إرادة الملايين .

ويتألف أعضاء الثورة من الأشخاص التالية أسماؤهم ، وهى الأسماء التى أعلنتها الثورة يوم قيامها :

١ ـ الزعيم عبد الله السلال (قائد الثورة) .

٢ ـ الزعيم حمود الجائفى

٣ ـ المقدم عبد الله جزيلان

٤ ـ الرئيس عبد اللطيف ضيف الله

٥ ـ الرئيس محمد قائد سيف

٦ ـ الرئيس محمد الماخذى

٧ ـ الملازم على عبد المغنى

٨ ـ الملازم محمد مفرح

إندلاع الثورة :

وبعد أن قام هؤلاء برسم الخطة وتحديد الموعد الأخير لتفجير الثورة وهو الساعة الخامسة من أمسية الثلاثاء الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢ (٢٦ ربيع الآخرة سنة ١٣٨٢) ، تحركت فى نفس الوقت بعض القوات المسلحة من مركز القيادة بالثكنات ، وتتكون من فرقةٍ من الدبابات والمصفحات نحو قصر البدر المسمى بـ (دار البشائر) حيث قامت بنسفه بمدفعيتها الثقيلة ، وتمكن البدر بمساعدة بعض أعوانه من التسلل من باب خلفى بالقصر حيث سلك بعض الأماكن المجهولة المؤدية إلى ضاحية صنعاء ثم منها إلى بعض القرى المجاورة لحجة مطالباً القبائل بنجدته ، ولكن دون جدوى ، وكانت قد أحاطت به فى « مسور » كتيبة من حامية « حجه » ففر إلى « جيزان » .

وفى غضون ساعات قلائل من قيام الثورة تم الاستيلاء على جميع المراكز والمبانى الحكومية فى صنعاء وما حولها ، وأُعلن مع الفجر قيام أول جمهورية عربية فى اليمن .

لقد قامت هذه الثورة لتسجل مولد عصر جديد لشعب اليمن ، وكانت مفاجأة لا للشعب اليمنى فحسب ، بل وللعالم بأسره فقد دوّى حينئذٍ صداها العميق وانتشر صيتها العريض ، ذلك لأن اليمن كانت البلد الوحيد من بين الأقطار العربية الموسوم بالجهل والتخلف ، والموصوف بالعزلة المتناهية التى جعل الاستعمار والرجعية منها معولاً لتحطيم معنوية الشعب اليمنى ، وإضعاف مقوماته ، وأثبتت للعالم أن ابن اليمن الذى سبق أن خفقت له رايات وسُجلت له انتصارات فى شمال الجزيرة العربية وآسيا الوسطى هو ذلك العربى المغوار

الذى لم تؤثر فى صلابته التجارب المريرة ولم تثن من عزمه المحن القاسية بل زادته قوةً وعزمًا وتصميمًا فى بلوغ هدفه وتحقيق إرادته .

لقد فتحت ثورة اليمن أبواب الأمل لانتفاضات أخرى يقوم بها الشعب العربى فى كافة أرجاء الجزيرة العربية فى سبيل التحرر وانطلاقات كبرى نحو الحياة الفاضلة والوحدة الشاملة .

الثورة تعلن أهدافها :

لقد أكدت الثورة فى بياناتها المتتابعة ما يعطى الدليل الواضح والبرهان الجلى أنها ستمضى فى طريقها إلى الأمام وتقوم باصطلاحات تعوض اليمن مافاتها فى الماضى من سعادة وأمنٍ واستقرار . وفيما يلى نصّ البيان المنشور فى حينه والمتضمن لأهداف الثورة وسياستها العامة فى المجال الداخلى والقومى والإدارى :

١ — القضاء على الحكم الفردى المطلق والنفوذ الأجنبى فى اليمن .

٢ — إنهاء الحكم الملكى وإقامة حكم ديموقراطى إسلامى أساسه العدالة الإجتماعية فى دولةٍ موحدة تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه .

(السياسة العامة للجمهورية العربية اليمنية)

ا — (فى المجال الداخلى)

١ — إحياء مبادىء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والأحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية والقبلية .

٢ — تنظيم جماهير الشعب فى هيئة شعبية موحدة تشارك فى عملية تنظيم البناء الثورى وتمكنها من مراقبة أجهزة الثورة مراقبةً تامة يمنعها من الانحراف عن أهداف الثورة .

٣ — إعادة تنظيم الجيش على أساس حديث بحيث يصبح قوةً لحماية الشعب وحماية الثورة .

٤ — إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضى على مخلفات العهد البائد التى عمقت الجهل والتأخر الفكرى .

٥ — تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق نظام اجتماعى يتلاءم مع واقع شعبنا ومع روح الشريعة الإسلامية والتقاليد الوطنية .

٦ — تشجيع الرأسمال الوطنى على أن لا يتحول إلى احتكاراتٍ واستغلال أو يحول دون توجيه الحكومة والعبث بمقدرات البلاد الاقتصادية .

٧ — تشجيع عودة المهاجرين إلى الداخل والاستفادة من خبرتهم وأموالهم .

ب — (فى المجال القومى العربى)

١ — الإيمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة الشاملة فى دولةٍ عربية واحدة على أساس شعبيّ ديموقراطيّ .

٢ — التضامن الكامل مع جميع الدول العربية فيما تتطلبه المصلحة القومية .

٣ — العمل على تدعيم الجامعة العربية وزيادة فعّاليتها لمصلحة الأمة العربية .

٤ — إنشاء علاقات اقتصادية مع جميع الدول العربية بلا استثناء .

٥ — إيجاد روابط أوثق مع الدول العربية المتحررة لتحقيق الوحدة العربية .

حـ — (فى المجال الدولى)

١ — التزام سياسة عدم الانحياز .

٢ — مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبى بجميع أشكاله .

٣ — التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة وتأييد موقفها من أجل السلام .

٤ — إقامة علاقات ودية مع جميع الدول التى تحترم استقلالنا وحريتنا .

٥ — قبول الإعانات والقروض الخارجية الغير مشروطة والتى لا تمس من استقلال البلاد وحريتها .

حرر بصنعاء فى ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٢) .

إعلان الدستور المؤقت :

وفى ٣ أكتوبر سنة ١٩٦٢ (٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢) أصدر مجلس قيادة الثورة القرارات التالية التى تتضمن حكم البلاد خلال فترة الانتقال ، بينما يتم إعداد الشعب وتهيئته وتمكينه من إرساء دعائم الحكم الشعبى الديموقراطى الكامل وهى كما يلى :

« إنه رغبةً فى تثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الانتقال ، ولكى تنعم البلاد باستقرار شامل يتيح لها الإنتاج المثمر وتنظيم البلاد والنهوض بها إلى المستوى الذى ترجوه الثورة للشعب ، فإن مجلس قيادة الثورة يعلن باسم الشعب أن حكم البلاد فى فترة الانتقال التى هى خمس سنوات سيكون وفقاً للأحكام الآتية :

١ — مبادىء عامة

المادة الأولى : أهداف الثورة كما يلى :

١ ـ العودة إلى شريعة الإسلام الحقّة بعد أن أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف ومائة عام الماضية .

٢ ـ إلغاء التفرقة العنصرية واعتبار اليمنيين جميعاً سواءً أمام القانون .

٣ ـ إزالة الأحقاد بين الزيود والشوافع .

٤ ـ إصدار قانون يوضح حقوق المواطنين ، فلا جريمة إلا بنصّ ولا عقوبة

إلا بعد محاكمه تتم على أساسٍ قانونى مستمد من الشريعة الإسلامية الغرّاء ينظم الاجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع .

٥ ـ إقامة الجمهورية العربية اليمنية والتمهيد لإجراء انتخاب حرّ فى جميع أنحاء البلاد لانتخاب المجلس النيابى الذى يختار رئيس الجمهورية .

٦ ـ تحقيق أهداف القومية العربية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مجدها العظيم وتتبوّأ مركزها الخلاق فى طليعة الأمم الناهضة .

٧ ـ تحقيق العدالة الإجتماعية .

٨ ـ إقامة جيش وطنى قوىّ يكون درعاً لليمن وللأمة العربية .

٩ ـ إلغاء جميع المظالم التى يشكو منها الشعب .

١٠ ـ رفع مستوى معيشة الشعب بالبدء فوراً فى وضع وتنفيذ خطط إقتصادية لاستثمار كافة موارد البلاد البشرية والطبيعية مع خلق أوجه النشاط فى المناطق الجدباء الآهلة بالسكان وغير ذلك من الأعمال الآخرى المنتجة .

المادة الثانية : جميع السلطات مصدرها الشعب اليمنى .

المادة الثالثة : الحرية الشخصية والكلامية مكفولتان فى حدود القانون ، وللملكية والمنازل حرمة وفق أحكام القانون .

المادة الرابعة : تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

المادة الخامسة : جميع القوانين تستمد من الشريعة الإسلامية التى هى دين الدولة الرسمى .

المادة السادسة : القضاء المستقل لا سلطان عليه بغير القانون وتصدر أحكامه وتنفّذ وفق القانون بإسم الشعب .

٢ — نظام الحكم

المادة السابعة : يتولى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا فى البلاد وبصفةٍ خاصة التدابير التى يراها ضرورية للثورة والنظام القائم وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

المادة الثامنة : يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه أعمال السلطة التنفيذية.

المادة التاسعة : يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر وطنى ينظر فى السياسة العامة للدولة وما يتعلق بها من موضوعات ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

المادة العاشرة : يتألف من شيوخ الضمان مجلس للدفاع ينظر فى شؤون البلاد ويكون كل شيخ من شيوخ الضمان فى رتبة وزير دولة، وفى أثناء عدم إنعقاد المجلس يتولى كل شيخ مهمة المحافظة على منطقته محافظاً من قبل مجلس الثورة .

المادة الحادية عشرة : يقرر مجلس قيادة الثورة إنتخاب قائد الثورة الزعيم عبد الله السلال رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء وقائداً أعلا للقوات المسلحة على أن يتم خلال فترة الانتقال وضع قانون للانتخابات كى تجرى الانتخابات الحرة فى جميع أنحاء الجمهورية للتصويت على الدستور النهائى الذى ستقدمه الحكومة وانتخاب المجلس النيابى الذى ينتخب رئيس الجمهورية .

أيها المواطنون ، إن مجلس قيادة الثورة إذ يعلن لكم هذه الأحكام لا يسعه إلا أن يعلن أيضاً عن إيمانه المطلق بضرورة قيام نظام دستورى ديموقراطى كامل الأركان .

كما يعلن عن إيمانه المطلق بضرورة توفير حياةٍ كريمة ومستقبل مشرق باسم لجميع أفراد الشعب والله ولى التوفيق .

مجلس الثورة : رئيس مجلس قيادة الثورة

الزعيم عبد الله السلال

موقف الرجعية والاستعمار من الثورة :

التسلل السعودى :

وبمصرع الملكية فى اليمن جُنّ جنون الملكية فى الرياض والأردن واعترتها نوبة من الفزع والخوف من حتمية المصير المشترك وامتداد لهيب الثورة إلى مناطقها ، ولهذا بادرت إثر سماعها بقيام الثورة باستدعاء الأمير الحسن بن يحيى حميد الدين من أميريكا حيث كان رئيساً لوفد الإمام لدى هيئة الأمم المتحدة وبعثته فور وصوله الرياض إلى نجران مزوداً بكمية هائلة من المال والسلاح والجنود على أمل أن ينجح فى مقاومة الثورة واستعادة عرشٍ تهاوى بنيانه وتقوضت أركانه .

ومن هنا بدأ التسلل السعودى خطته متوغلاً فى حدود اليمن الشمالية والشرقية وواجهته قوات المشاة اليمنية تساندها طائرات الجمهورية العربية المتحدة ، وتمكنت من دحره وارجاعه عبر الحدود بعد أن أعلن بعض ضباط وأفراد الجيش السعودى والأردنى إنظمامهم إلى صفوف الجيش اليمنى .

وأبدى بعض أحرار السعودية تضامناً صادقاً مع إخوانهم الأحرار فى اليمن ، ففى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٦٢ (١٠ جمادى الأول سنة ١٣٨٢) رفض أربعة من سلاح الطيران السعودى أن يخونوا ثورة إخوانهم فى اليمن بتنفيذ

وأمر الملك سعود بقيامهم بنقل السلاح والذخيرة إلى منطقة نجران لاستخدامها ضد ثورة اليمن وبكل تصميم حوّل هؤلاء الطيارون برئاسة الطيار العربى فؤاد شيشه وجهة سيرهم صوب الجمهورية العربية المتحدة حيث هبطوا بمطار القاهرة معلنين لجوءهم إليها .

ثم تلى ذلك لجوء عدد من الطيارين الأردنيين بطائراتهم إلى الجمهورية العربية المتحدة حيث كانوا قد أرغموا على القيام بغزو الجمهورية العربية اليمنية طبق خطةٍ كانت قد دبرتها السلطات السعودية والأردنية .

وتوالت الضربات على الرجعية فى الشمال فقد أعلن فى نفس الأسبوع جميع بحارة الباخرة السعودية (عرفات) لجوءهم إلى الجمهورية العربية المتحدة تضامناً مع إخوانهم الثوار فى اليمن ، الأمر الذى أفقد الملك سعود صوابه وجعله فى دوّامة لا يدرى كيف يواجه هذا التيار الثورى والإنطلاقة العربية الكبرى .

ولما لم ينجح فى فتح الطريق أمام بقايا أسرة حميد الدين للنفوذ منها إلى اليمن بواسطة المال والسلاح ، لجأ إلى سلوك خطة أخرى بأن أمر بشحن كمية كبيرة من الريالات السعودية لتوزيعها على مشايخ وأعيان مقاطعات اليمن الشمالية أملاً فى شراء ضمائرهم للقيام بمناوأة الثورة ، ولكنه فوجىء مرةً أخرى بخيبة الأمل فقد رفض هؤلاء الأحرار الإستجابة لمؤامرات الخيانة وقاموا بحمل هذه النقود إلى صنعاء وتسليمها إلى مجلس قيادة الثورة حيث شاهدها أبناء الشعب اليمنى ومبعوثوا الصحافة العالميــة وصبّوا جام غضبهم على هذه الأعمــال الشنيعة والمؤامرات الدنيئة .

وبالرغم من هذه المحاولات ومن محاولاتٍ أخرى عديدة قامت بها الرجعية السعودية والأردنية لإرجاع البدر إلى اليمن فقد تمكنت ثورة اليمن بمساندة القوات العربية من القضاء على هذه المحاولات التسللية فى مهدها .

ولعمرى أن الرجعية السعودية والأردنية قد أصبحتا الآن وجهاً لوجه أمام التيار

العربى المتحرر وليس لها ناصر ولا معين من غضبة الشعب العربى المتزايدة غير أبواق الاستعمار وإسرائيل ، ولن يستطيع أىّ كائن حىّ مهما أوتى من مال وجاه أن يحول دون إرادة الملايين أو آن يرد عجلة التاريخ إلى الورى وليس أمامها غير أحد أمرين : إما أن تتوارى بنفسها عن درب الأمة العربية وطريق إرادتها فى تقرير مصيرها بنفسها وعلى أى صورة تشاء ، وإما أن تنتظر نهايتها المحتومة وغايتها المرتقبة .

الاستعمار البريطانى يحشد قواته فى بيحان :

إن الثورة اليمنية لم تقم لتقضى على الجهل والعزلة والتخلف فى اليمن فحسب ، وإنما لتقضى أيضاً على الاستعمار الذى أقام فى الجنوب اليمنى قاعدة لإخماد حركة النضال والوحدة اليمنية والعربية ، وليجعل من اليمن الحرة قاعدة كان الجنوب اليمنى مفتقراً إليها من قديم الزمان لحماية هذا النضال .

وبينما كان حكم آل حميد الدين الذى حاول الإستعمار والرجعية ـ عبثاً ـ إعادته إلى اليمن بطريق الحشود العسكرية والتسللات والغزو المباشر قد أمات هذه القاعدة بل جعل منها قاعدةً أخرى معاكسة فإن اليمن الحرة أصبحت الآن وبعد قيام ثورتها المجيدة حامية هذا النضال ، وحاملة شعار الوحدة اليمنية ، ومنطلق المد الثورى الذى سوف يطغى فى يومٍ من الأيام على الكيان الإستعمارى المجسد فى دولته المساة بـ «دولة الجنوب العربى» ثم يكتسح الجزيرة العربية بأسرها ، وذلك بالتضامن مع القوى الشعبية فى كل من الجنوب والشمال.

ولهذا أحسّ الاستعمار البريطانى ـ كما أحسّت الرجعية ـ بخطورة موقفه من هذه الثورة الفتية بالنسبة لمصالحه ونفوذه فأخذ يحشد القوات ويقودها إلى أطراف المنطقة الشرقية اليمنية بمساعدة عميله فى بيحان المسمى بـ «شريف بيحان» وبعض المرتزقه من أذناب الرجعية والاستعمار .

وقد بدأ هؤلاء الأذناب فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٦٢ (١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٨٢) بغزو مدينة مأرب وحريب ومحاصرتهما ثم قصف مبانيهما بمدافع الإستعمار ورشاشاته ومن بينها تلك المبانى الأثرية التى تعتبر تراث اليمن المجيد وكنزه الخالد ، وقد أسفر هذا العدوان الغاشم عن قتل وجرح عدد من الجنود والرعايا اليمنيين ، وهدم بعض المنشآت الحكومية .

ثم أخذت القوات فى مواصلة تسللها إلى داخل الأراضى اليمنيه بقيادة عبدالله ابن الحسن ، وقد وجهت القيادة العربية المشتركة فى صنعاء عدة حملات عسكرية جوية وبرية واشترك فى هذه الحملات بعض القوى الوطنيه من خولان والحدأ حيث قامت بشنّ هجوم عام على المتسللين كما تم القبض على بعض العملاء ، وقد استشهد فى عمليات منع التسلل هذه قائدان كبيران من قواد جيش الجمهورية العربية المتحدة هما : المقدم نبيل الوقاد واليوزباشى سند بعد أن أبديا بطولةً نادرة .

لقد كان موقف بريطانيا ـ ولا يزال ـ من ثورة اليمن موقفاً عدائياً سافراً سبّب للثورة بعض المتاعب كما أدى إلى كثير من القلاقل وإراقة الدماء فى سبيل تنفيذ مآربها ومخططاتها الاستعمارية .

ولم تقف عند هذا الحد من إثارة الشغب وإمداد الأذناب والمرتزقة والمتسللين بالسلاح والمال فقد قامت طائراتها المقاتلة فى أواخر شهر فبراير سنة ١٩٦٣ بضرب منطقة مأرب التى تسيطر عليها قوات الجمهورية العربية اليمنية بالصواريخ والقنابل المحرقة ، متحديةً بذلك كل القوانين والمواثيق الدوليه .

إن بريطانيا فى عدائها السافر لثورة اليمن ووقوفها منه موقف العدو الألد لتعبر للرأى العام العالمى عما يجيش فى صدرها من الخوف والرهبة على مصالحها

الإستعمارية فى عدن والمناطق المحتّلة ، وهى بهذه الأعمال الإرهابية تحاول تخدير القوى الشعبية فى الجنوب والحيلولة دون إرادتها وتحررها .

الجمهورية العربية المتحدة ودورها فى دعم الثورة :

لقد قامت ثورة اليمن حينما قامت وهى تحمل من القدرة والقوة مايجعلها قادرة على سحق كل القوى المعادية لها فى الداخل ، ولـكن ليس بالدرجة التى تمـكنها من مواجهة ما يكمن خلف الحدود من قوى الاستعمار والرجعية اللذين يعقدان مصيرهما بنجاح الثورة أو فشلها .

وكانت الجمهورية العربية المتحدةهى الدولة الوحيدة والمؤيده فعلياً لهذه الثورة الوليده والقادرة على حمايتها من كلٍ من المعسكرين أياً كانت اساليبهما وقوتهما.

ولسنا فى حاجةٍ هنا إلى سرد تلك المواقف التى وقفتها الجمهورية العربية المتحدة فى تدعيمها للثوره منذ اللحظة الأولى من قيامها ، لأنها أكثر من أن تحصى وأجلّ من أن توصف ، ولـكن الإشارة إلى ذلك ولو بإيجاز يعطينا درساً رائعاً عن فائدة الوحدة وضرورتها فى درءالأخطار وحماية الأوطان من العدو المشترك، وهذا واضح لو قارنّا فقط بين ثورة ٢٦ سبتمبر وبين ما سبقها من تحركاتقومية كانت بعدم هذا التضامن ماتـكاد تقوم حتى تخمد بسرعة ثم يسيطر الإرهاب والفردية من جديد .

أما الآن وقد أصبح الإخوة العرب يتبادلون القوى ويناضلون فى المعركة جنباً إلى جنب فإنه من المحتم على أى قوة معادية مهما كان نوعها أن تعود إلى أدراجها مذمومةً مدحوره .

إن إيمان الجمهورية العربية الصادق بضرورة دعم النضال العربى من أجل الاستقلال والتحرر قد حتم عليها أن تضع كل إمكانياتها المادية والمعنوية

وماتدخره من مالها وقواتها بل ومن أفلاذ أكبادها فى حماية الثورة والقضاء على القوى المعادية لها وإحباط كل محاولات الاستعمار والرجعية التى قامت ضدها .

إن ضرورة التضامن والوحدة بين العرب هى المسئولية الأولى التى اضطلعت بها الجمهورية العربية المتحدة فى وضع المستقبل العربى وتدعيمه وحمايته واعتبرتهما حقيقة الوجود العربى فى حد ذاته كما ردد ذلك الرئيس جمال عبد الناصر فى كثير من خطاباته .

ويؤكد هذا ما جاء فى الباب التاسع من الميثاق الذى أصدره الرئيس جمال فى مطلع هذا العام كما فى الفقرات التالية .

« والجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظةً أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلاً منها فى شئون غيرها . . . . . . » .

« وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركةٍ شعبية وطنية فإن هذه المساندة يجب أن تظل فى إطار المبادىء الأساسية ، تاركةً مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وإمكانياته » .

« كذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى » .

« إنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريًّا من أجل التجربة المشتركة ، لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صبغةً محددة لصنع التقدم » .

« إن قيام اتحادٍ للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال » .



صورة رقم (٤٥)

السيد رئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير عبد الله السلال وهو يؤدى التحية العسكرية فى استعراض المتخرجين من الحرس الوطنى فى صنعاء . وإلى يساره اللواء أنور القاضى قائد قوات الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن .



صـورة رقم (٤٦)

الأستاذ محمد محمود الزبيرى وزير المعارف بالجمهورية العربية اليمنية ويكنى (أبو الأحرار) وهو يلقى خطاباً فى جماهير الشعب بعد الثورة .

وجاء فى الباب العاشر من الميثاق :

« إن شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية » .

« إن شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ، ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه فى نفس الاعتقاد » .

« إن شعبنا يعتقد فى رسالة الأديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء » .

« إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء الإنسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وإن فقرات كثيرة من هذا الميثاق كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب » .

« إن شعبنا عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق ، بالكفاية والعدل ، بالمحبة والسلام ، وإن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .



صورة رقم (٤٧)
(السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفداً من مشايخ اليمن بالقاهرة)

وفى سبيل هـذه الغايات النبيلة والمبادىء السامية يبذل شعب الجمهورية العربية المتحدة نفسه ونفيسه فى سبيل تحقيقها بكل كرم وسخاء فى سبيل نصرة أخيه المـكافح فى اليمن وغيرها من أقطار العروبة من أجل الحرية والحيـاة الـكريمة ، ويسجل بعمله هذا المجيد أروع مثل كتبه التاريخ .

ولقد كنت خلال الثلاثة الأشهر الأخيرة فى القاهرة وشاهدت من وعى هـذا الشعب الـكريم وفهمه لحقيقة ما يقول ويعمل ، وتحمّسه لقضايا العرب جميعاً وإيمانه بضرورة النظال من أجل الحريّة والاشتراكية الإسلامية والوحدة ما أدهشنى وجعلنى أؤمن إيماناً صادقاً بمستقبل عظيم زاهر لأمتنا العربية يسوده الإخاء الصادق والمحبة والسلام .

أضواء على الثورة :

إننا عند ما نلقى نظرةً فاحصةً على ماضى شعب اليمن وتجاربه المريرة نجد أنه أمضى زماناً طويلا منزوياً وراء ستار كثيف من العزلة والجهل والتـأخر ، رازحاً تحت وطأة شديدة من الإستبداد والعسف ، نخبر الإستغلال فى جميع أنواعه والاستعباد فى شتّى صوره وأشكاله ؛ كما نجد أن دولة آل حميد الدين قد جرّدت سلاحًا قويًّا ووجهت اهتمامًا بالغًا فى الضغط على الحريات وكبح جماح الطبقات الواعية المتطلعة إلى النهوض والسير فى ركب الحضارة الحديثة ، ونالها فى هذا السبيل أنواع كثير من الضغط والتشريد .

وكان من حرص هؤلاء الساسة الشديد فى المحافظة على سلطتهم ونفوذهم المطلق أن عملوا جاهدين فى أن تبقى اليمن مغلقةً فى وجه التيار الحضـارى ، مستخدمين أنواعًا من تضليل الشعب وإقناعه بأن التقدم يعنى هدم الدين ، وأن النهضة ترمى إلى تدمير العقائد ، وأن الطريق المثلى لصون الدين وسلامة العقائد هو الابتعاد عن المزالق — كما كانوا يطلقون عليها — وانتهاج طريق العزلة

والخمول ومنع الشباب من الإستفادة من الثقافة الجديدة ، إلى غير ذلك من أساليب التمويه ووسائل التضليل التى وجدت قبولاً فى نفوس الجهلاء وأهل الجمود ، ولم يهتد إلى هذه الأساليب وما ترمى إليه من أهداف سياسية غير القليل من النابهين ومن أتيح له الإطلاع على مايعيش فيه العالم من حضارة ورقى بواسطة الهجرة المتسلسلة والإغتراب فى طلب العيش الكريم .

وبالرغم من هذا نجد أن الشعب اليمنى قد صرف جهوداً كبرى فى مقاومة هذا الحكم وتقويض دعائمه لا من قِبل الطبقة التقدمية فحسب ، بل من معظم القبائل التى كانت قد سئمت الرضوخ لهذا الحكم الفوضوى المتفكك والإستخذاء للإمامة الفردية المستبدة ، فقامت بعدة انتفاضات تحريرية ضد حكم الإمام يحيى ، كانتفاضة حاشد فى سنة ١٩٢٤ ، وانتفاضة الزرانيق فى سنة ١٩٢٨ وقد أشرنا إليهما فى فصولنا المتقدمة ، على أن هناك عدة انتفاضات شخصية أخرى لم نذكرها ولكنها كانت تبوء بالفشل بسرعة لعدم التجاوب الكافى من القوى الشعبية التى كانت الأغلبية الساحقة منها حينذاك خاضعةً للأفكار الجامدة والعقائد المضللة ، عند ما كان المتحرر يدعى مارقاً عن الدين ، والخارج عن طاعة الإمام — وإن كان جائراً — يسمى ناكثاً للعهد ، وكان عقاب هؤلاء فى مذهب آل حميد الدين هو قطع الرأس بدون هوادة .

ومنذ ما يقرب من خمس عشرة سنةً مضت كان الوعى القومى والعداء للوضع القائم قد انتشرا فى البلاد بصوره أكثر من الماضى مما جرّ إلى قيام ثورة سنة ١٩٤٨ التى أطاحت بعرش الإمام يحيى ، والتى قامت على أكتاف بعض التقدميين من العسكريين والمدنيين وفى مقدمتهم أسرة آل الوزير ، وتسمى هذه الثورة بعام الدستور الذى كان قد أعلن عقيب الثورة ، ولكن هذه الثورة

منيت بالفشل ولم تعش أكثر من ٢٥ يوماً ، وتمكن الإمام أحمد ـ ولى العهد حينذاك ـ من إخمادها بيسر وسهولة ، ويعود ذلك لأسباب نلخصها فيما يلى :

١ — إن هذه الثورة لم يُعدّ لها الاعداد اللازم من القوى الشعبية التى كانت بعضها تعتبر قتل الإمام يحيى خروجاً عن الحق ومروقاً من الدين من دون نظر إلى أنه كان مصيباً أم مخطئاً فى حكمه .

٢ — إن قيام عبدالله الوزير بالإمامة بعد الإمام يحيى لا يعنى تغيير الأوضاع فى شيء ، وإنما يعنى نقل الإمامة من أسرة إلى أخرى فقط بغض النظر عما إذا كانت الأسرة الجديدة تنوى القيام بالإصلاح والعدل المنشودين أولا .

هذا إلى جانب ماقامت به أسرة آل حميد الدين وعلى رأسهم الإمام أحمد من شن دعايات ضد آل الوزير أثارت لهم الحقد والكراهية لدى قبائل المنطقة الغربية والشمالية وإقناعهم بوجوب الأخذ بثأر الإمام المقتول ، وإنقاذ نسائه وأطفاله الذين يقعون تحت الحصار على حد قولهم فى قصور صنعاء ، إلى جانب إرغامهم بأموال بيت المال التى كانت تحت سيطرتهم فى (حجة) و (صعدة) والمعروف أن بعض الأمراء من أسرة آل حميد الدين قد أباح للقبائل نهب (صنعاء) إن هم تمكنوا من إحتلالها وإلقاء القبض على الثوار ، إلى غير ذلك من التصرفات التى كفلت للإمام أحمد ما اعتبره نجاحاً باهراً ونصراً مؤزراً ، وما هو فى الحقيقة إلا نقمةً عادت عليه وعلى جميع أسرة آل حميد الدين بالنكال والوبال ، فلم يمض على حكمه سنوات قلائل حتى وجهت الضغائن إليه وتطورت تلك النقمة عليه بسبب ما اقترفه من ظلم وما ارتكبه من آثام ومنها نهب الأبرياء والضعفاء والمساكين بصنعاء ، فى سبيل نيل النصر المؤزر وتقمص الخلافة الإسلامية بالقتل والإرهاب .

وبالرغم من الأساليب التى اتخذها الإمام أحمد فقد تكررت الثورات والإنتفاضات خلال السبع سنوات الماضية بصورة أقوى من

الماضى ، ففى سنة ١٩٥٥ قامت ثورة المقدم أحمد يحيى الثلائى التى أرغم فيها الإمام بالتنازل عن العرش لأخيه الأمير عبد الله ، ولـكن هذه الثورة كسابقتها لم يكتب لها النجاح لعدم تجارب القوى الشعبية التى أصبحت تتطلب ـ كما أسلفنا ـ تغييراً جذرياً للأوضاع وتتلمس نوعاً جديداً من الحكم يقوم على أساسٍ ديموقراطيٍّ عادل لا على أساس الفوضى والفردية المطلقة .

ثم تبع ذلك عدة انتفاضات قبائلية وعسكرية ، ومن أهمها انتفاضة حاشد بقيادة زعيمها الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وولده حميد ، وانتفاضة خولان بقيادة الغادر الصوفى ، وكلا الإنتفاضتين كانتا فى عام ١٩٥٩ . وانتفاضة الشيخ عبد اللطيف بن راجح بن سعد فى بعدان سنة ١٩٦٠ .



صورة رقم (٤٨)
(الشيخ حميد الأحمر زعيم ثورة سنة ١٩٥٩)

وتبعتهما انتفاضة الجيش فى نفس العام وقد تقدم ذكر تفاصيلها قبل هذا ، وكان فشل هذه المحاولات يعود إلى ما كان ينقصها من الوسائل الحربية والإمكانيات الثورية ، ومبادرة الإمام أحمد بالقضاء عليها فى مهادها بسرعة وبمنتهى العنف والبطش .

ولكنّنا نستطيع أن نقول إن هذه التحركات والانتفاضات كانت العامل الكبير فى تعبئة القوى الشعبية وتكتلها مع الجيش ، تكتلاً مهّد السبيل لنجاح ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ الأخيرة ، بالإضافة إلى ما سبق أن قام به أحرار البلاد من العمل على توحيد القوى الوطنية ونشر الوعى الثورى ، لا فى أفكار الجيش فحسب وإنما فى أفكار بعض زعماء العشائر الآخرين الذين عانوا الكثير من الظلم والعسف ، وفى أفكار الشباب الذين قادوا عدة مظاهرات فى تعز وصنعاء مطالبين بتغيير النظام الرجعى وتصحيح الأوضاع ، والتى كان آخرها مظاهرة فى صنعاء اشترك فيها طلاب المدارس وداسوا خلالها صورة الإمام أحمد وولده البدر ، كما رفعوا صور الرئيس جمال عبد الناصر وأعلام الجمهورية العربية المتحدة ، وقد قوبلت هذه المظاهرات من قبل الإمام والسلطات الحاكمة بالذعر والهلع الشديد .

ونتيجةً لما سبق ذكره من العراك الدامى والصراع المستمر بين الجيش والقوى الوطنية من جهة وبين الفردية المتهاوية من جهة أخرى ، وما لم نذكره من القلاقل والأهوال التى لم تنقطع فى شهر من الشهور ولا فى فترة من الفترات وما جرته على البلاد من شرور الفوضى وويلاتها نجد أن الله سبحانه قد جعل فى قيام ثورتنا المباركة إنهاء لتلك المآسى وحلاً لتلك الأزمات .

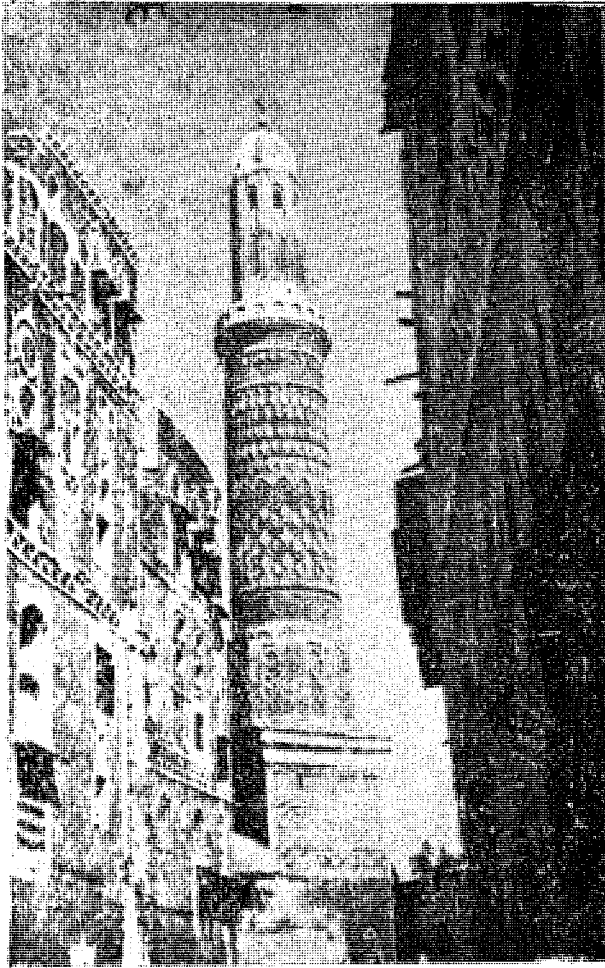
والآن وبعد أن نجحت ثورتنا وتوحدت بها أهدافنا وصرنا بعدها فى أوضح

الطرق وعلى عتبة المنطلق ، فإنه يجب علينا أن نكرّس جهودنا ونضاعف من خطواتنا لنجنى ثمرة كفاحنا الطويل ونضالنا المرير ، ونحقق آمال الملايين من إخواننا فى العروبة والإسلام ، تلك الملايين التى تتطلع بشوق إلى ما سنتخذه فى خطواتنا المستقبلة من عمل إيجابىٍّ فعّال ، ولن يتسنى لنا ذلك إلا بالتحرر أولاً وقبل كل شىء من اغلال الجهل ورواسب الكراهية والحقد ، وتطهير صفوفنا من عناصر الإنفصالية والإنتهازية ودعاة التفرقة التى لعبت دوراً خطيراً فى الماضى وكان لها أثرها البالغ فى تفتيت قوى الشعب وتمزيق وحدته ، وتجريد حملة للقضاء على البطالة والجهل والتعصب الأعمى ، ومواكبة الركب العربى التقدمى الذى أصبحت طلائعه تبشر بقيام دولةٍ عربية واحدة تعمل لصالح الجميع وتهدف إلى تحقيق مستقبل حرٍّ كريم للأمة العربية جمعاء .

تم الكتاب بحمد الله

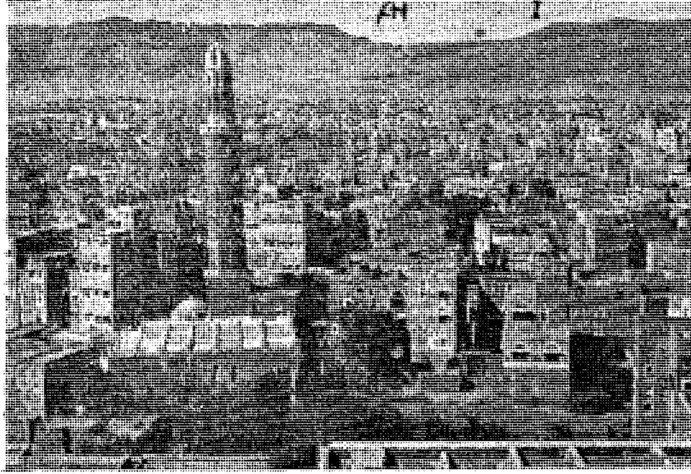
١٩٦٢/١٢/١٠

(صور مختلفة عن صنعاء)

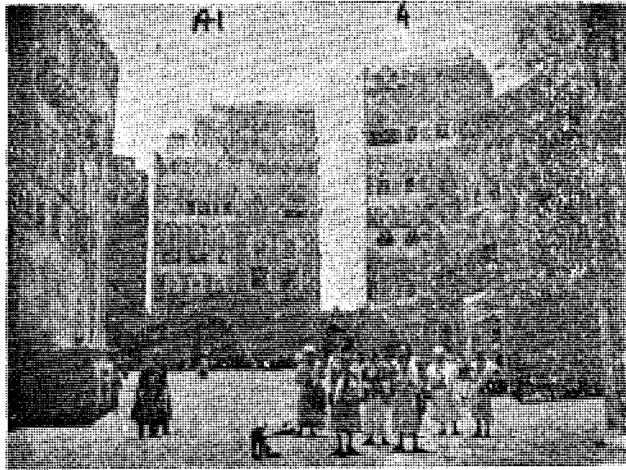


صورة رقم (٤٩)

جانب من بيوت « صنعاء » تتوسطها منارة مسجد صلاح الدين
التي يعود بناؤها إلى القرن الثامن الهجري



صورة رقم (٥٠)
(مدينة صنعاء من الجو)



صورة رقم (٥١)
(صنعاء : أنموذج من الفن اليمنى المعمارى القديم)

(أهم مصادر الكتاب باللغة العربية)

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمدانى (القاهرة) ١٣٦٨ هـ

٣ ـ أنباء الزمن ـ يحيى بن الحسين بن القاسم (مخطوط)

٤ ـ بلوغ المرام ـ حسين بن أحمد العرشى (القاهرة) ١٩٣٩ م

٥ ـ تأريخ العرب قبل الإسلام ـ الدكتور جواد على (بغداد) ١٩٥١ م

٦ ـ تأريخ اليمن ـ الشيخ عبد الواسع الواسعى (القاهرة) ١٩٣٩ م

٧ ـ تأريخ اليمن ـ أبو عمارة بن محمد اليمنى («) ١٩٥٧ م

٨ ـ تأريخ الأدب العربى ـ كارل بروكلمن («) ١٩٦٢ م

٩ ـ تاريخ الدولة الكثيرية ـ محمد بن هاشم («) ١٣٧٨ هـ

١٠ ـ « حضرموت السياسى ـ صلاح بن بكر اليافعى («) ١٣٥٤ هـ

١١ ـ التأريخ العربى القديم ـ الدكتور فؤاد حسنين على («) ١٩٥٨ م

١٢ ـ تأريخ العرب ـ الدكتور فيلب حتّى (بيروت) ١٩٥٢ م

١٣ ـ التمدن الإسلامى ـ جرجى زيدان (القاهرة) ١٩٢٢ م

١٤ ـ الجامع الوجيز فى وفيات أولى العلم والتبريز
أحمد بن عبد الله الجندارى (مخطوط)

١٥ ـ دائرة المعارف ـ محمد فريد وجدى (القاهرة) ١٩٢٤ م

١٦ ـ رَوْح الرُّوح ـ عيسى بن لطف الله بن المطهر (مخطوط)

١٧ ـ السُّلوك فى تأريخ العلماء والملوك ـ لبهاء الدين الجندى («)

١٨ ـ شرح قصيدة نشوان الحميرى ـ نشوان بن سعيد الحميرى (القاهرة) ١٣٧٨ هـ

١٩ ـ « رسالة الحور العين ـ « « « («) ١٣٦٧ هـ

٢٠ ـ صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمدانى («) ١٩٥٣ م

٢١ ـ صبح الأعشى ـ أبو العباس أحمد بن على القلقشندى (القاهرة) ١٩١٩ م
٢٢ ـ الطبقات الكبرى ـ أبو عبد الله محمد بن سعد (بيروت) ١٣٧٦ هـ
٢٣ ـ العرب قبل الإسلام ـ جرجى زيدان (القاهرة) ١٩٠٨ م
٢٤ ـ عيون الأخبار ـ إدريس عماد الدين القرشى (مخطوط)
٢٥ ـ العقود اللؤلؤية فى تأريخ الدولة الرسولية
على بن الحسن الخزرجى (القاهرة) ١٣٢٩ هـ
٢٦ ـ قرة العيون ـ عبد الرحمن بن على الديبع (الزبيدى) (مخطوط)
٢٧ ـ الكامل ـ إبن الأثير (القاهرة) ١٣٤٨ هـ
٢٨ ـ كنوز مدينة بلقيس ـ ويندل فيليبس (بيروت) ١٩٦١ م
٢٩ ـ اللطائف السنية ـ محمد بن إسماعيل الكبسى (مخطوط)
٣٠ ـ ملوك العرب ـ أمين الريحانى (بيروت) ١٩٥١ م
٣١ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التأريخ
الإسلامى ـ المستشرق زامْباوَرْ (القاهرة) ١٩٥٣ م
٣٢ ـ المخلاف السليمانى ـ محمد بن أحمد العقيلى (القاهرة) ١٩٦٠ م
٣٣ ـ نشر الثناء الحسن ـ إسماعيل الوشلى (مخطوط)
٣٤ ـ اليمن ماضيها وحاضرها ـ الدكتور أحمد فخرى (القاهرة) ١٩٥٩ م

أهم المراجع باللغة الإنـكليزية

(1) Arabia and The Isles:
Harold Ingrams, (London 1942).

(2) AL-Islam In Ithoipia:
(Oxford 1960).

(3) Bibliogtraphy on Yemen and notes on Mocha :
Eric. Marco, (New York, 1960).

(4) British Incyclopidia:.
(London 1960),

(5) Bulletin of American Schools of Oriental Reserch :
William Foxwell Albright, (New York 1951).

(6) Dictionary of Discoverers :
(London, 1961).

(7) History of Nations,
(London. 1937).

(8) Incyclopidia Americana :
(New York. 1961).

(9) Qataban and Sheba :
Wendell Phelips, (New York, 1955).

(فهرس الصور والخرائط)

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

(فهرس الأعلام)

(ب)

(ج)

(فهرس الأماكن)

(ا)

(ب)

(ى)

(ك)

(ل)

(م)

(ض)

(ظ)

(غ)

استدراك للأخطاء المطبعية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٩	٥	شمها	شملها
٣٩	٩	بقياة	بقيادة
٢٩	١٧	إمارة	إمارات
٣٠	٤	القبطية	القعيطية
٣١	١٢	مبتنع	مقتنع
٤٤	١٨	والنقوشات	والنقوش
٦٧	١١	بارح	يارح
٦٨	٧	ملكها	ملكتها
٧٣	٦	الرايت	البرايث
٧٤	٣	إلى	ال
٧٤	٨	آل	ال
٧٥	١٥	آل	ال
٧٩	٨	يخز	يحز
٧٩	٢	إلى شغب	إلى شعب
٨١	١٣	أن	إلى أن
٨١	١٧	هامل	هومل
٨٢	١٣	بين	فى
٨٣	١١	سهر	شهر
٨٧	٢١	وأندبحث	حيث إندمجت
٩٣	١١	خمشت	خمست
٩٤	٩	وهو	هو
٩٦	١١	الحكم	فى الحكم
٩٦	١٣	خرائب	خرائبها
١٠٣	٩	حل	حمل
١٠٦	١٢	والفصوص	والنقوش
١٢٠	١٥	هوى	هو
١٢٢	١٣	المسلمى	المسمى
١٢٢	١٥	عاماً	عام
١٢٤	٢	أهرام	هرم
١٤٨	٧	وغيرهما	وغيرها
١٥٤	٣	الاقتصادية والسياسية	الاقتصادى والسياسى
١٥٦	١٢	غرفة	غرقة
١٦٢	١١	تزى	تزيّا
١٦٧	١٤	ليدعوهم	ليدعواهم
١٧٧	٢٦	٨٤٤	٧٤٤
١٧٧	٢٧	٨٤٥	٧٤٥
١٨٧	١	ويرى	ويروى
١٨٧	٧	الأخير	الأخيرة
١٨٧	١٤	قليلة	قبيلة
١٩٢	١	محى	يحيى
٢٠٣	٥	إلى أبيها أسعد	إلى أسعد
٢٠٩	٩	إلى	أهل
٢١٣	١٨	إلى	إلا
٢٢٢	١	ولد	ولده
٢٣٧	١٥	أبوابه	أبواب
٢٣٨	٨	الإسكندرية	الإسكندر
٢٣٩	١٢	تغر	تعز
٢٤٢	٢١	آخر	الآخر
٢٤٤	٢	أشراف	أشراف الجوف
٢٦٥	١١	محمداً	محمد

(تقدير واعتراف)

إننى إذ أنتهى من تسطير كتابى هذا (اليمن عبر التاريخ) ، أرى لزاماً علىّ أن أزفّ خالص شكرى وتقديرى لأولئك الأفاضل من الإخوان العرب والأصدقاء الأجانب الذين أمدّونى بأصول التاريخ اليمنى ومراجعه ، وقدموا لى كل عونٍ ومساعدة ، ومنهم صاحب الفضيلة القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى وزير العدل بالجمهورية العربية اليمنية الذى أسدانى من التشجيع والعون ما يستحق عليه وافر الشكر وعاطر الثناء ، ولله الحمد والثناء أولاً وأخراً ؟

« **المؤلف** »